محادثات فلسفية مع صديقي

د. موفق كمال قنبر-وفي

الاهداء

إلى من ذكراه لا تفارقني
المرحوم نبيل إيليّا نجّار

ألمحتويات

المحادثة الاولى	الوجود والعدم
المحادثة الثانية	الوجود والحياة
المحادثة الثالثة	الوجود والزمن
المحادثة الرابعة	نشوء الكون وتطوره
المحادثة الخامسة	نشوء الكون وتطوره
المحادثة السادسة	نشوء الكون وتطوره
المحادثة السابعة	نظرية المعرفة
المحادثة الثامنة	نظرية المعرفة
المحادثة التاسعة	في اوجه الاختلاف والتشابه بين الدماغ والحاسوب
المحادثة العاشرة	حرية إرادة الإنسان
المحادثة الحادية عشر	حرية إرادة الإنسان
المحادثة الثانية عشر	نشوء الدين
المحادثة الثالثة عشر	تطور الاديان المتعددة الآله
المحادثة الرابعة عشر	الاديان التوحيدية الابراهيمية – اليهودية 1
المحادثة الخامسة عشر	الاديان التوحيدية الابراهيمية – اليهودية 2
المحادثة السادسة عشر	الاديان التوحيدية الابراهيمية – المسيحية 1
المحادثة السابعة عشر	الاديان التوحيدية الابراهيمية – المسيحية 2
المحادثة الثامنة عشر	التوافقية – المانوية والصابئة المندائيون
المحادثة التاسعة عشر	التوافقية – المانوية والأيزيديون والكاكائية
المحادثة العشرون	الإسلام 1
المحادثة الواحدة والعشرون	الإسلام 2
المحادثة الثانية والعشرون	الإسلام 3
المحادثة الثالثة والعشرون	الإسلام 4
المحادثة الرابعة والعشرون	الإسلام 5
المحادثة الخامسة والعشرون	منهج التغيير الجذري 1
المحادثة السادسة والعشرون	منهج التغيير الجذري 2
المحادثة السابعة والعشرون	منهج التغيير الجذري 3
المحادثة الثامنة والعشرون	ماذا نفعل لتحقيق التغيير الجذري 1
المحادثة التاسعة والعشرون	ماذا نفعل لتحقيق التغيير الجذري 2
المحادثة الثلاثون الاخيرة	ماذا نفعل لتحقيق التغيير الجذري 3

محادثات فلسفية مع صديقي (1)

انا في الصداقة اتبع القائل "صديقك من صَدَقَكَ لا مَن صَدّقَكَ" وصديقي الذي سوف لا اذكر اسمه صادق مع نفسه ومعي ومع الناس ... شجاع حد الاستهتار ... وملحد حتى نخاع العظام ... وله ان يعتقد ما يشاء ولي الحق في الرد عليه بما اعتقد ولن يفسد صدق صداقتنا اختلاف وجهات النظر. وصديقي هذا والده مسلم اختلطت في دمه العراقي دماء اسلافه العرب والكرد والتركمان ... وأمه مسيحية سريانية لا زالت تذهب في المناسبات الدينية الى الكنيسة وتحتفل بعيد الميلاد المجيد في بيتها وبرأس السنة الميلادية مع عائلتها كما يفعل معظم اهل بغداد الاصليين. سأسرد ما جرى لي معه في سلسلة من المحادثات الفلسفية:

المحادثة الاولى - الوجود والعدم:

ألتقيت بصديقي صباح يوم الأحد المصادف 2018/12/9 في بيتهم في منطقة الاعظمية ... اقول ان صديقي ملحد حتى النخاع لأنه لا يؤمن بالله وبالروح التي تفارق الجسد بعد الموت وبحياة الاخرة ويتعدى ذلك باعتقاده بعبثية الوجود ولا هدفيته ، فما نحن في هذا الوجود سوى جزيئات مادية في حركة مستمرة تصادمت وتفاعلت حسب قوانين تحكمها الصدفة فكوّنت تركيبات معقّدة وبمرور الزمن تعّقد تركيبها اكثر وتحول قسم منها الى بروتينات ثم جراثيم احادية الخلية ثم حيوات متعددة الخلايا نحن منها. وعندما اقول له ان هذا مستحيل لأن احتمالية الصدفة في تكوين جزيئة البروتين ، وهي اساس الحياة ، من حوالي الفين ذرة من عناصر الاوكسجين والنايتروجين والهايدروجين والكاربون يفوق عمر الكون ، وهو حوالي 13.7 مليار سنة ، بعدة مرات فلا بد ان يكون هنالك عامل ذكي اختصر طريق تطور البروتين على الارض بحوالي مليار سنة او ما يزيد قليلاً.

فيقول لي : إِن كان هنالك عامل فعّال في تطور المادة الغير حية الى حيّة فهو في الطبيعة نفسها لا خارجها ... لا وجود لشئ خارج هذه الطبيعة.

اقول له: فمن اين جاءت هذه المادة التي نحن منها.

فيجيب: انها موجودة منذ الازل.

اقول: فأنت اذن مثل "دهريي العصر العباسي" فلعلهم تأثّروا بالبوذيين الذين يعتقدون بأزلية المادة، ولكن العلم يقول ان المادة تكونت بعد الانفجار الكبير (The Big Bang) لكتلة من الطاقة هائلة فوق التصور... والكون منذ تلك اللحظه في تمدد مستمر.

فيجيب: المادة تكونت من تلك الطاقة ... فالطاقة اذن ازلية ومنها كانت المادة ومن المادة كل شئ ... حي او غير حي.

هممت بالقول بأن المادة ممكن ان تخلق من العدم بناء على نظرية عالم فيزياء الفلك المشهور ستيفن هاوكن (Stephen Hawking) ولكني عدلت عن ذلك لأني شخصيّاً غير مقتنع بذلك ، فقد تعلّمنا من الفيزياء ان المادة لا تخلق من العدم فأكتفيت بالرد مؤيداً : جائز ان تكون الطاقة ازلية... ولكني لا اؤيّدك في ان العشوائية انتجت وجوداً حياً عالي التعقيد وله عقل مثلنا... هذا غير جائز بالمطلق... الا زلت تصر على ان العشوائية كانت وراء انتاج كائن حي له عقل مثلنا.

قال: نعم ... العشوائية ليست مطلقة ففيها نسق ونظام كما تدل عليه نظرية الفوضى المنظّمة (Organized Chaos) ... تطورت المادة من عشوائية تصادمت وتفاعلت العناصر المادية فيها وفق نسق معيّن الى ما نحن فيه الان ...قد يُجيب الاعتقاد بخالق خارج وجودنا المادي على التساؤل من أين جاء كل شئ ولكن تلك اجابة ساذجة غير مسنودة علمياً ... واظن ان احسن تعليق لوصفها هو ما سمعته عن شخص انكليزي لا اذكر اسمه يصف مثل هذا الخالق بأنه God of the gaps ... هذا هو إله الانسان الساذج الذي يملأ الفجوة في سلسلة استقصاءاته عن السبب الاول بمسبب لا سبب له خارج الطبيعة التي يحكمها قانون السببية ... ويسميه الإله الخالق .. الله.

قلت: انا أؤيدك في ان الانسان في الماضي لجأ الى استنتاج وجود مسبب لكل الاسباب المادية .. سبب اول يضعه في ما وراء الطبيعة وذلك لجهله بالمعارف العلمية التي منها يمكن معرفة اصل الظواهر الطبيعة التي يشهدها ومسبباتها ... ولكن هذا التعليل جزء من تعليل اعم ... فهنالك مشاعر تعتمر صدور الناس ، الجاهل منهم والعالم ، ويشعر بها الانسان عند صفاء النفس والتأمل تقول له انك جزء من وجود حي يضم الكون كله .. ولعل بعض الاديان القديمة ادرك ذلك فالديانة المندائية .. والاسم الدارج في العراق هو الصابئة .. تقول ان الله .. مندا .. تسميتهم بالمندائية لأعتقادهم بالوجود الحي ... مندا د هيّه ... اي الله الحي ... انا لا انكر دور الصدفة ولكن الصدفة لا تخلق انساناً.

قال: ان اعتقادك هذا هو هروب الى الوراء ... الى معتقدات ترجع الى قبل آلآف السنين.

قلت: وان اصرارك على الصدفة في خلق وجودنا المعقّد هو هروب الى الامام ... هروب متعلل بعلم ناقص فهو أذن كجهل ذلك الذي يملأ فجوة في سلسلة السببية بما هو ليس حقيقة.

قال: انت تتفق معي على ان سبب تطور الطبيعة بعد الانفجار الكبير الى ما نحن فيه اليوم نابع من عوامل ليست خارجه عن الطبيعة ... وبذلك تنتفي الحاجة الى إله خالق للطبيعة ولكنه ليس منها.

قلت: لم اقل هذا بل اشرت الى ان الطاقة ازلية ... وفي بحثنا عن خالق لعالم الطبيعة المادي الذي نشأ بعد الانفجار الكبير فأن المنطق يقودنا الى انه طاقة لابد ان تكون ازلية غير مخلوقة ... فالمادة هي شكل من اشكال الطاقة كما اثبت ذلك اينشتاين.

قال: ولماذا تقول لابد ان تكون ازلية غير مخلوقة.

أجبت: لو كانت مخلوقة لتسائلنا فمن خلقها ... فيقود المنطق الى إفتراض خالق بصفات ما ... ولو كان هذا الخالق من عالم المادة الخاضع لقانون السببيه لتسائلنا ومن خالق هذا الخالق ... وفي النهاية يقود المنطق الى افتراض خالق غير مخلوق خارج عالم المادة ... ولأستمرت سلسلة الخالق والمخلوق الى ما لانهاية ... هذا ما قاد الفيلسوف اليوناني ارسطو الى القول ان هذا الذي هو خارج الطبيعة المادية هو الفكر ... فالفكر غير مادي والفكر أرقى من المادة ومسيطر عليها ... فكري يأمر يدي ان ترتفع ، رفعت يدي ، فترتفع.

قال: كلام معقول لأرسطو ولكن كانت له نتائج على الفكر الديني المسيحي فقد كوّنت هذه الفلسفة بالذات جوهره .. فالله فكر فعّال خلق العالم ... سوف لا أتطرق لذلك الان.

قلت: القصد هو ان العلم يؤيد ان كل شئ من الطاقة فمن المنطق ان نفترض انها أزلية ونبحث ونعلل كيف تكونت المادة منها.

قال مستفهماً : فهل تدّعي إذن ان الله هو تلك الطاقة الازلية؟

قلت : لا أدري ... ولكن يبدو ان المادة خُلِقت من تلك الطاقة

قال: فهل تتفق معي ان سبب وجودنا المادي المتطور نابع من طبيعة المادة التي خُلقت من تلك الطاقة الازلية ، فأن كان جوابك بنعم فما هي هذه الطبيعة المادية التي ادّت الى تعقّد مركباتها وتطورها الى مخلوق مثلنا على وجه الارض بدل من تحلل ما هو معقد وانفراطه الى اشياء ابسط تعقيداً ... أليس من طبيعة المادة أن تتحلل وتنفرط مع تمدد الكون منذ الانفجار الكبير ... وليس أن تتعقّد وتتطور الى مخلوقات حيّة.

قلت: اصبت كبد الحقيقة ... نعم لقد حيّر العلماء ذلك ... القانون الثاني للميكانيك الحركي (Second Law Thermodynamics) هو عن متغيّر الأنتروبي (Entropy) الذي هو مقياس لمقدار تغيّر السعرات الحرارية ونسق النظام في الجسم. الانتروبي في جسم الكون سالب مما يعني ان المادة الكونية آيلة الى فقدان الحرارة وإلى اللانظام بمرور الزمن... ولكن انتروبي الكائنات الحيّة ، التي تتطور الى نسق نظم بايولوجية متزايدة التعقيد وذات كفائة في تحصيل الطاقة لغرض ادامتها ، موجب القيمة وهذا يعارض جنوح المادة الكونية الى اللانظام.

قال: انا سعيد ان ظنوني يؤيدها العلم ... ألم اقل لك عندي دماغ يشتغل زين ... كمّل حديثك.

قلت: دعني اشرح لك قليلاً عن ما توصل اليه العلم الحديث عن كوننا الذي نعيش فيه لأنه ضروري لغرض الوصول الى ما اود قوله في النهاية ... اسئلك اولاً كم تظن هو عدد النجوم والكواكب في مجرّتنا درب التبّانة ... وكم هو عدد المجرّات في الكون.

قال: اظن ان هناك بضعة ملايين من النجوم في مجرّتنا وأقل منها عدد المجرّات ... ولكن لماذا سُمّيت مجرّتنا بدرب التبّانة

قلت: لأن الفلكيين الناظرين الى السماء الصافية في ليل شرقي جميل يرون النجوم وقد تبعثرت بكثرة كأنها تبن متساقط من عجلات تتهادى على طريق درب التبّانة المتلامع في ضوء القمر ... تسمى مجرّتنا في الغرب (the Milky Way) فالنجوم المتلامعة مثل نقاط حليب متناثر على طريق عربات نقل الحليب ... نرجع الى موضوع عدد النجوم والمجرات ... هنالك ما بين 200 الى 400 مليار نجمة اضافة الى 100 مليار كوكب في مجرّنا ... وكمعدّل هنالك مثلها من النجوم والكواكب في المجرّات الاخرى ... اما عدد المجرّات فيقدر 200 مليار مجرّة ولكن العدد تضاعف عشرة مرات بناءاً على دراسات حديثة ... اي 2000 مليار مجرّة.

وقبل ان تختفي علامات الدهشة والتعجب من وجه صديقي قلت: فهل تظن ان هذا الكون هو كل مافي الوجود؟ لم يرد صاحبي بل ظلّ فاغراً فاه بتعجّب ، فتابعت: حسب الدراسات العلمية الحديثة فأن كل المادة الكونية التي نرى معظمها من خلال التلسكوبات الضخمة لا تشكّل سوى 5% تقريباً من الوجود الكلّي ... لأن 75% منه طاقة داكنه (Dark Energy) سميت كذلك لانها لا ترى بالعين و 20% منه مادة سوداء (Dark Matter) لايمكن رؤيتها لانها لا تتفاعل مع الاشعاعات الكهرومغناطيسية ومن جملتها الضوء ... والتي ربما احتوت على جسيمات نيوترينو (Neutrinos) والتي لا يمكن رؤيتها ايضاً .. والنيوترينات هي جزيئات اولية متعادلة الشحنة وبلا وزن تقريباً ... رفعت اصبعي امام صديقي وتابعت الكلام: في كل

ثانية تمر ألآلآف منها من خلال اظفري هذا. هنالك ايضا الثقوب السوداء (Black Holes) وهي اجسام كثيفة المادة الى درجة ان جاذبيتها لا تدع الضوء يخرج منها او ينعكس من على سطحها ....

مرّت فترة من الصمت ثم قال: اصدّقك ... فأنت الفيزياوي ولو اني لم استوعب ما قلته لي فهو فوق التصور ... ولكن ارجع الى التساؤل الذي طرحت مثله قبل دقائق ... ما هذا الذي هو نابع من الطبيعة المادية ويدفعها الى التطور حتى انتجت الحياة والانسان العاقل على الارض.

قلت: كما بيّنت الان فأن المادة التي تكون 5% من المادة الكونية هي جزء صغير من تلك الطاقة الازلية ... ولعل ال 95% الغير مرئي هو ما تبقّى منها بعد تحول قسم منها الى مادة مرئية ... هذا الوجود الكوني آيلٌ الى الدمار والعدم فهو يتمدد بأستمرار وتبرد نجومة بعد نفوذ وقودها ويتبعثر كل ما فيه من مجرات ونجوم ويموت ... ابتسمت وقلت له: لا تخف ... هذا لن يحدث ألا بعد مليارات من السنين.

قال متهكماً ولعله يحاول اغاضتي: لا يهمني لو حدث هذا اليوم ... الحياة وكل شي فيها بدون معنى او هدف ... اخرج سيكارة من علبتها وقال: ما قلته يستحق سيكارة. نظرت اليه نظرة عتاب فهو يعرف اني لا أدخن وكم من المرات نصحته ان يترك التدخين لأنه مضر بالصحّة ولكنه تابع كلامه وهو يشعل السيكارة: قلت لك الحياة وما فيها بدون معنى فدعني استهلكها وانا مستمتع بسيكارة وبطل العرق بجانبي.

اهملت اجابته وتابعت قولي: الكون كائن حي ... هذا ما اعتقده ... حياته هي مجموع من حيوات كُثر ... تستدل على حياته في نظام كوني من مجرّات ونجوم وكواكب تتحرك وتدور بنسق معيين وأنتظام وتعمل حسب قوانين فيزيائية كونية ...وجزء من حياة الكون في الحياة على الارض .. وحتماً في حيوات اخرى على كواكب لم نكتشفها بعد

قال: كيف تضفي على الكون الحياة وللحياة مواصفات بايولوجية تحدد وجودها كالعمليات الايضية (Metabolism) في تمثيل الغذاء وتحويله الى ما يبني الجسم الحي والى طاقة للعضلات ... والتكاثر ... والى آخره ... هذا لا ينطبق على نجوم وكواكب من نار وحجر.

قلت: حياة الكون ليست كحياة الاحياء على الارض ... هي تتضمن كل الحيوات البايولوجية على الارض وعلى الكواكب الاخرى ... وتتضمن حياة غير بايولوجية تتمثل في نسق النظام الكوني المتحرك بأستمرار <u>... فالحياة كما اتفق عليه كثير من العلماء والفلاسفة هي صيرورة (Process) فيها نسق (Pattern) من نظام (Order) يسعى للحفاظ على نفسه من الدمار .. وهو ما ينطبق على الحياة البايولوجية وعلى الكون بمجراته ونجومه وذرات مركبّاته الاخرى.</u>

قال: OK ... وبعد ... ماذا تريد ان تصل اليه.

هممت بالجواب لولا رنين التلفون ومسارعة صديقي إليه ... بدأ صديقي يتكلم بلهجة المسيحيين الشبيهة بلهجة اهل الموصل ويهود العراق ، وعندما أنهى المكالمة قال لي: آسف للمقاطعة ولكن يجب ان اذهب الان لأخذ أُمي من كنيسة النجاة في الكرادة ... تعال معي وسوف نكمل حديثنا عند رجوعنا الى البيت.

قلت: OK ، ركبت معه في سيارته التي توجهت بنا الى الكنيسة ، ... انت تتكلم مع امك باللهجة المسيحية ومعي ومع الناس بالشارع باللهجة البغدادية.

قال: اللهجة المسيحية مع بعض التحوير عن اللهجة المصلاوية واليهودية هي العامية البغدادية الاصلية منذ زمن العبّاسيين ، حافظ عليها المسيحيون لكونهم اقلّية شبه مستقلّه في مجتمع عربي تأثر كثيراً بلهجات عرب البادية والفرس والاتراك. التفت اليّ عند توقف السيارة في زحام السيارات وقال: تطرقت الى مواضيع تخص الكون وليس لي سوى نتف من معلومات استقيتها من الجرائد والمجلات عن نشوءه وتطوره ... اريدك ان تشرح لي ذلك بطريقة مبسّطة في لقاء آخر.

قلت: سأفعل ذلك مدعوما بالصور.

لم أنبس بشئ من الكلام حتى وصلنا الى الكنيسة بينما انشغل هو بالسياقة وسط شارع مزدحم بالسيارات لا تحكمه قوانين السير وانشغلت انا بالتفرج على الدكاكين المزدحمة بالبضائع والناس على طول الطريق.

محادثات فلسفية مع صديقي (2)

المحادثة الثانية - الوجود والحياة:

وقفت أم صديقي قرب باب كنيسة سيدة النجاة ، التي يحرسها شرطيان وبعض من المتطوعين الشباب تنتظر ولدها وعند وصوله استقلّت المقعد الخلفي من السيارة فسلّمت عليها بحرارة: شلونچ (كيف حالك) خالة ... الله يتقبّل صلاتچ او الله يرحم اللي استشهدوا بهذه الكنيسة ، ردّت سلامي بأحسن منه وترحمت على الشهداء ثم سألتني عن صحّة زوجتي وأولادي وطلبت مني ان أقبلّهم بالنيابة عنها. كنت قد زرت هذه الكنيسة مع اخي السياسي العراقي إنتفاض قنبر والفنان اسماعيل الفروجي عقب الهجوم الارهابي في يوم 2010/10/31 والذي راح ضحيته عشرات القتلى والجرحى وحضرنا قدّاساً مقام لاجلهم واشعلنا شموعاً وضعناها عند اسماء الشهداء التي اصطفّت على ارض الممر المؤدي الى المنبر وسط الكنيسة. أستغربت وقتها من اجتماع كثير من الشباب المسيحيين حول الفنان اسماعيل وأخذ الصور التذكارية معه فسألته: لماذا انت معروف ومحبوب عندهم الى هذه الدرجة.

قال: وكيف لا وقد كانت اجمل اغانيي هي "سيدتي مريم"[1].

كان التعايش السلمي بين عامة الناس من كافة الطوئف والاديان هو السائد في العراق بالرغم من الصيحات العنصرية والطائفية التي تنطلق من حناجر رجال الدين وبعض الطائفيين ... تذكّرت محلّة القادرية في مدينة العمارة حيث ولدت... صداقة واخاء بين ساكنيها من إسلام ، سنة وشيعة ، ومسيحيين ويهود ... تذكّرت فترة الستينيات من القرن الماضي ... كان هناك دير للراهبات مع كنيسة صغيرة قرب منطقة الميدان في بغداد تؤمها النساء المسلمات وتشعل الشموع امام تمثال لمريم العذراء وطفلها يسوع ... متضرّعات في دعاء طلباً لحملٍ امتنع عن أرحامهنّ. وصلنا بيت صديقي ورجعنا في حديثنا إلى ما كنّا فيه بينما ذهبت والدته الى المطبخ.

قال صاحبي: قلت ان الكون كائن حي لانه في صيرورة ذات نسق ونظام ككل ما هو حي ... ماذا تريد ان تصل اليه؟

قلت: سوف تقول عنّي مجنون ولكن هذا ما توصلت اليه ... كما قلت سابقاً ... الكون بكل ما فيه كائن حي يسعى للحفاظ على نفسه .. حاله حال أجناس المخلوقات الحية التي تنطبق عليها نظرية شارلس دارون في البقاء للأصلح ... وبرأيي ان هذه النظرية لا تنطبق على الاحياء فقط بل تتعداها الى غير الاحياء ... فالكون يتمدد ويتطور سعياً للحفاظ على نفسه في مركبّات مادية مقاومة للتحلل. ولعله في نهاية المطاف عند نقطة اللا عودة ... اي عندما يتمدد ويتمدد ويبرد ويموت تفلت منه ، اشرت بيديّ علامة الاقتباس ، "روحه" في تركيبة متطورة تُحفظ في بذرة .. اي كما في الجينات التي تحفظ خريطة صنع حياة جديدة على الارض ، فتصنع جسداً مادياً آخر من حطام المادة المتناثر او تعاود حياتها في جسد مادي في كونٍ بديل.

سكت صديقي قليلاً ثم أشار اليّ بيده: أنت مجنون ... مجنون ولكن تعجبني اجابتك ولعل ما تقوله هو من الحكمة التي تخرج من افواه بعض المجانين... ماذا تقصد بروح الكون ... ألا زلت تؤمن بهذه الخرافات التي اخترعها الانسان الساذج مع اختراعه لله والآخرة.

---

[1] ترتيلة سيدتي مريم لأسماعيل الفروجي https://www.youtube.com/watch?v=oxcm1wAWdIo

قلت: لهذا اشرت بيدي علامة الاقتباس لأني اعرف ما ستقول ... إليك مفهوم عن الروح يتفق مع العلم.

قال: OK قل لي ولكن لا تعقّد الموضوع كعادتك ولا تطوله.

قلت: سأحاول أن أختصر ولعلي اشرح ذلك بالتفصيل في لقاء آخر ... في هذا الوجود المادي هنالك مادة وحركة ، اعدت مؤكدا ، مادة وحركة ... مادة متكونة من الذرّات (Atoms) وفي الذرات جسيمات البروتونات (Protons) والنيوترونات (Neutrons) والاكترونات (Electrons)... كما ان العلم الحديث أكتشف ان البروتونات والنيوترونات متكونه من جسيمات اولية ابسط هي الكواركات (Quarks) ... مفهوم ، هزّ برأسه نعم.

تابعت: وهنالك حركة مثل حركة الذرات في الفضاء وحركة الكترونات حول الذرة ... OK ، هزبرأسه نعم.

تابعت: وهنالك المركّبات من العناصر (Molecules) وفيها حركة الالكترونات وذبذبة الذرات وفق اتساق منتظم تتحكّم به القوانين الفيزيائية المعروفة ... ونسمي الحركات الموحدة في مرّكب من الذرات بالصيرورة.

نظر اليّ بتعجب مصحوب بنظرة ساخرة مردداً: صيرورة ... صيرورة؟ ... هذه المرّة الثانية التي تذكر فيها هذه الكلمة ومن يسمعها يظن انها اسم لاغنية ... مثل اغنية فيروز ، وبدأ يغنّي بصوته الأجش ، عبدو حابب غندوره .. وغيرا مابدّو .... او عبدو عنده صيرورة .. غيرا مابدّو.

قلت: اسكت لخاطر الله ... اذّيت اذني ... لا تلمني فهذه هي الترجمة المتفق عليها لكلمة (Process). توقفت برهة عن الحديث ثم واصلت: الصيرورة في بناء مركّب من ذرات المادة هو ما اطلق علية الروح ... وبكلمة اخرى كل صيرورة موحّدة من حركة الجزيئات الاولية ، اي البروتونات والالكترونات الى اخره ، في مركّب من الذرات قابل على استدامة وجوده هو روح ذلك المركّب المادي ... وعليه ففي كل شئ روح.

قال ونظرة الاستهزاء تنمّ عن ما سوف يتفوه به: كلاً انت لست مجنون فقط بل مخبّل (مخبول) ... توقف فجأة عن الكلام وكأن فكرة لمعت في ذهنه ثم واصل حديثه: لعل الانسان ... عندما لمسَ تخلّي جسد الميّت عن الحركة ظنّ ان ما يسبب حركة الجسد قد غادرها ... اي راح عنها ... فسمّاها روح ... فالروح في هذه الحالة تساوي فعاليات الحي الجسدية والفكرية.

قلت: ربّما.

قال: لا زال الغموض يعتري مسألة التطور عندي ... ما هو دافع كل هذا السعي للتطور وتكوين مركّبات أعقد وصولاً الى الانسان العاقل على الارض ... ، واصل حديثه ناظراً الى اعلى ، لماذا يا كون تخلق من له عقل مثلنا ...هل لكَي يُتعب دماغه بهذه الاسئلة المحيّرة ...هم يخلقون إلهاً ويضعون على لسانه ما يريدون ... واخرون يفعلون شئ مشابه ... ثم يتعاركون ويقتل بعضهم بعضاً لأختلاف الهتهم التي خلقوها من خيالهم ... ألم يكن من ألأحسن لو كلنا بهائم لا عقل لها ... نأكل ونشرب ما توفره لنا الطبيعة ... ونتناسل ... ونتعارك من اجل شئ ملموس يخص حياتنا ... مثل فريسة صيد او انثى نريد ان ننكحها ... لا تفكير ولا افكار نختلف عليها ... فكل حياتنا كبهائم تسير من دون تفكير وتعب دماغ وفق ما هو مغروس

فينا منذ الولادة من غرائز ... غرائزنا الموروثة هي حكمة الطبيعة تكاملت وتعززت عبر ملايين من السنين ... ولدينا عقل هو ابن البارحة يحاكم هذه الغرائز ويفرض عليها قيود الاخلاق.

قلت: في ما تقوله فيه الكثير من الصحة ... ، تابعت الحديث ولكن بصورة أستعراضية مفتعلة ، التطور مرتبط بدروب الحرية ... دعني اوضّح.

قاطع كلامي ونظر اليّ بدهشة وبادرني: انت مخبّل بس لا تخبّلني ويّاك ... ما هذا الكلام ... اردت منّك ، ان كنت تعرف ، ان تشرح لي ببساطة... لا ان تدلي بسفسطة كلامية فارغة المعنى كأنها تصدر عن رجل دين غبي يدّعي أنها بلاغة ربّانية فوق مستوى الناس على الفهم ... انت قلت ان تطور الاحياء يجرى من خلال البقاء للاصلح وعممت ذلك الى غير الاحياء وقلت انه البقاء للمركّب الذي يقاوم التحلل ... فكيف اذن اتّحدت ، كما قلت لي ، الفين ذرة من اربعة عناصر لتكوّن جزيئة بروتين غاية في التعقيد ولكنها قابلة للعطب والتحلل بسرعة ... لماذا سلوك طريق التعقيد ما دام الاكثر مقاومة للتحلل هو الابسط تعقيداً؟

تأنيّت بالرد بعد هذا الهجوم المباغت وأخذت نفساً عميقاً ثم اردفت: دعني اوضح ... صبرك عليّ شويّه ... انت موجود هنا طبعاً اليس كذلك؟

نظر اليّ بأستغراب وردّ: ... طبعاً.

قلت: هل ينتفي وجودك لو كنت سجين في زنزانة صغيرة.

قال: طبعاً لا.

قلت: فما هو الفرق في وجودك الحر هنا ووجودك المقيّد في الزنزانة؟

قال: الحرية ... فضاء الحرية.

قلت: هذا ما اردت ان أصل اليه ... الوجود بلا فضاء للحرية كأنه العدم.

قال: هذا كلام معقول ... عندما ذكرت دروب الحرية خطر في ذهني كتاب جان بول سارتر "دروب الحرية" ... قرأته لعلي افهم ماهي الوجودية ولكني لم افهمها من خلال الكتاب ..

تابعت حديثي: يبدو لي ان هنالك ميل طبيعي في المادة لأكتساب فضاء اكبر للحركة ببعد جديد ... ميل افسره انا كفيزياوي بقوى التجاذب والتفاعل لتكوين مركبات اكثر تعقيداً ... وبمرور الزمن يبقى الاصلح والاقوى على مقاومة التحلل ولكن بفضاء حركة اوسع ... تابعت الحديث مستدركاً: قد يحدث تراجع في فضاء الحرية الى مرحلة سابقة لو ان الضروف غير ملائمة ... مثلاً .. تطور لدودة الارض عيون ترى بها ولكن اتخاذها ما في التربه تحت سطح الارض غذاء لها جعلها تفقد تلك العيون الغير مناسبة لوضعها الجديد.

قال: هذا كلام معقول فهل هنالك ما يؤيد ما تقوله عن فضاء الحرية في العلم؟

قلت: هناك تناظر مع مفهوم في علم الكيمياء وعلم الميكانيك لما يسمى بدرجات الحرية Degrees of Freedom وهو عدد الحركات المختلفة نوعاً التي يمكن للشئ ان يقوم بها ... فذرة الهايدروجين H التي لا تقيد حركتها اي قوة خارجية لها ثلاث درجات من الحرية على المحاور الفضائية الثلاث X, Y and

Z وجزيئة الاوكسجين O_2 عندها ستة درجات من الحرية ... ثلاثة على المحاور الفضائية الثلاث X, Y and Z ، واثنين دوران حول محور X ومحور Y ، وذلك على افتراض ان ذرتا الاوكسجين والاصرة الايونية بينهما هم على محور Z ، وواحدة تمثل تذبذب الذرتين على محور Z.

قال: فهمت ... فماذا تقصد بالضبط بدروب الحرية ... وما علاقتها بفضاءات الحركة؟

قلت: هي نفس الشئ ... ليس المقصود بفضاء حرية الحركة هو قابلية الحركة في فضاء ذو ثلاثة ابعاد فقط بل نوعية الحركة مثل حركة دوران ذرتي الاوكسجين حول مركز الاصرة الأيونية وحركة تذبذب الاصرة ... أحياء الارض الذين قاوموا عوامل انقراضهم لحد اليوم قاوموها بسعة فضاء حريتهم الزمني والمكاني ... فبواسطة الجينات تغلبوا على فضاء الزمن المحدود ... فلكل جنس منهم جيناته التي تعيد وجوده عبر الزمن ... وقاوموا انقراضهم مكانياً عبر التكييف للظروف المحيطة .... انقرضت الداينوصورات قبل ستّين مليون سنة بعد ان صدم الارض نيزك ضخم فتلبّدت السماء بالغيوم والدخان لسنين طويلة وماتت على اثرها كل النباتات الكبيرة التي يعتاش عليها الداينصور وبقيت الحيوانات الاصغر التي تكيفت للظروف الجديدة وتطورت الى ما نحن عليه الان ... ومن جملة تلك الحيوانات نحن.

قال: لكل حيوان فضاء حرية يساعده على البقاء ... مثل الاجنحة للطيور والفكوك والعضلات القوية للاسود ... والعقل للانسان ... اليس كذلك؟

قلت: عين الصواب ... العقل خلق للانسان دروب حرية اوسع بكثير من كافة احياء الارض ... خذ مثلاً السيارة والطيارة ، فبالسيارة ركضنا اسرع من النعامة وبالطيارة طرنا اسرع وابعد من الطائر المهاجر ... وعلى ذكر العقل ... يعتقد الناس ان الروح التي توجد في نفس الحي مرتبطة بالعقل وانا اقول ... وحسب مفهومي للروح وهو ان الروح هي نسق صيرورات موحدة في المركّب المعقّد ... وعليه فأن روح الانسان لا تقتصر على عقله بل هي كل الصيرورات التي تجري في جسمه ومن ضمنها ما يجري من صيرورات في دماغه .. والتي نسميها افكار.

مضى بعض الوقت ونحن في سكوت مطبق ثم بادرني بالكلام: مما تحدثت به اليوم استشف منه بأنك ملحد مثلي ... لا تكذب ارجوك ... ألَم تقل لي ان الكون خلق من الطاقة الازلية ... الطاقة هي خالق عالم الوجود المادي .. الطاقة من هذا الوجود وليس من خارجة... وعندك تعريف للروح لا يتفق مع المفهوم الديني ... فقد قلت ان ما يغادر الجسد عند الموت هو نسق الحركة في مركّب الجسد المعقّد ... اليس كذلك؟

قلت: أولاً .. الروح بالمعنى الذي ذكرته لا تغادر الجسد بل تنتفي من الجسد .. ثانيا .. لا ... انا لست ملحد.

قال: انت لا تعترف بما يقوله الدين ... يعني انّك ملحد.

قلت: الملحد هو العبثي الذي لا يعترف بأي معنى وهدف لوجوده ووجود كل شئ حوله ... انا مؤمن ... مؤمن بالعلم وبالمنطق ... أنا مؤمن بأن الكون ونحن جزء منه كائن حي خُلق في الانفجار الكبير وله هدف هو البقاء ... الوجود من اجل الوجود ... وبحريّة اوسع ... هذا هو الهدف.

قال: ما تقوله خارج عن معتقدات الدين الاسلامي ... لا بل المسيحي واليهودي ... انت ايضاً لا تؤدي ايِ من فرائض الدين ... اليس هذا هو الكفر بعينه.

قلت: انا أؤمن بجوهر الدين ... ليس لهذا الجوهر اي فروض على المؤمن به... لا شرائع ولا فروض بل حب للانسانية والوجود كله.

قال: هذا الجوهر ... اهو مثل الروح التي تحدثت عنها قبل دقائق.

قلت: الشرح قد يطول وليس هناك وقت لذلك فعليّ المغادرة بعد قليل ... اوعدك بأني سوف اعطيك محاضرة شافية وافية معززة بالصور في لقاء قادم.

محادثات فلسفية مع صديقي (3)

المحادثة الثالثة - الوجود والزمن:

في يوم السبت التالي ، عندما كنت جالساً مع اولادي أشاهد فلم في التلفزيون رن تليفوني الجوّال ففتحته لاستمع الى صوت صديقي وهو يبادرني من دون السلام : شدَسّوي (ماذا تفعل).

قلت: اتفرّج على فلم بالتلفزيون مع الاولاد.

قال: اي فلم.

قلت: Star Wars

قال: اترك الفلم ... قديم وأنته شايفه ... لم أنم معظم الليل فقد كانت تتردد في دماغي تساؤلات وصوت فيروز تغنّي عبدو عنده صيروره .. وغيرا مابدّو ... قتلتني هذي الصيرورة.

قلت: بس الخاطر الله لا تغنّي رحمةً بأذني وشفقة على الذوق الموسيقي ... ما هي مشكلتك.

قال: تصورت البارحة انّي فهمت معنى الصيرورة ولكن الظاهر بأني لم افهم قصدك بالضبط ووجدت صعوبه في فهم علاقة الصيرورة بمسارات الذرات ... اشرحلي، مرت برهة من دون ان ارد فبادرني: ها اشو ساكت.

قلت: انا افكر في طريقة جيدة لشرح الموضوع .. ، مرّت برهة اخرى ، ... كل ما موجود فينا وما حولنا هو مادة وحركة... ادرك الانسان ماهيّة المادة لانها ملموسة ولكنه ظل حائراً يبحث عن ماهيّة الحركة.

قال: وماذا عن ماهيّة الزمن.

قلت: انظر حولك هل ترى الزمن.

قال: انا لا اراه ولكني احس به.

قلت: انت بالحقيقة لا تحس بالزمن بل بوجود الاشياء المادية وبحركتها ... تلمسها وتحسها في التفاعلات البايولوجية داخلك التي تؤدي الى زيادة طول شعرك واضافرك وسنين عمرك ... تلمسها من خلال احساسك بما يتحرّك حولك ... ومن حركة المادة استنبطنا الزمن .. صنعنا آلة لقياس الزمن .. ذراع يدور من محور دورة كاملة بسرعة ثابته .. سمّينا الدورة الكاملة للذراع ساعة!

قال: من الصعب ان استوعب ما قلت ولو انه يبدو منطقياً.

قلت: في هذا الوجود الطبيعي كُتَل المادة وحركتها النسبية لا غير .. وما الزمن إلا استنباط عقلي مستخرج من حركة المادة .. فهو نتاج قسمة المسافة المقطوعة على سرعة الحركة .. اي الزمن = المسافة المقطوعة مقسومة على السرعة... من الماد والحركة تتشكّل الجزيئات في صيرورة ذات نسق ونظام معين

قال: وماذا تقصد بالجزيئات وبنسق ونظام معّين؟

قلت: أعذرني فاللغة العربية قاصرة حتى الان عن كثير من المفاهيم العلمية .. اقصد بالجزيئات molecules وبالصيرورة هي ما ذكرته سابقا بمعنى process

قال: OK بس شويّة وضّح اكثر.

قلت: خذ مثلاً جزيئة ثاني اوكسيد الكاربون متكونة من ذرتي اوكسجين وذرة كاربون ... هل تتذكّر مدرّس الكيمياء بالثانوية المركزية ... كان يرسم صورة المرّكب والاواصر الالكترونية التي تربط بين ذرّاته على السبّورة.

قال: اوووه ... مرّت سنينن طويلة ... اي اتذكر ، وتراءت له في مخيلته على سبّورة سوداء ملطّخة ببقايا التباشير من كتابات سابقة غير ممسوحة جيداً رسم لجزيئة ثاني اوكسيد الكاربون CO_2 ...



قلت: الكاربون C بالوسط بين ذرتي الاوكسجين O ... في مدار الاكترونات الخارجي لذرة C اربعة الكترونات وفي مدار الالكترونات الخارجي لذرة O ستة الكترونات .. OK

أجاب: OK

أكملت حديثي: في الرابطة الالكترونية بين ذرة الكاربون وذرتي الاوكسجين تحتجز الكترونات الكاربون الاربعة... فيصبح الكاربون موجب الشحنة وكل ذرة اوكسجين تكسب اثنين من الالكترونات فتصبح سالبة الشحنة .. هذا مثال على نسق تنظيمي معيّن تسري فيه حركة الالكترونات

قال: OK فهمت ... فأين هي الصيرورة ... ال Process ؟ وقبل ان اجيب قال: فهمت بس تذكّرت اسمها بالانكليزي ... قصدك العمليات المتعلقة بحركة الالكترونات وربما الذرات في نسق النظام وما تفعله هذه العمليات هي الصيرورة ... تمام؟

قلت: نعم ... وظيفة العلم ومن جملته الرياضيات هو معرفة نسق النظم وصيرورتها... فالرياضيات تسعى لمعرفة نسق النظم الفكرية المنطقية knowing the relational patterns ... ووضيفة الفيزياء هي معرف نسق النظم وصيرورتها في الطبيعية الغير حيّة knowing the relational pattern in natural

قال: بدأت تتعقد الامور ولكنها اوضح مما قلت لي البارحة.

قلت: حتي عملية التفكير في العقل اذا نظرت لها من الناحية الواقعية بعيداً عن الفكر المثالي ... ما هي إلا حركة الالكترونات داخل نسق نظام من الخلايا العصبية المترابطة.

قال: والمشاعر كالحب ... والغرائز كالجوع؟

قلت: هذا موضوع معقّد سوف افرد له جلسة خاصة ولكن بصورة عامة فأن كل مافي الوجود هو مادة متكونة من ذرات والكترونات تتشكّل لها نُسق مختلفة من الحركة ... المشاعر والغرائز الموروثة هي من هذا النمط المتشابك مع الطبيعة.

قال: قلت البارحة ان نسق النظام في الشئ هو روحه وهذا ينسف كل المفاهيم الدينية عن الروح.

قلت: لا ينسفه لو فُسّرت بعض الرموز الدينية حسب مفهوم عصري علمي ... على كلٍّ اترك هذا الوضوع لجلسة مستقبلية.

قال: يعجبني مفهومك عن الروح وكيف استخدم الانسان هذا المفهوم لتفسير الموت بخروج الروح من الجسد وذلك لانه لم يفهم انه متعلق بتوقف للعمليات الحركية في نسق الجسد الحي ... ، استدرك قائلاً: ليس كل العمليات طبعاً ... فقط العمليات المتعلقة بأدامة الحياة ... بعدها تبدأ عمليات هدم المعقد من الأنسجة ... تحللها.

بعد سكون وجيز عاود صديقي الكلام: انك مؤمن.. مؤمن بالعلم وبالمنطق ، انت لست ملحداً atheist ولا يبدو انك agnostic اي من جماعة اللا ادري لكن لربما انت pantheist.

قلت: عزيزي انا لا هذا ولا ذاك ... كما بينت في لقائنا السابق ... انا لست atheist اي ملحد لاني اؤمن بوجود خالق ... الاسم المتعارف عليه عند الناس هو الله .. وانا اعتقد ان خالق الكون المادي هو ما اسميه بالطاقة الخلّاقة.

قال: يبدوا ان ربّك هذا انثى.

قلت بتعجّب مستفهماً: ماذا؟

فردّ: الطاقة مؤنث.

قلت: الطاقة والقوة والشمس في العربية كلها مؤنث فهذه من صفات اللغات القديمة التي تعزي أصل الاشياء من مؤنث ... وكما انها كذلك في الفرنسية والاسبانية ... القوة بالفرنسية la force وفي الاسبانية la fuerza ... هذا لا يعني شئ من الناحية العلمية ... الطاقة مفهوم فيزيائي ... لا مؤنث ولا مذكّر ... انا لست agnostic اي لا ادري .. أنا احترمهم فهم الذين لا يهمّهم ان كان الله موجود او غير موجود لان ذلك برأيهم لا يقدّم او لا يؤخر شيئاً ... المهم عندهم هو حل المشاكل والعقبات امام الانسانية.
ولست pantheist ... وبالمناسبة ترجمة هذه الكلمة الى العربية هو الوحد - وجوديون الذين يؤمنون بوحدة الوجود ... وهذا التعريف خاطئ.

قال: طبعاً خاطئ pantheist .. دعني استخرج المعنى المضبوط من گوگل على تلفوني الجوال .. ، مرّت لحضات ثم عاود الكلام ، من قاموس ميريام الانكليزي

The doctrine that equates God with the forces and laws of the universe

ولكن يمكن القول بأنهم القائلين بأن الله هو قوى الطبيعة وقوانينها.

قال: ولهذا فأنا لست pantheist لأني كفيزياوي اصدّق استنتاجات العلماء بأن الوجود الطبيعي لا بشكّل سوى 5% من الوجود الكلّي الذي خُلق من الطاقة ... هذا الذي اقوله ليس جديداً فشيخ المتصوفين محي الدين ابن عربي الذي يقول عنه بعض المفسرين هو فيلسوف وجودي ويقول البعض الاخر انه pantheist والحقيقة انه يؤمن بالله كوجود كامل وليس بأنه الطبيعة وحدها فهو ليس pantheist.

قال: تذكرت شئ من الفلم الذي كنت تشاهده مع اولادك ... في الفلم وبين الحين والاخر يشيرون الى القوة the Force ويقصدون بها قوة عظمى تسيطر بحكمة على مقدرات الكون ... لعل من كتب قصة هذا الفلم يؤمن بشئ مشابه لما تؤمن به انت.

قلت: ربّما ... هنالك شئ اخر ... فالايمان القديم بتعدد الاله مشابه لأيمان ال pantheist عدا من ان القديم يقول ان قوى الطبيعة هي الهة متعددة يرأسها عادةً اله واحد اما اليهوديو والمسيحية والاسلام فيلغون دور الاله المتعددة ويحصروه في واحد.

قال: آخرشئ اسألك عنه قبل ان يتبخر من دماغي وانساه: لا اعرف كيف يمكن تفسير او تبرير قولك "الوجود بلا فضاء للحرية كانه العدم" عندما يكون فضاء الحرية نسبيا.

قلت: ما اعنيه بفضاء الحرية ليس الفضاء الطبيعي (physical) فقط بل هو ايضاً الفضاء الفكري (mental) ... فما قيمة وجود بلا فضاء طبيعي وفكري .... أليس هو قريب جدّا من العدم.

قال: شكراً على التوضيح ... ارجع شاهد بقية الفلم مع اولادك ، ثم انهى المكالمة.

إستدركت قبل يقفل التلفون فقلت: وانت ايضاً لست ملحداً.

قال مندهجاً: كيف؟ انا لا أؤمن بالاديان وألهتها.

قلت: ألم تقتنع بجوهر ما قلته عن ماهية الكون وهدفية وجوده؟

قال: نعم لأن كلامك منطقي وعلمي مقنع .. الدين مجموعة من خرافات الاولين يرفضها كل من له عقل ... لست انا اول من أكتشف هذا ... لم يصدق هذه الخزعبلات عن الديين حتى الخليفة يزيد بن معاوية الذي استشهد ببيت من الشعر:

لعبت هاشم بالملك .. فلا خبر جاء ولا وحي نزل

قلت: في كلامك كثير من الصحة ولكن في الدين جوهر روحي حاول العقل البدائي تعليله من خلال الخرافة و التواصل معه من خلا العبادات .. اترك الخرافات والخزعبلات و التشريعات وابحث عن الجوهر تجدك في توافق أيها المؤمن.

قال: لكي تقنعني وجب عليك ان تعطيني نبذة عن الدين و تطوره والخرافات والاساطير فيه.

قلت: انا على استعداد .. ولكن قبل ان اتكلم عن تطور الاديان يجب ان اشرح، ولوبتلخيص، شئ عن نظرية المعرفة .. نظرية المعرفة لها علاقة وطيدة بكل ما قلته سابقاً وبالدين خصوصاً وبكل ما سأقوله.

قال: جميل .. أنا على أستعداد تام للأستماع لمحاضرتك عن نظرية المعرفة .. ولكن حديثك السابق عن الكون أثار إهتمامي ولم أزل افكر به وأريد أن افهم المزيد عن نشوء وتطور الكون .. انا أقترح قبل

الدخول في معمعة الفلسفة ونظرية المعرفة ان تعطينا محاضرة عن تطور الكون .. وأعتقد أنك كفيزياوي عريق قادر على تنويري بما تعرف

قلت: Ok لقاءنا القادم سيكون حول الكون وتطورة.

قال: فإذن امامنا گعدات (جلسات) متعددة لأيام قادمة ... ولعل من الافضل ان نلتقي في مكان عام ما ... قهوة مثلاً ... أقترح قهوة الشابندر في شارع المتنبّي .. الى اللقاء، ثم اقفل التلفون.

محادثات فلسفية مع صديقي (4)

المحادثة الرابعة - نشوء الكون وتطوره:

ازور في كل يوم جمعة شارع المتنبّي واطّلع على كتب تفترش الارض من كل نوع وصنف. هكذا فعلت في يوم الجمعة البارد المصادف 2018/12/7 .. تلك الجمعة تواعدت مع صديقي للقاءه في قهوة الشابندر الواقعة عند في نهاية شارع المتنبي عند منعطف وذلك لأطلعه على ما وعدت به من حديث حول نشوء الكون وتطوره مُعززاً ذلك بالصور ... حملت معي حاسوبي وفيه ما كتبته عن الموضوع ودلفت الى الشارع المكتظ بالزّوار اتطلّع واقفاً او جالساً القرفصاء على الكتب اواغوص عميقاً مثل بعضهم في قراءة كتاب ينسيني مَن حولي ... وعادةً ما ازور مكتبة المثنّى العريقة والتي يعرفني كل من فيها لكثرة ترددي عليها. ولكنّي اليوم في مهمة خاصة لا مجال فيها لزيارتي المعهودة فمشيت قاصداً المقهى ومكتبة المثنّى على يساري ... وعلى يميني رجل يلبس كيس ورقٍ على رأسه يزعق بشعرٍ ناقداً الوضع الراهن. تخطّيته الى منصة للحزب الشيوعي العراقي وعليها بعض ادبياتهم وخلفها شاب وشابة مرحّبين باسمين. تذكّرت شيئاً عن ولعي بالكتب منذ الصغر ... في سنة 1970 عملت مشغّلاً للحاسبة الاكترونية التابعة لمديرية كهرباء بغداد وكان العمل يتناوب أسبوعياً صباحاً ومساءاً .. وعادةً ما اقضي صباح النوبة المسائية في تجوال لشارع الرشيد حتى اصل الى ساحة التحرير في الباب الشرقي .. كان عند مدخل شارع السعدون بائع كتب اسمه بنّاي يبيع الكتب على رصيف الطريق ... وفي يوم رأيت عنده مجموعة من 11 مجلد ل"قصة الحضارة" تأليف ول ديورانت ، قلت له: بكم هذه.

قال 23 دينار.

قلت: يعجبني شرائها ولكني لا املك هذا المبلغ.

قال: خذها الان وادفع ما تقدر علية كل شهر.

تعجبت من ردّه فقلت له: كيف تثق بي وانت لا تعرفني.

اجاب: انا اعرف اوادمي ... انت مثقّف وانا اثق بالمثقف.

اشتريت المجلدات منه وكنت ادفع له شهرياً بين ثلاثة الى اربعة دنانير. مرّت السنين واذا بنّاي يملك المكتبة الضخمة في بداية شارع السعدون وهي بالضبط خلف بقعة الرصيف التي كان يبيع الكتب عليها.

وصلت المقهى ودخلته وقد سبقني اليه صديقي الذي جلس مع اثنين من الشباب في احدى زواياه. سلّمت على الجميع وجلست قربهم فبادرني صديقي مشيراً الى الشابين: اعرّفك على قيس وسمير وهم من ابناء محلّتنا وتوسلوا بي للحضور الى حيث ستلقي محاضرتك بعد ان عرفوا منّي بها.

قلت: اهلاً وسهلاً بكم ، فابتسموا بخجلٍ شاكرين.

قال صاحبي: سمير هذا اسميه بعض الاحيان سمير الفطير ، وانفجر ضاحكاً بأعلى صوته ، لانه كثيراً ما يأتي اليّ وسط قيلولة الظهيرة ليسألني اسئلة محيّرة والكثير منها فطيرة ... ولكن عندما سألني عن النجوم والمجرات قلت له تعال معي الى من يعرف.

جلست وسطهم وفتحت الحاسوب ووضعته على الطاولة التي امامي بينما طلب صديقي من عامل المقهى اربعة اقداح من الشاي وُضعت على الطاولة ايضاً ... لم يكن هذا المنظر غريباً عن روّاد هذا المقهى فهو مقهى الكتّاب والشعراء والفنانين منذ زمن بعيد ، على الحائط قرب مدخله صور اولاد صاحب المقهى الخمسة الذين استشهدوا مع مئات اخرين في هجوم ارهابي مأساوي سنة 2007 ... و تفترش الجدران داخل المقهى صور ملوك العهد الملكي وشخصيات مهمة اخرى ومشاهد تراثية. بدأت حديثي وانا اتابع على الحاسوب رؤوس اقلام في سطور مدعومة بالصور:

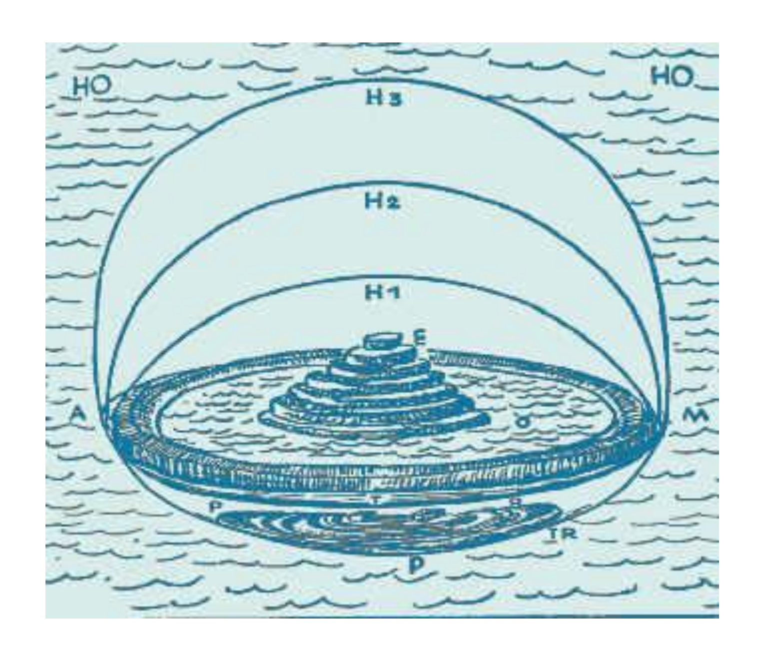
عندما اصبح للانسان عقل بدأ عقله يدفعه للتسائل عن سر الوجود ... من اين وكيف جاء هذا العالم ... كيف وجُد الانسان وما مصيره ... كان جوابه على تلك التساؤلات لا يتعدّى معلومات ضئيلة مصدرها خبرات من حياته اليومية ... استنتج ان الطبيعة حوله ولدت كما ولد هو من تناسل ذكر وانثى فخلق اسطورة تجيب على تساؤله تحاكي حياته اليومية. كانت اول هذه الاساطير هي اسطورة إنيمو ألش[2] البابلية في الالف الثاني قبل الميلاد وجذورها سومرية.

- في البدء كانت الألهة "نمو" ولا أحد معها، وهي المياه الأولى التي انبثق عنها كل شي.
- أنجبت الألهة "نمو" ولدا وبنتا. الأول "آن" إله السماء المذكر والثانية "كي" إله الأرض المؤنث وكانا ملتصقين مع بعضهما وغير منفصلين عن أمهما "نمو."
- ثم قام "آن" بالزواج من "كي" فأنجبا بكرهما "أنليل" إله الهواء الذي كان بينهما في مساحة ضيقة لا تسمح له بالحركة.
- "إنليل" الإله الشاب النشيط لم يطق ذلك السجن فقام بقوته الخارقة بفصل أبيه "آن" عن أمه "كي"، فرفع الأول فصار "سماء"، وبسط الثانية فصارت أرضا. ومضى يرتع بينهما.
- ولكن "إنليل" كان يعيش في ظلام دامس، فأنجب "إنليل" ابنه "نانا" إله القمر، ليبدد الظلام وينير الأرض.
- "نانا" إله القمر أو"سين", أنجب بعد ذلك "أوتو" أو "شمش" إله الشمس.
- وبعد أن ابعدت السماء عن الأرض، وصدر ضوء القمر الخافت وضوء الشمس الدافئ، قام :إنليل" مع بقية الألهة بخلق مظاهر الحياة الأخرى.

الصورة تمثل اول نموذج للوجود السماوي والارضي ... ثلاث سماوات فوق وثلاث تحت الارض المسطّحة التي يحيطها بحر.

---

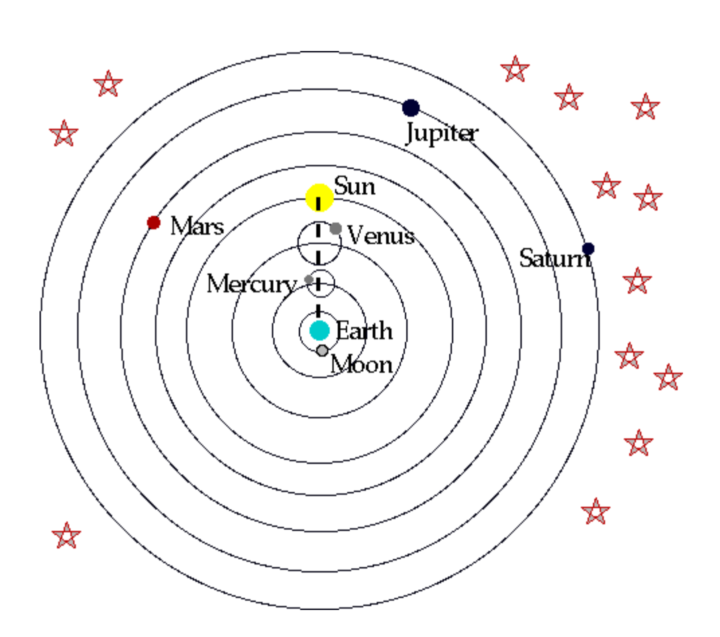
[2] المصدر:
https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%82%D8%B5%D8%A9_%D8%A7%D9%84%D8%AE%D9%84%D9%82_%D8%A7%D9%84%D8%A8%D8%A7%D8%A8%D9%84%D9%8A%D8%A9



قلت: الان تعرفون من اين جاءت اسطورة السماوات السبعة.

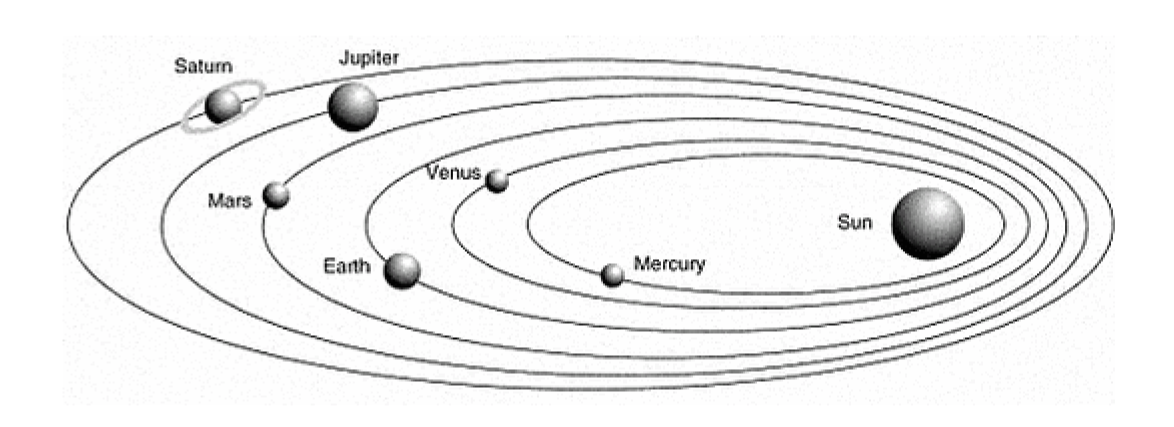
قال سمير: لكن هذه ثلاثة.

قلت: ثلاثة فوق الارض وثلاثة تحت الارض وسماء فيها الارض ... المجموع سبعة. تابعت الحديث: كل حضارة قديمة لها اسطورتها عن الخليقة ... فهنالك الاسطورة الفرعونية والهندية واليابانية وهناك الاسطورة التي تبنتها التوراة واخذت منها المسيحية والاسلام وهي مستمدّ من اساطير سومرية واكدية سابقة ... وعندما هاجرت هذه الاساطير الى بلاد الحضارة اليونانية استمد منها بطليموس (90 – 168 ق.م) نموذجه الفلكي وفيه الأرض في مركز الكون تدور حولها الشمس والكواكب ولا نهاية من النجوم فوق الكل.



هذا النموذج للارض والسماء كان ملائماً للفكر الديني المسيحي الذي يرفع من شأن الارض التي ولد عليها المسيح ابن الله ، وقد تبنّت الحضارة الاسلامية هذا النموذج الذي اقتبسته من جملة ما اقتبست من

الحضارة اليونانية. وهكذا ساد هذا النموذج مدعوماً بالكنيسة لمدة الفين سنة تقريباً حتى جاء كوبرنيكوس (1543 - 1473) وغاليلو (1642 - 1564) بنموذج يضع الشمس كمركز للكون تدور حولها الكواكب والنجوم ... فقامت قيامة الكنيسة التي امرت بمنع كتبهم وقامت محاكم التفتيش بمحاكمة غاليلو واعتقاله واجباره على تكذيب نظريته ... ولكن ما هو اقرب للعقل لا يمكن منعه لمدة طويلة عن الناس فسادت بعد مدة نظريتهم .. كان لهذه النظرية الجديدة تفيسر ينسجم مع المنطق لمسار الكواكب حول الشمس بمسار دائري ولكنه غير دقيق حتى جاء كبلر (1630 - Kepler 1571) ليحل مشكلة عدم دقته بتغّير مسار الكواكب الدائري حول الشمس بمسار اهليجي (elliptical).

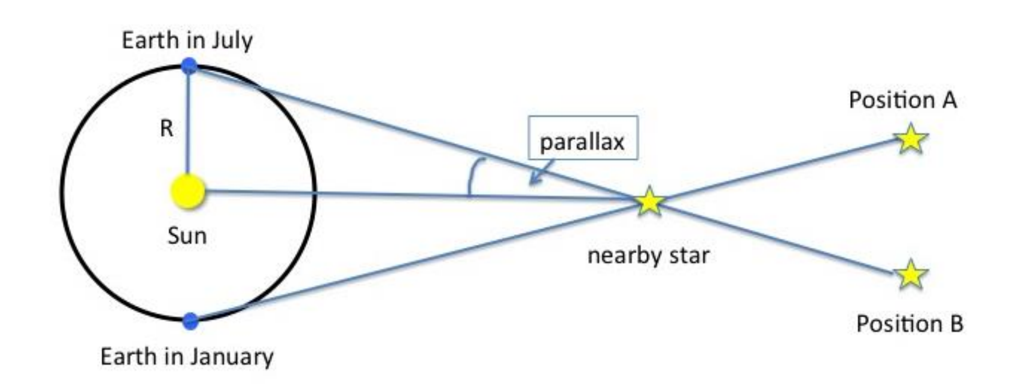


تسارع تقدم المعرفة الانسانية بصورة عامة والعلوم الطبيعية بصورة خاصة خلال فترة النهضة الاوربية ، من القرن الرابع عشر حتى القرن السابع عشر، فتكسّرت قيود الكنيسة على الفكر الحر ودُحضت العقيدة االقديمة القائلة بان الحقيقة يمكن ان تُعرف من خلال الاستنتاج العقلي وحدة فأصبح أقران النظرية بالملاحظة والتجربة العملية هو المقياس لصحتها.

طوّر نيوتن (1727 - 1643) نظاماً كونياً متكاملا تلعب فية قوانين الجاذبية والحركة الدور الرئيس في رسم حركة الكواكب حول الشمس. في هذا النظام ... الله خلق عالم فية مادة تخضع لقوة الجاذبية وفضاء وزمن وحركة ... عالم كوني لا يتدخل فيه الله بعد خلقه. مثل هذا الفصل بين العالم الروحي للدين عن العالم المادي للعلم فتح مجالاً واسعاً للتقدم في كل المجالات. أستنتج نيوتن وعلماء اخرين ان الكون محدود الحجم ، فلو كان كما في الاعتقاد القديم بلانهاية وتملأه نجوم لا حصر لها لجعل وهجها الليل كالنهار المشمس.

ترجع بدايات تطور المعرفة الكونية خارج حدود افلاك الكواكب حول الشمس الى ملاحضات بالعين الجرّدة للفلكي الفارسي عبد الرحمن الصوفي بوجود عدد من السحب الصغيرة بين النجوم دوّنها في كتابه النجوم الثابتة سنة 964 م وقال عنها انها سدم (Nebulae) ترابية. ولكن المعرفة تطورت تطوراً كبيراً ومتسارعاً بأختراع التلسكوب ذو العدسات الزجاجية ايام غاليلو ومن ثم التلسكوب ذو المرايا المقعرة. فقد اكتشف هرشل (1738 – 1822 W. Herschel) واخته المئات من السدم بأستخدام تلسكوبهم الشخصي .. وبأستخدام تلسكوبات اكبر عرف الباحثون ان بعص هذه السدم مجرّات فيها مجموعة من النجوم وظنّوا انها ضمن مجرتنا ، درب التبانة .. وباستخدام تلسكوبات اضخم توصلوا الى وجود الاف المجرات الاخرى وكلها تقع خارج مجرتنا .. سنأتي بعد قليل على كيف عرفوا أن المجرات هي خارج مجرتنا ..

تطور علم قياس المسافات الى النجوم والمجرات من طرق مباشرة بسيطة الى طرق غير مباشرة ، فقد أُستخدمت طريقة اختلاف زاوية النظر (parallax) الى النجم خلال دوران الارض حول الشمس لقياس المسافة الى النجوم القريبة.



وزاوية الاختلاف هي الزاوية المتكوّنة من المثلث القائم الزاوية بين الارض والشمس والنجم ، والمسافة من الارض الى النجم هي حاصل قسمة المسافة العمودية من الارض الى الشمس ، وهي معروفة ، وجيب زاوية الاختلاف.

ولكن المشكلة هي ان هذه الطريقة لا تصلح للمسافات الكبيرة جداً حيث لا يمكن قياس زاوية الاختلاف لتلاشيها تقريباً فكان لزاماً ايجاد طريقة علمية جديدة .. اعتمدت الطريقة الجديدة على حقيقة ان قوة اضاءة النجم تتناسب تناسب عكسي مع مربع المسافة ولكن المشكلة تكمن في معرفة قوة الاضاءة الحقيقية عن قرب والذي يعتمد على حجم النجم بصورة رئيسة .. لاحظ الفكليون ان اضاءة بعض النجوم التي سميت بالسافايد (Cepheid) تزيد قليلاً ثم تخفت بوتيرة زمنية متكررة كأنها قلب ينبض. وفي سنة 1912 وجدت الفلكية هنرييتا ليفت (Henrietta Leavitt) ان فترة النبضة الواحدة تتناسب طردياً مع حجم النجم وهكذا كان بأمكان الفلكيين حساب المسافة الى السافايد عند معرفة قوة اضاءته وطول فترة نبضه.

وقبل ان استرسل قال صديقي: قف عندك ... سطرتني وسطرت الاولاد.

ابتسم الاولاد وقالوا معتذرين: لا والله عمّو احنا بالعكس متونسين.

قلت: في الحقيقة هذا وقت مناسب لفترة استراحة لأن الجزء الثاني سوف يكون عن علم الكون الحديث.

تابع صديقي كلامة: إذن لنأخذ استراحة لمدة نصف ساعة ، وافقنا على ذلك ، صاح على عامل المقهى: اربعه چاي تجديد ... اثنين منها بسكّر قليل لي وللحجّي ، مشيراً اليّ ... رفع كيس ورقي صغير كان بجانبه ووضعه على الطاولة امامنا و تابع حديثه: تفضلوا ... شوية كعك او بقصم من "كعك السيّد"[3].

[3] محلات كعك السّيد من اقدم محلات المعجنات العراقية ويقع في مدخل شارع الرشيد من جهة باب المعظّم.

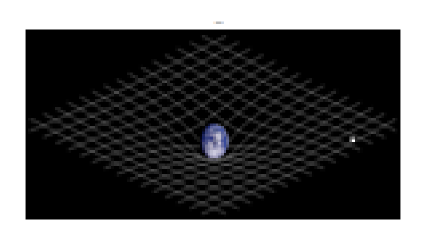
محادثات فلسفية مع صديقي (5)

المحادثة الخامسة - نشوء الكون وتطوره:

اثار حديثي عن الكون بعض رواد المقهى الذين طلبوا الانضمام الينا فسحب أثنين منهم كرسية الى موقعنا بينما اقترب منّا صاحب المقهى وقال: ما ردت اقاطعكم اثناء المحاضرة ولكن ارجو ان تستمر بها بصوت اعلى لكي اسمعها من موقعي قرب الباب ... على الاقل افتهم اللي اقدر عليه وشكراً ، وقبل ان يستقر في مكانه خفض صوت المذياع الذي كان يصدح بصوت محمد القبّنچي الدافئ "لمّا اناخوا قبيل الصبح عيسهمُ.. وحمّلوها وسارت بالهوى الابلُ. ". انتهت فترة الاستراحة وقدّم احد الملتحقين بجماعتي نفسه: انا محمد الحسيني مدرّس رياضيات متقاعد وزميلي بهنام عبد المسيح مدرس احياء متقاعد مثلي ، رحّبت بهم ثم واصلت حديثي:

بقت قوانين نيوتن الكونية سائدة تنتقل من نجاح الى اخر في العلوم حتّى مطلع القرن العشرين ولكن كان من اللازم اضافة فرضية وجود الايثر (Ether) لتبرير انتشار الموجات الكهرومغناطيسية في الفضاء الخالي .. وأكتمل علم الفيزياء الكيلاسيكي عندما جاء فرداي (Micheal Faraday1867 – 171) بقوانين تعلل خواص الموجات الكهرومغناطيسية أعقبه ماكسويل (James Clerk 1879 – 1831 Maxwell) باشتقاق قوانينها الرياضية.

ابتدأ العصر الحديث لعلم الفلك في سنة 1917 عندما طبّق اينشتاين النظرية النسبية العامة على النموذج السائد انذاك والمعروف بالكون الساكن (Static Universe) .. وفي النظرية النسبية العامة المكان والزمان شئ واحد متداخل نسميه بالعربي الزمكان (Space-Time) ... ووجود كتلة مادية فيه تجعله ينحني ويتقعّر بمقداريزيد بزيادة الكتلة ، كما في الصورة المتخيلة ادناه.



بأدب جم طلب الاستذ محمد إن كان بالامكان ان اشرح لهم شئ عن نظرية انشتاين النسبية والتي سمع عنها كثيراً... وهل بأمكاني تبسيطها حتى يمكن لمثله فهمها ، هزّ الاولاد رؤوسهم موافقين ايضاً على طلب الاستاذ.

قلت بعد تروّي استجمعت فيه بعض افكاري: الموضوع معقّد وطويل وسوف اشرحه بأختصار ... وضع أينشتاين النظرية النسبية الخاصة اولاً ثم اعقبها بعد سنين بالنظرية النسبية العامة. وفي الخاصة افترض اينشتاين ان الضوء ، وسرعته تقارب ال 300000000 كيلومتر بالثانية ، ثابتة حتى لو كان مصدرها شئ متحرك بسرعة .. تصورّ لو كان شعاع الضوء قادر على الانحناء حول الارض فسوف يدورها سبعة مرّات في ثانية ونصف.

صفق السيد بهنام بيده متعجباً: معقولة! يا سبحان الرب.

اعترض صديقي: كيف لا تتغير سرعة الضوء المنبعثة من مصدر متحرك ... تصور انا على ظهر قطار يسير بسرعة س ورميت حجر بأتجاه حركته بسرعة ص فأن سرعة الحجر ستكون حتماً س زائد ص ... فلماذا يختلف الضوء عن هذا؟

قلت: تصور انك في قارب واقف في بحيرة ورميت حجراً في الماء فكانت سرعة انتشار الموجات من مكان القاء الحجر س ... تحرك القارب بسرعة ص والقيت حجراً آخر في الماء فهل تكون سرعة الموجات الصادرة من القاء الحجر س زائد ص؟

قال. كلا ... فليست هناك علاقة بين سرعة القارب وسرعة موجات الماء.

قلت: هذا صحيح فسرعة موجات الماء ثابتة تعتمد على طبيعة الماء ... وكذلك هي سرعة الموجات الكهرومغناطيسية ومنها الضوء فهي ثابتة تعتمد فقط على طبيعة الفضاء الذي تمر فيه ، اكملت حديثي: وضع اينشتاين النظرية النسبية الخاصة سنة 1905 بصيغة رياضية يتبيّن منها ان المراقب لجسم مسرع .. ولنقل انه صاروخ يحمل شخص .. يجد ان طول الصاروخ في اتجاه الحركة يتقلّص ... وكتلته تزيد ... والزمن داخل هذا الصاروح يكون ابطأ من الزمن عند مراقب الصاروخ الثابت على الارض

قال: سمير ولكننا لا نلاحظ ذلك ابداً.

قلت: لا تلاحظه لأن سرعة الاشياء التي يمكن للانسان ملاحظتها بطيئة مقارنةً بسرعة الضوء ... هذه التغييرات تكون واضحة عندما تكون سرعة الشئ المتحرك مقاربة لسرعة الضوء ... مفهوم ، حل وجوم على الوجوه فعاجلته بالحديث قبل ان يسبقني احدهم ويقول ما افتهمت: امّا النظرية النسبية العامة التي طورها اينشتاين بين سنة 1907 و 1915 فتدور حول مفهوم جديد للمكان والزمان فهم ليسوا منفصلين بل يكوّنون نسيجاً واحداً يسمى الزمكان كما ذكرت سابقاً ... تسبح فيه النجوم والكواكب ويتأثر بوجودها فينحني ويتقعّر مما يجعل الاشياء التي تمر قربها الى الاقتراب منها بتسارع ... وهذا يظهر لنا بشكل قوة الجاذبية ... لا تسألوني عن تفسير اوضح لأن هذا شئ فوق التصوّر ولا افهمه انا ايضاً ولكن المهم ان النظرية النسبية الخاصة والعامة قد حلّت الكثير من المسائل العلمية العالقة وقد اثبتت صحتها بالتجربة.... نرجع الى صلب الموضوع.

استوقفني قيس الذي تكلم لأول مرة: استاذ ... في كثير من افلام الخيال العلمي نرى بطل الفلم يذهب بألة الزمن الى المستقبل ثم يرجع الى الزمان الذي كان فيه ... ما مدى صحّة هذا؟

قلت: هذا خيال علمي خالي من الصحّة جاء من افتراض ان الزمن يمثل بعداً رابعاً وبذلك يكون فضاءنا بأرعة ابعاد ، اشرت بيدي الى زوايا بناء المقهى ، فهذا المقهى بثلاثة ابعاد فضائية هي الطول والعرض والارتفاع وبعد خيالي اخر هو الزمن الذي نعيشه الان.

تسائل قيس مرة اخرى: وكيف يكون ذلك؟

قلت: انظر الى هذه الذبابة الطائرة ... افترض اني سجّلت حركتها على فلم في كاميرة سينمائية قديمة سرعتها عشرة صور بالثانية ... فعندما انظر في صورة من الصور المتسلسلة للفلم ارى موقع الذبابة في الفضاء ذو الثلاثة ابعاد لهذه الغرفة اما عدد الصور حتى هذه الصورة بالذات فيمثل البعد الزمني ، فهو يساوي 1/10 من الثانية مضروب في عدد الصور ... هنا مقياس المكان بالمتر ومقياس الزمن بالثانية.

قال قيس: ولكن يا استاذ ... يمكنني السير الى الامام والى الوراء في هذه الغرفة فهل يمكنني السير الى الامام والى الوراء بالزمن كما في افلام الخيال العلمي.

قلت: كلّا فهذا مستحيل فسهم البعد الزمني متوجه الى المستقبل ولايمكن عكسه.

قال الاستاذ محمد الحسيني: السير بالزمن الى الامام والى الوراء يخالف المنطق العقلي فلو كان كذلك فأن معنى ذلك ان مستقبلنا ومستقبل الكون مقرر سلفاً ... اي كما يقول المؤمنون والمستسلمون للقدر ... لاداعي للكفاح ضد ما هو مكتوب ، ثم ردد مقولتهم ، اللي مكتوب على الجبين لازم تشوفه العين ... يمكننا ان نتوقع احتمالية حدوث بعض الاشياء في المستقبل بناءً على دراسات علمية ولكننا لايمكننا معرفة المستقبل ابداً ... حتى الله لايعرف المستقبل.

رد السيد بهنام محتجّاً: كيف لا ... ألم يقل قرأنكم ان الله عالم بالغيب والسماوات وما في الارض وما في النفوس؟

اجاب السيد محمد: الغيب لايعني المستقبل ... الغيب هو ما هو غائب عن حواسنا ... لا يوجد في القرآن آية واحدة تقول ان الله يعرف المستقبل ... اما معرفة السماوات والارض والنفوس فممكنة لأنها ضمن عالمنا الفضائي ذو الثلاثة ابعاد.

رد: السيد بهنام: الرب قادر على كل شئ ... وعندكم ان الله قادر على كل شئ قدير ... فبأبمكانه ان يعرف المستقبل بالتدخّل في احداث الدنيا فيجعلها تثمر المستقبل الذي يريده.

تدخّل صديقي: ولكن الله لا يتدخّل في قوانين العالم المادي.

ردّ الاستاذ بهنام بتهكّم: منذ متى؟

رد صديقي بتهكم ايضاً: منذ ان وضع نيوتن قوانين الطبيعة التي لا يتدخّل فيها الله ، ضحك والتفت اليّ يذكرني بما قلته سابقاً.

قال الاستاذ محمد: هذا يذكرني برأيين متناقضين حول دور الله في هذا العالم .. ايام حكم العبّاسيين ... توصل المنطق الفلسفي انذاك ان العالم يسير وفق حتمية قانون السببية ... فلكل فعل نتيجة ولكل سبب مسبب ... وكان الامام محمد الغزالى على رأي القائل ان الله قادر على كل شئ قدير وهو قادر على ان يتدخل في شؤون العالم المادي فيعطّل قانون السببية متى شاء بينما خالف ذلك ابن سينا فهو على الرأي القائل ان الله لا يتدخّل في عالم خلق قوانينه فكيف يخالف ما خلقه.

قلت: هذا كلام ممتع ولكن لنرجع الى موضوعنا الاصلي قبل ان يداهمنا الوقت ...في النموذج الكوني الذي وضعه اينشتاين تبقى النجوم ثابتة في مكانها بفعل توازن قوة الجاذبية من جميع الجهات ... وهذا صعب جدّاً لان اي حركة او خلل بالتوازن يؤدي الى الانهيار الكامل للنظام الكوني وسقوط كل النجوم والكواكب في تقعّر زمكاني هائل فيتقلّص حجمه الى كتلة واحدة في النهاية ... مما حدى بأينشتاين الى افتراض وجود قوة معاكسة للجاذبية.

ولكن الكزن ليس ثابت الحجم كما ظن أينشتاين اول الامر .. فهو بلا شك يتمدد والمجرات تتباعد عنّا بسرعة كبيرة .. هذا ما اكتشفه ادورد هبل (Edwin Hubble 1953 – 1889) بعمل دؤوب قاس به

المسافة بيننا وبين مئات المجرات وذلك بأستخدام خاصية نجوم السافايد في تلك المجرات .. لاحظ هبل ميلان طيف ضوء تلك المجرات الى اللون الاحمر فأستنتج انها تبتعد عنا وان الكون يتمدد.

سأل سمير: وماذا يعني ميلان طيف ضوئها الى الاحمر؟

قلت: الضوء الابيض من الشمس يتحلل الى مكوناته في طيف من عدة الوان إذا مر من خلال منشور زجاجي ... أليس كذلك؟ ... وطيف الضوء الصادر من جسم متحرك يميل الى الازرق في حالة اقترابه منّا والاحمر في حالة ابتعاده عنّا ... هذا ما يُعرف بمؤثر دوبلر (Doppler Effect).

تابعت حديثي: ولكن ما دام الكون يتمدد فلا بد ان كل مكوناته كانت في زمن سابق مضغوطة في مكان واحد. هذا ما فكّر به الراهب والفلكي البلجيكي جورج لميتر (Georges Lemaître 1894 -1966) فقال ان الكون بدأ مما اسماه بالبيضة الكونية التي انفجرت وانتشر حطامها في الفضاء لتكوّن مادة النجوم. لم يصدق ذلك اينشتاين واصرّ على اعتقاده بنظرية الكون الساكن مع بعض التعديل على العامل المعاكس للجاذبية .. تبع المجتمع العلمي رأي اينشتاين الذي اطبقت شهرته الافاق حتى توصل العالم جورج كامو (George Gamow 1904 - 1968) وتلميذه رالف الفر (Ralph Alpher) الى نظرية انتصر فيها لرأي لميتر بفرضية مفادها ان درجة حرارة الكتلة الاولية مئات الملايين من الدرجات الحرارية وعند انفجارها ، والذي سُمّي في ما بعد بالانفجار الكبير (the Big Bang) ، وتكّون الذرات فأن نسبة مكون الهايدروجين الى الهيليوم هو 75% الى 25% تقريباً ، وهذه النسبة موجودة فعلاً في كل النجوم ، اما العناصر الثقيلة فلا بد انها تكونت في مرحلة لاحقة في داخل النجوم الهائلة التي انفجرت (Supernova) فانتشرت بقاياها في الكون وكان للارض التي تكونت بعد ذلك باربعة مليارات سنة نصيب من هذه العناصر.

قال الاستاذ بهنام: ولكن ما هو الدليل على حدوث الانفجار الكبير مما توصل اليه جورج كامو؟

قلت: الدليل هو حسابات نظريته حول نسبة الهايدروجين الى الهيليوم في الانفجار الكبير تتطابق مع ما في النجوم المتكونه من هذا الانفجار المفترض ... نظرية وتبريرها على ارض الواقع اليس كذلك؟... وقد ظهر دليل آخر عزز من نظرية الانفجار الكبيرعلى حساب نظرية كون الحالة المستقرة (Steady State Universe) الا وهو اكتشاف العالمان بنزياس وولسن (Penzias and Wilson) سنة 1964 لصدى ضعيف لهذا الانفجار يتردد في الفضاء الكوني على شكل موجات كهرومغناطيسية قصيرة في خلفيّة كل الموجات الاتية من النجوم (Cosmic Microwave Background Radiations).

قال صديقي: وما هي نظرية كون الحالة المستقرة التي ذكرتها الان ... هل هي مشابهه لنظرية اينشتاين؟

قلت: هي نظرية منافسة لعالم الفلك البريطاني فريد هويل (Fred Hoyle) وزملائه وضعها سنة 1947. تقول هذه النظرية ان الكون شكلاً ومضموناً باقي على ما هو علية الى الأبد ... يتمدد وتتباعد مجراته بأستمرار ... ولكن تُخلق بين مجراته ونجومه ذرات من الهايدروجين تتكاثر لتكّون النجوم والمجرات الجديدة بينما تختفي القديمة في الافق اللانهائي.

قال صديقي: لابد ان هذه النظرية خاطئة لأن الفلكيين لم يعلمونا عن ظهور كتل مادية جديدة بين المجرات والنجوم وأن النظرية لا تبرر نسبة الهايدروجين الى الهيليوم في النجوم ووجود الصدى الكوني.

قلت: اما بالنسبة لعدم ملاحظة خلق مادة جديدة بين المجرات والنجوم فيمكن تبريرها بأنها ضئيلة جداً ، ذرة واحدة كل مئة سنة ، اما عن نسبة مكونات النجوم والصدى الكوني فأنت على حق ... ولذلك انتصرت نظرية الانفجار الكوني في النهاية.

قال صديقي: ومن اين جاءت الكتلة الكبيرة من الطاقة التي انفجرت وكيف تكونت منها ذرات المادة؟

قلت: هذا من اعقد الاشياء في علم الفيزياء الكونية وسوف الخّصه وابسّطه قدر المستطاع علماً ان كل ما قلته عن الكون وما سوف اقوله الان هو نظريات جيدة ولكنها لا تنسجم كلّياً مع التجربة والملاحظة العلمية ومع ذلك فهي احسن ما موجود ... وتتحسن وتُسد الثغرات فيها بأستمرار ... فهي كباقي العلوم ليست حقيقة مطلقة ولكنها تقترب من الحقيقة بأستمرار البحث والاكتشاف والتجربة ... مفهوم ، هز الجميع رؤوسهم بنعم ، عاودت الكلام: قبل ان ابدأ اود ان اوضّح شئ من الرياضيات قد يعرفه معظمكم ولكنه لمن لايعرف ... الرقم 10^2 يعني عشرة في عشرة (10x10) والرقم 10^{-2} يعني واحد مقسوم على عشرة في عشرة (1/10x10) ... مفهوم ، قال الجميع: مفهموم.

قلت وانا تابع رؤوس الاقلام على حاسوبي: السناريو المتفق عليه عند العلماء يمكن وضعه في ثلاثة مراحل كل منها يتضمن عدة حِقَب زمنية

المرحلة الاولى وتسمى المرحلة البلانكية نسبة الى العالم بلانك (Plank) وتغطي فترة هي اقل من ثانية واحدة (0 – 10^{-43} من الثانية): بدأت من كتلة ذات حرارة عالية جداً (10^{32}درجة مئوية) ... لم تتكون فيها الجسيمات الاولية بعد واندمجت فيها كل القوة الطبيعية الاربعة ، اي قوى الجاذبية والكهرومغناطيسية والقوية التي تبقي البروتونات دخل الذرة متماسكة بالرغم من شحنتها الموجبة المتنافرة ... والضعيفة وهي التي وراء خلق جسيمات جديدة او تحللها. اعقبها تمدد سريع جداً جدّاً ... بسرعة تفوق سرعة الضوء عدة مرّات مما ضاعف من حجم الكون 10^{78}مرة ... وانخفضت درجة الحرارة الى 10^{28} درجة وابتدأ انفصال القوى الاربعة عن بعضها وظهرت اولى الجسيمات الاولية من الكواركات (Quarks).

المرحلة الثانية وتسمى مرحلة الكون المبكر (من الثانية الاولى حتى 380000 سنة من عمر الكون): بدأت من حقبة كان فيها الكون عبارة عن خليط من الكواركات (Quarks Plasma) ثم بدأ الخليط يبرد تدريجياً مما سمح للقوى الاربعة بالانفصال الكلّي وتكوين مركبات من الكواركات ، هي البروتونات والنيوترونات. اعقب ذلك تكوين الذرّات المتعادلة الشحنة بوجود الالكترونات السالبة مع البروتونات الموجبة ... وقد سمح وجود الذرات المتعادلة للاشعاعات بالخروج من داخل الكون المبكر بعد ان كان يعاد امتصاصها من قبل الايونات المتواجدة ... ولهذا تمكّنا من التقاط الصدى الكوني الان. وهكذا تحول الكون المبكر من حقبة الكون المظلم الذي لايسمح بخروج الاشعة الى كون شفاف يسمح بخروجها.

المرحلة الثالثة وهي المرحلة التي استمرت حتى يومنا هذا اي بعد 13.7 مليارات من السنين منذ الانفجار الكبير: وفيها ظهرت مكونات الكون الكبيرة كالنجوم الاولى والمجرات وتجمعات المجرات.

رفع صديقي يده وقال: يا جماعة ينرادلنا استراحة قصيرة ماذا تقولون ؟

وافق الجميع وبادر بهنام: ماذا تقولون بقهوة عربيّة على حسابي ، شكره الجميع وردد محمد مؤشراً بيده الى زميله: كيف يقولون المصلاوي بخيل.

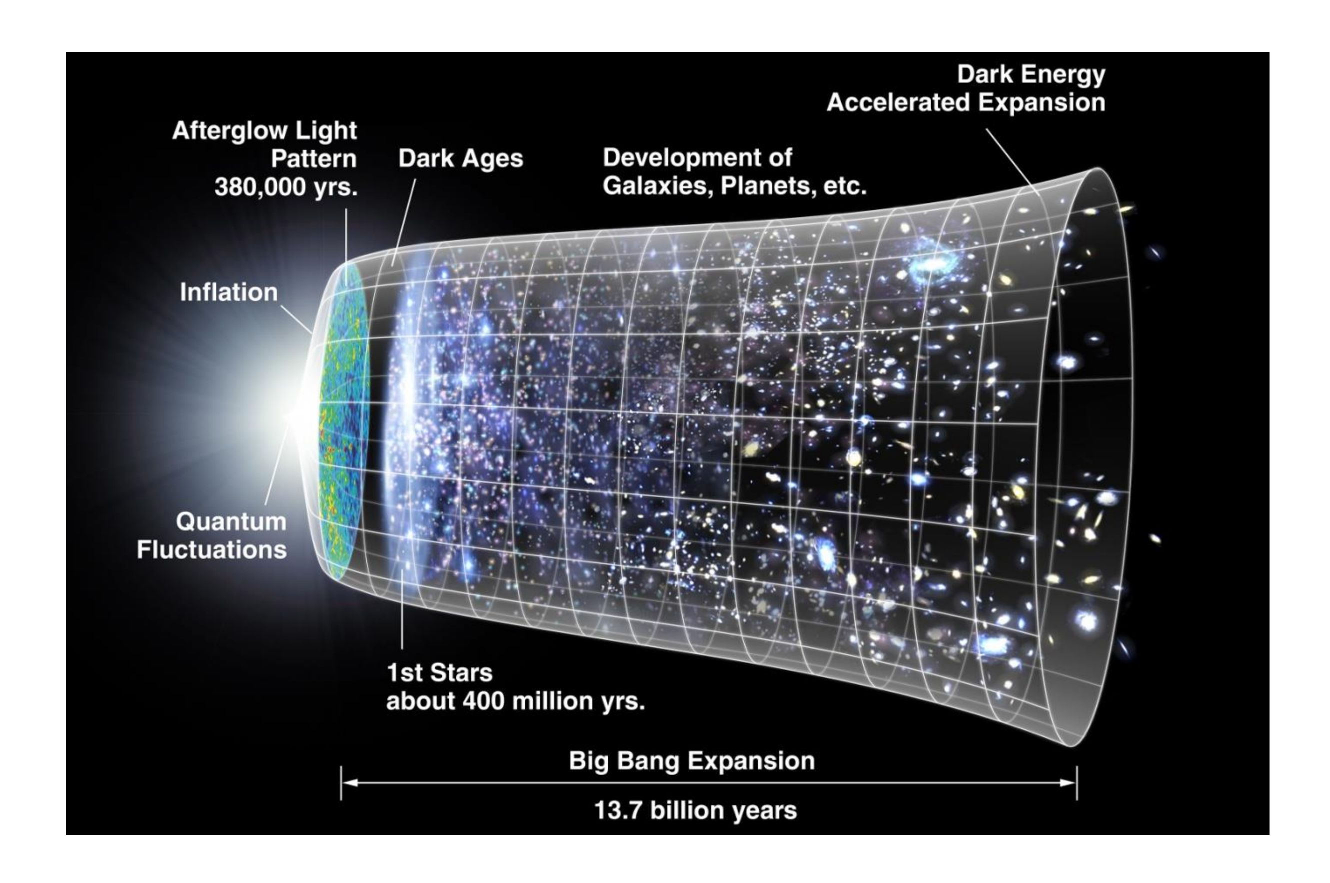
رد بهنام: كثرت النكات عن بخل اهل الموصل وهذا يخالف الواقع ... المسيحيين والمصالوة من اكرم الناس ، صاح على عامل المقهى ، ستّة قهوه.

اخرج صديقي كيس كعك ثاني وقال: اريد اصير كريم مثل صاحبنا ... هذا الكيس كنت اريد اخذه للبيت ولكن لأجل عيونكم وهذه الجلسة الحلوة راح اضحّي به.

محادثات فلسفية مع صديقي (6)

المحادثة السادسة ـ نشوء الكون وتطوره:

مرّت حوالي عشرون دقيقة تقريباً عندما قررنا اكمال المحاضرة ، وبدأتها بالاشارة الى صورة تخطيطية لنشوء الكون وتمدده على الحاسوب: انظروا الى هذه الصورة التي تمثل نشوء الكون وتمدده ... خلق الكتلة الاولية ... ربما من خلال التذبذب الكمّي (Quantum Fluctuation) والذي سوف اتكلم عنه في ما بعد ... ثم حقبة التمدد السريع والكون الداكن الذي لايسمح بخروج الضوء ... ثم مرحلة الكون المبكر وشفافيتة التي سمحت للضوء بالخروج من باطنه ... ثم مرحلة تكّون النجوم والمجرات.



اشار قيس وسمير الى طرف الصورة حيث جملة (Dark Energy Accelerated Expansion) والتي اثارت انتباههم فسأل سمير: يبدوا ان الكون يتمدد بوتيرة أسرع عند هذه المرحلة.

قلت: هذا ما سوف اشرحه اولاً ... لقد كان الاعتقاد السائد حتى وقت قريب بأن تسارع تمدد الكون سوف يقل تدريجياً مع الزمن بفعل الجاذبية حتى يأتي الوقت الذي يتوقف فيه التمدد ويبدأ بأنكماش عكسي تتقارب فيه المجرات والنجوم حتى يحدث الانسحاق او التصادم الكبير (The Big Crunch) يعقبها انفجار كبير آخر ... وهكذا دواليك الى ما لا نهاية ولكن في سنة 1998 بدأ فريق من العلماء بمقارنة قوة اضاءة انفجارات لنجوم كبيرة (Supernova) بعيدة جداً مع اخرى اقرب الينا فأكتشفوا ان اضاءة ال Supernova البعيدة جداً اضعف ب 25% مما هو متوقع مما يدل على انها ابعد من المتوقع لو كان تمدد الكون في تباطؤ.. فأستنتجوا ان تمدد الكون يتسارع وعللوا ذلك بوجود طاقة خفية سموها بالطاقة الداكنة

(Dark Energy) سالبة الجاذبية وبذلك تتغلب على الجاذبية التي نعرفها الموجبة القيمة وتسبب تسارع التمدد.

استدرك صديقي: قل لهم ما ذكرته لي سابقاً عن كميّة هذه الطاقة.

قلت: اود ان اصحح قليلاً المعلومات التقديرية التي ذكرتها لك ... تقدر كمية الطاقة الداكنة ب 72% من الوجود الكلّي وهي بكثافة $6.91x10^{-27}$ كيلوغرام في المتر المكعّب وهنالك ايضاً ما يسمى بالمادة السوداء (Black Mater) التي تكوّن 23% من الوجود الكلي وهي ايضاً لا ترى وقد استنتج العلماء وجودها من خلال تأثير الجاذبية على ما يحيطها من مواد.

قال سمير: هل تقصد الثقوب السوداء (Black Holes).

قلت: المادة السوداء هي شئ آخر غير الثقوب السوداء وقد استنتج علماء الفلك وجودها لوجود مؤثرات غير مرئية على النجوم والمجرات ... امّا الثقوب السوداء فقد سميّت بالثقوب السوداء لأن جاذبيتها قوية جداً فحتى الضوء لا يفلت منها.

سأل سمير: وكيف تكونت؟

اجبت: من انفجار بعض النجوم بعد نفاذ وقودها وانهيار مادتها بفعل الجاذبية الى بؤرة تتصاغر بأستمرار حتى تفقد ذراتها الالكترونات وتبقى النويات الثقيلة في كتلة واحدة ... ، رفعت ملعقة الشاي من احد الاكواب ، ملأ ملعقة منها يزن الاف الاطنان! كانت وجوه الحاضرين تنمّ عن دهشة كبيرة فتابعت الكلام لأزيد من دهشتهم: أكتشف العلماء مؤخراً ان هناك Black Hole هائل في قلب مجرّتنا ولعله في كثير من المجرّات الاخرى.

تسأئل بهنام: مما شرحت لنا ... بقى للمادة التي نراها بعد طرح كمية الطاقة الداكنة والمادة السوداء حوالي 5% ... هل هذا صحيح؟

قلت: 4.9% من المادة العاديّة فقط ... بكل مليارات المجرات والنجوم والكواكب ... يقدر عدد المجرات اليوم بحوالي 2000 مليار ... كلٍ منها فيه بين 200 الى 400 مليار نجمة اضافة الى حوالي 100 مليار كوكب!

اشار الاستاذ محمد الى موقع كلمة Inflation على الصورة وقال: انا افهم ان هذا الذي تقوله هو كما سمّيته سيناريو علمي فهو لا يعدو عن كونه نظرية لتفسير نشوء الكون وتطوره ... ولكن ما هو تبرير هذا التمدد الكبير ... الاسرع من الضوء بعدة مرات في هذا السيناريو ... ألم تقل بأن سرعة الضوء ثابتة ولا يمكن تعدّيها.

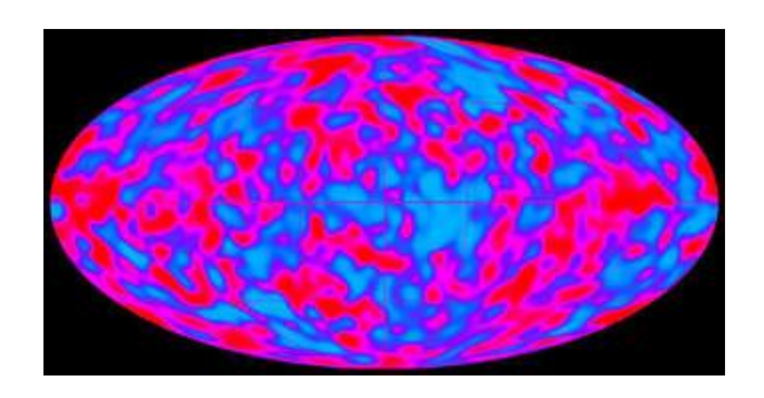
قلت: سؤال وجيه سوف احاول الاجابة عليه ... سرعة الضوء ثابتة ولم اقل انه لا يمكن تعدّيها ولكن هذا استنتاج صحيح يا استاذ ينطبق على المادة التي تتحرك بسرعة ولعل علماء فيزياء الفلك وجدوا ان لا بد من مخالفة ذلك لتبرير وجود التكتلات المادية الاولية التي ادت الى ظهر النجوم ... دعني اشرح ذلك بمثال ... تصور ان على هذه الطاولة ورقة كبيرة جداً تغطيه... هل من الممكن ان تدفعها بأصابعك ببطئ من طرف وتجعلها تتحرك الى الجهة المقابلة من دون ان تنثني؟

اجاب استاذ محمد: اعتقد ذلك.

قلت: فأذا دفعتها بسرعة؟

قال استاذ محمد: تنثني.

قلت: فكّر الفيزيائيين انه لوكان الانفجار الكبير بدون هذا التمدد السريع لأنتشرت ذرات المادة بالتساوي ولما حصلت انثناءات في الزمكان وتراكمات اولية ادت قوة الجاذبية فيها الى تسارع تجمع ذرات اخرى أدّت الى تكوّن النجوم ، اشرت الى صورة على الحاسوب ، هذه الصورة الملونة هي للصدى الكوني المبكّر تبين تجمعات كثيفة للمادة بلون يميل الى الحمرة.



قال صديقي: ما هذا الذي قلت انك سوف تقوم بشرحه ، تطلّع الى صورة الكون على الحاسوب وقرأ ما هو مكتوب ، Quantum Fluctuation:

قلت: اي نعم ... هنلك عدد من النظريات عن نشوء البذرة الاولى او كما سمّاها القس البلجيكي لميتر البيضة الكونية التي انفجرت ... لعل القس الجليل ضن ان الله هو خالق هذه البيضة ولم يتوقع ان العلم لا يتوقف عند حد ... هذا يذكرني بما قاله عالم فيزياء الفلك ستيفن هاوكنز (Steven Hawkins).

أستفسر قيس: اليس هو النابغة الذي فقد حركة كل عظلاته الجسمية ويتكلم من خلال صوت آلي مربوط الى حاسوب يلتقط حركات عيونه ويترجمها الى كلمات.

قلت: نعم ... هو ملحد ... يتحدّث بتهكّم عن مؤتمر لعلم الكون عُقد في روما وحضره البابا ... يذكر ان البابا في خطبة استقباله للضيوف قال ان لا مانع من دراسة الكون بعد بدايته ولكن يجب عليهم ان لا يبحثون في البداية نفسها لأنها لحضة الخلق من الله. يتابع هاوكنز الحديث فيقول: انا سعيد ان البابا لا يعرف اني قدمّت بحثاً في هذا المؤتمر فيه اقتراح عن كيفية بداية الكون من العدم ... لم اكن سأستسيغ فكرة تسليمي الى محاكم التفتيش مثل ما فعلوا مع غاليلو.

في بحث لجيمس هيرتل (James Hurtle) مع زميله ستيفن هاوكنز اقتراح سيناريو لنشوء الكون بعد ان فشل النظرية النسبية العامة لأنشتاين في مرحلة ما يسمى بال (singularity) ... لا ادري كيف اترجم هذه الكلمة الى العربي ولعل شرحها يكفي ... تتذكرون مما ذكرته عن النظرية النسبية الخاصة ان الجسم يتقلص وكتلته تزيد بزيادة سرعته ... فمن الناحية النظرية لو زادت سرعة الجسم الى سرعة الضوء فأن حجمه

يصبح صفر وكتلته لا نهائية ... هذا ما يحدث ايضاً في داخل الثقوب السوداء اي singularity لو استخدمنا معادلة اينشتاين النسبية.
استفسر صديقي: وما هو الحل الذي جائوا به؟
اجبت: اقترحوا ان تلافي ال singularity بأفتراض ان حجم المادة المنضغطة يصل الى حجم صغير جدا جداً ولكنه ليس صفراً ... عند هذا الحجم المتناهي الصغر فأن قوانين فيزاء الكم تبدأ بالعمل وتعطل قوانين الفيزياء الكلاسيكية ... وهذا سبب فشل النظرية النسبية لأنشتاين.
سأل قيس: وهل نظريات اينشتاين من الفيزياء الكلاسيكية.
قلت: نعم تعتبر من الفيزياء الكلاسيكية ولكنها مع فيزياء الكم تعتبر من الفيزياء الحديثة.
سأل صديقي: هل من الممكن ان تشرح ما هي فيزياء الكم.
اجبت: فيزياء الكم او ما يطلق عليه ميكانيك الكم (quantum mechanics) موضوع طويل ومعقّد ولا ادّعي اني افهمه جيداً ولكني سوف اختصر لكم اهم مفاهيمه ... فسّرت قوانين نيوتن في المادة والحركة وقوانين ماكسويل في الموجات الكهرومغناطيسية ظواهر الطبيعة بشكل جيد حتى ظهرت مسائل علمية جديدة في القرن العشرين لا يمكن تفسيرها حسب المفهوم الكلاسيكي من ان الطاقة في الطبيعة تجري كما يجري ماء النهر بأستمرار .. فجاء العالم بلانك وحل المشكلة بفرضية تقول ان الطاقة تجري كما تجري عربات القطار وفي كل عربة كم من الطاقة ... OK ، هز الجميع رأسهم بنعم.
ردد قيس: هذا كلام معقول فحتى الماء الجاري ليس كتلة سائلة واحدة بل هو متكون من حزيئات ايضاً.
عاودت الكلام: تمكن علم فيزياء الكم من حل تفسير الكثير من المسائل العلمية العالقة ... أعتمد أينشتاين على نظرية الكم، ولو انه عارض بعض جوانبها بآستمرار، فجاء بنظرية تقول ان الموجات الكهرومغناطيسية متكونة من فوتونات كل منها يحمل كماً من الطاقة ...
الحزء الثاني من نظرية الكم جاء به دي بروغلي (De Broglie) ليبين ان المادة مكافئة لموجة كهرومغناطيسية ...
اما الجزء الثالث في نظرية فقد جاء به هايزنبيرك (Heisenberg) المعروف بمبدأ اللا مؤكد (uncertainty principle) الذي يقول ان حساباتنا في قياس زوج متلازم في الوجود المادي والزمني ، مثل المسافة وزمن وطاقة وسرعة لجسم متحرك ، لا يمكن ان تكون 100% .. هذا الخطأ لا نلاحظه على مستوى عالمنا المحسوس ولكنه يبرز في عالم بحجم الذرات والجزيئات الاولية وهو نابع من طبيعة المادة نفسها وليس من محدودية اجهزة القياسات التي تضيف الى الخطأ الاصلي ...
اكتفي بهذا وانهي الموضوع بالقول انه لولا علم ميكانيك الكم لما اصبح لدينا الان كثير من المخترعات الحديثة ... التلفزيون والتلفون النقال والصاروخ الذي يذهب الى القمر ... الى اخره.
قال صاحبي: شكراً على هذا التوضيح ... ارجو ان تستمر في محاضرتك:
قلت: نرجع الة نظرية هاوكنز وصاحبه ... قلت انه عند ذلك الحجم الصغير تنطبق مفاهيم فيزياء الكم التي تستخدم قوانين الاحتماليات (probability) ... ومن هذا يستخلصون احتمالية تذبذب هذه البذرة المادية الصغيرة جداً ... تتذبذب فتخلق طاقة موجبة على شكل مادة مثلها ومقابلها طاقة سالبة على شكل قوة الجاذبية.
قال استاذ محمد: اتقول انهم يفترضون خلق مادة من العدم ... هذا شئ غير معقول ... العدم هو العدم ولا تجني من العدم غير العدم.
قلت: أحد الذين حاولوا تفسير عملية الخلق من العدم مثّل تلك العملية بعملية استدانة من مصرف للمال ... فأنت لا تملك شئ ... تستدين فيصبح عندك مال وللبنك سجلّ لمديونيتك ... تجري استدانة طاقة من لا شئ فتصبح في اللاشئ طاقة موجبة على شكل مادة مقابل طاقة سالبة على شكل قوة جاذبية ... لكي اكون صادقاً معك انا لا اصدق ذلك ايضاً فالفيزياء علّمتنا ان المادة لا تفتى ولا تستحدث ... تفسيري هو ان المادة تكونت من الطاقة الازلية الموجودة دوماً وما تبقى منها هو ال 72% التي ذكرتها ... اليس هذا اكثر معقولية.
قال صديقي وهو ينظر الى ساعته: الساعة الان الواحدة بعد الظهر ... ارجو ان تكمل الموضوع بالسرعة الممكنة مشكوراً لأن عندي بعض الاشغال التي اود اكمالها قبل الساعة الثانية.

قلت: اقتراح آخر لهاوكنز وزميله توروك (Torok)... استناداً الى الفرضية السابقة التي تفترض ان الكلتة الاولية الصغيرة جداً خلفت من العدم هو ان هذه الكتلة الصغيرة لا يمكن ان تتواجد وحدها فلابد ان هناك عدد لا نهائي منهم يتذبذبون ليخلقوا اكواناً كما تُخلق الفقاعات في ماء يغلي ... قسم من تلك الاكوان لا ينجح في التوسع والاخر ينجح فيخلق كوناً له قواه وقوانينه الفيزيائية.
قال الاستاذ محمد: هذا ما كنت اتوقعه ... فكثير من الاستنتاجات الفكرية التي لا يمكن اختبارها تؤدي الى استنتاجات اخرى تخرج عن نطاق الواقع والمنطق ... كما في البدع الدينية التي نراها اليوم.
قلت: لقد فتح هذا الاستنتاج الباب لأستنتاج اكثر غرابة نظّر له عالم الفيزياء ماكس تيكمارك (Max Tegmark) بفرضية حديثة عن الاكون المتعددة ... ففي هذه النظرية هنالك عدد لا نهائي من الاكوان مما يجعل احتمالية وجود اشباه لنا في كون اخر أحتمالية رياضية ... يقوم من هو مثلي بخطوة اقوم بها مثل رفع هذا القدح من على الطاولة ووضعه عليها ثانية ... يقوم الاخر مثلي في كون اخر بنفس العمل ولكن بأختلاف ما ... مثل اسقاط القدح على الارض ... والاخر مثلي في كون اخر ...
قاطعني استاذ محمد: هذا هراء ما بعده هراء ... انا كرجل درست الرياضيات ودرّستها طول عمري المهني اعلم ان هنالك لا نهاية في علم الرياضيات فهي علم يجري في عقلي كفكر ... على ارض الواقع ليس هنالك لا نهاية ... الكون محدود والارض وما فيها محدودين ... وكما بيّن استاذنا ، مشيراً اليّ ، الطاقة محدودة تجري في كم ... فلا اكوان لا نهائية ولا بطّيخ.
لم اعلّق على الاستاذ واكملت حديثي: اخر شئ اود ان اذكره يخص فكرة اخرى عن بداية الكون هو نظرية تسمى بحرف M ولعل التسمية جاءت من كلمة (membrane) اي الغشاء ... وتمثل هذه النظرية توحيداً لعدة نسخ مختلفة من نظرية ال (superstring) ... لا اعلم ... لعل ترجمة هذا المصطلح هو الاوتاد الفائقة ... انا عندي معلومات محدودة وسوف احاول اولاً ان اشرح ما اعرفه عن نظرية ال superstring ... يعامل الجسيم الاولي في الفيزياء عادةً كأنه نقطة ... وقد استبدلت هذه النظرية النقطة بخيط ذو بعد واحد مشدود .. او وتد كما في آلة العود .. تذبذبات الوتد المختلفة تخلق طاقة هي نفسها الموجات الكهرومغناطيسية بكافة تردداتها ... وعندما يكون الوتد على شكل حلقة متواصلة بأبعاد فضائية تفوق الثلاثة وبتذبذب معيّن فتكون احد الجسيمات الاولية التي تتكون منها المادة ... مفهوم ، هز الاولاد رأسهم بنعم وامتنع الاخرين ولكني اكملت الحديث: هذه النظرية تفترض ان هناك في الوجود 11 بُعُد ، عشرة منها فضائية وواحد للزمن ، ولكن كافة الابعاد الاكثر من اربعة مثل ما في عالمنا .. اي ثلاثة للمكان الفضائي وواحد للزمان .. لا يمكن الاحساس بها لأنها التوت على نفسها فأصبحت بأحجام صغيرة جداً جداً ، نظرت الى الوجوه الواجمة برهةً ، ادري هذا فوق التصور بس ارجوكم اقبلواها من اخوكم ، اشرت الى صدري ، لأن انا لا افهمها كذلك.
علّق صديقي: وما على الرسول إلا البلاغ.
اكملت حديثي: تفرض نظرية M ان هنالك فضاءات متعددة ... تصوروها كأكياس من النايلون مملؤة بأوتاد تتذبذب في ابعاد قد تفوق الاربعة ... وعندما يلتقي فضاء من الفضاءات بآخر مثله ، اي كما صورته ككيس يمس كيس اخر فيلتقي فضاء بآخر فيتماس غشائهما ... اكملت حديثي: عندما يلتقي الفضاءان المليئان بالاوتاد المتذبذبة يحصل انفجار ... هو نفسه الانفجار الكبير تتحول فيه الطاقة المخزونة في الاوتاد الى جسيمات اولية في عالم من اربعة ابعاد هو عالم كوننا ... والسلام ... وشكراً على حسن اصغائكم واسئلتكم الذكية.
أستدرك صديقي قائلاً: يا جماعة الموضوع القادم الذي سيقدّمه موفق هو حول نظرية المعرفة .. سوف نلتقي هنا الساعة العاشره من يوم الجمعة القادم واللي يحب يشاركنا أهلا وسهلاً
رد الاستاذان محمد وبهنام: حتما نأتي ..
شكرني الحاضرين كثيراً ثم دفعوا ما عليهم لصاحب المقهى الذي ابدى اعجابه وسألنا المعاودة الى مقهاه فنحن على الرحب والسعة.

خرجت مع صديقي والاولاد من المقهى وطلبت من صديقي ايصالي الى بيتي في منطقة المنصور ثم التوجه مع الاولاد عبر شارع المطار القديم وعبوراً على جسر الاعظمية المعلق الى بيتهم فوافق

محادثات فلسفية مع صديقي (7)

المحادثة السابعة - نظرية المعرفة:

حملت حاسوبي معي وركبت سيارة صديقي الذي جاء ليقلّني من بيتي وبصحبته قيس وسمير وذلك بعد اسبوعين من لقاءنا الاول في مقهى الشابندر. ، التفت صديقي اليّ وقال: كما تتذكر .. أخبرت الاساتذة محمد وبهنام عن محاضرتك في نظرية المعرفة .. سنلقاهم في المقهى قبلنا. دخلنا المقهى في الساعة العشرة والربع من يوم الجمعة المصادف 2018/12/14 فاستقبلنا صاحبها بحفاوة واشار الى زاوية جلس فيها الأستاذين وسط كراسي وطاولات أُعدّت خصيصاً لنا... كان يوماً من ايام شهر كانون الثاني البارد ولكن حرارة لقائنا بالاستاذين ودفئ المقهى نزع عني التحفظ وطرد البرد من جسدي. طلب الاستاذ محمد من عامل المقهى الشاي لنا بينما اتخذت أنا موقعاً وسطياً بينهم واعددت حاسوبي على الطاولة.
استهلّيت المحاضرة بشكرهم على الحضور في هذا اليوم البارد ثم تابعت: ... محاضرتي اليوم عن نظرية المعرفة ... عندما اصبح للانسان عقل اخذ هذا العقل يستوعب معلومات عن العالم .. من خلال انطباعات لصور مباشرة في مخّيلته كصورة شجرة معيّنة قرب مكان سكنه ومن خلال استنتاجات وتعميمات فكرية ادت الى ظهور مفاهيم مجردة كالمفهوم العام للشجرة .. تراكمت هذه المعلومات وتشابكت في ذهنه لتكوّن ما يشبه شجرة للمعرفة في ذهنه .. ومما ذكرت الان نستنتج ان المعرفة هي افكار نحفظها و انطباعات ومهارات تعلّمناها .. فلو تصورنا ان المعرفة العقلية كمثل شجرة اوراقها وثمارها الانطباعات والافكار و المهارات التي اكتسبناها في حياتنا وفروعها واغصانها هي الروابط بين الانطباعات والافكار والمهارات .. فيمكن القول ان جذور هذه الشجرة هو شكل من المعرفة المرتبطة بالغرائز والعواطف التي ورثناها من خلال الجينات الوالدين .. اواق الشجرة وفروعها المعرفة المكتسبة في الحياة .. الجذور المعرفة الموروثة ..
أستفسر الاستاذ بهنام: وجذع الشجرة؟
قلت: هو ايضاً مما ورثناه ولكنه يخص الانسان فيميّزه عن الحيوان ... أستدركت عندما رأيت علامات الاستفهام ترتسم على الوجوه: نحن نشترك مع الحيوان في وجود الغرائز .. مثل الغريزة الجنسية وغريزة الجوع وغيرها ولكن الانسان تميّز عن الحيوان بتطور جزء من الدماغ يظم العقل الذي بوسعة اختزان معارف مجردة هي الاوراق والفروع المرتبطة بالجذع وفيه موروث يخص الانسان فقط .. سوف اتكلم عن تلك المعارف في ما بعد.
سأل الاستاذ بهنام مرة أخرى: وما هي تلك المعارف التي تخص الانسان وحده؟
قلت: يُعتقد ان أحداها هي عناصر لغوية تكيبية تساعد الطفل على تعلّم اللغة بسرعة .. سوف أتكلم عن ذلك ببعض التفصيل في ما بعد
علَق الاستاذ بهنام: هذا يذكرني بقصة آدم وحواء في الكتاب المقدس وكيف اغوى ابليس الانسان بالأكل من شجرة المعرفة.
قلت: أن القصة التوراتية والموجودة ايضاً في القران هي قصة رمزية سوف نتكلّم عنها وعن غيرها انا وصديقي بأسهاب في حديث اخر حول موضوع الدين.
تابعت حديثي: يُعرف العلم الذي يدرس المعرفة بالإبستمولوجي (Epistemology) وهو احد الفروع الرئيسة الاربعة للفلسفة وسوف نأتي علية بأختصار.
سأل صديقي: وما هي الفروع الثلاثة الاخرى:
قلت: ما فوق الطبيعة (Metaphysics) والمنطق (Logic) والاخلاق (Ethics).
تابعت حديثي: في فروع واغصان وثمار شجرة المعرفة هنالك ثلاثة انواع من المعرفة ..
معرفة يمكن التعبير عنها بكلمات ورموز ورسوم ونسميها "معرفة هذا" (Know That) مثل هذا قلم على الطاولة وهذه الكلمة التي سطّرت على الورق ..
والمعرفة الثانية هي معرفة لا يمكن التعبير عنها بكلمات ... وهي المهارات التي تعلمناها ونسميها "معرفة كيف" (Know How) مثل معرفة كيف نقود السيارة ..

المعرفة الثالثة فهي المعرفة عن طريق الاعتياد (knowledge by acquaintance) كأن يقول صديقي أنا أعرف كل ازقة وشوارع الاعظمية التي ولدت فيها كما اعرف راحة يدي ... هي معرفة ترسخت في اللا الشعور بفعل الاعتياد ... في الحقيقة يمكن اعتبار هذه المعرفة مثل معرفة كيف فهي لا ارادية لا تتطلب الانتباه ولكنها ليست كمعرفة كيف فلا علاقة لها بحركة العضلات كما في فعل السياقة ... هي فقط تستعيد ذاكرة محفوضة في اللاوعي.

توقفت عن الحديث برهة وتطلّعت الى الاوجه لأستشف منها قبولهم وفهمهم لما ذكرت، ثم تابعت الحديث: يبحث علم المعرفة اصل وطبيعة وحدود المعرفة الانسانية وهنالك نصوص من العهود القديمة للسومريين والاشوريين والفراعنة عن مفاهيم فلسفية ومعارف دوّنت على الواح من الطين او اوراق البردي ولكن الباحثين الغربيين يرجعون اصل علم المعرفة الى اليونان القديمة حيث كان ارسطو (Aristotle 384-322 B.C.) وتلاميذه الذين يتبعوه (Stockers) وهو يتمشّى بين اروقة مبنى الأكاديمية في اثينا ويتجادلون في شتّى المواضيع الفلسفية ... وبعد موت ارسطو بالسم كتب تلميذه افلاطون (Plato 428-348 B.C.) تلك المحادثات في كتب متعددة... ولعل معظم ما كتبه هو من نسج خياله.

سأل قيس: ولماذ تم سمّه ومن سمّه؟

قال الاستاذ بهنام: قرأت عن ذلك ... وما اشبه اليوم بالبارحة... حوكم وادين من قبل سادة اثينا لنشره افكاراً أُعتبرت كفراً بالمقدسات وتخريباً لعقول الشباب فخُيّر بين التنازل عن اراءه وإدانتها او الموت سماً فاختار السم.

وقبل ان استأنف حديثي سأل سمير: العفو استاذ ... ذكرت الأكاديمية في اثينا فهل هي مثل ما عندنا اليوم.

قلت: يطلق اسم أكاديمي (Academy) على مؤسسة للدراسات العليا والبحوث ويرجع هذا الاسم الى مدرسة الفلسفة التي أسسها افلاطون في اثينا حوالي سنة 385 قبل الميلاد ، ... تابعت حديثي: يتحدث افلاطون في كتابة (Theaetetus) عن احدى تلك المجادلات بين ارسطو وتلاميذه.

قاطعني صديقي: ولعل افلاطون بث بين سطور الكتاب ارائه ايضا ولكن على لسان افلاطون خوفاً من السلطة وغوغاء العامّة.

قلت: هذا صحيح... يبدأ افلاطون على لسان ارسطو بسؤال يلقيه على تلاميذه ... مثلاً ما هي الفضيلة؟ وبين الاجابات والمجادلات يُنبذ الغير صالح وتبرز الاجابة المناسبة ... وفي اليوم الذي سأل فية ما هي المعرفة جاء الجواب بعد جدال طويل "المعرفة هي ايمان بحقائق مبررة" .. اعيد ذلك بالانكليزية "Knowledge is Justified True Belief" .. اصبحت الشروط الثلاثة للمعرفة والتي تُلخص بالحروف الاولى أ ح م (JTB) مركز اهتمام الباحثين عن الشروط الثلاثة في ما نعرفه على مر العصور لاضافة ما يستوفي تلك الشروط الى بناء شجرة المعرفة ... ولكن المشككين غالباً ما يجدون طريقة ما لتخطئة الادلّة فلو جئت بدليل ثاني لدعم الاول يجدون ما يشكك بالثاني وعليك ان تجد دليل ثالث لدعم الثاني ... وهكذا الى ما لا نهاية.

قال الاستاذ محمد: اعطني مثال عملي.

قلت: ذكرت لصديق مشكك اني رأيت البارحة مدرّس الفيزياء القديم يمشي في السوق ، رد: مستحيل فقد انتقل من مدينتنا منذ زمن بعيد ، قلت: ولكن كان معي عباس وقد رأى المدرس ، رد المشكك: ولكن نظر عباس ضعيف ولا يمكن ان يرى جيداً على بعد مترين منّا فلا يمكن انه تعرف علية بل ايّد ما تقوله... وهكذا فكل دليل يمكن لهذا الصديق الشكّاك ان يخطّئه ... الطريقة الوحيدة للخروج من هذا النفق بلا نهاية هو ايجاد حقائق تدعم نفسها بنفسها من دون دليل خارجي واستخدام تلك الحقائق كحجارة اساسية نبني عليه الاحجار الاخرى لصرح المعرفة ... ويعرف مثل هذا الاتجاه الفلسفي "بالتأسيسي" (Foundationalism) ... وقد انقسم الى اتجاه ال"عقلانية" (Rationalism) واتجاه ال"تجريبية" (Empiricism).

يرى اتجاه التأسيس العقلاني ان المصدر الاساسي للمعرفة هو العقل ولهذا ينظر العقلانيون الى الرياضيات كنموذج لنظريتهم لأن المعرفة الرياضية يمكن الوصول اليها من خلال المنطق العقلي فقط من دون استخدام اي من الحواس الخمسة واللجوء الى العالم الخارجي ... مثل هذه المعرفة سرمدية لا تتغير مع الزمن ... المنطق العقلي الرياضي هو من جملة المعارف العقلية البحتة المُسبقة (تسمى a

priori knowledge) فهو معرفة لا تحتاج الى ما هو خارج العقل ... وتتضمن المعارف العقلية المسبقة أيضاً أسس علم الهندسة وكذلك المعارف الفطرية مثل معرفة ان اللون الازرق هو ليس اللون البرتقالي وتعابير كلامية معينة ... فمثلاً يعرف السامع تلقائياً عند ذكركلمة أعزب ان المقصود رجل غير متزوج ... ارجو ان تنتبهو جيداً لما سأقوله ... سألت نفسي ما الذي يجعل المعرفة العقلية لا تحتاج الى العالم الخارجي وجاء الجواب من حيث لا ادري ...لأن المعرفة العقلية هي معرفة للعلاقات بين رموز فكرية ... هي صورة العلاقات بين رموز فكرية داخل العقل وقد يكون لها تمثيل على ارض الواقع او لا يكون.
قاطعني صديقي: ماذا تقصد ... وضّح.
قلت: خذ المعادلة $Y = 3X^2$ ... انها تعبّر عن علاقة بين الرمزين الفكريين X و Y حيث ان Y يعادل ثلاثة اضعاف مربّع X.
تساءل صديقي: تلك المعادلة تمثّل نسقاً (Pattern) معيناً بين X و Y ... اليس كذلك؟ ... هذا ما اتذكره من محادثة سابقة بيني وبينك.
قلت: بالضبط ... الرياضيات هي علم معرفة الانساق بين المفاهيم والرموز الفكرية.
سأل صديقي: والمنطق والهندسة؟
قلت: لعل المنطق هو علم القوانين التي تحكم الانساق ولعل الهندسة هو علم انساق الخطوط والسطوح والاحجام ... تابعت حديثي: ان المعرفة العقلية تتعلق بالعلاقات بين رموز فكرية كما ذكرت ... ومن الممكن ان تكون صحيحة 100% لو اتبعت القواعد الرياضية والمنطقية الصحيحة في استنتاجها ... اي يمكن اعتبارها حقائق مطلقة واضافتها الى الحقائق التأسيسية الاخرى في بناء صرح شجرة المعرفة ... ولكن اذا كانت الرموز او الكيانات الفكرية هي انطباعات من الواقع فيجب التأكد من صحّتها ودقّة تمثيلها للواقع وإلا فأن المعرفة تكون خاطئة حتى لو كانت العلاقات بين تلك الكيانات صحيحة.
سأل استاذ محمد: يمكن استاذ ان توضح.
اجاب الاستاذ محمد بالنيابة عني: خذ مثلاً فتاوي مشايخ السلفية الدينية التي تحرّض على الكراهية والقتل ... هي فتاوي اصلها من ابن تيمية وامثاله وهو بدوره اخذ معظمها من تفاسير بعض ايات القرأن ومن احاديث منسوبة للنبي ... هذا هو اصل الاصل ... نصوص قرأنية منزوعة من ظروفها التاريخية واحاديث مشكوك في صحتها كان قد استنبط منها ابن تيمية لتبرير ما يريد في ظروف وزمن مختلف ... ظرف وزمن الحروب الصليبية وزحف المغول على البلاد الاسلامية والفضاعات التي رافقتها ... فالاصل جاء في ضرف وفي زمن مغاير والاحاديث مشكوك في صحتها ... فحتى ولو كانت عملية الاستنتاج منها صحيحة تبقى النتيجة غير صحيحة.
قلت: مثال جيد ياعزيزي ... الانسان قد يلاحظ ظاهرة معينة فيستنتج منها علاقة يضعها في فكرة ... تصبح هذه الفكرة حقيقة اساسية بالنسبة له ويبني عليها افكار اخرى تُعتبر حقائق وكلما ظهر خلل بالبناء يهدد بأنهياره يعالجه بترميم موضعي ... مثال ذلك نظرية بطليموس التي بنيت على ملاحضات عينية في ان الارض هي المركز الذي تدور حوله الشمس والكواكب ... ظلّت قرابة الفين سنة تُعالج بترميمات حتى انهارت على يد كوبرنيكوس وغاليلو ... صرح المعارف الغير صحيحة لا بد ان ينهار يوماً حتى ولو ساندته سلطة غاشمة وضيق افق ديني يستلهم اساطير الماضي.
قال صديقي بصوته الجهوري الأجش: الله هو فكرة استنتجها الانسان ووضعها اساساً بنى فوقه دين وفوق الدين واقوال ...
قاطعه الاستاذ بهنام وكأنه احس بما يريد ان يصل اليه: ومن قال لك ان كل استنتاج خاطئ ... الله هو فكرة استقرأها (Induction) الانسان من تأملاته في الطبيعة ومعجزة الحياة.
قال الاستاذ محمد معلقاً: الاستقراء له انعكاسات على الرياضيات ايضاً ... فلعل الانسان استنتج النسبة الثابتة بين محيط الدائرة وقطرها عند ملاحظته ودراسته للأشياء الدائرية في الطبيعة.
قاطعت تلك المجادلات التي بدأت تجلب انتباه الرواد الاخرين للمقهى: اعتقد لو نؤجل المواضيع المتعلقة بالدين الى اشعار اخر .. تابعت حديثي: ان عدد الحقائق العقلية محدود وغير كافي لمعرفة الحقيقة الملموسة في عالمنا ... فلو اجتمع كل فلاسفة المنطق وعلماء الرياضيات في العالم لما كان بمقدورهم اكتشاف العالم الصغير للذرة ومكوناتها او العالم الكوني الكبير بمجراته التي عرفناها من خلال التلسكوبات.

قال الاستاذ محمد: ولكن للمعرفة العقلية دور كبير في حياتنا وازاحة كثير من الاوهام عنها بل حتى التأكيد على وجودنا ككائنات مفكرة ... "Cogito Sum Ergo" ... انا افكّر فأنا اذن موجود ... هذه مقولة الفيلسوف الفرنسي ديكارت (1596 - 1650 Descartes) استنتجها من موقف الشك الذي ادّى الى اليقين ... كان موقف المشككين يقول لعل الانسان وكل ما حوله مجرد افكار في عقل جنّي يحرّكهم ويصنع منهم ما يشاء وهم يظنون انهم احرار.
قال صديقي: فلم (The Matrix) استوحي من فكرة ديكارت ... الجنّي فيه هو آلة حاسوب متطورة.
اكمل استاذ محمد حديثه: انا لم اشاهد الفلم ولكن هوليود تستخدم كثير من قصص الماضي بثوب جديد ... المسألة عند ديكارت هي كيف اعرف اني لست مجرد فكرة في عقل جنّي شرير فيجيب على ذلك بأن مجرد الشك والتساؤل عن صحة وجودي الفعلي يدل على ان وجودي مستقل عن الجنّي المزعوم ... فانا أُشك بوجودي المستقل .. ولكن الفكر المشكك نفسه يدلل على وجودي المستقل عن الجنّي.
قلت: لا ادري ... فهل من الممكن لهذا الجنّي ان يخلق هذه الشكوك ليظن ديكارت انه موجود فعلاً؟ ...

تابعت حديثي: المعرفة العقلية التأسيسية محدوده وقاصرة فعلاً عن معرفة الواقع الملموس مما حدى ببعض المفكرين الى ادعاء ان المعرفة التأسيسية التجريبية قادرة على ردم هذا النقص بما هو حقيقي وملموس لا يرقى اليه الشك ... فاساس المعرفة برأيهم هو التجربة والاختبار ... يقولون ان الانسان لا يعلم شئ عند الولادة ثم يبدأ بأكتسابها من خلال حواسه الخمسة فكل الافكارالتي تكونت معارفنا منها متعلقة باشياء رأيناها وسمعناها وشممناها ولمسناها وذقناها واحسسناها.
قال صديقي: يبدو لي ان هذا معقول.
تابعت حديثي: المعرفة التي نحصل عليها من خلال حواسنا هي نفسها المعرفة من خلال العتياد (knowledge by acquaintance) فهي معرفة مباشرة من العالم خارج عقولنا وهي لا تحتاج الى تبرير (justification) ، اي الشرط الثالث للمعرفة في تعريف افلاطون.
تكلم قيس لأول مرة: ولكن استاذ من الممكن ان تخدعنا حواسنا.
قلت: صحيح ولكن لا يمكن رفض كل ما في العالم خارج عقولنا بهذه الحجة ... احساسنا بالأشياء خارج عقولنا يدل على وجودها ولكن ربّما العقل فسّر ذلك الوجود بشكل خاطئ ... اي خدعتنا حواسنا وكذلك عقولنا ... ولذلك فكّر روّاد التجريبية الخالصة في ايجاد معارف تجريبية اساسية لا يرقى اليها الشك مستخلصة من احاسيسنا لكي نشيّد فوقها صرح شجرة المعرفة ... فبدأوا بالبحث عن أحجار اولية من حقائق حسّية يتم بناء الاساس المعرفي .. اي the Foundation .. منها ... من هذه الاحجار الاولية نكوّن مفاهيم ... وكمثال فأن مفهوم كلمة "شاي" متكّون من الاحاسيس الاولية لطعمه ولونه وسخونته في الماء الحار فهذه كلّها احاسيس أساسية كوّنت مفهوم الشاي.... ومن هذه المفاهيم نبني ما هو اعقد من المعارف.
قال الاستاذ بهنام: هذا شئ لا يمكن بناء معرفة منه برأي ... اكمل حديثه مبتسماً: تصور اننا سنقول عن التفاحة شئ اخضر او احمر.. كروي حلو المذاق او فيه شئ من الحموضة ... يمكنني ان استمر في اضافة احاسيس اخرى ولكنها لا توفي بغرض التعريف بالتفاحة من دون شك ... انا أعرف التفاحة سواء كانت بيضاء خضراء حمراء او صفراء من دون كل هذه الاساسيات المزعومة.
قلت: كان هذا ما ادعاه فيلسوف التجريبية الخالصة هيوم (1711 David Hume - 1776) ... ليس في الوجود إلا عالم الطبيعة الذي نعيشه ويجب البحث في كل المفاهيم الفكرية وإرجاعها الى اصلها الحسّي في هذا العالم فأن لم نجدها فهي خاطئة ... تصوّر ... حتّى مفهوم السببية الفطري هو وهم عند هيوم فليس هنالك اساس له سوى ما استنتجناه من مشاهدات محدودة قد تكون مُضللة.
قال الاستاذ محمد: يبدو ان موقف هيوم الطبيعي يتفق مع موقف الامام ابو حامد الغزالي (450 هـ 505 - هـ1058 / م1111 - م) الما وراء طبيعي فكلاهما ينكر قانون السببية ... هيوم من موقف ان التجربة الطبيعية المحدودة والغزالي من ادعاء ان الله القادر على كل شئ قديروهو وراء كل سبب ونتيجته ويمكنه تغييرها إن شاء ... يعني الله ما عنده شغل عمل بس يتابع كل ذرة في الوجود ويقوم بفعلها ورد فعلها!

اوقفنا صديقي عند هذا الحد من الكلام معلناً فترة استراحه لمدة نصف ساعة ووافق عليها الحضور
واخرج اثرها الاستاذ بهنام من حقيبته كيساً ورقياً وقال: تفضلوا كليچه ام التمر و اُم الجوز من يد اُم بيتي المحروسة.
علّق استاذ محمد: ألاستاذ بهنام يؤكد لنا مرة اخرى ان المصالوة كريمين جداً .. شكراً يا عزيزي.
صحت على عامل المقهى: چايات تجديد رجاءاً.

محادثات فلسفية مع صديقي (8)

المحادثة الثامنة - نظرية المعرفة:

انتهت فترة الاستراحة بعد حوالي ربع ساعة لأن الحضور كان متلّهفاً لتكملة المحاضرة فبدأت حديثي: لم يتمكّن روّاد المعرفة التأسيسية التجريبية الخالصة من ردم الفجوات وتصحيح الهفوات التي تعاني منها فلسفتهم ... خذ مثلاً ما انتبه له الاستاذ بهنام حول لون التفاحة الاخضر او الاحمر ... ولكن أليس اللون الاخضر او الاحمر هو تعميم لعدة درجات من الخضرة او الحمرة ... فهذه ليست معرفة اساسية محسوسة بل مفهوم فكري جاء من تعميم لعدة درجات من اللون.
أنبرى صديقي وهو يصدح بكلام مسجوع: وهذا الشاي المسكين .. هو قنداغ ام كسكين .. ام انه شئ لا يعرفه إلا رب العالمين؟
ضحكنا وارتسمت علامة استفهام على وجهي قيس وسمير الذين لم يفقهوا شيئاً فتساءل سمير: قند ... قندا؟
قلت: قنداغ تعني ماء مغلي مع سكّر او شاي خفيف جداً وكسكين تعني شاي ثقيل جداً ... هذه كلمات فارسية دخلت في اللغة العراقية الدارجة في زماننا فلا يعرفها جيلكم ... تابعت حديثي: المعرفة المستحصلة من شرب قدح من الشاي هي معرفة مباشرة للشاي من القدح حصلتنا عليها يوماً ما في حياتنا المبكرة ... ولولا أن العقل استخلص من تلك التجربة الاولى للشاي تعميم يخص كل انواع الشاي لما عرفنا الشاي بكافة اشكاله ... العقل كوّن مفهوماً عام عن الشاي .. نظرت الى الوجوة التي بدت مقتنعة بما اقول ثم تابعت حديثي: ويبدو ايضاً اننا نكوّن مفاهيم معينة من دون تجربة حسّية .. فيقال ان تقطير الكحول ومعرفة خصائصه وتأثيره عرفها علماء مسلمون زمن العباسيين ولم يجرّبوه قط.
انبرى صديقي بالقول: غير معقول ... في زمن العباسيين كان الكثير من المسلمين يتعاطون الخمر فكيف تقول ان هؤلاء العلماء المسلمون لم يجربوه.
قلت: هذا ما قرأته في مقال لا اتذكر مصدره ... ولكن ذلك جائز ... الخمر فيه كحول ويمكن ان يكون بعضهم قد تعاطاه ولكن الكحول الناتج عن تقطير الخمر شئ آخر لعلهم لم يجربوه فعلاً ولكنهم رأوا تاثيره على من يتعاطاه.
قال الاستاذ بهنام: لعل هؤلاء العلماء تعلّموا تقطيره من مسيحيي العراق ثم درسوا خصائصه ... هذا يذكّرني بصورة لرسم على الطين المفخور من زمن السومريين لبضعة اشخاص جالسين على كراسي وعلى الارض قارورات فيها حنطة مخمّرة ... يعني بيرة ... ويستخدمون القصب المجوّف لسحبه الى افواههم.
علّق صديقي: والله يفتهمون ... الكحول في البيرة قاتل لكل الجراثيم وهكذا تجنبوا المرض من الماء الملوث.
قال استاذ محمد: أليست اصل كلمة الكحول عربية اخذها الغرب فأصبحت (Alcohol).
قلت: نعم ... ، وتابعت: وهنالك ايضاً صعوبة اخرى للتأسيسية التجريبية تتعلق بالمفاهيم التي تصف العلاقات النسبية مثل قريب من وبعيد عن ... وراء شئ وامام شئ ... فوق شئ وتحت شئ ... كلّها مفاهيم تعميمية لا تخص تجربة حسّية معيّنة ولكنها مفهومة حتى للطفل الرضيع.
أضاف صديقي: في قمّة الشئ وفي قعر الشئ.
قلت: هذا مفهوم لعلاقة اخرى ... قمّة وقعر ... هذه الصعوبات تقود بعض المؤمنين بالمعرفة التأسيسية التجريبية الى ما يعرف بالانكليزية ب (solipsism) وهو شئ من الوحدانية والانزواء .. فعند استثناء كل ما لا علاقة له بالاحاسيس المباشرة التي يظن انها خادعة او غير حقيقية يجد المرء ان الشئ الوحيد الذي يعرفه هو وجوده الشخصي وما العالم الخارجي سوى وهم من وحي افكاره ... وهنالك صعوبة اخرى لهذا النوع من المعرفة تتعلّق بمعرفة الماضي والمستقبل اللذان لا يمكن معرفتهما من خلال التجربة الحسية المباشرة ... الماضي نعرفه من خلال عملية التذكّر او من كتاب تاريخ وبعض حالات المستقبل نعرفها من حسابات واستنتاجات ... كأرباح ودائع مالية في مصرف بعد سنة من ايداعها بنسبة

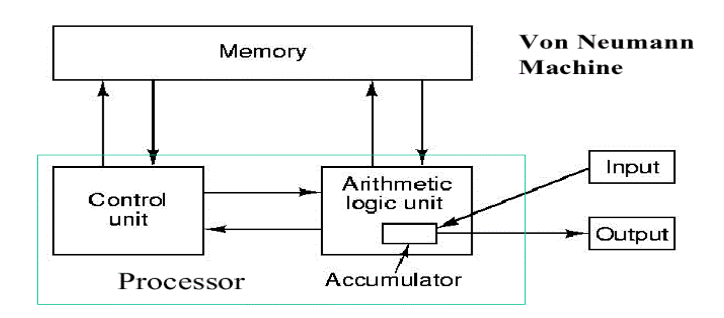
فائدة معينة ... وهكذا عجزت الفلسفة التأسيسية التجريبيه من ايجاد وسيلة ناجحة لبناء صرح المعرفة على اسس سليمة فهنالك مفاهيم مسبقة (a priori concepts) ليست نتيجة التجربة الحسّية وهنالك المنطق والرياضيات والهندسة وهم نتيجة لاستنتناجات عقلية بحتة ... وحتى الغرائز والعواطف المتأصّلة في الانسان يمكن اعتبارها شكل من اشكال المعرفة المسبقة الموروثة.
قال الاستاذ بهنام: يبدو لي ان الغرائز والعواطف واجزاء المخ المسؤولة عن الحركات الارادية وغير الارادية كلها معارف تشكّل علاقات مباشرة مع العالم الخارجي وذلك لمصلحة الجسم الحي ... اي انها حلقة الوصل بين العقل والعالم خارجه.
قلت: جاء دورك لكي توضح لنا ... ماذا تقصد؟
أجاب الاستاذ بهنام: يبقى العقل معزولاً عن العالم الخارجي فهو لا يتفاعل معه مباشرةً فتلك وظيفة تلك الغرائز واجزاء المخ المسؤولة عن الحركة ... العقل لا يتحرك بل يأمر الجسم بالحركة فيقوم ذلك الجزء من الدماغ المسؤول عن الحركات الارادية بتفعيل حركة الجسم ... مثال آخر ... نقص الغذاء يفعّل غريزة الجوع عند الرضيع ... يبكي ... يريد ما يسد جوعه ... يبدأ بالرضاعة حالما توفر له مصدر للحليب ... عملية الرضاعة هي نوع من المعرفة المسبقة ... مثل معرفة كيف ... هي مهارة موروثة لم يتعلّمها.
قلت: هذه ملاحظة جيدة ... شكراً ... هل تتذكرون سؤال الاستاذ بهنام عن جذع شجرة المعرفة ، قالوا نعم تاعت الحديث: قلت سابقاً ان جدور شجرة المعرفة تمثّل الغرائز وأن جذعها شجرة هو من المعارف المسبقة لتلبية احتياجات العقل وليس الجسم ... فقد وجد العالم الامريكي نعوم جومسكي (Noam Chomsky 1928) ان تعلّم اي لغة من لغات البشرية قد يستغرق عشرات السنين لولا وجود معرفة مسبقة تولد مع الانسان فيها الاسس العامة لكل اللغات ... يتعلّم الطفل الكلام خلال سنتين فقط لأنه يبني فوق هذه الاسس لغة الام ... وقد تضاف الى تلك المعارف المسبقة في جذع الشجرة معرفة تقدير عمق او بعد الشئ المرأي ... فما نراه يصل العين ببعدين ويصنع الدماغ البعد الثالث من الظلال ... وقد أضيف ايضاً معرفة تميّز صوت معيّن من بين اصوات كثيرة وضوضاء ... فقد لاحظت ان زوجتي تقفز راكضة الى غرفة طفلنا بعد سماعها صوته بينما كان التلفزيون يلعلع بألاغاني وصوت الشارع يضج بالسيارات ... فكأنما في الدماغ مصفاة (Filter) تقلل من تأثير الشوائب الصوتية وتضخّم ما نريد ان تسمعه.
قال صديقي: في الحقيقة لا اعلم كيف فات هذا التيار الفلسفي التأسيسي ان معظم ... وربما كل ما نحفظه في عقولنا عبارة عن مفاهيم كوّناها خلال حياتنا من انطباعات واستنتاجات وتعميمات.
قلت: وحتّى التجربة الحسية المباشرة لا تخلو من تأثير ما هو موجود في العقل من مفاهيم مُسبقة... فقد يقسم رجل انه رأى شبحاً يطير وسط ضباب الليل بينما هو في الحقيقة بالون ابيض.
تابعت حديثي: في الحقيقة ان الاستقراءات (Inductions) من الواقع هي الانطباعات دائماً ما تكون غير كاملة كما بيّن ذلك بوبر(1902 - Karl Popper 1994) المختص بفلسفة العلم فليس هنالك حد عددي للأستقراءات التي نأخذها من الواقع لتعطينا تعميماً صحيحاً 100%.
قال صديقي: وضّح.
قلت: جاء بوبر بمثال ... نرى بجعة بيضاء تسبح في بحيرة واخرى بيضاء واخرى بيضاء ... لنقل رأينا الف بجعة بيضاء في مختلف ارجاء البلاد ... فنستخلص تعميماً ان البجع ابيض اللون ... ولكن هذا التعميم خاطئ لأن في نيوزلندا بجع اسود اللون ... يمكن ان نستخلص تعميماً صحيحاً لو تسنى لنا رؤية كل بجع العالم في كل تاريخ البجع على الارض ... في الحقيقة كل استنتاجاتنا وتعميماتنا المبنية على الاستقراء من الواقع تعكس شئ من الواقع وليس الواقع كلّه فهي غير كاملة الصحة.
قال صاحبي: اليس الأقرب الى الصحّة ان تكون المعرفة هي خليط من الأتجاهين المتنافسين، الاتجاه العقلي والاتجاه التجريبي.
قلت: تماماً ... ولكن بعد تخلّي كل منهم عن موقفه المتزمّت ... في نهاية الامر تخلّى اصحاب الفلسفة التجريبية عن موقفهم واعترفوا بأن المعرفة تتضمن المعرفة العقلية ولو انها وحدها غير كافية لتفسير الواقع ... وتخلّى اصحاب الفلسفة العقلية ايضاً عن موقفهم ... واتّفق الكل على ضرورة تعديل مواقفهم للحصول على مفهوم مقبول للمعرفة له فائدة عملية للانسان ... فشرط التبرير الافلاطوني الكلّي غير ضروري في معظم الاحيان ومن الممكن من الناحية العملية القبول بدرجات من التبريرات لأشكال

مختلفة من المعارف تتماسك في ما بينها لتكّون مجموعة مميزة في شجرة المعرفة ... ويعرف هذا الاتجاه الفلسفي في نظرية المعرفة بالمعرفة التماسكية (Coherentism).
قال صديقي: يبدو لي ان هذا شئ معقول جداً حيث ان كل غصن او ثمرة في هذه الشجرة مربوط الى الاخرين بفروع قد تكون ضعيفة ولكنها ككل قوية.
قلت: لا يمكن بناء شجرة معرفة فيها كل المعارف مبررة 100% ولكن يمكن بناء شجرة معرفة فيها خليط من المبرر كلياً وغير المبرر كلياً ... فالمعارف في هذه الشجرة تسند كل منها الاخرى وفتتكون منها شبكة اقدمها ، اي ما تعلمناه في الصغر ، هو في داخلها ... بل في لبّتها وقد تراكمت عليها المعارف الاخرى التي تستند اليها ... ولذلك من السهل تغيير مفاهيمنا الجديدة فهي تقع في محيط الشجرة ولكن من الصعب تغيير مفاهيمنا التي تربّينا عليها في الصغر فذلك يتطلب تغيير سلسلة كل المفاهيم المستندة عليها ... فقد اصبحت كالمعارف المسبقة او كالبديهيات لنا.
قال الاستاذ محمد: ان مثل هذا الاتجاه في نظرية المعرفة اكثر واقعية وفائدة عملية ولو ان فيه نواقص قد تكون قاتلة كما اظن ... فقد تكون في شجرة المعرفة مجموعات كل منها متماسك داخلياً ولكنه غير متماسك مع المجاميع الاخرى.
قلت: عين الصواب ... وقد تكون تلك المجموعات الغير متماسكة مع بعضها متناقضة او متعارضة فيؤدي ذلك الى نوع من انفصام الشخصية (schizophrenia) الاجتماعية ... اروي لكم مثالاً حصل لي فعلاً ... عندما اشتغلت في الامارات العربية المتحدة سنة 1980 وكانت زوجتي حامل فأخذتها الى المستشفى لأجراء الفحص والمسح الما فوق صوتي (Ultrasound scan) لمعرفة جنس الجنين ... اجرى الدكتور المصري المسح ثم بشّرني بأن جنس الجنين هو ذكر واشار الى ذكره البارز في الصورة فشكرته ... وعندما هممت بالخروج لاحظت لافتة صغيرة على الحائط عليها حديث للنبي أتذكر بعض ما فيه ... خمسة اشياء يعرفها الله وحده ... جنس الجنين ... الغيمة واين تقع ... لا اتذكر الباقي ... ولكن هذا اثار غضبي فقلت للدكتور الا يتناقض ما ذكرته لي عن جنس ابني مع هذا الذي على الحائط ... اعدت ذلك عليه عد مرات ولكنه لم ينبس بحرف واحد ... هذا مثال على تناقض منظومتين فكريتين في عقل واحد ... الاولى منظومة علمية طبية والاخرى منظومة دينية ايمانية ... ولو ابقى الدكتور الاثنين منفصلين ... طبيب في المستشفى ومتدين في البيت والجامع لما حصل ما حصل ... ففي موجة غضبي تطاولت على الدكتور وأتهمته بالنفاق والكذب على الناس ... انهي هذا الفصل حول المعرفة بالقول ان هنالك تعديلات اخرى جعلت من نظرية المعرفة اكثر مرونة ففي بعض الاحيان ليست هنالك حاجة لتبرير منطقي او عملي للمعلومة ما دمنا متأكدين من صحتها ... فمثلاً انا اعرف ان جزيئة الماء متكونة من ذرة اوكسجين وذرتي هايدروجين وعندما يسألني مشكك كيف تعرف ذلك؟ اقول له ان عندي مصدر موثوق به وهو كتاب الكيماء الذي درسته في مرحلة الدراسة الثانوية ... هذا الاتجاه الفلسفي في نظرية المعرفة يسمى بالتوثيقي (Reliabilism) لأنه يعتمد على الوثوق بمعرفة علمية مسبقة ... تابعت حديثي: اود ان اقف عند هذ الحد ونأخذ استراحة ثانية لأن موضوع الجزء الثالث من المحاضرة شئ مختلف اعتقد انكم سوف تستمتعون به .. ما هي اوجه الاختلاف والتشابه بين الدماغ والحاسوب وكيف تخزّن المعرفة عليهما .. صاح صاحبي على قهوة عربية للجميع بينما وضع الاستاذ بهنام بقية الكليچة على الطاولة.

محادثات فلسفية مع صديقي (9)

المحادثة التاسعة - اوجه الاختلاف والتشابه بين الدماغ والحاسوب:

بدأت المحاضرة وقد إلتف الجمع حولي شاخصين بعيونهم على بعض رؤوس الاقلام والصور على شاشة حاسوبي ، قلت: في البداية سوف اشرح بأقتضاب شئ عن الحاسوب وعن كيفية اختزانه للمعلومات ثم اعقب ذلك بشرح مختصر مما اعرفه عن الدماغ واعتقد انه يفي بالغرض من دون الخوض بالتفاصيل ...
الهندسة الاساسية للحاسوب المعروف تسمى بأسم مصممها (Von Neumann Architecture) ..
وهي كما في هذا المخطط



سوف لا أُترجم بعض رموز الحاسوب الى العربية فمن الاسهل فهمها بلغتها الانكليزية الاصلية ... في قلب الحاسوب اوعقله ان صح القول ((Central Processing Unit (CPU)) الذي يتعامل مع المعلومات الداخلة اليه (Input) والخارجة منه (Output) ... والذي يهمنا هو ذاكرة الحاسوب (Memory) الذي تُخزن فيه المعلومات ... ما هي الذاكرة وكيف تُخزن فيها المعلومات؟
اصغر وحدة تتكون منها الذاكرة هي البت (Bit) ... ويمكن لل CPU وضع شحنة كهربائية تعادل الرقم واحد فيها ... وعدم وجود شحنة في البت يعني صفر ... هذا كل ما تجدونه في ذاكرة الحاسوب عدد مما يعادل رقم الصفرورقم الواحد .. وهي التي تمثّل كل الارقام والحروف والرموز الاخرى فالحاسوب يتعامل مع المعلومات وفق النظام الجبري الثنائي (Binary System) ، اشرت الى الصورة الثانية على الحاسوب وقلت دعوني اشرح: كل مجموعة من 8 بت تكوّن بايت (Byte) يمكن ان يوضع في البايت رمز يمثل الرقم من 1 الى 9 .. او الحرف .. او مايمثل اللون في البكسل (Pixel) وهي النقاط الصغيرة التي تتكون منها شاشة الحاسوب .. الجدول ادناه لغرض التوضيح فقط .. حيث تصطف على اليسار عمودياً بعض ما يمثل رموز الارقام والحروف و اللون ,, وعلى اليمن ما يقابلهم في النظام الجبري الثنائي

النظام الثنائي	الرمز
00000000	0
00000001	1
00000010	2
00000011	3
00000100	4
00000101	5
00000110	6
00000111	7
00001000	8

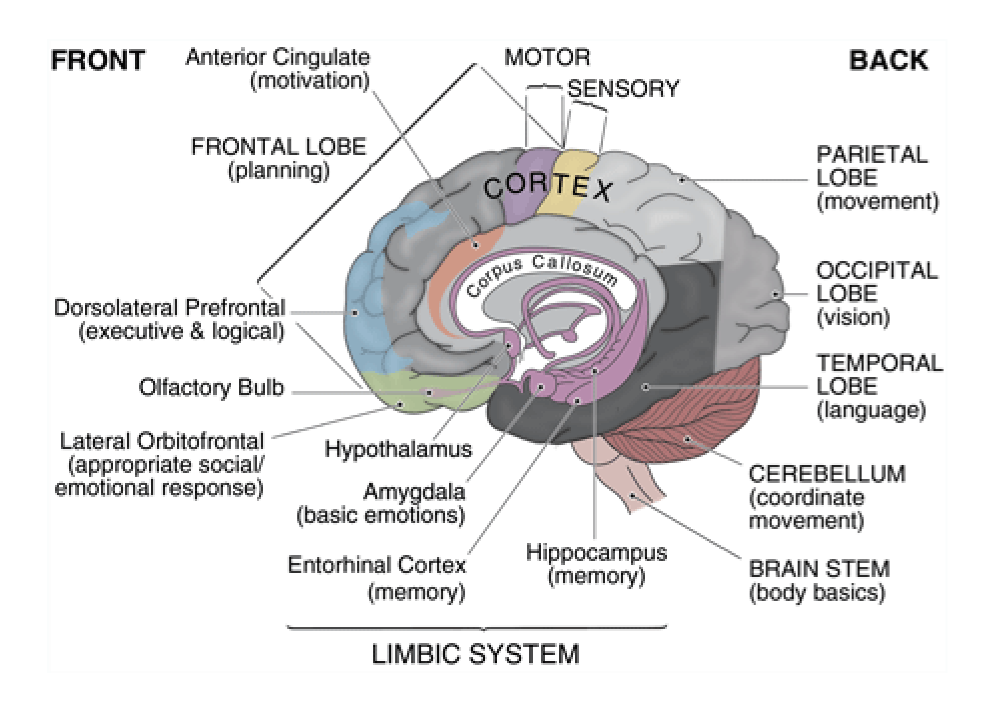
9	00001001
A	01010001
BCP	11000001

تابعت حديثي: تطور علم الحاسوب وتطورت معداته الصلبة (Hardware) والناعمة (Software) واللغات البرمجية التي تتعامل معه من لغات بدائية تتعامل مع اجهزة الحاسوب برموز النظام الجبري الثنائي مباشرة تسمى (Machine Languages) الى لغات ارقى تستخدم المنطق والرموز الرياضية المعروفة وكلمات شبيه باللغة الانكليزية مثل لغة (C^{++}) ... حتى وصلنا الى لغات وتقنيات تحاول تقليد الذكاء الانساني فسمي علمها بعلم الذكاء الاصطناعي (Artificial Intelligence) الغرض منه تمثيل المعرفة الانسانية على الحاسوب ... اما ال Software الذي صمم خصيصاً لتمثيل المعرفة فيسمى (Knowledge Base) و (Expert System) ... كيف تُمثّل المعرفة على الحاسوب، ولو بشكل بدائي مبسّط؟ اشرت الى الشكل على الحاسوب.

بيانات (Data)
↓
بيانات + علاقات بينها
=
معلومات (Information)
↓
معلومات + قواعد مستخرجة من المنطق + قواعد مستخلصة من المعلومات الداخلة
=
معرفة(Knowledge)

هكذا تُمثّل المعرفة على الحاسوب ... دعوني اشرح ذلك بمثال ... تصوروا ان عندي على هذا الحاسوب Expert System مختص بالعلاقات العائلية ... يسألني الحاسوب عن بيانات (Data) فأدخل اسمي "موفق" واسم ابني "كمال" ... يسألني عن العلاقة بين البيانين فأدخل موفق ابو كمال ... الان اصبحت عندنا معلومة على الحاسوب ... يسألني هل هنالك قاعدة تريد ان تضيفها؟ فأدخل القاعدة .. اذا A ابو B فإن B ابن A ... إذا جاء من يسأل هذا الحاسوب كمال ابن من؟ فسوف يكون بمقدوره الجواب كمال ابن موفق ... اي ان ال Expert System استخدم المعلومات والقاعدة لأستنتاج الجواب ... وهنالك ايضاً طُرق لأستخلاص قواعد من النسق في المعلومات المدخلة ... اذا كان فيها نسق معيّن ... هذه هي المعرفة على الحاسوب بصورة مختصرة ومبسّطة.
قال استاذ محمد: ولكن لو كان عندك بنت بدل كمال فعليك ادخال قاعدة اذا كان A ابو B فأن B بنت A أليس كذلك؟
قلت: طبعاً ... فهذا المثال الذي اتيت به مبتسر جداً ... فالبيانات المدخلة عن شئ ما يجب ان تحتوي كل صفاته التي نعرفها ... كمال .. ذكر .. عمره كذا سنة ... الى اخره ... وذلك ينطبق ايضاً على القواعد التي يجب تغطي علاقات القرابة كلها.
سأل سمير: وهل يصل ال Expert System الى مستوى المعرفة والذكاء الانساني؟
قلت: ال Expert System مختصة بمعرفة معينة وتستخدم هذه الايام في مجالات متعددة مثل الطب والقانون ... والبحوث لتطوير برمجيات Knowledge Base تساوي او تفوق في معارفها وذكائها ذكاء الانسان جارية على قدمٍ وساق ... ولكني لا اعتقد انها ستتفوق على الملكات المتعددة للانسان.
ردّ سمير: لِمَ لا؟ كثير من افلام الخيال العلمي ترينا انساناً الياً يتفوق على الانسان.

قلت: دعني اكمل وسوف تعلم لماذا ابديت تلك الملاحظة ... لننتقل الان لشرح كيفية خزن الدماغ للمعلومات ... اشرت الى صورة اخرى على شاشة الحاسوب وتابعت حديثي: هذه صورة مقطعية للدماغ ... سأستخدم بعض المصطلحات الانكليزية مرة اخرى ولن استخدم ما يقابلها بالعربية ... بصراحة لأنها تبدو سخيفة ومضحكة ... الدماغ من اعقد الاعضاء في الجسم ولن ادخل في تفاصيل نحن في غنى عنها بل سأشرح ما يخص موضوعنا فقط.



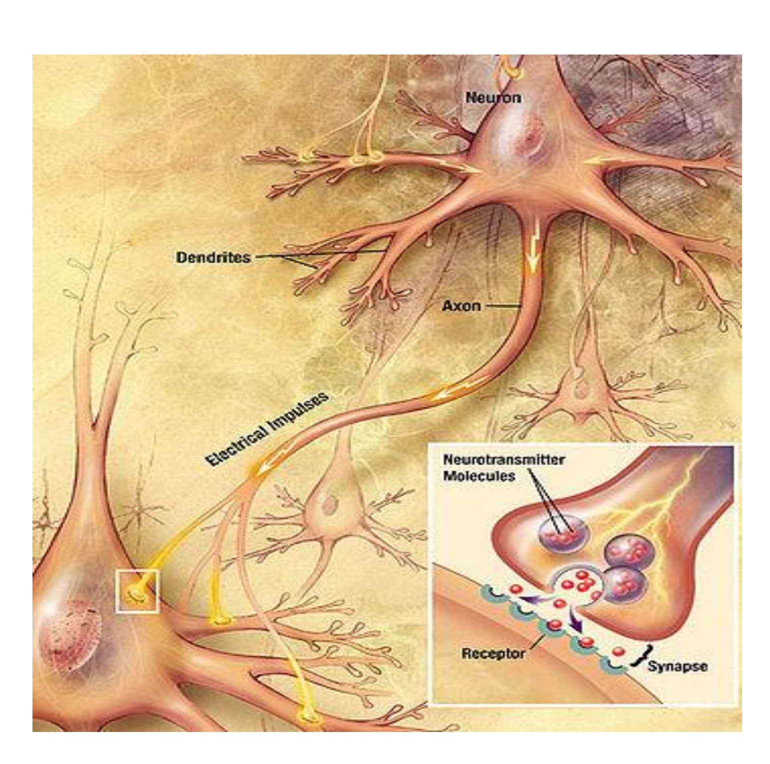
يولد الانسان وفي دماغه برمجيات موروثة ضرورية للحفاظ على حياته كفرد ولأجل استمرارية الجنس البشري ... لنسميّها مجازاً العقل الجمعي للبشر لأن البرمجيات الموروثة الموجودة في افراد الجنس البشري متشابهة ، ويُحفظ معظمها في الجزء المسمى جذع الدماغ (Brain stem) اما برامج تنظيم انسيابية الحركة والكلام فتحفظ في المخيخ (Cerebellum). ففي جذع الدماغ والمخيخ تحفظ كل البرمجيات الضرورية للسيطرة على الافعال اللا ارادية كضربات القلب والتنفس وافرازات الغدد الصماء و التوازن الحركي ، وكذلك كل برمجيات الغرائز الضرورية .. كغريزة الجوع لحفظ حياة الفرد وغريزة التناسل لحفظ الجنس من الانقراض. وهنالك ايضاً فص داخلي هو (Amygdale) مسؤول عن ربط الغرائز والمشاعر الاساسية بالانطباعات.

قال صديقي: ماذا تقصد؟

قلت: الانطباعات عن ما يحدث في العالم الخارجي مثلاً والافكار غالباً ما ترتبط بالمشاعر خذ مثلاً انطباع رؤيتي لحادث دهس قط في الشارع مما أثار حزني وألمي .. وهكذا اصبحت ذكريات الحادث تثير عندي مشاعر الالم المرتبطة بها ... ، تابعت حديثي: امّا القسم الاخر من الدماغ ، اي القسم الذي فوق جذع الدماغ والمخيخ ، فهو القسم الاعظم الذي يكوّن حوالي 70% منه (حوالي سبعين مليار خلية عصبية متشابكة بعدد لايحصى من التوصيلات) ... فهو قشرة الدماغ (Cortex) وفيه عقل الفرد الذي يبدأ عمله عند بدأ حياة الفرد وينتهي بمماته. فهذا القسم مخصص بمعظمه للفرد وعند اكتمال نمو الدماغ في المرحلة الجنينية يكون جزء كبير من الCortex خالي من البرمجيات ولكنه سرعان ما يبدأ بتسجيل انطباعات تمثل التجارب الحياتية لحظه اكتماله في الجنين وبعد الولادة ليكوّن موضعاً تجري فيه العمليات الفكرية ومنبعاً لهوية الانسان الشخصية المتميزة.

يقسّم ال cortex الى خمسة فصوص، ففي فص ال (Frontal) تجري العمليات العقلانية (Rationalism) اي العمليات السببية (Causality) والاستقراء (Induction) والاستنتاج (Deduction) والتعميم

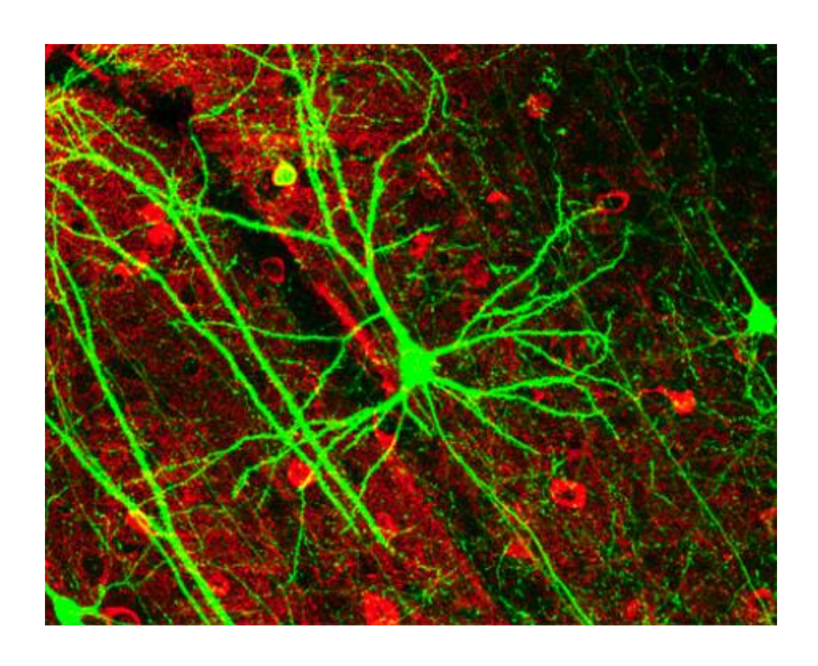
(Generalization) والمقارنة (Comparison) بين الاشياء. والاهم من ذلك كله قابلية خلق وتراكم افكار متجددة واكتساب المهارات العملية من خلال التعلم بالممارسة، فهو عكس العقل الجمعي الذي يتصرف وفق برمجيات موروثة ولا يتمكن من صنع الافكار او اكتساب المهارات ... توقفت عن الشرح برهة فقد كانت ترتسم على الوجوه كثير من علامات الاستفهام فقلت: هل من سؤال؟
ردّ الاستاذ بهنام: هنالك الكثير من الاسئلة عندي وانا متأكد عند الاخرين ايضاً ولكنني لا افضل الدخول في تفاصيل الدماغ فليس هذا هو المطلوب الان ... السؤال الذي يتعلّق بالموضوع ولم تجب عنه لحد الان هو كيف يحفظ الدماغ المعلومات واين؟
يبدو ان ماذكره الاستاذ بهنام يفي بغرض سد باب الاسئلة المتعلقة بالدماغ عدا الاخير منها فقلت: هل تعلمون شيئاً عن الخلية العصبية (Neural Cells) وعملها وكم موجود منها في الدماغ الانساني؟
قال الاستاذ بهنام: أعرف شيئاً عنها مما درسته وأدرّسه ولكني لا اعرف عددها في دماغ الانسان ... لا بد ان عددها بالملايين.
قلت: فهل لك ان تشرح لنا عن مكوناتها وطريقة عملها؟، وبينما كنت احضّر صورة للخلية العصبية على شاشة الحاسوب بدأ الاستاذ بهنام بالقول: بكل رحابة صدر ، وبدأ يؤشر بأصبعه على اجزاء من الصورة على الحاسوب، ... تتكون الخلية العصبية من جسم الخلية وفيه نواتها التي تحوي على الكروسومات .. وهناك امتداد رأيسي منها هو ال(Axon) يتفرع الى عدة تفرعات تسمى ال(Dendrites) تتصل في نهايتها بمئات من الفروع الشعرية تسمى ال(Synopses) وترتبط بمثيلاتها من الخلايا العصبية الاخرى عبر وسيط من مادة شحمية ... فالخلية ترتبط بعدد كبير من الخلايا من الجهتين جهة ال(Axon) والجهه المعاكسه التي توصلها بخلايا اخرى ... عمل الخلية العصبية مرتبط بنقل الاشارة الكهروكيمياوية التي تسير بأتجاه واحد من الخلية عبر ال(Axon) الى الخلايا الاخرى.



سأل قيس: ماذا تقصد بالاشارة الكهروكيمياوية ... وما هو مصدرها؟
قال الاستاذ بهنام: تنتقل الاشارة الكهربائية من خلية الى اخرى عبر عملية كيمياوية ... تصوّر ان اشارة كهربائية انطلقت في خلية عصبية ... تصل عبر ال Axon الى ال Synopses.. تتحفّز نهايات ال Synopses فتنأين ذرات الكالسيوم (اي تصبح موجبة الشحنة) في المادة الشحمية بين ال Synopses ... تنتج شحنة كهربائية محمولة على أيونات البوتاسيوم تدخل الى الخلية الاخرى ويتزايد مقدارها حتى

تؤدي الى انطلاق تيار كهربائي عبر الAxon ثم الى Synopses اخرى لتعاد الكرة بعمليات كيمياوية تنتج ايونات ثم تيار كهربائي .. هكذا من خلية الى اخرى حتى يضعف التيار ويموت.

انتهزت فرصة سكوت الاستاذ بهنام واشرت الى صورة لمجموعة من الخلايا العصبية لوّنت باللون الاخضر لآظهار مرور التيارالكهربائي بها وقلت: هذه صورة مجموعة من الخلايا العصبية في الدماغ ... انظروا كيف تكون نسق معين في الخلايا المحفّزه بالتيار الكهربائي.



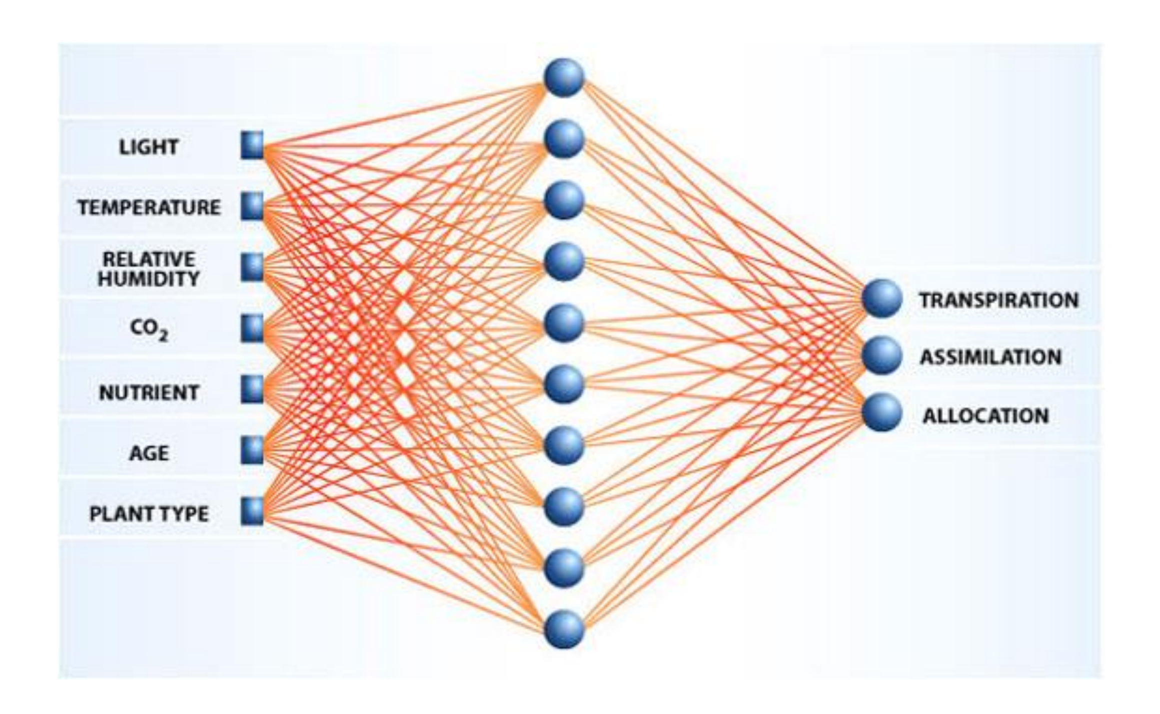
تابعت حديثي: تترك معظم الانطباعات الخارجية اثراً يحفظ لثواني بشكلها الاصلي في الذاكرة الحسّية (Sensory Memory) اولاً ثم تتحول الى نسق (Pattern) متكون من التشعبات التي تمر منها الاشارة الكهروكيميائية في الذاكرة قصيرة الامد (Short Term Memory) وعند تكرارها او لشدّتها المؤثرة تنطبع في الذاكرة الطويلة الامد (Long Term Memory) التي تتوزع حسب نوع الانطباع على الفصوص الدماغية الاربعة: ال(Occipital) وال(Parietal) وال(Frontal) وال(Temporal) . فمثلا يخزن الانطباع الصوري في ال(Occipital).
سأل قيس: أليس هناك مكان خاص للذاكرة في الدماغ كما هو الحال مع الحاسوب.
قلت: لا ... فكما ذكرت ان ذاكرة الانسان تتوزع على الفصوص ، اما المشاعر المرتبطة بالانطباعات فتتصل بال Amegdala التي ترتبط بأجزاء الدماغ المسؤولة عن الانفعالات (the Limbic System).
سأل صديقي: ولكن كيف تنطبع افكارنا وما نراه او نسمعه في الذاكرة؟
قلت: تحفّز فكرة اوانطباع يأتي من خلال حواسنا بعد تصفيته (Filtered) من مئات المؤثرات الخارجية في خلايا المخ العصبية فيجري فيها تيّار كهربائي بنسق معيّن يمثّل تلك الفكرة او الانطباع ... فاذا تكرر ذلك المُحفّز او إذا كان قوياً فأنه يجعل ذلك النسق من التيار المار عبر الموصلات بين الخلايا اقل مقاومة من غيره للتيار الكهربائي ... تصور ان هنالك ماء يجري على رمل ويتشعب اثناء جريانه ... لو استمر اوتكرر جريانه لفترة طويلة او لو كان التيار قوياً لحفَر اخاديد متواصلة يجري فيها الماء كلّما وُجد ماء ... ، ولما كانت نظرة التساؤل لا تزال في عيون المستمعين فقد تابعت محاولتي للتفسير: الموصلات بين الخلايا العصبية تشبه موصلات الاسلاك المعدنية وفيها مقاومة لمرور التيار الكهربائي ولكن مقاومتها تضعف بالمرور المتكررللتيار الكهربائي ... ومن المعروف ان التيار يسعى للمرور عبر التوصيلات الاقل مقاومة ... هذه هي الذاكرة ... انساق من الموصلات بين الخلايا العصبية اقل مقاومة للتيار الكهربائي.

سأل سمير: كيف نتذكّر؟
قلت: اما عملية التذكّر فهي تجري عبر عملية مقارنة بين ما نحاول تذكره وقد تحول الى نسق داخل الدماغ مع انساق الانطباعات المخزونة... وعند ايجاد تطابق ولو جزئي فأن ذلك يساعد على تذكر الاشياء المرتبطة الاخرى لأن ذلك الجزء المطابق مثل رأس الخيط الذي إن امسك به الشخص تمكن من سحب الخيط كله وذلك لترابط الانساق المتعلقة بنفس المعلومة في الذاكرة ... وتكون عملية التذكر ناجحة عند سحب نسخة من معظم المطمور في الدماغ الى منطقة الشعور على سطح الدماغ.
قال الاستاذ محمد: من الصعب تصديق ان الصور والافكار في الدماغ هي مجرّد انساق ... اعتقد انه لو كانت كذلك فأن سعة الدماغ من الذكريات تكون محدودة ... فيمتلئ الدماغ من الانساق بعد فترة قصيرة.
قلت: في الدماغ .. كمعدّل مئة مليار (10^{11}) خلّية عصبية... كل خلية مرتبطة كمعدل ب7000 خلية اخرى من خلال ال Synopses ... يعني كمعدّل هنالك في الدماغ حوالي ($7x\ 10^4$) رابط بين (10^{11}) خلية عصبية ... لا اريد ان ابيّن لك عدد الانساق الممكنة في مثل هذا العدد من الروابط فأنت استاذ الرياضيات ويمكنك تقدير ذلك.
قال الاستاذ محمد: لعلها مليارات المليارات ... ربما اكثر من سعة الكون.
قلت: صدق تقديرك استاذ محمد ... بل هو كما اعتقد اكثر من عدد الذرات في الكون والذي يُقدر ب(10^{80}) ذرة!
قال الاستاذ محمد: هذا يذكرني ببيت شعر يُنسب الى الامام علي

وتحسبُ انك جُرمٌ صغير .. وفيك انطوى العالمُ الأكبرُ

قلت متابعا لحديثي: ... طبعاً ليست كل الخلايا والموصلات بينها متوفرة للذاكرة فقسم منها يخص برمجيات موروثة في المخيخ مثلاً ... وبالرغم من ذلك فأن قابلية استيعاب الدماغ تكاد تكون غير محدودة ... وكون الذاكرة على شكل انساق تشكيلات يسمح بتداخل بعضها اواجزاء منها مع بعض لتكوين نسق تشكيلة جديدة هي فكرة جديدة او شئ غريب متخيّل مثل الحصان الاسطوري ذو القرن المسمة (Unicorn) ، ... سكت برهه ثم تابعت حديثي: والان اود ان اسئلكم ... من كل ما ذكرت عن ذاكرة الحاسوب وذاكرة الانسان ... ماهي الفروق الاساسية بينهما؟
اجاب الاستاذ بهنام على التو: يبدو ان ذاكرة الحاسوب عبارة عن وحدات من بت (Bit) فيها عدد من رقم الصفر والوحد ... امّا ذاكرة الانسان فهي عبارة عن تشكيلات من روابط الخلايا العصبية يجري فيها تيار كهربائي.
قال الاستاذ محمد: ذاكرة الحاسوب ثابتة ... كأنها تسجيل غنائي على شريط صوتي بينما ذاكرة الانسان مرنة بشكل كبير فتغيّر اي فرع من النسق او دمج اي جزء من اجزائها مع نسق اخر يولد نسق جديد وبالتالي صورة او فكرة جديدة ... اضافة الى سعتها الامتناهية تقريباً.
قال صديقي: هنالك وجه تشابه وليس اختلاف ... بل من الاصح القول تناظر ... الدماغ يناظر ال Hardware والبرمجيات الموروثة والمتحدثة في الدماغ تقابل ال Software... كلاهما يستخدم الكهرباء لتسجيل المعلومات ... الكهرباء هو تيار من الالكترونات فيمكن القول الاثنين يستخدمون الالكترونات في تسجيل المعلومات ... ما في البت هو كمية من الالكترونات تمثل رقم واحد وعدمها هو الصفر ... والتيار الذي يجري في النسق بين الخلايا العصبية الكترونات ايضاً.
خرج قيس من سكوته الممزوج بالخجل ليلقي ملاحظة اثارت اعجاب الجميع: كل ما ذكرته عن نظرية المعرفة يخص نوع واحد من المعرفة ... معرفة هذا ... وبرمجيات الذكاء الاصطناعي التي وصفتها هي من نوع معرفة هذا ايضاً ...ولكن يبدو ان الذاكرة في الدماغ تعمل على النوعين من المعرفة ... معرفة هذا بالنسبة للافكار ومعرفة كيف بالنسبة للمهارات ... اليس كذلك؟
قلت: ملاحظة ذكية يا قيس ... يا وردة ... نعم يستخدم الدماغ ميكانيك متشابه في معرفة هذا ومعرفة كيف .. اعتقد ان عملية التدريب لاكتساب مهارة معينة مثل سياقة السيارة تقوم بخلق مجموعة من الانساق في مجموعة من الخلايا العصبية المرتبطة بالاعصاب المحركة للعصلات (Motor Neurons) .. والمهارة

هي عملية الاستجابة الفورية من النسق المناسب الى المحفّز الخارجي المناسب ... مثلاً في حالة مهارة السياقة فأن الاستجابة السريعة لشخص يعبر الطريق امامك بصورة مفاجئة وذلك بالضغط على الفرامل لتلافي الصدمة هي استجابة لا ارادية تقوم بها تلك الانساق المحفوظة ... اخر شئ اريد ان اوضحه يخص محاولة الباحثين لتقليد الدماغ بصنع حاسوب ال (Neural Computer) كما في هذه الصورة على حاسوبي.



هذا هو مخطط لNeural Computer مخصص للسيطرة على الرطوبة وقوة الاضاءة والحرارة في بيت زجاجي للمزروعات ... وهو متكون من ثلاثة طبقات الاولى مجسّات لتحسس الظروف في البيت الزجاجي واصدار اشارة كهربائية الى الطبقة الثانية في حالة استثارة اي من المجسّات ... الطبقة الثانية من وحدات فيها رموز متكونة من عدّة Bits تستجيب لحالة معينة وتفعّل جهاز معيّن في الطبقة الاولى .. لو تلاحظون هذا الحاسوب غير معقّد ومتكون من عدد بسيط من البت فهو لا يصل الى واحد بالمليار من تعقيد الدماغ وعدد الخلايا العصبية فيه

قال سمير: العلم يتقدم بسرعة واعتقد اننا سوف نرى انسان آلي له دماغ يضاهي دماغ الانسان كما في افلام الخيال العلمي.

قلت: قد يتمكن العلماء من صنع انسان آلي يضاهي او حتى يتفوق على ذكاء الانسان في كثير من النواحي ... ولكن لا يمكنهم صنع ما يضاهي الانسان لأن الانسان ليس عقل فقط ... هو ايضاً غرائز وعواطف تكوّنت وتكاملت كل برمجياتها وانساقها الموروثة عبر ملاين السنين من التطور ... التطور هو تطور الانساق في المادة وما موجود فينا من انساق مرتبط بالطبيعة كلها ... نحن ابناء هذه الطبيعة فينا خلاصتها ... نندمج بها ونرتبط بها كما يرتبط الجنين بأمّه بحبل سرّي.

قال صديقي: كيف ذلك ونحن كما ترى افراد منفصلين عن الطبيعة.

قلت: شعورنا كاشخاص منفصلين هو كشعور جبل الثلج المغمور معظمه بالماء ... ينظر حوله فيرى رؤوس جبال الثلج المنفصلة عنه ولا يدري انه في الماء ومن الماء ... لهذا لا يمكن صنع انسان آلي له ما للانسان الطبيعي من غرائز وعواطف هم بنات الطبيعة وجزء منها فما نصنعة بعقولنا منفصل عن

الطبيعة لا يمكنه ان يضاهي ما خلقته الطبيعة منسجماً معها بصورة تامة ... اجسامنا وعقولنا من مادة بانساق عالية التنظيم وكل الطبيعة انساق ... ونحن نتكامل مع الطبيعة ... ألا ترى كيف يسعدنا التأمل في الطبيعة ... يسعدنا ان نحس بالتوافق (Harmony) والتناغم مع الطبيعة كما يتوافق ويتناغم افراد جوق موسيقي يعزف السمفونية التاسعة لبيتهوفن ... تأملوا في الطبيعة فتجدون ما وجدت ...
قال صديقي: شكراً لأنك بمحاضرتك طردت وهم العقل كشئ من مافوق الطبيعة ... كل شئ من الطبيعة واليها ، ارتسم على وجهه تساؤل ، ... ما دام كل شئ من الطبيعة وخاضع لحتمية السببية ... الدماغ مادة من الطبيعة والفكر هو صيرورة في اتساقات في الموصلات بين الخلايا العصبية المصنوعة من مادة ... أليس من المعقول ايضاُ القول ان العقل خاضع لقانون السببية ... ألا يعني هذا ان حرية الارادة هي ايضاً وهم كوهم العقل ما فوق الطبيعة؟ ... ثم ألا ترى ان وهم ما فوق الطبيعة ينهار شئً فشئً كلما فسّر العلم شئ كان خافياً عنّا؟
قلت: هذا موضوع لا يمكن الاجابة عليه بنعم او لا ... لقد فكّرت به وكتبت عنه.
قال صديقي: اذن هل يمكنك تقديم محاضرة اخرى حول موضوع حرية الارادة؟ وافق على ذلك الجميع.
فقلت: سوف استجمع اوراقي حول الموضوع وارتّب لكم محاضرة اخرى ثم اخبركم بموعدها بعد رأس السنة الجديدة لأني سوف اسافر خلالها مع زوجتي الى بريطانيا لزيارة ابنتنا التي تدرس في جامعة مانجستر .. انتهت محاضرة اليوم وشكراً على حضوركم.

محادثات فلسفية مع صديقي (10)

المحادثة العاشرة - حرية إرادة الإنسان:

بعد رجوعي من بريطانيا في نهاية الشهر الأول من السنة الجديدة 2019 اتصلت بصديقي تلفونياً وسألته ان يرتّب لقاء مع شلّة الاصدقاء في مقهى الشابدر لمحاضرتي المرتقبة حول حرية الارادة. وبعد ساعتين اتصل صديقي بي واخبرني بأنه أعلَمَ الاصدقاء بذلك وسيكون لقائنا في المقهى يوم الجمعة المقبل الساعة العاشرة صباحاً. وفي صباح يوم الجمعة المصادف2019/1/11 جاء صديقي ليقلّني من بيتي وبصحبته سمير وقيس وبعد القاء التحية والتبريكات بحلول السنة الجديدة توجّهنا بالسيارة الى منطقة الميدان. أوقف صديقي السيارة في ساحة وقوف السيارات المطلة على شارع الجمهورية قرب مبنى الحاسبة التابع لمديرية كهرباء بغداد. تطلّعت على مبنى الحاسبة وانا اتابع سيري وتداعت ذكريات عملي فيها مشغّلاً ثم مبرمجاً من سنة 1970 حتى سنة 1975. تزاحمت الذكريات في بداية شارع الرشيد حيث ساحة الميدان ... موقف سيارات مصلحة نقل الركاب رقم خمسة الذي كان يقلّني الى بيتنا في منطقة السبع بكار ... الشارع المؤدي الى مدرستي الثانوية ... الثانوية المركزية للبنين ... وهي ليست بعيدة عن محكمة الشعب التي حاكم فيها المهداوي "اذناب العهد البائد" كما كان رجالات الحكم في العهد الملكي يُسمّون بعد ثورة 14 تموز ... هم اشرف بألف مرة من رجالات الحكم اليوم ... وزارة الدفاع وبوابتها الجميلة تلوح عن بعد ... لم تسعف الزعيم عبد الكريم قاسم يوم تحصن بها من مؤامرة البعثيين ... خلف موقف سيارة "المصلحة" رقم خمسة دكّان في واجهته الواسعة تُعرض انواع الفواكه والتمور العراقية والى يساره دكّان صغير لا يتجاوز المترين عرضاً ... يكاد لعابي يسيل وانا اتذكّر الفطور في الصباح الباكر وقوفا امامه بصموّنة مليئة بالقيمر والعسل مع قدح من الحليب الساخن ... صاحب المحل هو ابو الرسّام المعروف ضياء العزّاوي واخوة المهندس كيلان صديق قديم لي ... بضع خطوات من مدخل شارع الرشيد على يميننا خربة كانت يوماً ملهى ليلي ... "تياترو" كما يسمّيها الممثل يوسف العاني ... يرتادها مع صديقه في فلم سعيد افندي ... لمحت وانا اتجاوز سوق الهرج محل كان يبيع تسجيلات صوتية وتذكرت يوم كنت طالباً للدراسات العليا في بريطانيا ومساهمتي في الاحتفال السنوي الذي يقيمه اتحاد طلبة العراق بمناسبة ثورة 14 تموز وكان من بين الحضور يهودي عراقي يكبرني سناً ... تعرفت عليه فسألني ان كنت اعرف شخص يذهب الى بغداد ويأتيه بعدة اشرطة صوتية للمقام العراقي فقلت له عندي هذا الشخص ولكن من اين احصل على الاشرطة التي ترغب بها ، قال في بداية سوق الهرج محل قديم متخصص بتاريخ المقام. واصلنا السير وتجاوزنا خربة اخرى كانت محل حلاقة محمود نديم ... حلّاق والدي وبعض من رجالات العهد الملكي اذكر منهم صديق والدي اللواء الركن صالح زكي توفيق... وبعد محل الحلاق ببضعة خطوات وقبل محلات شربت حاج زبالة الشهير زقاق ضيّق يؤدي الى ساحة القشلة ... كنت لا اتجاوز العاشرة من عمري عندما مررت به بعد حلاقتي مع والدي وإذا بشخص يصيح من اعلى شناشيل بيت قديم ... كمال ... كمال ... نظرنا الى اعلى فأذا برجل نحيف يلبس بجامة مقلّمة بالازرق يرحب بنا ويطلب التفضّل عنده ... شكره ابي كثيراً ثم التفت الي وقال مؤشراً الى الرجل ... هذا عزيز علي ... نظر مرة اخرى الى الرجل وقال ابني موفق معجب بك جداً ... قفز قلبي من مكانه .. هذا هو المنلوجست العظيم عزيز علي .. يبدو ان أبي تعرّف عليه عندما كانا معتقلين في "نگرة السلمان"[4] .. الحّ علينا الرجل بالمجئ عندة وتوسلت بأبي ولكنه اعتذر متعللاً بشغل مهم ينتظره. وصلنا الى شارع المتنبي الذي كان يغص بالناس ثم دخلنا المقهى فاستقبلنا صاحبها عند بابها والاستاذان محمد وبهنام بحرارة تبادلنا أثنائها التهاني بحلول السنة الجديدة. توجهنا الى موقعنا المعتاد عند ركن المقهى بينما نادى الاستاذ محمد على عامل المقهى طالباً الشاي ... وضعت حاسوبي على الطاولة وبدأت حديثي هكذا: صدّقوني إن قلت لكم لولاكم ما تعنّيت لملمة افكاري ووضعها في محاضرة ساعدتني أنا أيضاً على فهم وتوضيح ما خفى من هذا الموضوع الشائك ... مرّت في فكري الكثير من الذكريات عند توجهي مع صاحبي وقيس وسمير الى المقهى ... وها انا هنا اتساءل هل ما حصل في تلك الذكريات كان

---

[4] نگرة السلمان منخفض صحراوي قريب من الحدود السعودية أقام الانكليز أثناء أحتلالهم للعراق فيه قلعة عسكرية لصد هجمات الوهابيين على الاماكن المقدسة في العراق وتحول فيما بعد الى سجن يعتقل فيه المعارضين السياسيين

امراً محتوم بالقضاء والقدر ام ان ارادتي تدخلت في صياغة أحداثها؟ اليوم سأعرض لكم ما توصلت اليه .. عقلي وعقل كل الناس مجبول على البحث عن اسباب المسببات لأن في معرفتها ما يساعدة على تحسين حياتهم وتفادي الصعاب والمخاطر اضافة الى ارضاء فضولهم ... ولكن الصعاب والمخاطر تأتي من كل صوب وحدب فان لم يأتي الموت منها جاء من كِبَر السن ... فبينما يبدو للانسان انه حر في اختيار وفعل ما يروق له من جهة يبدو له من جهة اخرى ان كل شئ محتوم لسبب ما لا حول ولا قوة له عليه ... فأين هي حرية ارادته؟ ... الدين ينسب الارادة والقدرة المطلقة الى خالق العالم ... يؤمن الذين ينفون حرية ارادة الانسان بأن الله قرر مسبقاً كل افعالنا... بينما يؤمن اخرون بان الله وهب الانسان حرية الارادة ليقرر مصيره وقدَره بنفسه ... وفي الحقيقة ان المواقف الدينية من موضوع حرية الارادة فيها تناقض كبير ... وقد يكون بعض اسباب هذا التناقض هو التفسيرات الخاطئة لرجال الدين والمشرعين ... سأقوم اولاً بشرح مبتسر لبعض مواقف الاديان الابراهيمية الثلاث اليهودية والمسيحية والاسلام من حرية ارادة الانسان وارجو ان لا تبخلوا بمداخلاتكم لأغناء المحاضرة بما خفى عنّي ...
الله في الديانة اليهودية يتدخّل بصورة مباشرة في صناعة تاريخ البشر ففي التوراة اشارات واضحة لتدخلة في تقرير الاحداث فيمنح العناية الالهية لمن يودّهم ويغلظ قلوب اعدائهم :

"10 :1 ثم قال الرب لموسى ادخل الى فرعون فاني اغلظت قلبه وقلوب عبيده لكي اصنع اياتي هذه بينهم

10 :2 ولكي تخبر في مسامع ابنك وابن ابنك بما فعلته في مصر وباياتي التي صنعتها بينهم فتعلمون اني انا الرب"

فأين هي حرية الارادة اذن من ربٌّ كلّي القدرة والمعرفة يقرر مسبقاً ما ستفعله وما سيفعل للآخرين؟

رد الاستاذ محمد: اين هي حرية الارادة في القرآن ، ثم بدأ يقرأ من ورقة كان يحملها: "الاسراء (45) وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا".
قلت: هنالك اراء متضاربة حول حرية الارادة في الاسلام سوف آتي عليها ... ولعل ما تشترك به الاديان الثلاثة هو ارتباط حرية الارادة بالمعرفة العقلية ففي المسيحية التي خرجت من رحم اليهودية تطور ملحوظ في الرأي من حرية ارادة الانسان المؤمن في الحياة الدنيا وفي الآخرة وفي الاسلام أراء متناقضه تشبّث بها الفقهاء .. في اسطورة ادم وحواء التوراتية ما هو متواري وراء الكلمات له علاقة بالمعرفة العقلية.
قال صديقي: اذا كنت ستذكر شئ عن المعرفة فأرجوا تذكيرنا بأهم ما فيها بجملتين او ثلاثة.
قلت: للتذكير كما طلب صديقي ... هنالك ثلاثة اشكال من المعرفة .. "معرفة كيف" وهي معرف مكتسبة من خلال الممارسة كمعرفة سياقة السيارة ة وكذلك يمكن اعتبار المعرفة الموروثة كالغرائز من ضمنها والمعرفة عن طريق الاعتياد، كأن تقول لا احتاج الى دليل في منطقة الاعظمية لأن كل أزقّتها مرتسمة في دماغي. وهنالك "معرفة هذا" وهي المعرفة المكتسبة عن طريق المعلومات المسموعة والمكتوبة والمرئية مثل معرفة تركيبة جزيئة الماء من ذرتين من الهايدروجين وذرة من الاوكسجين ومعرفة صورة للفنان بيكاسو مثلاً، نظرت الى الوجوه فلم أجد أعتراضاً فتابعت الحديث: في قصة ادم وحواء التوراتية وخروجهم من الجنة ما يرمز الى اسباب خروجهم المرتبط بإكتسابهم المعرفة العقلية .. أي معرفة هذا ... خلق الله آدم ووضعه في الجنة ثم خلق المرأة شريكةً ورفيقةً له ليستمتعوا بخيرات الجنة الوافرة وهم عراة لايستحون من عريهم فهم على سليقتهم لا يعرفون العيب ولا الخير والشر. ولكن الله طردهم من جنة عدن بعد ان اكلوا ثمرة من شجرة المعرفة فأصبحوا يعرفون العيب والخير والشر. ادم وحواء في الجنة لا يعرفون العيب ولا الخير والشر ... فهم في وضع مشابه للحيوانات التي تعيش في تجمعات تتحكم بها الغرائز وتقتصر المعرفة عندها على "معرفة كيف" اي المعرفة عن طريق الغرائز الموروثة والقليل من المعرفة المكتسبة عن طريق الخبرة ... تعبّر التوراة عن تزاوج ادم بحواء بأنه معرفة "

توراة: 4: 1 فعرف ادم حواء..."
فغريزة التناسل هنا هي معرفة ولكنها من نوع "معرفة كيف" .. وبغواية ابليس المتمثل بالحية اكل ادم وحواء من شجرة المعرفة فعرفوا الخير والشر وستروا عورتهم ... ان شجرة المعرفة هي عقل الانسان وفيها المنظومة الاخلاقية التي رأت في عري ادم وحواء عيب ... لا مجال للتساءل عن حرية الارادة في حياة تحكمها الغرائز قبل ان يكون للانسان عقل ...
قال صديقي: ألا تبدو قصة ادم وحواء في التوراة والتي تجد ما يماثلها في القرآن كأنها ذم لعقل الانسان الذي خرج بعقلة عن طاعة الله وبدأ يتصرّف في حياته وفق عقله وليس وفق ما غرسه الله فيه من غرائز.
قلت: يبدو ذلك حقاً ... فلكي يكسب المؤمن رضا الله ثانية وجب علية إطاعة تعاليمه المسطّرة في الكتب السماوية .. عسى ان يرجعه الله في حياة الاخرة الى جنة الخلد التي فقدها ... الجنّة لليهودي الاصولي هي تلك التي فقدها ... جنة الاستمتاع بالاحاسيس الغريزية ... لا فكر ولا تفكير.
قال صديقي: أليست هذه ايضاً جنّة المسلم ... 72 حورية وغلمان مخلّدون ... وخمر واعناب ...
قلت: هذا هو الرأي السائد الذي روجت له المشايخ الدينية ... وهنالك اراء اخرى ...
قال الاستاذ بهنام: في المسيحية هنالك رأي مختلف ... الرب عقل كامل وعقل الانسان يقترب من عقل الرب عندما ينقّى من شرور القلب بمقاومة الاغراءات ... فالجنّة في المسيحية هي جنّة العقل المنقّى الذي يعيش في كنف العقل الاعظم كما اعتقد.
قال صديقي: نبذ كل ما يتصل بالجسد المادي هو جزء من الفكر العرفاني الذي تأثرت به المسيحية كثيراً.
سأل قيس: العفو استاذ ولكن ماهو هذ الفكر الذي سميته العرفاني؟
رد صديقي بعد لحظات استجمع فيها ما يعرفه: هنالك فكر فلسفي عم منطقة الشرق الاوسط ونضج في فلسفة افلاطون التي تدّعي الازدواجية في الانسان ... عقل لا مادي لا يموت وجسد مادي يموت ... تسرّب هذا الفكر الى المفاهيم الدينية التي تنسب حياة الانسان وعقله الى روح تعيش في جسد تفارقه الى عالم الارواح عند الموت .. الروح في صراع بين متناقضين ... جسد مادي فاني يجرّه الى اسفل وعقل لا مادي يتسامى به الى اعلى ليندمج بالعقل السرمدي الاعظم ... ظهرت جماعات قبل مجئ المسيح ... ربما بأكثر من مئة سنة في منطقة الشام التي تشمل فلسطين تدّعي معرفة سر الحقيقة الكبرى وطريقة التواصل مع العقل الاعظم ... ومن هنا جاء اسم العرفانيون ... وفي الانكليزية هم (Gnostics) وهي كلمة محوّرة من الاصل الأغريقي.
قاطع السيد بهنام: تقصد بالعقل الاعظم الرب ... الله ... اليس كذلك؟
رد صديقي: هو المقصود بالفعل ولكن ربما حمل اسماء اخرى غير الرب او الله ... فهذه الجماعات التي تدعي معرفة طريق التواصل مع العقل الاعظم ابقت هذا السر قريباً من صدورها ولكن ما تبيّن من اثارها يدل على ان كثير منها عاش حياة الرهبنة في المناطق الصحراوية النائية او في مغارات الجبال.
قال الاستاذ بهنام: لعل مخطوطات قمران التي عُثر عليها في مغارات قرب البحر الميت اواسط القرن الماضي هي جزء من تراث بعض هذه الجماعات.
رد صديقي: هذه اللفافات كما اذكرهي جزء من التراث اليهودي لجماعة معروفين بالأسيين وكان قسم منهم يعيش حياة التقشّف في الكهوف... يعود قسم من تلك اللفافات الى مئة سنة قبل ميلاد المسيح ولعل فيها الكثير من تأثير الفكر العرفاني ... قسم متطرّف من العرفانيين كان ينبذ كل مافي الارض والحياة عليها فهي شر مطلق خلقة شيطان الدِميورج (Demiurge) ويعيش بعيداً عن الناس الى يوم تتخلّى روحهم عن الجسد الفاني الذي اضعفت شهواته حياة الرهبنة والتبتل عند الموت لتحيى الى الابد برفقة الروح او العقل الاعظم كما يعتقدون... وكما اعتقد فان الدين المسيحي هو تزاوج بين الدين اليهودي والفكر العرفاني ... فحياة المسيح كما تروى في الكتب المسيحية هي حياة راهب نبذ الحياة الدنيا من اجل ملكوت السماء ... والله فكر مطلق ازلي متسامي على المادة.
عقّب الاستاذ بهنام: "في البدء كانت الكلمة وكانت الكلمة مع الله وكان الله هو الكلمة" هذا ما يبتدء به العهد الجديد ... الانجيل.
قلت: اغنيتمونا بمعلوماتكم القيّمة ... في الحقيقة ان تأثير الفكر العرفاني على المسيحية واضح من مما ذكرة الاستاذ بهنام ... وبصدد شرور القلب اي كل ما له علاقة بالغرائز والعواطف اذكر ما جاء في سفر التكوين

من التوراة: "6 :5 وراى الرب ان شر الانسان قد كثر في الارض وان كل تصور افكار قلبه انما هو شرير كل يوم".
قال الاستاذ محمد: اجد ان هنالك تناقض بين ما ذكرة السيد بهنام من ان الجنّة في المسيحية هي جنّة العقل المنقّى الذي يعيش في كنف العقل الاعظم وبين هذا الاصحاح من سفر التكوين الذي ذكرته بمعنى ان افكار القلب شريرة ... المتعة العقلية لا تأتي إلّا مع نوع من العاطفة ومن دون تلك العاطفة فأن العقل لا يتعدى كونه آلة تقوم بعمليات منطقية وحسابية ... فما قيمة هذه الجنّة العقلية من دون تلك العاطفة التي يسميها هذا الاصحاح بشرور القلب.
علّق صديقي: كأن هذه الجنّة مجموعة من الحاسبوات المتّصلة مع بعضها (Networked Computer).
واصلت حديثي: ولكن اين حرية ارادة الانسان في مثل هذه النظرة الفلسفية التي تجعل من الانسان المؤمن مذنب منذ ولادته ... بَنت الكنيسة الكاثولوكية اسس هيمنتها على المؤمنين من خلال عقدة الذنب التي تتطلب الاستسلام الكلي لرجال الدين بعقولهم واجسادهم من اجل خلاص ارواحم ...
قال صديقي: في هذا الصدد وفي ما يخص الاسلام تعجبني كثيراً رباعيات الخيام ... خصوصاً تلك النسخة المترجمة من الفارسية لعبد الحق فاضل ... وهو مفكر عراقي فذ ولكن مع الاسف لا يعرفه الكثيرين منّا ... اذكر منها:

ابدع الصانعُ تركيب طباع البشرِ
فلماذا شانها بالنّقص اوالوضَرِ؟
فأن جاءت ملاحاً فلماذا خرّبها؟
أو تكن جاءت قباحاً فعلى من عيبُها؟

قلت: هذا جميل ... الخيّام يلخص مشكلة حرية ارادة الانسان في الاديان بصورة عامة ... فالاسلام كما هو معروف وليد اليهودية والمسيحية ولكنه تشبّع بفكر البلدان المحتلّة التي اسس فيها امبراطورياته وخصوصاً العراق بما يحمله من ارث الامبراطوية الساسانية وسوريا بما تحمله من ارث الامبراطورية البيزنطية ... ترجع اصول مسألة حرية ارادة الانسان الى صدر الاسلام وبوادر فكرة القَدَرالى شخص اسمه معبد الجهمي ... وفي حكم الخليفة الاموي عمر بن عبد العزيز ظهرت فرقة القدرية ومؤسسها غيلان الدمشقي الذي اخذ من فكر معبد الجهمي ... فهو يرى ان الاحداث البشرية هي بمشيئة البشر وليست بمشيئة الله ... وعلية فالله لا يعلم بالشئ الذي يقوم به البشر إلا بعد حدوثه ... وقد اختفت هذه الفرقة بعد ان صلب الخليفة هشام بن عبد الملك صاحبها ... وفي الفكر الصوفي الذي ظهر انذاك ايضاً بوادر تفكير معاكس ينسب قَدَر الانسان الى الله ولا طريق الى الخلاص إلّا بالتسامي فوق عالم الدنيا بالتفاني في حب الله ... وخير مثال لهذا الفكر هو رابعة العدوية التي عاشت في البصرة في القرن الهجري الاول.
قال الاستاذ محمد: لرابعة العدوية قصائد بديعة منها تلك التي غنّتها ام كلثوم:

عرفت الهوى مذ عرفت هواك   واغلقت قلبي عمن سواك
وكنت اناجيك يا من ترى   خفايا القلوب ولسنا نراك
احبك حبّين حب الهوى   وحباً لأنك اهل لذاك
فأما الذي هو حب الهوى   فشغلي بذكراك عمن سواك

القصيدة طويلة وهذا فقط مقطع منها ...
استفهم الاستاذ بهنام: انا لا اعلم لماذا هذه القسوة في قمع من له فكر مخالف مثل فكر غيلان الدمشقي ... في تاريخ المسيحية القديم بشاعات وتنكيل لا يوصف بمن خرج عن خط الكنيسة الايدولوجي ... محاكم التفتيش وسنين الحروب بين البروتستان والكاثوليك اضافة الى الحروب الصليبية التي اذاقت مسيحي الشرق الويلات.
قلت: لأن فكر حر ... وخاصة مثل فكر غيلان يشجع الناس على استعمال عقولهم ونتيجة ذلك الحتمية ... عدم تصديق حاكم يدعّي ان سلطته وملكه وخنوعهم لحكمه وفقرهم هو قدَر من الله ومقاومته كفر ... وعليه

اصبحت عقيدة الدولة المسلمة على مر العصور هي عقيدة قضاء الله وقدره فقرّبت كل المشرعين الذين بررروا خط الخنوع لخليفة المسلمين عدا من فترات قليلة انتعش فيها الفكر الحر ... بعض المفكرين اتخذ من الحركات العلوية ضد السلطة ملجئ يتقّي به بطشها وهو محصن بمذهب التقيّة او انظم الى منظمات سريّة يمكنه من خلالها نشر افكاره الحرة ... مثل جمعية اخوان الصفا وخلّان الوفى التي كتبت اول انساكلوبيديا للعلوم ، كانت النظرات الحائرة لقيس وسمير تدل على استعصاء فهم بعض ما ذكرته فانبرى صديقي بالتفسير: مذهب التقيّة هو احد مذاهب الشيعة الاثناعشرية في اخفاء المعتقد خشية الضرر المادي او المعنوي ... برره الامام الصادق ايام حكم العباسيين التي اضطهدت أئمة ال البيت بايات قرآنية واحاديث لا اتذكرها.
قال الاستاذ محمد: الاية من سورة آل عمران " لا يَتَّخِذُ المُؤمِنُونَ الكَافِرِينَ أَولِيَاءَ مِن دُونِ المُؤمِنِينَ وَمَن يَفْعَلُ ذَلِكَ فَلَيسَ مِنَ اللهِ فِي شيءٍ إِلاَّ أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُم تُقَاةً".
شكر صديقي الاستاذ محمد واكمل حديثه: ... اما اخوان الصفا فهم جماعة من المفكرين والعلماء الذين اضطروا في جو الاضطهاد الفكري زمن العباسيين الى العمل بالسر ويقال ان ابن سينا كان واحد منهم ... وبالمناسبة فأن اطروحة رئيس جمهوريتنا السابق فؤاد معصوم لنيل الدكتوراه في مصر كانت عن اخوان الصفا ولدي نسخة الكترونية منها لمن يريد الاطلاع.
تابعت حديثي: قلت كانت هناك فترات قصيرة انتعش فيها الفكر الحر في ظل الامبراطوية العباسية (750 - 1031) فقد تكالب المترجمون السريان على ترجمة نتاج الحضارة الاغريقية ونشأت المذاهب الدينية التي اسست لحضارة اسلامية تعتمد القران والسنّة النبوية ... رافق ذلك احتدام الصراع الفكري بين أتجاهين اسلاميين ... اتجاه المؤمنون بحرية الارادة واتجاة المؤمنون بالقضاء والقدر وحملت لواء الاتجاه الاول فرقة المعتزلة التي ظهرت في البصرة في نهاية العصر الاموي وازدهرت في العصر العباسي واعتمدت على العقل في تأسيس عقائدها وقالت بوجوب معرفة الله وتفسير اياته في القران بالعقل وقدّمته على الشرع اذا تعارضا ... وقالت ان قدَر الانسان بيده ، ولذلك سُميت تلك الفرقة بالقدرية ايضاً ... رأيها ان الله اعطي الانسان حرية الارادة ولهذا كان جزاءه يوم القيامة بما ارتكبت يداه من الخير او الشر ... اما فرقة القضاء والقدر ، و سُمّيت بالجبرية ، وعلى رأسها اتباع المذهب الحنبلي فتقول ان الله كلّي القدرة والعلم وهو وحده من يقرر مصير الانسان وقدَره ... كل فريق يسند رأيه بأيات قرآنية من مثل "إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا" و " قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ" للفريق الاول ومن مثل " قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ " و " قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ" للفريق الثاني ... وفي فترة حكم الخليفة العباسي المستنير المأمون (812 - 833) اصبح مذهب المعتزلة هو مذهب الدولة الرسمي وتم قمع انصار المذهب الحنبلي واضطهادهم ولكن الانفتاح الفكري الذي دشنه عهد المأمون انتكس الى موقع الجبريين بعد وفاته فتم القضاء على المذهب المعتزلي وظهرت في الافق مذاهب اسلامية متحجره على مفاهيم رجعية استمرت حتى يومنا هذا.
سأل الاستاذ محمد: لماذا بأعتقادك انتهى المعتزلة من دون رجعة حتى يومنا هذا؟
قلت: تأثر الفكر الاسلامي كثيراً بالفكر اليوناني فسارت الفلسفة الاسلامية على درب الفلسفة الافلاطونية والافلاطونية الحديثة وكان المعتزلة يتبعون طريقة جدلية تسمى علم الكلام وهي مشتقة من منطق أرسطو الجدلي (Syllogism) الذي يصل الى النتيجة المرجوة من خلال استنتاج من المقدمات المطروحة.
قاطعني صديقي: قف عندك قبل ان تواصل الكلام واشرح لنا بأقتضاب ماهي الافلاطونية الجديدة وكذلك اعطنا مثال على منطق ارسطو الجدلي.
قلت: الافلاطونية الجديدة تنسب الى فيلسوف اغريقي عاش في مصر في القرن الثاني بعد الميلاد اسمه (Plotinus) وفلسفته تقوم على ثلاثة مبادئ هي الواحد ، اي الله ، والعقل والروح وقد اعتمدت عليه الفلسفة الدينية المسيحية والاسلامية وكان يشار اليه بالشيخ الكبير ... أما منطق افلادون فهذا المثال يوضحة.

كل البشر يموتون
سقراط بشر
سقراط يموت

مقدمة كبيرة عامة مقدمة صغيرة خاصة ثم نتيجة ... نرجع الى موضوعنا ... قلت ان المعتزلة استخدموا علم الكلام لتبرير معتقدهم وحدث ان واحد منهم ضليع بعلم الكلام وهو ابو موسى الاشعري خرج عليهم واصبح من دعاة الفريق المعادي فدحض كل مقولات المعتزلة مستخدماً علم الكلام نفسه ... وهذا مثال على ان المنطق العقلي لا يمكن دحضه إلا بمنطق عقلي مضاد احسن منه ... اضيف الى ذلك ان المنطق مهما كان حسناً قد تدحضه التجربة العملية وعليه وجب التفكير بمنطق يناسب نتائج تلك التجربة العملية.
علّق صديقي: هذا يذكرني ببعض الاحزاب السياسية سواء كانت دينية او غير دينية ... تدّعي ان منطق حزبها مضبوط 100% وحتى ان بعضهم يقرنه بالعلم ... الاشتراكية العلمية ... وينسون او يتناسون حقيقة ان المنطق والعلم وخصوصاً في السياسة يتطلب التجربة والممارسة العملية التي فشل فيها الجميع.
قلت: كلامك صحيح يا صديقي ... للأشعري مساهمة في موضوع حرية الارادة اراد بها التقريب بين وجهتي النظر المتعارضة لتتعايش القدَرية مع الجبرية ... وفيها ان هنالك عاملان لكل فعل بشري العامل الاول هو الجبر الذي خلقه الله في الانسان والعامل الثاني هو حرية ارادة الانسان (قدَره بيده) ليختار او لا يختار جبر الله فيه ... بكلمة اخرى ... كل الطرق التي تؤدي الى الفعل الانساني هي من صنع الله وما على الانسان إلا ان يختار منها فأن اختار الطريق الذي املاه الله جزاه الله في الآخرة خيراً ... طبعاً هذا الكلام منطقي ومعقول ولكن يمكن مجابهته بمثل ما ذكره صديقي في رباعية عمر الخيّام ... اي كيف يمكننا ان نختار الطريق الصحيح من دون ان نزلّ عنه الى طرق الظلال بسبب ان الله خلقنا غير كاملين ... لقد انتهيت من مسأله الارادة الحرة في الاديان السماوية وسوف اتطرق الى وجهة النظر العلمية حولها ولكن بعد فترة الاستراحة ، صحت على عامل المقهى: چايات تجديد ... بينما اخرج سمير وقيس بعض الكعك والحلوى من كيس كان معهم ووضعوه على الطاولة.

محادثات فلسفية مع صديقي (11)

المحادثة الحادية عشر - حرية إرادة الانسان:

بدأت بأكمال محاضرتي بعد نصف ساعة من الاستراحة التي جرى فيها الحديث عن بعض احداث السنة الماضية وكيفية قضاء بعض الاصدقاء عطلة رأس السنة: كان حديثي عن مسالة حرية الارادة في الدين وكيف ان الرأي السائد هو ان الانسان لا يملك حرية الارادة بل يخضع للقدر الذي قدره الله لنا ... وحتى لو ان الله أعطى الانسان قدراً من حرية الأرادة فهي أرادة مقيّدة بأتباع ما سَنّهُ في كُتبهِ وإلّا فَعذابُ الاخرة ينتظر الذين لا يمشون على سراطه المستقيم ... وجهة نظر الدين ان حرية الارادة هي جزء من عالم ما فوق الطبيعة اللامادي فهي إذن بيد خالق عالم الطبيعة لو شاء ان يمنحها للانسان فسيمنحها بشروط يؤدي إتّباعها .. في الحقيقة .. الى سلبها.
ردد صديقي: يبدو ان حرية الارادة جزء من المنظومة الايمانية التي ينقصها التبرير العلمي ... مثل الله والعقل والروح.
تابعت حديثي: إذا اردنا ان نفهم وجهة نظر العلم من حرية ارادة للإنسان او أنعدامها فعلينا ان نبحث عنها في تركيبة الانسان المادية لأن العلم يرى ان الانسان هو جزء من الطبيعة المادية الديناميكية الحركية .. الحركة في المادة تأخذ اشكالاً مختلفة غير الحركة البسيطة للاجسام مثل حركة الالكترونات في السلك المعدني التي نسميها تيار كهربائي وحركة الالكترونات في نسق معيّن بين ذرّات المركّبات المادية التي نسميها تفاعلات كيمياوية ... عقل الانسان وجسده جزء من عالم الطبيعة المادي ... ما قد يُستنتج منطقياً من كون العمليات العقلية هي عمليات تنتمي الى عالم المادة والحركة هو انتفاء وجود حرية إرادة الانسان لأن المادة محكومة بقانون السببية وكل حَدَث في الطبيعة هو نتيجة لفعل سابق .. وكل نتيجة جاءت من سبب مسبق .. وهكذا بسلسلة من السبب والنتيجة ... المادة .. من ابسط مركباتها الى اعقدها كما في الانسان تتبع قانون السببية الصارم الذي لا وجود لحرية الخروج منه ... أليس كذلك؟ ، نظرت الى الوجوه الحائرة دون ان انبس بكلمة اخرى حتى تكلم سمير متسائلاً: استاذ ... يعني حرية الارادة في العلم تشابه الرأي الديني ... أليس كذلك؟
علّق صاحبي بمثل عراقي متهكماً: يعني خوجة علي مُلّة علي.
اجبت: ... للخروج من هذا المأزق اقترح بعض العلماء حلاً له علاقة بأحد أعمدة نظرية ميكانيك الكم (Quantum Mechanics) الفيزيائية .. أي ب (The Uncertainty Principle) .. مبدأ عدم التأكد الذي سبق ان شرحت شئ عنه سابقاً
سأل سمير: استاذ ... اعلم ان الموضوع معقّد يتطلب معرفة عميقة بالفيزياء ولكن هل بأمكانك تعيد تذكيرنا بهذا الذي سمّيته مبدأ عدم التأكد ولو بشكل مبّسط؟
قلت: مبدأ عدم التأكد يقول بأنه لا يمكن تلافي الخطأ في قياس خصائص المادة مثل طاقتها او زمن تواجدها في بقعة معينة اوزخمها ، اي حاصل ضرب كتلتها بسرعتها ، بالضبط حتى لو كانت اجهزة القياس التي نستخدمها مضبوطة 100% لأن الخطا نابع من طبيعة المادة نفسها
قال الاستاذ محمد: من الصعب تصديق ذلك فمن الناحية العملية يمكن قياس طول الشئ مثلاً بالضبط ... منطق الرياضيات لا يسمح بذلك فلكل قيمة محددة لمتغير على يسار المعادلة هنالك قيمة محددة لمتغيّر على يمين المعادلة.
تسائل سمير: ولكن استاذ لوكان عندنا معادلة مثل س^2 = ص فأن س اما ان يكون س نتيجة حاصل ضرب جذر ص في جذر ص ($\sqrt{ص}$ **X** $\sqrt{ص}$) او نتيجة حاصل ضرب ناقص جذر ص في ناقص جذر ص (($-\sqrt{ص}$) **X** ($-\sqrt{ص}$)) الفرق بين القيمتين الموجبة والسالبة هو $\mathbf{2}\sqrt{ص}$ ... هنا في الريضيات نجد شئ مشابه لما ذكره استاذ موفق في ما يتعلّق بخطأ القياس.

رد الاستاذ محمد: ولكننا نعرف ان س له قيمة واحدة محددة وكذلك أن ص له قيمتين محددتان
قلت: .. في ما يخص ما ذكره الاستاذ محمد حول امكانية قياس طول الشي مثلاً ومن الناحية النظرية بصورة مضبوطة فأنا أؤيد ذلك ولكن الخطأ في قياساتنا لخصائص المادة لا يكون واضحاً إلا في العالم الصغير جداً للجسيمات الاولية مثل الذرات والالكترونات فقيمة ثابت بلانك هي ($6.626x10^{-34}j.s$) والخطأ الذي يساوي هذه القيمة صغير جداً حتى على مستوى حجم وكتلة الذرة فكيف من الممكن ملاحظته على مستوى عالمنا المحسوس؟ ... المهم في ما يخص موضوعنا ان عدم التأكد في قياس خصائص المادة نتيجة طبيعة المادة نفسها ادّى الى الاعتقاد ان المادة على مستوى عالم الجسيمات الاولية لا تعمل وفق قانون السببية ... اي ان هنالك فجوة بين السبب ونتيجته بمقدار ثابت بلانك مقسوم على (4π) او اكثر مما حدى ببروفيسور مشهور مثل روبرت بنروس (Roger Penrose) الى القول ان حرية الارادة تعمل في تلك الفجوة الغير محددة بين الفعل ورد الفعل الناتج عن العمليات الكهروكيمياوية في ذرات خلايا الدماغ العصبية وتفرعاتها ... اسألكم ... هل يبدو هذا التعليل معقولاً؟
وبعد وجوم وتردد اجاب سمير: عقلياً .. لا يبدو ذلك مقبولاً لي ... ربما لانّي لم استوعب او افهم الموضوع جيداً.
قال الاستاذ بهنام: موضوع الخطأ هو في قياس خصائص المادة ... اي اننا لا يمكننا التأكد من قياس متغيرات المادة بصورة مضبوطة ... وليس لأن الوجود المادي غير مضبوط!
وقبل ان يسترسل الاخرين في التعليلات قلت: بالضبط استاذ بهنام ... هذا ما كنت اود ان اسمعه ... لقد ادّى التصور المغلوط لمبدأ عدم التأكد الى تصورات ونتائج خاطئة يميل بعضها الى تبريرات يجدها في ما فوق الطبيعة ... على كل حال انا ايضاً لا اصدّق هذا التعليل للارادة الحرة لأنه يمثّل حل اكثر غموضاً من المسالة المطروحة ... لِمَ لا يبيّن لنا بنروس كيف تتكون ارادة الانسان الحرة في تلك الفجوات بين الفعل ورد الفعل ... انا لا اعتقد ان هناك فجوة على مستوى عالم الذرات بين الفعل ورد الفعل ... موضوع الفجوة في اعتقادي هو مثل المعادلة الرياضية التي طرحها سمير ... س له قيمة واحدة ولكننا لا نعرف اهو نتيجة جذر ص او ناقص جذر ص ...
تساءل صديقي: هل ننسى امر ارادة الانسان الحرة وتقتنع بأن الانسان مسيّر لا مخّير... من الله بالنسبة للمؤمنين او من الطبيعة بالنسبة لغير المؤمنين ... ؟
قلت: انا ايضاً تحيّرت في اول الامر ولكني قررت ان ادرس الموضوع بعناية ... اولاً بحثت في امهات القواميس والموسوعات العلمية عن تعريف لحرية الارادة فوجدت التعريف المناسب بالانكليزية في موسوعة وكبيديا على الانترنت (http://en.wikipedia.org/wiki/Free_will):

"The putative ability of agents to make choices free from certain kinds of constraints"

والترجمة العربية: حرية الارادة هي القابلية الافتراضية للشخص لعمل خيارات حرة من قيود معيّنة.
اي انها قالبية عمل خيارات عقلية تمثّل حلول لمشكلة او مسألة مطروحة من دون تأثير أي من العوامل والضغوط الخارجية او الداخلية مثل خلل جسدي او دماغي يوثر على قرار الشخص.
قال صديقي: ... او وحي مفترض من الله.
قلت: او وحي من ما فوق الطبيعة يؤثر على الخيار الذاتي للشخص ...
قال صديقي: هذا التعريف يؤكد ما ذكرته سابقاً من ان مسألة حرية ارادة الانسان لا علاقة لها بما فوق الطبيعة فهي مسألة عمل خيارات حرّة يقوم بها عقل الانسان.
قال قيس: كذلك فأن عمل الخيارات وهو عمل عقلي وليس فعلي ولا يتطلب جهد عضلي.
قلت: احسنتم بهذه الملاحضات المهمة ... والشئ الاخر الذي اود ان تنتبهوا له هو انه وفق هذا التعريف فأن حرية الارادة لا علاقة لها بعمل قانون السببية في المادة ... وما دام الانسان قادر على عمل خيارات عقلية فسعة هذه الارادة ... اي مقدار الحرّية فيها تحدده الكلمتين المهمتين في التعريف ... عمل خيارات ...

الكلمة الاولى عمل ... وكما قال قيس هو عمل عقلي ينتج افكاراً تمثّل خيارات ولا علاقة له بتنفيذ خيار من الخيارات على ارض الواقع ... تنفيذ الخيار على ارض الواقع يخضع لقانون السببية الصارم ولا مجال فيه لحرية الارادة.

قال صديقي: وضّح ... بمثال في ما يخص ما ذكرته حول الخيارات.

قلت: افترض اني اود ان اسافر الى البصرة ... افكر بالوسيلة التي سوف تنقلني من بغداد الى البصرة ... افكّر بعدة خيارات ... القطار من المحطة العالمية ... السيارة من مرأب علاوي الحلّة ... الطيارة من مطار بغداد الدولي ... هذه كلها خيارات مرت بذهني.

قال الاستاذ محمد: ذكريات طفولتي الجميلة تدفعني للسفر بالقطارلو كنت مكانك.

قلت: هذا مثال لتدخّل العاطفة في الخيارات المطروحة فهذا لايدخل ضمن الارادة الحرة ... الارادة الحرة ناتجة عن العقلانية (Rationalism) وحدها ... تُطرح كل الخيارات وحتى الغير عملية منها ثم يجري التفاضل بينها بمنطق عقلي ونختار الافضل والقابل للتنفيذ.

سأل قيس: ما هي العقلانية استاذ ... كيف تعرّفها؟

قلت: العقلانية هي استخدام المنطق العقلي وتتضمن عمليات معقّدة لحل المسائل والحكم عليها ... وتتضمّن ايضاً معرفة العلاقات بين الاشياء وايجاد الصلات بين الاسباب ونتائجها وكذلك تصنيفها او تنظيمها حسب خصائصها وكذلك عملية التعميم ... وكما تتذكرون من محاضرة سابقة يمكن لبرامج متخصصة ومن جملتها برامج الذكاء الاصطناعي (Artificial Intelligence) على الحاسوب ان تقوم بكثير من تلك العمليات.

سأل سمير: ماذا تقصد بالتعميم استاذ؟

قلت: مثلاً ينظر الانسان الى نبات له جذع فوقه فروع واغصان واوراق فيعطية اسم ما... ينظر الى نبات من نوع اخر وله جذع فوقه فروع واغصان واوراق فيعطيه اسم آخر ... واخر مثلهم ... يستنتج تعميم اسمه شجرة لكل نبات له جذع وفوقه فروع واغصان واوراق ... من خلال تراكم المفاهيم تنمو شجرة المعرفه في عقل الانسان ... يمكن تصور هذه الشجرة ... فأغصانها مفاهيم اولية من الواقع المرئي والمسموع ونقاط التقاء فروع صغيرة منها بنقطة واحدة تمثل تعميم من التعميمات.

سأل قيس: استاذ هل من الممكن تعطينا فكرة عن كيفية تمثيل المنطق العقلي في الحاسوب؟

قلت: عملت لفترات طويلة من حياتي كمبرمج واستخدمت لغات للحاسوب تزيد على اصابع اليد ... كل اللغات التي استخدمتها فيها مجموعة من الاوامر (Statements) ندرجها بشكل متسلسل في برنامج يقوم بعمل معين على الحاسوب عند تنفيذه ... احد هذه الاوامر هو امر يحاكي قانون السببية المشروط ويأتي بأشكال متعددة في كل لغة من لغات الحاسوب ويسمى (If Conditional Statement) ... انظروا الى هذا المثال على حاسوبي الذي يمثّل نصه الاساسي:

If X then Y
Meaning
If (condition X) Then (result Y)

ويعني ذلك:
اذا تحقق شرط X فالنتيجة هي Y

هذه عملية عقلانية تشبه قانون السببية في عالم المادة ... فشرط حدوث شئ معيّن يؤدي الى نتيجة حتمية معيّنة ... تصوروا لوكان في البرنامج عدة اوامر من هذا النوع ونتيجة كل منها هي شرط لآخر بعده

بالتسلسل فنحصل بمجرد تحقيق الشرط الاول عند تنفيذ البرنامج على عملية منطقية فيها سلسلة من السبب والنتيجة... فنحن نقوم عقلياً بشي مشابه لما في طبيعة عقولنا لكي نستكشف امكانية حدوث شئ فلاعب الشطرنج مثلاً يتصور في ذهنه خطوات متعددة لقطع الشطرنج ولردود فعل خصمة المفترضة .. يعني قبل ان يقوم بتحريك القطعة التي يعتقد انها الافضل.

قال الاستاذ بهنام: هذا مثال جيّد يبيّن أيضاً عمل الارادة الحرة ... فلاعب الشطرنج يفكر بخيارات متعددة لتحركات قطع الشطرنج .. يعني عدد من ال If X then Y ثم يقوم بتنفيذ الخيار الافضل له.

قلت: ويقوم الانسان بعملية سببية تراجعية (Inference) اي يرجع القهقرى من نتيجة ليعرف سببها الذي يصبح نتيجة اخرى لسبب آخر قبلها ... مثال على ذلك ما ذكرته في محاضرة سابقة عن الاستنتاج من حقيقة تمدد الكون ان لابد ان تكون مادته في زمن سابق في مكان صغير واحد ... قلنا ان موضوع سعة حرية الارادة يتعلق بكلمتي عمل خيارات ... وقد اشبعنا موضوع الكلمة الاولى اي عمل العقل وبقى موضوع الكلمة الثانية اي الخيارات ... كم من الخيارات يمكن للعقل ان يخلق؟ ... الخيارات هي افكار ... فالسؤال اذاً يتعلق بسعة العقل لأستيعاب الافكار ... اسألكم ... من محاضرة سابقة قلت شيئاً عن تركيبة الدماغ وعن طبيعة الافكار فهل لكم ان تذكروا لي بعض ما تتذكروه؟

قال الاستاذ بهنام: اتذكر شئ عن الدماغ ... الفصوص المتخصصة في قشرة الدماغ (Cortex)... الذاكرة تتكون بثلاثة مراحل ... الاولى هي انطباع صورة شبه مطابقة للواقع لثانية او ثانيتين ... تتحوّل الصورة بعدها الى نسق في الموصلات بين الخلايا العصبية ... الثالثة تمر عبر ... لا اتذكّر...

قلت: Hippocampus.

اكمل استاذ بهنام حديثه: تتوزّع حسب نوعها على الفصوص الصورية والسمعية ... الى اخره.

قلت: احسنت.

قال: صديقي: اذكر انك قلت ان الفكر يتعلّق بمرور التيار الكهربائي عبر نسق معين من توصيلات الخلايا العصبية.

قلت: احسنت ... الفكر ليس مادة بل هو عملية صيرورة كيمياوية وكهربائية في خلايا الدماغ والموصلات بينها ... يمكن بصورة عامة وغير دقيقة اعتبار الفكرة كنسق من حركة الالكترونات في نسق من الخلايا العصبية ...وعليه يمكن تحويل صيغة السؤال كم فكرة يمكن لقشرة الدماغ ان تستوعب الى كم نسق يمكن لقشرة الدماغ ان تستوعب ... لتذكيركم هنالك ما يقارب 10^{14} توصيلة بين الخلايا الدماغ العصبية وكل خلية تتصل بالخلايا الاخرى بما يقارب 7000 (Synapses) وقشرة الدماغ القابلة لأستيعاب الافكار تكوّن 75% من الدماغ ... اي ان قشرة الدماغ فيها 75% من ال 10^{14} توصيلة ... كم عدد الافكار التي تمثّل انساقاً يمكن ان يستوعبها الدماغ تتصورون ؟ ، انشغل الاصدقاء بالتفكير للحضات ثم قال الاستاذ بهنام: لا بد انه كبير جداً جداً.

رد الاستاذ محمد: يمكن معرفة التوصيلات بين مجموعة من النقاط بعملية رياضية بسيطة ولكن عدد الانساق بين التوصيلات يتزايد بشكل كبير جدّاً عند زيادة بسيطة لعدد النقاط ... في حالة مثل هذه ... لهذا العدد الهائل من الخلايا العصبية والتوصيلات العشوائية بينها .. لقد تطرقت الى هذا الموضوع سابقا أستاذ موفق وانا قلت .. لا بد ان يكون عدد النسق الممكنة على اقل تقدير بعدد ذرات الكون.

قلت: بل أكبر من ذرات الكون التقديرية ... اي 10^{80} ذرة او يزيد!

قال الاستاد محمد: وأذكر انّي رددت بيت شعر ينسب للأمام علي

وتحسب انّك جرم صغير   وفيك انطوى العالم الأكبرُ

قلت: خلاصة القول في نهاية محاضرتي:
اولاً حرية ارادة الانسان هي القابلية الافتراضية للشخص لعمل خيارات حرة من قيود معيّنة
ثانياً هي قابلية عقلية لا علاقة لها بقانون السببية في الطبيعة او بما فوق الطبيعة أي ان الله لم يمنحها للبشر لأنها موجودة فيهم اصلاً ولا علاقة لها بالفجوة بين الفعل ورد الفعل التي يدّعيها بعض من يرجعها الى مبدأ عدم التأكد في فيزياء الكم.
ثالثاً هي عمل خيارات عقلية حرة من التأثيرات الطبيعية الخارجية والنفسية الداخلية أي انها خيارات مستنتجة من طرق عقلانية (Rationalism) لا شائبة عليها
وأخيراً ان سعة حرية الارادة تتعلق بالسعة العقلية لاستيعاب مختلف الافكار وهي سعة كبيرة جداً ... شكراً على حسن استماعكم واضافاتكم التي اغنت الموضوع.
قال صديقي: نحن نشكرك جزيل الشكر ونتمنى ان لا تكون هذه المحاضرة نهاية لقاءاتنا الفكرية ولعل من المناسب ان نطرح مسألة الدين التي تكتسب اهمية كبيرة في هذه الايام كموضوع للّقاء قادم نساهم به جميعاً بافكارنا ، وافق الجميع على هذا الاقتراح.
قلت: موضوع الدين موضوع مهم جداً وحسّاس في هذا الزمن الذي يعج بفضاعات القوى المتطرفة ويطغى فيه صوت الطائفيين على صوت العقلاء ... ولكن هل تظنون انه من المناسب ان تكون نقاشاتنا في هذا المقهى ... قد تحدث مشاكل مع من لا يعجبه ما نقول.
رد الاستاذ بهنام: رغم كل ما قلته عن هذا الزمن الردئ ولكني واثق من فئه المثقفين والمتنورين التي يعج بها شارع المتنبّي وهذا المقهى وسوف يهمّها سماع ما نقول حول الدين ... انظر الى عناوين الكتب التي على الارصفة تجد الكتب الدينية جنباً الى جنب الكتب العلمانية وكتب تنتقد الدين بل وتكفر به.
قلت: موضوع الدين كان من المواضيع التي فكّرت بها كثيراً وكتبت عنها بحثاً راعيت فيه المنطق والعلم قدر المستطاع ... هو بحث مطول يصلح ان يكون كتاب فهل تريدون ان أجعلة في عدة محاضرات نناقش محتوياتها في لقاءات كهذه ، وافق الجميع على مقترحي وافترقنا على امل ترتيب لقاء اخر بعد تحضيري للمحاضرة الاولى حول الدين.
تابعت حديثي: لكون أن الموضوع يتطلب مني جمع شتات كتاباتي حول الدين والتحضير الجيد .. وكذلك نظراً لأنشغالي بمواضيع عائلية فسوف لا أتمكن من الحضور في الاسبوع القادم ولا الذي بعده
قال الاستاذ محمد: هذا يعني ان بأمكانك الحضور بعد ثلاثة اسابيع من الان .. اي .. أي .. يوم الجمعة المصادف 2019/2/1 .. تمام؟
قلت: نعم
قال الاستاذ محمد وتبعة الاستاذ بهنام: فإذن الى اللقاء هنا الساعة العاشرة من ذلك اليوم

محادثات فلسفية مع صديقي (12)

المحادثة الثانية عشر - نشوء الدين:

أخبرت صديقي بأكمالي المحاضرة الاولى حول الدين فبادر للاتصال بالاستاذين محمد وبهنام ورتب اللقاء المعهود في الساعة العاشرة من يوم الجمعة المصادف 219/2/1 في مقهى الشابندر. أقلّني صديقي من بيتي صباح يوم الجمعة وبصحبته الشابين سمير وقيس وتوجّهنا بالسيّارة الى ساحة الميدان حيث اوقف صديقي السيارة في موقف للسيارات ومشينا الى حيث المقهى ... وعند مدخل شارع المتنبي التقينا صدفةً بالاستاذين محمد وبهنام متوجهين مثلنا الى المقهى. بادرنا الاستاذ محمد بالحديث ونحن نسلك طريقنا ببطئ بين حشود قرّاء الكتب: اتتذكرون في لقاءنا السابق تعليقي ببيت الشعر "وتحسب انك نجم صغير" أجبنا نعم ، قال: عندما هممت بالخروج من المقهى بعدكم صاح علّي احد روّاد المقهى قائلاً: استاذ من تعتقد قائل هذا البيت؟ قلت: الامام علي بن ابي طالب ، فردّ على الفور كلّا ... هذا البيت لأبن عربي ، ثم تمتم بصوت خافت لم يبقى شئ لم تسرقوه ... الحكومة وفلوسها ... حتى كلمات طاغور اصبحت للامام علي ... طبعاً يقصد بذلك إتّهام الشيعة .. قلت له لو لم يكن كلامك يدل على طائفيتك لوافقتك في بعض ما تقول فبيت الشعر يُنسب في بعض ما قرأت الى ابن عربي ولو اني لم اجده في ما اطلعت عليه من شعره ... اكملت ردّي علية بصوت عالي فقلت ... بالمناسبة ان الذين سرقوا اموال الشعب العراقي ليسوا من الشيعة فقط بل من اخوانهم الألداء السنة ايضاً ... الشيوعيون الذين كانوا بالسلطة ... هؤلاء الذين تسمّوهم كفرة هم الوحيدون الذين لم يسرقوا ... لم ينبس بكلمة واحدة ونحن نغادر المقهى.

قال الاستاذ بهنام: قد نجده الان في المقهى فماذا نفعل ونحن اليوم بصدد موضوع الدين؟

ردّ الاستاذ محمد: اطلب من صاحب المقهى طرده إن تكلّم بكلام طائفي.

قال صديقي: بل ادعوه الى المشاركة في حلقتنا ... في جماعتنا تنوّع ديني وفينا الغير مؤمن وفينا المؤمن المعتدل وأعتقد اننا نحتاج شخص متعصّب لكي نطّلع على وجهة نظره ... فما رأيكم؟

قلت: فكرة جيدة ولكن ...

اجاب الاستاذ محمد مقاطعاً: حسناً ندعوه الى حلقتنا ولكن نشترط عليه ان يبدي وجهة نظره فقط ... فأن خالف ذلك ولجئ الى اساليب التكفير والسب يطرد .. وصلنا المقهى ودخلناه وكان ذلك الشخص كما توقع الاستاذ بهنام جالساً مع صديق له في المقهى ... توقف عن الكلام مع صديقة عند رؤيتنا وقام متوجهاً الينا وقال موجهاً كلامة الى الاستاذ محمد: اعتذر عمّا بدر منّي في الاسبوع السابق استاذ ... انا والله لست سيئاً ولكن ما يحدث بأسم الأسلام يؤلمني والاسلام براء منه.

ردّ الاستاذ محمد: اعتذارك مقبول ... نحن اليوم بصدد محاضرة يلقيها الاستاذ موفق وهي حول نشوء الاديان وتطورها في بلاد الرافدين ... المحاضرة علمية وتاريخية كما اتوقع فهل تود ان تنظم الى حلقتنا وتستمع اليها وتشارك في النقاش بها؟

قال: اكون شاكراً وممتناً لكم فهل تسمحول لصديقي في الانضمام لكم ايضاً؟

قلت: لا مانع عندي بعد موافقة الاخرين ، ابدت جماعتنا موافقتها فصاح على صديقة: حسين تعال ... اعرّفكم بنفسي انا خالد الخفاجي ... عميد ركن متقاعد ... وهذا صديقي حسين الشمّري ... عميد متقاعد مثلي...

قال الاستاذ محمد متعجباً: انّت سنّي كما اعتقد ومن اسم صديقك أفهم انّه شيعي ... ولكن تعليقك الاسبوع الماضي ...

قاطعني خالد الخفاجي قائلاً: ولله أستاذ اني مو طائفي ولكن بعض الاحيان تخرج منّي كلمات غير مقصودة.

قلت في فكري من دون انبس بكلمة: بل مقصودة ... تفلت من عقلك الباطن المشبّع بهذه الافكار.

قال الاستاذ محمد: سوف تشاركوننا اليوم في المحاضرة ولكن بشرط ان تطرحوا ارائكم من دون انفعال او تهديد او تكفير ... وبصراحة لو حدث مثل هذا فسوف تغادرون حلقتنا ... فهل توافقون؟ ابدى خالد وحسين قبولهم بهذا الشرط فأنظمّوا الى حلقتنا في مكانها المعتاد .. صاح السيد خالد على عامل المقهى لجلب الشايات للحضور .. ضعت حاسوبي على الطاولة وبدأت الحديث:

عنوان المحاضرة هي "نشأة الاديان وتطورها في بلاد الرافدين وما حولها" ... وقبل ان ابدأها اود ان اقول ... اولاً اني تعاملت مع مسألة الدين كضاهرة أنسانية اجتماعية فبحثت في اسسها العلمية والتاريخية وتطورها ... البحث العلمي يتطلب نزع القدسية عن الدين وهذا لا يعني عدم احترام الدين بل هو ضرورة يحتاجها البحث فيه بصورة موضوعية ... اعتقد ان في هذه الجماعة حولي من يتقبّل ما سوف اقول والبعض الاخر سوف لا يتقبّله ... اخص بالذكر السيدين خالد وحسين الذين انظمّوا لنا اليوم ... المحاضرة تحتوي على ما قد يخالف عقائدكم وايمانكم وانا احترم عقائدكم وايمانكم ما دامت لا تتعدى على حرية الاخرين ... بأمكانكم طرح وجهة نظركم للنقاش ... ولكن أذا كان ما اقوله او يقوله الاصدقاءالاخرين لا يروق لكم ولا تودون سماعه فبأمكانكم مغادرة تجمّعنا متى شئتم.
ردّ السيد خالد: إيماني وقناعاتي الدينية لا تتأثر بشئ كما اعتقد ... انا وصديقي حسين سوف نستمع الى محاضرتك وان شاء الله نشارك في النقاشات وشكراً لدعوتنا مرة اخرى.
قلت: شكراً لكم ولسعة صدركم ... المحاضرة في عدة فصول ولا اعتقد ان بأمكاني اكمالها هذا اليوم ... سوف اكمل اليوم الفصل الاول والباقي من الفصول في محاضرة او محاضرات مقبلة في الاسبوع القادم على اكثر احتمال ... ما سوف اتحدث عنه اليوم يتعلق بماهية الدين واصل المعتقد الديني ومراحل تطوره بصورة عامة ، بعد لحضات من الصمت قلت: اسألكم سؤالاً بسيطاً ... ما هو الدين؟ ، يبدو أني فاجئتهم بهذا السؤال فقد ساد سكون وبدأ الحاضرين بالتطلّع في وجوه بعضهم وكأن كل منهم ينتظر من الاخر جواباً حتى تقدم السيد حسين بجواب: الدين هو الايمان بالله الواحد القهّار ورسله وأنبيائه وبعالم الغيب.
قلت: فهل للهندوس دين؟ ... هم لا يؤمنون بالله بل بالهة متعددة مثل إندرا .. براهما .. ديفا .. شيفا .. الى اخره.
قال الاستاذ بهنام: الدين إيمان بمجموعة من المعتقدات الغيبية ... عند الهندوس هو الايمان بتلك الالهة وعند المسلمين هو الايمان بالله وبرسوله محمد ... امّا عندي كمسيحي كاثوليكي فهي الايمان بالرب وبأبنه المسيح.
ردد السيد خالد بآية قرآنية تؤكد وحدانية الله: قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً احد.
قلت: هو اذن اعتقاد ... او مجموعة معتقدات تختلف بإختلاف الاديان ... الهندوسية دين فيه معتقدات والاسلام دين فيه معتقدات والمسيحية دين فيها معتقدات ... كل منها يخالف الآخر في بعض المعتقدات او في كلها .. ولكنهم يشتركون في الإيمان بأله او آلهة نشعر بوجودها ولكننا لا نراها لأنها في عالم الغيب.
قال صديقي: الدين برأيي هو مجموعة من التعليلات الخرافية للوجود الانساني والطبيعي ظهرت كبديل للمعرفة الموثقة علمياً في بدايات الحضارة الانسانية.
قلت: في كلامك بعض الصحة ولكن لماذا لم يختفي الدين عندما تعاظمت المعرفة الانسانية وعلل العلم الكثير من الظواهر الغامضة التي عللها الدين بأساطير ... ولا اقول خرافات؟
قال الاستاذ محمد: ضَعَف تأثير الدين كثيراً خاصة في الغرب ... تعاظم عدد الملحدين الذين لا يعرفون عن الدين سوى الاسم وهم الاكثرية حسب ما قرأت.
قلت: ولكن الدين لم يختفي عندهم بل تحول في ظل الديمقراطية وحرية الفكر الى فكر وعمل طوعي انساني ... استخلص مما تقولون تعريفاً عاما للدين ...

الدين هوالايمان بوجود قوة (او قوى) غيبية عاقلة كليّةُ القدرة تمثل الحقيقة المطلقة وتنتظم علاقة المؤمن بها من خلال منظومة من المعتقدات والرموز والممارسات والادبيات...

أمّا سبب عدم اختفاء الايمان بالدين بالرغم من التقدم العلمي الذي فنّد الكثير من مقولاته وبالرغم من ان الكثير من الذين يؤمنون به يدركون ما فيه من تناقضات لا تتناسب مع العصر فأرجعها انا الى المشاعر الروحية وهي في رأيي جوهر الدين ... فما هي بأعتقادكم هذه المشاعرالروحية التي تطغى على القلب وتجعل العقل يؤمن بدين؟
قال الاستاذ بهنام: اظن انها شئ اعمق من المشاعر الاخرى مثل الجوع والعطش والجنس ... اظن ان لها علاقة بالحب ولكنها اعمق منه ... لذلك لا ندرك تلك المشاعر إلّا بالغوص عميقاً في اعماق النفس.

قال الاستاذ محمد: بالتأمّل الذي تغوص فيه النفس في اعماق الوجدان متخطية العقل والشعور ... المشاعر الروحية لها علاقة بمشاعر الحب كما قال بهنام ... نجدها في مشاعر الوجد الالهي عند المتصوفة.
سأل قيس: استاذ ما هو هذا الوجد الالهي ومن هم المتصوفة ... هل هم الدراويش؟
ردَّ الاستاذ محمد: الوجد الالهي هو الحب الذي يسلب الشخص عقله ... والمتصوفة هم مسلمون نبذوا مباهج الدنيا وتفرغوا للعبادة وابتدعوا طُرقاً للتواصل الروحي مع الله ... الدراويش هم بأعتقادي شكل مبتذل من التصوف ... هم اناس تركوا مباهج الدنيا يرددون كلمات لمتصوفة معروفين ويتضاهرون بالوجد الالهي ... لا يعملون بل يكسبون عيشهم مما يتصدّق به الناس عليهم.
علّق صاحبي: ... متسولين وتنابلة.
قال السيد خالد: الاسلام الصحيح لا يعترف بالتصوف لان فيه بُدع تخرج عما شرّعه الله ... واعتقد ان الشيعة كذلك لا يعترفون بالتصوف ، هز السيد حسين برأسه موافقاً.
قلت: ولكن لأهل السنة الكثير من المتصوفة المشهورين ... لعل اشهرهم محي الدين أبن عربي ... واعرف ان عند الشيعة فرقة صوفية واحده يسموها النعمة ألهيّة ... لعل الكلام في التصوف سابق لاوانه ... قلنا ان جوهر الدين هو تلك المشاعر الروحانية ... وهي مشاعر تصدر من اعماق النفس كما بين ذلك الاستاذ بهنام ... مصدر هذه المشاعر الروحانية هي روح الانسان التي هي من عند الله .. هذه هي وجهة النظر الدينية ... النظرة الدينية نابعة من فلسفة الازدواجية المتعايشة في الانسان .. الروح اللا مادية والجسد المادي ....
قال صديقي معترضاً: انا لا اعترف بوجود الروح ولذلك لا اعترف بما تفترضه من وجود مشاعر روحية ... انا لا اعرف ما هي هذه المشاعر ... لم نلمس وجود الروح في الواقع ولم تثبت وجودها التجارب العلمية التي تستخدم وسائل استشعار موثوقة.
قال السيد حسين: لا يمكن ان نثبت وجود الروح بوسائل لأستشعار ما هو ضمن عالمنا المادي لأن الروح من عالم الغيب اللامادي.
قلت: انا لا اتكلم عن الروح بل عن وجود مشاعر نسمّيها المشاعر الروحية ... فأذا اردنا ان نتكلم بلغة العلم فالعلم يبحث في الممكن قياسه واثبات وجوده من خلال الملاحضة والتجربة ... ولم ينجح العلم في اثبات وجود الروح بالملاحضة والتجربة لحد الان ... ولكن العلم يمكنه ان يعطي تفسيراً للمشاعر الروحية نابع من الطبيعة البايولوجية للانسان ... هذه المشاعر موجودة ولكنها تؤثر في كل شخص بشكل مختلف ويؤيد ذلك ما توصل اليه عالم امضى خمسة واربعون سنة في بحوث تتعلق بالدماغ حيث ورد في كتاب اصدره وقرأته مؤخرا "الروحانية هي مصدر التديّن و50% منها مصدره الجينات. والروحانية هي خاصية يملكها كل شخص بدرجات مختلفة حتى لو لم ينتمي الى كنيسة. فالدين هو الشكل المحلّي لمشاعرنا الروحية ، فنحن لسنا احرار في ان نكون متدينين ام لا نكون. ويلعب المحيط الاجتماعي دوراً في طبع ديانة الوالدين في ثنايا ادمغتنا في فترة طفولتنا المبكرة ، بنفس الطريقة التي تعلمنا فيها لغتنا الام"[5] ... وللعلم فقط فأن هذا العالم ملحد .. أيّد احد زملائي من الأخصائين بالطب النفسي وجود نقطة في الدماغ تنبع منها تلك المشاعر يطلقون عليها (God’s Spot).
تساءل سمير: ولكن استاذ ما هي هذه المشاعر ومن اين جاءت؟
قلت: سؤال جيّد ... وجهة النظر الدينية تقول انها مشاعر التواصل مع الوجود اللانهائي لله الذي تنعدم فية النفس البشرية في رحاب اللانهائي ... أي يصبح فيها المؤمن في حالة اللاوعي من شدة الوجد الالهي.
تساءل سمير: فما هي وجهة النظر العلمية؟
قلت: . المشاعر الروحية هي مشاعر تعبّر عن التوق لأعادة لحمة نفس الفرد مع الكلّي .. الجنس البشري وكل الطبيعة التي انفصلت عن النفس .. النفس فيهاعقل الفرد ... وفي دماغ الانسان ما يمثّل البشرية والطبيعة .. ما قلته يحتاج الى توضيح اليس كذلك؟
قال صديقي: مشاعر أنجذاب وتواصل نفس الفرد مع ما يمثّل البشرية في الدماغ ... هذا ما فهمته من كلامك ولكن الموضوع يحتاج الى توضيح اكثر.

[5] “We Are Our Brain”, Dick Swaab, page 275.

قلت: تماماً ... سوف اشرح ببعض التفصيل ما قصدته .. من دون الدخول في تفاصيل دماغ الانسان المعقّدة ولكن بصورة عامة ومبسّطة .. هنالك جزء تجري فيه العمليات العقلية وتحفظ فيه كل المهارات المكتسبة والذكريات والافكار التي اكتسبها الفرد اثناء حياته
قال الاستاذ بهنام: هذا الذي تشير اليه هو قسم كبير من قشرة الدماغ (Cortex)
قلت: نعن أستاذ بهنام .. وهنالك جزء يحمل ما هو ما موروث للقيام بالوضائف اللا ارادية لغرض المحافظة على حياة الفرد وحياة الجنس البشري مثل ضربات القلب والتنفس وغرائز الجوع والعطش والجنس
قال الاستاذ بهنام: تقصد المخيخ (Cerebellum) وجذع الدماغ (Brain stem) ...
قلت: أحسنت .. يمكن القول ان ما هو مشترك بين كل البشر يمثّل الجنس البشري في كل فرد .. أي ان المخيخ وجذع الدماغ إضافة الى ما يسمى (the Limbic System) الذي يحمل في طياته ما يحرّك المشاعر يمثلون الجنس البشري، نظرت الى الوجوه فلم أجد ما يدل على تساؤل او اعتراض فتابعت حديثي:
.. من الطبيعي ان نجد في اعماق ما يمثّل البشرية في الفرد مشاعر انتماءه الى الجنس البشري .. تلك المشاعر هي ما اسميناه بالمشاعر الروحية .. وفي رأيي ان الصراعات التي نشأت بين العقل وبين المشاعر الروحية وما أثاره العقل من التساؤلات حول ماهية وجوده هي الاساس في ظهور الدين في بدايات الحضارة الانسانية... فما هو في رأيكم هذا التناقض الدرامي؟
اجاب قيس من دون تردد: اول تلك الصراعات هو ان ما يمثل الجنس البشري لا يموت ما دامت البشرية حيّة بينما ما يمثّل الفرد يموت بموت الفرد.
قلت: احسنت ... فما يمثل الفرد هو النفس والنفس تخاف الموت.
علّق السيد خالد بأية قرأنية: كل نفس ذائقة الموت.
قال صاحبي: ما يمثّل الجنس البشري لا يملك غير المشاعر للتعبير بينما ما يمثل الفرد يملك قابلية صياغة الافكار بلغة وربما بصورة.
قلت: احسنت ... تصوروا وضع الانسان بين مشاعر توحي له بأن حياته جزء مكمّل للوجود الطبيعي الحي وأن فيه ما لا يموت بموته كفرد ... وبين نفس فيها كل ما يكوّن شخصيته من ذكريات وتجارب وفيها عقل يعلم ان كل ذلك سيفنى بموت الجسد ... مشاعر ليس لها لسان تتكلم به من جهة ... وعقل يصوغ افكاراً يعبّر عنها لسانه وقلمة بلغةٍ من جهة اخرى ... كانت نتيجة ارهاصات العقل للتعبير عن تلك المشاعر التي سميت بالروحية وطمئنة مخاوفه من فناء في الحياة الدنيا هي وعده بحياة الآخرة بإنتقال الروح الى عالم الغيب بعد مفارقة الجسد عند الموت ... هذا هو جوهر الدين بما فيه من تقاليد ونصوص مقدسة وعبادات وصلوات ... تفسيري التأؤيلي للصلاة .. تأملوا في كلمة صَلاة بتائها القصيرة والتي هي من أصل أرامي، عزّ السيد خالد برأسه معترضاً وقبل ان ينطق بكمة قلت: كلمة صلوة وزكوة .. في القران أستعارة من الارامية والعبرية .. نرجع الى موضوعنا كلمة صلاة .. وكلمة صِلات بتائها الطويلة ... الاولى تعني تواصل النفس مع ما في النفس فهو تواصل روحي .. وهذا هو المعنى الحقيقي الارامي الاصل .. والثانية بالتاء الطويلة تعني تواصل الشئ مع اشياء خارج النفس فهو تواصل مادي.
قال الاستاذ محمد: فهل يمكن القول كما يقول بعص المتصوفة .. ان الوجود هو الله وما الدين .. او بعضه .. سوى تعبير النفس للرجوع اليه والتواصل معه؟
وقبل ان اجيب رد السيد حسين: مع احترامي لك ولكن هذا الذي تقوله يحطّ من جلالة الله ويساوية بالوجود المادي وكتاب نهج البلاغة الذي وضعه الشريف الرضي عن الامام علي يكفّرمحاولة وصف الله من خلال مقارنته بالوجود الطبيعي "فمن وصفه فقد حدّه ومن حدّه فقد عدّه ومن عدّه فقد كفر".
قلت: ومن قال ان الوجود الكلّي هو الوجود المادي الطبيعي ... في محاضرة سابقة عن الكون ذكرت ان البحوث العلمية بيّنت ان الوجود المادي بالمليارات من مجراته ونجومه وكواكبه لا يمثّل سوى 5% من الوجود الكلي ... ال 95% الباقية هي وجود لا نراه ولا نشعر به.
قال قيس منفعلاً: الذ لا نراه هذا الوجود هو عالم الغيب.
قلت: لا اعلم ولكن هنالك وجهة نظر في الاسلام يعبّر عنها الفكر الصوفي تتفق مع رأي الاستاذ محمد .. ربّما سوف اقوم بشرحها في محاضرة قادمة .. والان بعد ان اشبعنا الجزء الاول من هذه المحاضرة سرداً ونقاشاً دعوني انتقل الى جزء اخر يتحدث عن مراحل تطور الاديان .. كل الاديان تدور حول علاقة الانسان

بقوة او قوى خارقة تهيمن على مصيره ويتطلب ارضاءها عبادتها واتباع شرائعها .. العقل البشري لا يرى ويحس غير الاشياء المفردة والمنفصلة ولكنه يشعر بترابطها ووحدتها .. فعبّر عن وحدة الوجود وميكانيكية حركته من خلال آليّة الترابط السببي بين الموجودات المفردة .. وكانت الالهة المتعددة تعبير ساذج عن قوى الطبيعة المتعددة المترابطة ترابطاً سببياً بشكل هرمي يقف على رأسه إله رئيس ... ظهرت الاديان التوحيدية المعروفة في المنطقة المحصورة بين بلاد الرافدين وبلاد النيل ولكن مسيرة التوحيد بدأت من اديان بدائية تؤمن بأن في جوهرالطبيعة قوى حيوانية.
سأل صديقي: ماذا تقصد بقوى حيوانية.
قلت: كان الانسان البدائي يتصور ان قوى وعناصر الطبيعة كالريح والرعد والماء هي قوى حيّة مثله ومثل الحيوانات التي يراها ويخاف منها لذلك كان يسعى بعض الاحيان لأرضاءها بتقديم الاضاحي ... قلنا ان الاديان تطورت من اديان طبيعية حيوانية الى اديان تعتقد ان الالهة من عالم ما فوق الطبيعة وهي تسيطر على قوى الطبيعة ... الى اديان فيها اله واحد خالق للانسان والوجود وفي صراع مع اله الشر ... ثم الى اديان توحيدية تحول فيها الصراع بين اله الخير واله الشر الى صراع بين قوى تمثل الاله الواحد مع الشيطان.
علّق الاستاذ بهنام: لعل محور الاديان البدائية يدور حول عبادة قوى الطبيعة او الالهة التي تمثلها ولكن الاديان المتقدمة اصبحت اكثر تعقيداً بأحتواءها على مفاهيم اخلاقية وشرائع وقوانين أجتماعية.
قلت: هذا صحيح ... يتصرف افراد مملكة الحيوان وكأنهم جزء من جسم واحد وذلك حسب ما تمليه عليهم الغريزة التي تسعى للحفاظ على الجنس ولكن العقل البشري خلق عند الفرد هوية شخصية يود المحافظة عليها ولو على حساب الجماعة في الكثير من الاحيان فكان حتمياً ان تتطور مفاهيم تقوّي التماسك الاجتماعي وتنظم العلاقات بين أفراده من خلال التشريعات الاجتماعية ومفاهيم الاخلاق الشخصية التي توازن بين مصلحة الفرد ومصلحة المجتمع ، والتي لولاها لانفرط المجتمع المدني ... ، تململ السيد خالد وتلفّت يميناً ويساراً أشارةً الى النفي وقبل ان اقول شيئاً عاجلنا صديقي بالتعليق: يبدو ان السيد خالد غير مقتنع.
قال السيد خالد: مصدر الاخلاق هو الكتب السماوية.
ردّ صديقي: ... يعني كان ماكو اخلاق قبل التوراة والانجيل والقران؟ طبعاً كان اكو قوانين وشرائع اخلاقية والدليل الملموس هي الشرائع البابلية على مسلّة حمورابي.
قلت: دعوني اكمل هذا الجزء من المحاضرة ثم نأخذ استراحة ... تطور الاديان رافق تطور المجتمع فقد رافق نشوء المشاعة البدائية وتطور اللغات البدائية التي بدأت بمحاولة التعبير عن المشاعرالانسانية بدايات الفكر الديني. وقد تسارع تطور الفكر الديني بشكل كبير بأستقرار القبائل الرحالة ونشوء المدن والحضارات الاولى قرب مصادر المياه الدائمة عند نهر الكنج في الهند ووادي النيل في مصر ووادي الرافدين ومحيطه الاقليمي ماراً بصورة عامة بأربعة مراحل تطورية هي:

أولاً: مرحلة العصبة القبلية والديانات الحيوية (Animism):

نشأت مرحلة القبيلة من رحم المشاعة البدائية التي هي نواة المجتمع البشري الذي تطور الى مجتمعاتنا المدنية الحاضرة. والمشاعة البدائية هي تجمع صغير من افراد تربطهم قرابة الدم من خلال ألأم الكبرى او الجدّة الاولى التي انحدروا منها. والملكية فيها مشاعة بين جميع افرادها وتعتمد في معاشها على صيد الحيوانات الذي يقوم به الذكور ألبالغون. ويسمى مجتمع المشاعة بالمجتمع الامومي حيث ينسب الاطفال الى امهاتهم وتتسلط فيه الامهات اللاتي يدرن شؤون مجتمع قائم على الملكية العامة. وقد رافق تكاثر افراد المشاعة البدائية وتطورها الى قبيلة رحّالة تبحث عن العشب للانعامها المدجّنة تحول من سلطة الام الى سلطة الاب وبذلك تحول المجتمع من مجتمع امومي (maternal) الى مجتمع ابوي (paternal) توطدت فيه الملكية الشخصية وسلطة الاب المطلقة الذي يملك كل شئ وقيّدت فيه العلاقات الجنسية للمرأة

برجل واحد يضمن فيه الاب انتساب اولاده له فقط ، وبذلك يؤمّن استمرارية جيناته في الاجيال القادمة. نشأت في هذه المرحلة ديانات عبادة الاجداد البدائية ، فقد تحول الاب المتسلط ورب الاسرة بعد موته الى رب غائب ولكنه موجود في عقلهم الباطن كما يدعي فرويد ، يفرض سلطته المعنوية عليهم ويخافونه في نفس الوقت ويلوذون به كملجأ روحي ايضاً ... تهيأ لعقل الانسان في هذه المرحلة بأن كل ما في الطبيعة حي على غراره او على غرار الحيوانات التي نجح في تدجين بعضها. فصوّر عقله الناشئ قوى الطبيعة ، كقوى النهر الجياشة والرياح العاتية ، كأحياء حيوانية بقوى جبّارة ، ولذلك سميت تلك الديانات البدائية بالديانات الحيوية. وفي هذه المرحلة ايضاً نشأت الكهانة الشامانية (shamanism) وال (taboo) وال (totem).

سأل قيس: اشرح لنا يا أستاذ هذه الكلمات الغريبة.

قلت: كلمة شامان تعني "الذي يعرف" وهي من اصل لغوي تركي – مغولي مصدرها هو القبائل التي سكنت اواسط سيبيريا ومنغوليا. والشامان هو الوسيط بين العالم الطبيعي للقبيلة وعالم الارواح الغيبي الذي يدّعي ان له قدرة التحدث معه والتأثير عليه ... اما كلمة (taboo) فتعني المحرّم ... مثل تحريم اكل الخنزير عند اليهود والمسلمين وكلمة (totem) تعني الرمز المقدّس عند القبيلة كتمثال خشبي يمثل نسراً مقدّساً مثلاً.

علّق صديقي: او كمثل الحجر الاسود ، ... ساد سكون ينذر بأعتراض البعض وتجدد النقاش فبادرته بالكلام:

المرحلة الثانية هي مرحلة الزراعة والممالك الصغيرة:

عند استقرارالمجتمعات القبلية الرحّالة على ضفاف الانهار العظيمة وممارستها الزراعة تطورت فيها تجمعات سكنية وورشات لحرفيين يصنعون حاجات الفلاحين من ادوات زراعية وحاجات بيتية فكانت تلك نواة مدن وممالك صغيرة. وتطورت معارف الانسان ولغته التي بدأت بالتعبير بشكل افضل عن مشاعره وتحولت اهتمامات وحاجات المجتمع الزراعي المستقر الى ما يمكنه ادامة وتحسين وسائل عيشه الجديدة المرتبطة بالزراعة. وعبرّ عقل الانسان في ذلك الطور الاجتماعي عن مشاعره وتطلعاتة ومكانته في الطبيعة بديانات فيها الكثير من الالهة المتصلة بالخصوبة الزراعية والحيوانية. وتطورت عنده عبادة الاجداد الى عبادة رمز لرئيس او قائد عظيم سابق بنيت حوله الاساطير. وتحول جبروت قوى الطبيعة الى الهة وانصاف الآلهة بقوى جبارة لها صفات انسانية وحيوانية مدعّمة بالحكايات الاسطورية المفصّلة عن حياتها وتصارعها وألإنسان تحت رحمتها.

المرحلة الثالثة هي مرحلة دولة المدينة:

رافق التطور الحضاري تطور ديني معقد برزت فيه طبقة تجمع بين السلطة والكهانة وطوّرت فيه الحكايات والاساطير الشعبية المتوارثة لتكّون جزءاً من نظام شبه متكامل يفسر نشوء العالم وعلاقة الانسان بقوى الطبيعة المتمثلة بالالهة. وكذلك شُرّعت قواعد اخلاقية وقوانين مستمدة من العرف الاجتماعي لحفظ منظومة العلاقات الاجتماعية واندمجت القيم الدينية بالقيم الاخلاقية مبررةً خضوع المجتمع لسلطة مركزية. تميزت هذه المرحلة بضعف الانتماء العشائري في ظل مجتمع اصبحت الزراعة فيه الوسيلة الرئيسية للعيش واختلطت فيه الاعراق. فتغلّب الانتماء الطبقي والمهني والمناطقي على الانتماء القبلي في زحمة علاقات اجتماعية جديدة مبنية على علاقات الانتاج الزراعي (الملك ، وهو المالك الاكبر للارض مع اسياد اقطاعيين وقوّاد الجيش ، والكهنوت الذي يملك أراضٍ شاسعة ايضاً ، وطبقة التجار والحرفيين ، والاقنان في المزارع والعبيد في بيوت الاسياد) . تنحّى جانباً في هذا الوضع الاجتماعي الجديد الهة القبيلة ليفسح المجال لالهة جديدة تتبوأ مكانتها فوق الجميع في دولة المدينة ، وتستجيب للمتطلبات الروحية لكل سكّانها. وتوسع مفهوم السلطة من سلطة رئيس

القبيلـة او رئـيس التجمـع القـروي الصـغير ، الـذي يقـوم بـدور رئـيس الكهنـة ايضـاً ، الـى نظـام ملكـي يـتحكم بمصـير دولـة المدينـة مـن خـلال جـيش متخصـص يشـن حروبـاً لتوسـيع مملكتـه. وسـرعان مـا انفصلت الكهانـة عـن السـلطة ولكنهـا بقيـت تحـت رحمتهـا كسـند لا يسـتغنى عنـه لهـا. فكانـت وظيفـة الكهنـوت الرئيسـة ، ومـا زالـت فـي كثيـر مـن الاحيـان ، هـي ممارسـة الطقـوس الدينيـة التـي ينحـو قسـم منهـا الـى المحافظـة علـى النظـام الاجتمـاعي والعلاقـات السـلطوية. إضـافةً الـى أن وظـائف الكهنـوت تتعـدى ذلـك الـى ادارة ممتلكاتهـا وممتلكـات الملـك فـي بعـض الاحيـان مـن معابـد وأراضٍ زراعيـة واقنـان وعبيـد ، وقـد تطـورت عنـدها نتيجـة لمتطلبـات ادارة الممتلكـات بعض المعارف العقلية كالكتابة والحساب والتدوين ، فحرصت على احتكارها لتعزيز مكانتها.

المرحلة الرابعة والاخيرة هي مرحلة الامة:

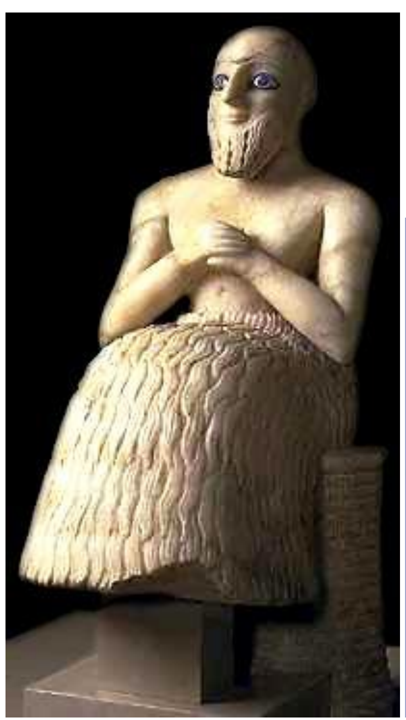
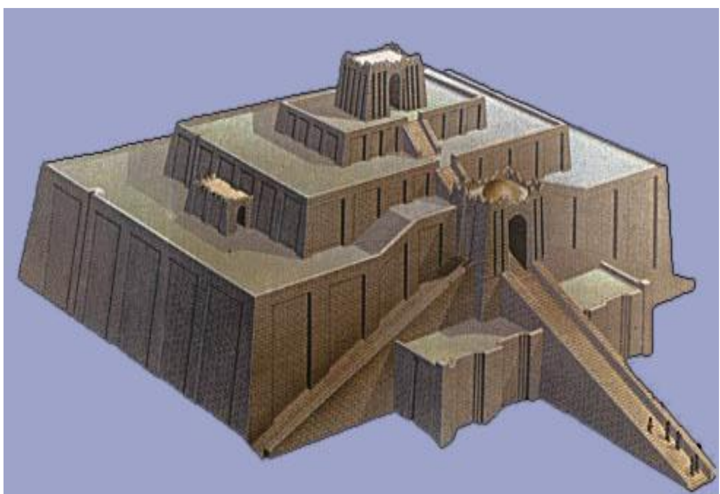
توسـعت دولـة المدينـة الـى امبراطوريـات كبيـرة تضـم اراضٍ شاسـعة كالامبراطوريـات السـومرية والاشـورية والفارسـية والفرعونيـة فاصـبحت هنالـك حاجـة لالـه رئـيس كلّـي القـدرة فـوق الجميـع تتجـه اليـه انظـار افـراد الامـة ويسـتجيب لمتطلباتهـا الروحيـة اينمـا كـانوا اوحلّـوا. وكانـت الحاجـة لالـه واحـد مطلـق يتواجـد فـي السـماء فـوق الجميـع اكثـر الحاحـاً عنـد قبيلـة عبريـة رحّالـة ، فلـيس عمليـاً ان يعبّـد افرادهـا الهـة تتغيـر بتغيّـر المـدن التـي يحلّـون عنـدها بعـد سـفرٍ. وعنـدما انهـى العبريـون تجـوالهم وسـفرهم الـدائم طلبـاً للمـاء والكـلأ واسـتقروا فـي فلسـطين بـين شـعوب اكثـر تطـورا مـنهم ، وفـي مكـان يـوفر لهـم ولماشـيتهم الامـان ومتطلبـات العـيش ، كـانوا علـى ديـن اسـتلهموا ثقافتـه ورمـوزه الدينيـة مـن الشـعوب المتحضـرة التـي تنقّلـوا بينهـا. وبـذلك يمكـن اعتبـار توحيـد الالـه فـي الـه واحـد هـو عَـود الـى بـدء حيـث يـدرك العقـل ، مـدعّماً بالمشـاعر الروحيـة المترسـخة التـي تعتبـر الانسـان جـزاً لا يتجـزء مـن الطبيعـة الواحـدة ، تـرابط المسـببات ورجوعهـا الى مسبب واحد ...

انتهـى الجـزء الاول مـن المحاضـرة وشـكراً ... ، طلبـت شـايات للجماعـة مـن عامـل المقهـى بينمـا اخرج بهنام وصديقي ما في جعبتهم من كليچة وكعك السيد.

محادثات فلسفية مع صديقي (13)

المحادثة الثالثة عشر - تطور الاديان المتعددة الآله:

بعد فترة الاستراحة التي دامت حوالي نصف ساعة بدأت بتكملة المحاضرة: كنت قد ذكرت ان الاديان في بلاد الرافدين وما حولها قد تطورت في اربعة مراحل ولكن معلوماتنا تقتصر علي المرحلة الثانية ، اي مرحلة الزراعة والممالك الصغيرة ، والمرحلة الثالثة ، اي مرحلة دولة المدينة ، والرابعة ، اي مرحلة الأمّة .. دفع العصر الجليدي (قبل 20000 سنة) تجمعات صغيرة من البشر الى الهجرة من موطنهم الاصلي في سهول سيبيريا الى مناطق اكثر دفئً في ايران ولعل بعض منها استقر اواسط العراق الحالي قبل حوالي 10000 سنة واستوطن الاراضي المحاذية لنهر دجلة
سأل سمير: فهل كانوا في دور المشاعة البدائية؟
قلت: لا اعتقد ذلك لأن النظام القبلي تعدى المشاعة البدائية مع ملازمة بعض المعتقدات الدينية القديمة للنظام الاجتماعي القبلي ... وكان من نتيجة استقرارهم في الارض وتعلّمهم الزراعة نشوء الحضارة السومرية مما يعني الانتقال الى المرحلة الثانية اي الانتقال من مرحلة الاديان الحيوية الى مرحلة الاديان المتعددة الالهة
اعترض صديقي قائلاً: أنا لا اصدق ان السومريون جاءوا من سيبيريا
قلت: أنا فقظ اعرض ما قاله بعض الباحثين .. وربما يكون رأيك هو الارجح .. فهنالك رأي اخر يقول ان لا يدلل التاريخ على ان هناك صراع بين السومريين والاكديين الذين اتوا بعدهم وحلّوا في مناطقهم بل تواصل مما يدل على انهم من نفس الاصل الذي هاجر من شبه الجزيرة العربية في العصور الغابرة واستقروا في جنوب العراق .. فقد ورث الأكديون حضارة سومر التي ذابت في حضاراتهم وورثوا معها الالهة المتعددة ... تطور الدين الحيوي البدائي الى نظام ديني هرمي متعدد الالهة وتحول الشامان الى كاهن المعبد (الأنسي) ... وفي الصورة معبد من ثلاثة طوابق يسمى الزقورة.

مجسم للزقورة وتمثال للكاهن - الانسي

سأل قيس: وكيف كان الناس يتعبّدون في ذلك الوقت؟
قلت: كانت هناك مناسبات دينية ... الكهنة يصعدون درج الزقورة وهم يرددون بعض الصلوات ثم يصعد الكاهن الاكبر الى القبّة العليا ليقدم القرابين ويقوم بالصلاة وهو قريب من اله السماء ... ربما يقوم عامة الناس الذين يحجّون الى هذا المعبد بتقديم صلاتهم وقرابينهم عند الطابق الاول.
سأل السيّد خالد: وهل كانوا يتجهون بصلاتهم الى اله واحد في السماء؟
قلت: كانت اديانهم متعددة الالهة ولكنها في نظام هرمي يقف على رأسه ثلاثة من الآلهة هم رب السماء (آن) وفي السماء الافلاك والنجوم التي خلقت فيما بعد كألهة ثانوية .. ورب الارض والمياه العذبة والعقل (كي او إنكي – نمرود عن الاشوريين) .. وبينهما رب الهواء وراعي مدينة نيبور وسيد الانسانية (إنليل) ... في الصورة الاله كي ونهر دجلة والفرات ينبعان منه.



أقرأ عليكم جزء من الاسطورة البابلية إنيموا إلش التي تحكي قصة الخلق .. أصل الاسطورة من حضارة سومر:

في البدء كانت الألهة "نمو" ولا أحد معها، وهي المياه الأولى التي انبثق عنها كل شي
أنجبت الألهة "نمو" ولدا وبنتا. الأول "آن" إله السماء والثانية "كي" إله الأرض وكانا ملتصقين مع بعضهما وغير منفصلين عن أمهما "نمو ."
ثم قام "آن" بالزواج من "كي" فأنجبا بكرهما "أنليل" إله الهواء الذي كان بينهما في مساحة ضيقة لا تسمح له بالحركة
"إنليل" الإله الشاب النشيط لم يطق ذلك السجن فقام بقوته الخارقة بفصل أبيه "آن" عن أمه "كي"، فرفع الأول فصار "سماء"، وبسط الثانية فصارت أرضا. ومضى يرتع بينهما
ولكن "إنليل" كان يعيش في ظلام دامس، فأنجب "إنليل" ابنه "نانا" إله القمر، ليبدد الظلام وينير الأرض.
"نانا" إله القمر أو"سين" أنجب بعد ذلك "أوتو" أو "شمش" إله الشمس.
وبعد أن ابعدت السماء عن الأرض وصدر ضوء القمر الخافت وضوء الشمس الدافئ قام :إنليل" مع بقية الألهة بخلق مظاهر الحياة الأخرى

قال صديقي: كنت قد عرضت هذه الاسطورة في محاضرة سابقة .. أسألك لماذا هنالك اسمين للقمر والشمس في الاسطورة؟
قلت: تناقلت هذه الاسطورة الحضارة الاكدية والبابلية والاشورية وحتى الكنعانية في سوريا وفلسطين وكل منهم وضع اسماء الهته فيها ... ف أنو في حضارة اخرى هو بحر الفوضى تيامت ونانا واوتو السومريان هما سين وشمش الاكديان ... انتقلت كثير من تلك الاساطير الى الاديان السماوية عن طريق اليهودية كما سوف اقوم بشرحة عندما نصل الى المحاضرة التي تخص الدين اليهودي.
سأل السيد حسين: هل لك ان تذكر بعض هذه التي تسميها اساطير في الاديان السماوية؟
قلت: ولو ان هذا سابق لأوانه ولكن يمكن ان اعطي مثلاً على ذلك يتعلّق بأسطورة أنيمو ألش وما تذكره الكتب السماوية عن خلق الله للسماوات السبعة ... السماوات السبعة جزء من الاسطورة التي ترسم النموذج الفلكي السائد انذاك ... الارض وفوقها ثلاثة سماوات وتحتها ثلاثة سماوات ... وهي في سماء ... المجموع سبعة سماوات.
لم يمهل صديقي السيد حسين الذي كان يستجمع افكاراً للرد عليّ فقال: انظر كيف فصل انليل السماء عن الارض ... وهناك آية في القران لا أتذكّرها تبيّن كيف فصل الله الارض عن السماء بما يشبه الاسطورة.
قال السيد خالد: أتعني الاية من سورة الانبياء " أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقًا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون" ... انها تتنبّأ بما توصل اليه العلم الان في نظرية الانفجار الكبير كما يقول المفسّرون.
قلت: القران ليس كتاب فيزياء او اي علم من العلوم ... انه كتاب روحي ومن المستحسن ان يترك هؤلاء المفسرون أدخال العلم في القران لان نظريات العلم تخضع دائماً للتمحيص والتعديل والرفض والابدال بما هو اقرب للحقيقة ... فهل تقترح ان نرفض هذه الآية لو تبيّن ان نظرية الانفجار الكبير غير صحيحة؟
قال صديقي: العلم يقول .. لا وجود للارض والسماء عند الانفجار الكبير! ، وقبل ان يمعن صديقي بتخطئة السيد خالد قلت: لنترك هذا ونعود الى المحاضرة ... هذا الذي على حاسوبي يبيّن الترتيب الطبقي للآلهة

1

آن – كي – انليل

2

اله القبّة السماوية

نانا إله القمر والتوقيت القمري والمسيطر على مصائر البشر – **اوتو** اله الشمس والعدالة

3

الاله السفلى تحت الارض

نركال – ارشكيكال – الاله المحارب نينورتا

4

الآلهة المسؤولة من الأدوات مثل المحراث وقالب الطوب

والمهن مثل الخزافين والحدادين وماشابه ذلك

آلهة الطبيعة الرمز الروحي للظواهر مثل آلهة الأنهار والجبال والنباتات والحيوانات والخصوبة والولادة والطب ، والرياح والعواصف الرعدية
ملائكة حارسة خيرة وجن وشياطين شريرة

وهنالك الهه انثوية من جميع الرتب
وكثير منهن زوجات الآلهة ولهم مهام محددة فهنالك
الاله الأم إينانا إلهة الحب الجسدي والملذات التي
التي أحبت دموزي – واسمه عند الساميين هو تموز- وهو الاله حامي القطعان والنباتات التي تموت في فصل الصيف وتحيى في فصل الربيع ونسجت حوله اسطورة موت تموز واحيائه في الربيع
في يوم رأس السنة الجديدة حيث يلعب الملك والكاهنة العليا دور الزواج المقدس لاستدرار الخصب والتكاثر



تمثال جميل للاله عشتار مزيّن بالحلى الذهبية



جدارية موجودة في المتحف البريطاني تجمع بين الاله الشمس شمش وهو يخرج من بين جبال الشرق في الصباح وعشتار الهة الحب والحرب الى يمينه وفي اقصى يمينه اله الرعود نينورتا مع القوس والنشاب

والاسد. والى يسار شمش ايا – وهو نفس انكي السومري- الهة المياه العذبة وفي اقصى يساره وزيره ذو الوجهين ؤسمو

قلت: عندما نطالع كتب الحضارة والفلسفة في الغرب نجدها تشيد بالحضارة الاغريقية التي ترعرعت منها ... ولكن الحضارة الاغريقية لم تنشأ من فراغ بل ان اسسها جاءت في البداية من حضارات وادي الرافدين والشام .. انتقلت ألآلهة السومرية الى الفينيقين .. أي الكنعانيين ساكني سواحل سوريا ولبنان حوالي 2800 سنة ق.م ، وهم الذين سيطروا بسفنهم الشراعية على التجارة في البحر الابيض المتوسط واسسوا مدناً ساحلية مثل بيروت وبيبلوس وطرابلس وصيدا وبعلبك في لبنان وقرطاج في تونس ومارسيليا في ايطاليا. وتسمية فينيقيين (Phoenicians) مأخوذة من كلمة (Phoinos) وتعني "احمر" باليونانية فكان ألكنعانيين يصبغون اشرعة سفنهم بصبغة قواقع بحرية (الموركس) تعطي صبغة إرجوانية مائلة للحمرة وعندما يلمح اليونانيون سفنهم الاتية من البحر يهتفون جاء الحمر ... الحضارة الاوربية الحاليه هي وليدة الحضارة الرومانية والحضارة الرومانية هي وليدة الحضارة الاغريقية والحضارة الاغريقية هي وليدة حضارات وادي الرافدين والشام ... انظروا كيف تناقلت الحضارات نفس الالهة السومرية ولكن بأسماء مختلفة

السومريون (آن) > الساميون (آنو) > الاغريق (ابولو) > الرومان (جوبتر)

السومريون (نانا) >الساميون (سن)

السومريون (اوتو) >الساميون (شمش)

السومريون (أنانا) >الساميون (عشتار) >الاغريق (افروديت) >الرومان (فينوس)

قال قيس: من هم الساميون الذين ذكرتهم الان استاذ؟
قلت: هم نفس الكلدانيين والبابليين والاشوريين وكذلك اليهود والكنعانيين ... انا لا احب هذه التسمية المشتقّة من تقسيم عنصري ورد في التوراة ولكني استخدمة بدلاً من ذكر اسماء كل الشعوب التي هاجرت من شبه الجزيرة العربية ، واصلت حديثي: ... ننتقل الان من الديانات المتعددة الالهة الى الزرادشتية والتي يطلق عليها بالديانة المثنوية..

الزرادشتية المثنوية

هذه صورة متخيّلة لزرادشت نبي الزرادشتية ... هذه صورة مأخوذه من الطائفة الزرادشتية في امريكا ... ترون عليها تأثير الصورة المتخيلة للمسيح



الديانة الزرادشتية هي ديانة فارسية ... الشعوب الفارسية هي من هجرات شعوب قديمة من اواسط سيبيريا ... سمَيت الشعوب المهاجرة من اواسط سيبيريا بالشعوب الهندو أوروبية لأن قسماً منها تحول الى الهند وقسماً منها تحول الى اوربا ماراً بأيران الحالية ، ولهذا يسمي علماء الانثربولوجيا الشعوب الاوربية بالشعوب الآرية نسبة الى ايران. وفي هجراتها حملت الشعوب الهندو أوروبية معها جزءاً من ارثها الديني الشيماني ليتطور في شبه القارة الهندية الى الديانة الهندية الفيديكية وليعاد صياغة الديانة المثرائية (نسبة الى الاله مثرا) المأخوذة من معتقدات الشعوب الآرية الى الديانة المثراسية عند الشعوب اليونانية والرومانية ... لقد برز من بين العقول النيرة في ايران قبل حوالي الف سنة ق.م النبي زرادشت وطور ديانة سميت بأسمه استقاها من التراث الديني لقومه الآريين والتراث الديني الغني لاقوام أسسوا حضارات متطورة في بلاد ألرافدين وكان لديانته أثراً كبيراً في الديانات التوحيدية بصورة عامة.
قاطعني صديقي قائلاً: سمعت ان زرادشت كان كردياً وكتابه الآفستا مازال مدونا باللغة الكردية باللهجة الكرمانجية البهدينانية وقد طرده قومه وتوعدوه بالقتل فهرب والتجأ الى أمير من أمراء الفرس الذي تبنى نشر ديانته.
قلت: لعلفي هذا الرأي شئ من الصحة... الكرد على اي حال من جملة الشعوب الارية ولعل دمائهم اختلطت بدماء شعوب المناطق التي سكنوها وصلتهم العرقية واللغوية بالفرس قوية، واصلت حديثي:

تحول مثرا الهندو اوربي الى الى الاله "اهورا مزدا" في الديانة الزرادشتية .. هو اله الكون الذي لاشريك له ويتوجه اليه وحده كل عابديه. اهورا مزدا يتجلى في المبدأ "اشا" وهو الحقيقة والنظام في العالم ، فالخير والقوة الخلاقة والمنظمة للكون هو اهورا مزدا. ويتجلى نفي الحقيقة والنظام في المبدأ "دروج" وهو الزيف وفوضى اللا نظام ... وقوة الشر المدمرة هي "أنكرا مينيو". وتتصارع قوّتا الخير والشر دوماً وللانسان دوراً رئيس وفعّال في هذا الصراع ، فالانسان احد مخلوقات اهورا مزدا وفيه من روحه "سبينتا مينيو" مما يجعل واجباً عليه ادامة عمل الخالق في عمل الخير.
سأل سمير: فلماذا يقال انه دين مثنوي مادام الاله اهورا مزدا لا شريك له؟

قلت: كان لا بد لي ان اضع الزرادشتية قبل الديانات الابراهيمية التوحيدية .. ولعل البعض من الزرادشتيين انفسهم يظنون ان هنالك الهين متصارعين .. اله الخير واله الشر ... ولهذا لُصقت كلمة المثنوية بالزرادشتية ... الزرادشتية ديانة توحيدية الاهها الخالق هو اهورا مزدا الذي يتصف بالخير ولكن قوة الشر المتمثلة بأنكرا مينيا هي قوة التدمير واللا نظام التي تعمل في مادة العالم وفي مخلوقاته ... تدعو الزرادشتية الى سعادة الانسان من خلال حياة ملؤها فكر وقول وفعل للخير وابتعاد قدر المستطاع عن المساهمة بالفوضى والتدمير وتعتبر المشاركة الفعالة في الحياة الدنيا تجسيد لارادة الانسان الحرة. ترفض الزرادشتية القدرية والعقاب والثواب الجماعي وتعتبر ان العقاب والثواب هو ثمرة اعمال الفرد في حياته الدنيا. ان قدر الانسان ومصيره في الحياة وفي الاخرة يخضع لارادته الحرة ، لذلك فأن واجبه الاخلاقي يحتّم عليه عمل الخير لكي ينعم في الدنيا برضى الاله وفي الاخرة بنعيم الجنات. وتعدنا الزرادشتية المتفائلة بالحياة بأنتصار اهور مزدا في نهاية الامر وعندها تحل القيامة على الارض فيتجدد الكون ويتوقف الزمن وتهاجر ارواح كل المخلوقات الحية والتي ماتت لتتحد ثانية باهورا مزدا. وبذلك يمكن القول ان الزرادشتية تحمل نظرة عالمية لا تفرق بين اي من المخلوقات فكل الارواح ستتحد بالاله في نهاية الامر بعد التخلص من كل الشرور.

قال السيّد خالد: لقد كلت كثير من المدح للزرادشتية وكان الزرادشتين في كثير من الاحيان مدانون لكونهم من عبدة النار ... فهم كفرة بنظر أكثر المسلمين

قلت: للزرادشتيين طقوس وصلوات متعددة ، وهم لا يعبدون النار الموقدة دوماً في معابدهم كما يشاع عنهم بل ان النار والشمس هما رمزان للطاقة الالهية الخلاقة التي يتجهون اليها في صلواتهم ويتباركون بها. يعتقد الزرادشتيون بأن الروح تغادر الجسد بعد اربعة ايام من الموت وهم لا يدفنون الجثة التي يعتبرونها نجسة او يحرقونها على الارض لقداسة الارض والنار عندهم بل يحملون الجثة الى مكان عالي لتنهشها الطيور والضواري ثم يجمعون ويأخذون العظام بعدها ... لم يجبر المسلمون في بداية الفتوحات الزرادشتين الذين أسموهم بالمجوس على الدخول في الاسلام الى العراق وعاملوهم معاملة ذوي الاديان السماوية.

سأل الاستاذ بهنام: لماذا سمّى المسلمون الزرادشتيين بالمجوس؟

قلت: المجوس قبيلة صغيرة كانت تتكفل بالقيام ببعض المراسيم للزرادشتيين مثل مراسيم العزاء ولكن الزرادشتية تحولت تحت تأثيرهم الى المذهب الزرفاني المكبل بالطقوس الكثيرة واصبحت الزرفانية مذهب الدولة في العهد الساسانسي (226-637 م) ... فلعل المسلمين اعتقدوا ان المجوس هم نفس الزرادشتيين.

قال السيد بهنام: أتعرفون القصة حول سفر ملوك المجوس الثلاثة وحضورهم في المكان الذي ولد فيه المسيح وتقديمهم الهدايا له؟

قال صديقي: نعم ... كل عيد ميلاد للمسيح نسمع الاطفال في الكنيسة يرددون اغاني تمجّده وتذكر ملوك المجوس الثلاثة الذين علموا بولادته وجاءوا لمباركته.

قال السيد بهنام: شئ جميل استمتع به كثيراً مع عائلتي ... تمثلية فيها اطفال يأخذون دور العذراء والملائكة حولها والملوك الثلاث يقدمون الهدايا ... ولكن ذلك لم يحدث ... انها قصة فقط.

قال السيد محمد: قصّة جميلة ... دع الناس يصدّقونها ما دامت تدعو للسلم والمحبّة.

أكملت حديثي: لقد تطور مفهوم العقاب والثواب في زمن الامبراطورية الاخمينية (648–330 ق.م) فالعقاب والثواب هو على افعال الفرد فقط ، وقد رافق ذلك تطور مفاهيم الجنة والنار ويوم الاخرة والسراط المستقيم الذي يجب على الروح ان تعبره ... هناك تشابه بين الديانتين الزرادشتية والمانوية في مبدأ ثنائية الصراع بين قوى الخير والشر واليزاتا الالهي ولكنهما يختلفان كلياً في النظرة الى الحياة. فالمانوية التي هي امتداد للعرفانية الشرق اوسطية التي تنسب كل الخير الى الروح اللا مادية وكل الشرور الى المادة وتعتبر المشاركة الفعالة في الحياة الدنيا مشاركة في الشرور. فالمانوية هي شكل من اشكال التقشف الصوفي عكس

الزرادشتية التي ترفض كل اشكال التقشف ولا تعترف بثنائية المادة والروح ولاترى اختلافاً بين العالم الروحي والعالم المادي. ان المبدأ الاساس في المانوية هو ان العالم المادي الذي صنعت منه اجسادنا هو من خلق الشيطان وهذا يخالف جذرياً المبدأ الاساس للزرادشتية في ان خلق العالم المادي هو الخير الذي أنعمه الاله الواحد وان الشر هو في تدمير الخلق.
سأل قيس: وما هو الدين المانوي الذي لم اسمع عنه سابقاً؟
قلت: الدين المانوي نشأ في العراق الذي كان ضمن الامبراطورية الساسانية على يد ماني وسوف اتكلم عنه في محاضرة مقبلة ... لقد انقرض هذا الدين منذ زمن بعيد ولذلك لم تسمع عنه.
سأل الاستاذ محمد: قلت ان للزرادشتية تأثير كبير على الاديان التوحيدية ... كيف ذلك؟
قلت: دخل الكثير من مفاهيم الزرادشتية الى الدين اليهودي في فترة تواجد اليهود في بابل فاصبح الكثير من مفاهيمها من اساسيات الايمان في اليهودية والمسيحية والاسلام ، مثل الصراع بين الخير والشر المتجسد بالشيطان وحكم الله على اعمال الفرد والجنة والجحيم وقيامة الروح في اليوم الأخير على الارض وحياة النعيم الأبدية للأخيار في جنّة الخلد وعذاب الجحيم للاشرار.
للزرادشتية كتاب رئيسي مقدس هو "الافستا" والكهنوت عندهم وراثي وطقوسه متعددة والنار المقدسة في معابدهم لا تُعبد بل هي لتطهير النفوس. الزرادشتيون اليوم هم قلة متناثرة من حوالي 200000 نسمة فهنالك بضعة الاف في موطنهم الاصلي ايران وحوالي 115000 في مومباي - الهند وحوالي 7000 في الولايات المتحدة الامريكية.
قال صديقي: هذا دين عظيم فلماذا لم ينتشر في ارجاء واسعة من الارض ، كما هو الحال مع المسيحية والاسلام مثلاً ... فهو في رأيي الاقرب الى الواقع الانساني؟
قلت: اعتقد ان هناك عدة اسباب اهمها.

1. لم تكن للزرادشتية طبيعة تبشيرية كالمسيحية مثلاً فاقتصرت على الشعوب الفارسية تقريباً .
2. تحولت الزرادشتية في ظل الدولة الساسانية المتأخرة والحروب المتوالية مع البيزنطيين الى الزرفانية المثقّلة بالطقوس الكثيرة والمساندة لاوتوقراطية ارهقت المحكومين بضرائب باهضة. ولما جاء الاسلام نبذ كثير من معتنقي الزرفانية دينهم وتحولوا الى الاسلام الذي اعتقهم من الجزية في بداية الدعوة الاسلامية.
3. حدّت المسيحية من انتشار الزرادشتية في ظل الامبراطورية الرومانية ثم جاء الاسلام وانهى اخر الامبراطوريات الفارسية التي اتخذت من الزرادشتية الزرفابية دينا لدولتها وانهت بذلك حماية السلطة لها فتحجّمت في قلة من الارستقراطية الفارسية التي فرّ اكثرها الى الهند.

انتهت محاضرة اليوم وشكراً لأستماعكم وسعة صدركم ومشاركتهم الفعّالة في النقاش ... المحاضرة المقبلة حول الاديان التوحيدية وعندما افرغ من تحضيرها اخبر صديقي ليتصل بكم لترتيب لقاء اخر في هذا المقهى.

محادثات فلسفية مع صديقي (14)

المحادثة الرابعة عشر - حول الاديان التوحيدية الابراهيمية – اليهودية 1:

أخبرت صديقي بأكمالي المحاضرة التي وعدت بها فاتصل بالاصدقاء وتواعدنا على اللقاء المعهود في مقهى الشابندر في العاشرة من يوم الجمعة المصادف 219/2/15. جاءني صديقي ذلك اليوم وبصحبته الشابين سمير وقيس وعندما وصلنا الى المقهى كان في استقبالنا كلٍ من الاستاذان محمد وبهنام والسيدان خالد وحسين. جرى حديث قصير عن الجو البارد في بغداد تلك الايام بينما كنّا نتهيأ للجلوس في مكاننا المعتاد وبينما ناديت على عامل المقهى لأحضار الشاي.
بدأت المحاضرة بالقول: سوف اتحدث اليوم عن الاديان الإبراهيمية التوحيدية .. سُمّيت بالإبراهيمية لأنها تشترك في إعتبار النبي إبراهيم هو مؤسسها الاول .. وأول ما إتكلم عنه هو الدين اليهودي وذلك للاسباب التالية ... اولاً الدين اليهودي هو اصل الاديان التوحيدية وموضوعه يستحق الاهتمام وبعض التفصيل في نشوءه وتطوره ... فمن دون هذا التفصيل الذي سوف يغطي الجزء الاول والثاني من المحاضرة سوف لا نتمكن من الفهم الصحيح للأديان التوحيدية التي تلته ... اي المسيحية والأسلام ... سيكون موضوع المحاضرة التاليه عن المسيحية واهم الاديان الاخرى التي تواجدت في العراق.
قاطعني السيد خالد: ولماذا لا تتحدث عن الاسلام ايضاً ... أليس الاسلام دين التوحيد الخالص وليس كما في اليهودية والمسيحية؟
قلت: الموضوع حول الاسلام مهم جداً في ظل الاوضاع الحالية ولذلك سيحتاج الى محاضرة خاصة مقبلة بعد هاتين المحاضرتين ، أومأ السيد خالد برأسه بالقبول فتابعت الحديث ،... دراستي للاديان هي دراسة تاريخية وموضوعية قدر الامكان ... فالأديان هي جزء لا يتجزء من الحضارت الانساية المتعاقبة ، وتدعّم الحضارة الجديدة الناشئة وجودها بالاخذ من الحضارة الافلة فالمعتقد الديني يأخذ قليلاً او كثيراً من مقومات وجوده من فكر واديان الحضارات التي تعايش بينها. فاليهودية اخذت اهم مقومات تشريعاتها وقصصها الديني من اديان وتراث حضارة وادي الرافدين ووادي النيل والديانة الزرادشتية ، واخذت المسيحية من اليهودية ومن الفكر العرفاني السائد ورفضت الكثير من التشريعات اليهودية فأستقلّت كدين جديد ولكنها ما لبثت ان ادمجت العهد القديم اليهودي بالعهد الجديد المسيحي. وقد أُعتبر الدين الاسلامي تواصلاً مع اليهودية والمسيحية فاخذ من اليهودية الكثير ومن النصرانية وفكر احناف الجزيرة العربية ايضاً.
الاديان الابراهيمية
ما يجمع الاديان التوحيدية الابراهيمية هو الايمان باله واحد خالق للوجود ، كُليّ القدرة والمعرفة ، والقول بأنحدارهم من جد مشترك هو النبي ابراهيم ، والقول بأن الأله الواحد يرسل الانبياء ليهدوا الناس الى عبادته وشرائعه الواجب اتباعها لينالوا رضاه وثوابهم الجنة الموعودة في حياة الاخرة وللمشركين والكافرين به وبشرائعه عقاب جهنم وبئس المصير ... اود القول وقبل ان ابدأ بالحديث عن اليهودية بأن نتيجة بحثي يخالف جذرياً الكثير من العقائد الدينية في الاديان التوحيدية ... فأرجو ان تتقبلوا مني ما سوف اقول بروح رياضية ولكم ان ترفضوه ... كلّه او جزء منه وتجادلوني بالمنطق والدلائل التاريخية وسوف اتقبّل كل ما أجده صحيحاً من اقوالكم ، ساد وجوم على وجوه المستمعين ولكني لم اجد إعتراضاً على ما ذكرته فتابعت:
الديانة اليهودية هي عقيدة دينية تُنسب الى معتنقيها في مقاطعة يهودا في فلسطين ... وقد نشأت في رحم عشيرة جوّالة بين الامم والحضارات العريقة الأكدية والكنعانية والبابلية والفرعونية. وهي تمتُّ بأصولها العرقية واللغوية الى شعوب تلك الحضارات التي كانت قد هاجرت على مر السنين من الجزيرة العربية واستقرت في وادي الرافدين وفي سوريا وفلسطين وفي دلتا نهر النيل ... تكامل الدين اليهودي على مدي ما يقارب الالفي سنة وسُطّرت نصوصه الدينية المقدسة في "التَناخ" ما بين سنة 1400 ق م وسنة 300 ق م. ويتكون التناخ من "التوراة" التي تحوي الاسفار الخمسة و "النڤيئيم" (اي الأنبياء) ويحوي قصص ومآثر الانبياء و"الكيتوڤيم" اي الكتب ويحوي الأدبيات اليهودية. وهنالك كتب اخرى مكمّلة ... فهناك مجموعة من الاشعار والاناشيد نسميها بالعربية بمزامير داوود ومجموعة من كتابات لرؤساء الطائفة اليهودية

(الحاخامات) ... وهناك ايضا كتابات "القبالاه" التي تشابه في مضمونها وتحاكي ما يقابلها في التصوف الاسلامي ، فقد ظهرت بعد نشأة التصوف الاسلامي وتأثرت به.
علّق صديقي: قرأت عن القبالاه او الكابالا بالعبرية في الوكبيديا وفيها فكر عرفاني وطقوس واستدال على ما خفى بقراءة الارقام.

قلت: هذا يسمى بعلم الجفر في المعتقد الاسلامي ... فهو لغة باطنية .. فيها لكل حرف وكلمة ورقم وحتى لهجة الكلمات معاني باطنية تشرح الابعاد الروحانية.

تساءل السيد حسين: كم عدد اليهود في العالم؟
قلت: حوالي 14 مليون نسمة منهم حوالي 6 ملايين في اسرائيل واكثر من 5 ملايين في الولايات المتحدة الامريكية والباقي موزعين بين عدة بلدان اوربية وكندا وجنوب أميركا ... امّا سبب عدم كثرتهم في العالم فيرجع بصورة رئيسة الى ان الدين اليهودي غير تبشيري.
واصلت حديثي: تعكس التوراة دين وتراث شعب لا زال في طور بدائي يمثل طفولة الوعي الاجتماعي ، فهو تراث قبيلة جوّاله خرجت لتوها من طور المشاعة البدائية الامومي الى القبلية والمجتمع الابوي وعاشت على اطراف حضارات عريقة فأستلهمت منها ودمجت الكثير من فكر دياناتها وتراث ثقافاتها في ديانتها الخاصة.
سأل السيد حسين: وما هي المشاعة البدائية استاذ؟
قلت: سبق ان شرحتها في محاضرة سابقة وسوف الخّص اهم مقوماتها للذين لم يكونوا حاضرين تلك المحاضرة او نسوا مضمونها ... المشاعة البدائية هي اول شكل للنظام الاجتماعي المكون من مجموعة صغيرة من البشر المعتمدين في معيشتهم على ما تمدّهم به الطبيعة من نباتات برية وصيد ولا توجد فيها ملكية خاصة فهي مشاعة بين جميع افرادها وتتغلّب فيها سلطة المرأة على سلطة الرجل ...
ردد الاستاذ بهنام ضاحكاً: يعني هذه الحالة موجودة الان في بيتي ... مرتي صاحبة السلطة وماكو ملكية خاصة.
قلت: نرجع الى صلب الموضوع ... كأي مجتمع قبلي فأن قرابة الدم عند القبيلة العبرية ذات اهمّية قصوى ولذلك سطرّت في كتبها المقدسة انساب اجدادها وفروع عشائرها وتاريخها الاسطوري ، وسجّلت فيها ايضاً غيرتهم ونقمتهم الطفولية على مضيفيهم الذين استضافوهم اثناء حطّهم في مرابعهم وترحالهم ، وامانيهم بالجاه والسلطة بعد تحقيق وعد رب قبيلتهم بالاستيلاء على املاكهم. وقد اثارت فترة السبي اليهودي في بابل (565 ق م) مخاوف اندثارهم بين شعوب ارقى منهم فدوّنوا في التوراة وكتب مقدسة اخرى انسابهم وتاريخهم الاسطوري وأضافوا إلى معتقداتهم البدائية القديمة تراث الشعوب التي تعايشوا معها ونسبوه الى تراثهم ... مع بعض التحويرات التي تناسب مقاصدهم. وبعد فترة السبي البابلي فضّل الكثير منهم البقاء على ارض العراق ورجع قسم اخر منهم الى ارض فلسطين ليستكملوا عملية التدوين الى ما قبل نشوء المسيحية وانتشارها. يبدأ تاريخ اليهودية حسب التوراة بهجرة النبي ابراهيم من موطنه الاصلي وتنقله بين البلدان. ولقد تطور الدين اليهودي من بدايات وثنية ممزوجة بأساطير الامم التي تعايش العبريين معها ولكن حقبة النبي موسى تعتبر فترة تأسيس لدين متميز عن باقي الاديان استتبت فيه عقيدة التوحيد الخالصة وارسيت فيه التشريعات الدينية الاساسية حتى تكامله في الثلاثمئة سنة التي سبقت ظهور المسيح ، في ظل الثقافة والفلسفة اليونانية والعرفانية التي تركت تأثيرها الانساني فى كتابات اللاهوتين المتأخرين ... تكاد لا تخلوا صفحة من التوراة من الاساطير المستلهمة من الشعوب التي تعايش معها اليهود وهم في اطوار تكوينهم الاجتماعي ... ومن تلك الاساطير قصة الخليقة وخلق الانسان (ادم وحواء) والطوفان وكذلك قصة موسى في مصر واللعنات العشرة التي حلت بفرعون مصر وقومه.
تساءل قيس: وما هي اللعنات العشرة استاذ؟
قلت: هي الكوارث العشرة التي احلها الله بقوم مصر وذلك لنصرة قوم النبي موسى ... تحول الماء الى دم في النهر وموت الاحياء المائية ، مطر من الضفادع ، تكاثر وهجوم الذباب والبعوض ، مرض المواشي وموتها ، دمامل لا تندمل ، عواصف ثلجية ورعود ، هجوم للجراد الذي أكل الزرع ، ظلام في النهار. هذه

المصائب حسب التوراة طالت كل من لم يضع علامة الرب على عتبة داره فيموت له المولود الاول من بنيه ومن حيواناته ...
تابعت حديثي: ليس من الصعب على الباحث الانثربولوجي والاجتماعي ان يرى من خلال مدونات كتب اليهود المقدسة وعلى راسها التوراة شواهد كثيرة على الانتقال من مجتمع المشاعة البدائية الامومي الى المجتمع القبلي الابوي الذي توطدت فيه الملكية الخاصة وهيمنة الاب على الام والعائلة.
قاطعني السيد حسين بالقول: وقياسا على هذا الاجتهاد فأن الدين الاسلامي يمثل انتقالا من مجتمع القبيلة الى مجتمع المدنية ممثلا بالهجرة والاستقرار في يثرب التي تحول اسمها الى المدينة وتحولت القبلية الى أمّة انصهرت فيها القبائل وتربطها العقيدة الدينية بدل العصبية القبلية ... ان الذي يراجع التاريخ الاسلامي يلاحظ عدم نجاح التحول من القبيلة الى الامة فقد حدث الانتكاس حتي ايام النبي ولكن مفهوم الامة الاسلامية برز من خلال الامبراطوريات الاسلامية المتعاقبة وفي قلبها القبلية ممثلة بالخلافات العربية القريشيّة ومن ثم الغير عربية العثمانية والصفوية.
قلت: هذا تحليل جيّد ولكنه سابق لأوانه ... لعلنا نناقشه في موضوع الاسلام ، تابعت حديثي: قلت سابقاً ان الدين اليهودي ولد في قبيلة جوّالة غريبة بين الامم التي حلت بينها لفترة زمنية قد تطول ولكن لتواصل مسيرتها. وحتى لمّا سنحت الفرص التاريخية لتكوين كيانات يمكن اعتبارها بدايات نشوء دولة مستقلة مثل اسرائيل والسامرة فأن ألظروف التاريخية لم تسمح لها بتطوير مدنية راقية تعكس ثقافتها في شرائعها الدينية فقد سحقت هذه الدويلات الناشئة بجبروت الامبراطوريات التي سادت المنطقة (الاشورية والبابلية والحثّية والرومانية). ولقد استمر بعدها الكيان اليهودي الذي استقر في فلسطين مستعمرة تحت قبضة هذه الامبراطوريات المتسلطة التي كان اخرها هيمنة الامبراطورية الرومانية على فلسطين والشام. وعليه فأن الطبيعة القبلية كانت قد اصبحت جزءاً من التراث اليهودي تحث عليه التوراة وتؤيده اليوم فئة من اليهود الاصوليين الذين يعتبرون نشوء دولة اسرائيل خروجاً على الدين لأن اليهود سيبقون غرباء بين الامم حتى يوم رجوعهم الى ارض الميعاد ، وذلك يوم ان يظهر المسيح الحقيقي (حسب اعتقادهم) ليبدأ معركة القيامة الفاصلة مع الشيطان في هرمجدّون فينتصر على الشر ويقيم دولة العدل وليعيش اليهود الاوفياء لعهد ربّهم فيها الى الابد.
قال صديقي: مع احترامي لمعتقداتكم الدينية ولكن هذا يدل على مصدر الاعتقاد السائد بين المسلمين حول المهدي المنتظر الذي سيأتي آخر الزمان ليقيم دولة العدل على الارض ... هذا اعتقاد يحاكي عواطف الناس المظلومين اللذين لا حول لهم ولا قوّة وهو قديم قدم الحضارة ... المهدي المنتظر عند الشعوب القديمة هو المخلّص ... عند البابليين هو تمّوز الذي يأتي كل ربيع ... وعند اليهود هو المسيح المنتظر ... وعندما جاء نبي يقول لهم انا المسيح المنتظر لم يصدقوه وصلبوه ... انا أقصد يهود ذلك الزمان فقط فمن الخطأ ان نلوم عامة اليهود عما فعله اجدادهم.
تابعت حديثي: ... هناك مفكرون يهود كبار منهم البروفيسور شلومو ساند استاذ التاريخ المعاصر في جامعة تل ابيب ... ففي كتابه "كيف أُخترع الشعب اليهودي" يشكك بمفهوم الشعب اليهودي والامة اليهودية فيوثق في عمله الاكاديمي ظهور مفهوم الشعب اليهودي في اوربا القرن التاسع عشر اثر تصاعد موجة المشاعر القومية انذاك.
سأل الاستاذ بهنام: انا اعرف ان اليهودية مقتصرة على الانحدار من ام يهودية وبما أنهم من الاقوام التي انحدرت من شبه الجزيرة مثلنا فأنا لا أفهم كيف ان فيهم من له شكل اوربي ... عيون زرقاء وشعر اشقر ... او مثل يهود الفلاشا السود ؟
قلت: يظهر ان الدين اليهودي كان قد مر بمرحلة تبشيرية فتواجدت تجمعات تحولت الى اليهودية ... فهناك يهود اليمن (الدولة الحميرية) واثيوبيا وهناك يهود شمال افريقيا واوربا وروسيا (يهود الخزر). فيبدو ان التشريع الذي يقصر اليهود على المنحدرين من ام يهودية فقط اقتصر على الراجعين الى فلسطين بعد فترة السبي البابلي وذلك كرد فعل مبالغ به لتأكيد الهوية اليهودية المغلقة على الغير ...
تابعت حديثي: تنبؤنا التوراة بسلالة من صلب النبي ابرام وزوجته ساراي ، هو في القران النبي ابراهيم وزوجته سارة ، وألانبياء اسحق ويعقوب والتالين من الانبياء والقضاة والحكّام الذين اسسوا للدين اليهودي وطقوسه. وقد اصبح من المتعارف عليه اطلاق اسم "ساميين" (وهواسم مأخوذ من سام ابن نوح جد النبي

ابراهيم) على الاقوام التي تنطق بلغات عدة من عائلة واحدة ومن جملتها اللغة العربية. ولقد رُفضت هذه التسمية من قبل الكثير من الباحثين ... ولكني استخدمته في القسم الاول من المحاضرة ولعل من الافضل تسمية تلك الاقوام بالاقوام النازحة من شبه الجزيرة.
قال الاستاذ بهنام: من سلالة انبياء اليهود كان المسيح عيسى ابن مريم البتول الذي لم تعترف بنبوته اليهودية بل حرّضت على صلبه.
قال صديقي: ونبي الاسلام الذي لم تعترف بنبوته اليهودية والمسيحية ، ولكن ضرورات الواقع العملي والتعايش السلمي فرضت اعترافاً ضمنياً غير مكتوب بين الاديان الثلاثة وبحقوق ممارساتها لشعائرها الدينية. فلقد كان هناك تسامح ديني كبير بين الاديان تخللته فترات قصيرة من التعسف ضد الاقليات الدينية في ظل الامبراطوريات الاسلامية المتوالية في اسيا وشمال افريقيا .. لم يكن عند المسلمين عقدة قتل المسيح من قبل اليهود كما عند المسيحيين ولم تكن الامبراطوريات الاسلامية مهتمّة اصلاً بالدين بل بحكمها وولاء الرعية لها مهما أختلفت اديانهم.
واصلت حديثي: تقول الرواية المأخوذة من النص التوراتي ادناه ، والتي ايّدها الباحث الاثاري شارلز وولي (Sir Charles Wooly) سنة 1927 ، انه في حوالي سنة 1700 ق م هاجرت عشيرة صغيرة يرأسها تارح ابو ابرام (وهو في النص القرآني آزر ابو ابراهيم) من مدينة اور على نهر الفرات جنوب العراق الى ارض كنعان (فلسطين) ، وقد آلت رئاسة العشيرة الصغيرة الى ابرام عند وفاة والده تارح في ارض حاران.

وأخذ تارح ابرام ابنه ولوطا ابن هاران ابن ابنه وساراي كنّته امرأة ابرام ابنه
فخرجوا معا من اور الكلدانيين ليذهبوا الى ارض كنعان
فأتوا الى حاران واقاموا هناك ومات تارح في حاران
تكوين: 11: 31 – 33

وتمشياً مع التفسير اعلاه فأن تسمية "عبري" و"عبريين" قد يكون اسماً اطلق في غابر الزمان على الذين عبروا نهر الفرات واستقروا في ارض فلسطين.
قال الاستاذ محمد: انا لا اجد في اصل التسمية مشكلة فلا زال عرب الجنوب يسمّون الناس الذين يمرون بقراهم عبرّية.
قلت: هذا كلام معقول ... اما اسم النبي ابراهيم وهو عند العبريين إبرام ففي تقديري هو في الاصل عبرام (الذي عبر) بلهجة بعض القبائل التي تبدل الألف بالعين ، فمن الواضح ان الهمزة تحت امتداد حرف الالف في اللغة العربية هي عين مصغّرة. وقد يكون (كما أعتقد) الاسم "ابراهيم" هو اسم تعظيم على وزن مفردة إله وجمعها إلوهيم باللغة العبرية ... ولكن هناك رأيا قديما يستحق اهتمامنا يخالف ما ورد اعلاه عن نزوح ابرام من ارض الكلدانيين جاء به د. سيد القمني مدعوماً بأدلة استقاها من عدّة مصادر وذلك في كتابة الموسوم "النبي ابراهيم". فكلمة اور باللغة الكلدانية والارامية القديمة تعني مدينة وقد أُطلقت دلالة على عدة مدن مثل اورشليم (مدينة السلام) في فلسطين واوروك في جنوب العراق واور اوتو في ارمينيا. ويبدو ان خطأً مقصودً في ترجمة التوراة من لغتها الارامية التي كتبت بها اولاً الى الأغريقية في حوالي القرن الرابع ميلادي ادّت الى ابدال الاصل (**اور كسديم**) بأور الكلدانيين.
سأل سمير: ولماذا خطأ مقصود ... كيف يكون ذلك؟
قلت: لعل المترجمون حاروا في مصدر كلمة كسديم فحوروها الى الكلدانيين ... وبما ان اور كسديم ومنطقة حاران وكنعان تقع على الجهة الغربية من نهر الفرات فلا داعي لعبور النهر للوصول الى حاران ومن ثم الى كنعان. ان النص التوراتي الاتي يظهر ان اصل عشيرة ابرام هو من منطقة حاران.

فأتوا حاران واقاموا هناك ومات تارح في حاران وقال
الرب لابرام اذهب من ارضك وعشيرتك ومن بيت ابيك
الى ارض التي اريك ، فأجعلك امة عظيمة واباركك
واعظم اسمك وتكون بركة فأخذ ابرام ساراي امرأته

ولوطا ابن اخيه وكل مقتنياتهما التي اقتنيا والنفوس
التي امتلكا في حاران وخرجوا ليذهبوا الى ارض كنعان
تكوين: 11 : 31 ، 12 : 1 – 5

وبطريقة الاستدلال من التاريخ القديم للمنطقة المحيطة بكنعان والابدال اللفظي يستدل القمني على ان اور كسديم هي عينها اور ارتو في ارمينيا. ولعل ذكر التوراة لجبال ارارات كموقع لرسو سفينة نوح ومن ثم اتخاذ نوح (وهو جد ابراهيم) له فيها سكناً وفلاحته لارضها ما يؤيد الرأي اعلاه. ويستطرد القمني في صفحة 59 "والمعروف ان القحطانيين هم من سكان جنوب الجزيرة العربية اصلا وهم الذين انتشروا في الجزيرة بأسم العرب العاربة ، اي الراسخة في العروبية ، اما العرب الاسماعيلية فهم العرب العدنانية وهم العرب المستعربة ، اي لم يكونوا عربا انما اكتسبوا العروبية وسكنوا شمال الجزيرة وامتدادها مع بادية الشام نحو الشمال على الخط القادم من الموطن الذي إفترضناه موطنا اول أولاً للعشيرة الابراهيمية". وتكون بذلك مسيرة النبي ابراهيم ورهطه الذين كانوا على دين الاله إيل من اور ارتو الى حاران ومن ثم الى كنعان ومنها الى مصر.
قال صديقي: ... هنالك رأي يرجع اشتقاق كلمة الله الى كلمة إيل ، فأن إيل اوإل يلفظ في لهجات محلية اخري عل وعال وعالي فهو يرمز الى رب السماء. ثم تحولت كلمة إل الى إله وعند ادخال اداة التعريف ال تصبح الكلمة الله مع تعظيم حرف اللام الوسطي.
قال السيد خالد: انا اشكك في ما تقول فقد عرف العرب كلمة الله ومدلولها الاله الواحد الاحد قبل الاسلام.
قلت: ... هذا جائز ... لاحظ ان رب العبريين انذاك هو نفس إله السماء عند الكنعانيين إيل ولم يصبح ربهم يهوه حتي فترة ما بعد عهد النبي موسى ... ولعلنا نلمس نمط الفكر الابوي في تصور الاله في التوراة ... فهو الاب ورب الاسرة العبرية ، وهو رب يغار ويحب ويكره ويقسوعلى اولاده حيناً ويكافئهم حين يتيقن من طاعتهم المطلقة له ، وهو اله ينصر عشيرته سواء كانت على حق ام على باطل ويفضلها على كل الخلق. ولعل الشعور بالدونية وسط شعوب حضارات عريقة اقوى واكثر رقيا كان دافعا لتصريحات ربانية متعددة على لسان انبيائهم بأنهم شعب الله المختار وتمنّيهم بنصر مبين واكثارٍ لذريتهم وسيادتهم على اعدائهم.

وَلَمْ يُفَضِّلْكُمُ الرَّبُّ وَيَتَخَيَّرْكُمْ لأَنَّكُمْ أَكْثَرُ عَدَداً مِنْ سَائِرِ الشُّعُوبِ، فَأَنْتُمْ أَقَلُّ الأُمَمِ عَدَداً. بَلْ مِنْ مَحَبَّتِهِ ، وَحِفَاظاً عَلَى الْقَسَمِ الَّذِي أَقْسَمَ بِهِ لِآبَائِكُمْ ، أَخْرَجَكُمْ بِقُوَّةٍ فَائِقَةٍ ، وَفَدَاكُمْ مِنْ نِيرِ عُبُودِيَّةِ فِرْعَوْنَ مَلِكِ مِصْرَ
تثنية7/7

قال السيد خالد: القرأن لا ينكر ان من اليهود شعب الله المفضّل ففي سورة البقرة "يا بني إسرائيل أذكروا نعمتي التي انعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين" ، ولكنه يخص بذلك بني اسرائيل اي يهود اسرائيل التاريخية التي زالت. ويعتبر القرأن انبياء اليهود والنصارى مسلمين بمعنى تسليمهم واستسلامهم للواحد الجبار وبذلك تشمل امة المسلمين اليهود والنصارى ممن يتبعون انبيائهم الموحدين لله. ويخاطب الله في القرأن ماضي امة الاسلام بصفة التفضيل لكونها كانت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر "كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنكَرِ".
أكملت حديثي: ... يبدو ان اليهودية كانت في بدايتها دين العبريين المنغلق على نفسه ثم اصبحت لفترة غير منغلقة كما بينت سابقاً ولكن النبي عزرا الكاتب الذي كان في بابل عزز هذا الانغلاق بعد انعتاق اليهود من السبي ورجوعه مع قسم من يهود السبي الى ارض فلسطين ، فاصبح ذلك تشريعاً يحرم فيه زواج اليهودي بأجنبية ... ان الانتساب الى الام يعزز القول بأن نشأة الدين اليهودي في عشيرة عبرية خرجت منذ امد ليس بالبعيد من طور المشاعة البدائية فاستمرت فيها بعض القيم القديمة مثل الانتساب الى الام ، فالانتساب الى اليهودية مشروط بالولادة من ام يهودية وهو ما يفسر هذا الشرط الغريب ، فالدين بصورة عامة ايمان بفكر

معين لا يشترط الانتماء الى عرق معيّن. وفي النصوص التوراتية ادناه دليل على ان أنبياءهم الاباء الاولين يحرمون الزواج من خارج جنسهم.

قال صديقي: لا يقبل اليهود الاصوليون بيهودية الوليد الا اذا كان من ام يهودية ولكن مجددي اليهودية ولاسباب عملية اصبحوا يقبلون التهوّد بعد المرور بفترة يختبر فيها ايمان المستهود بالاله الواحد وتنفيذه للوصايا التوراتية بكاملها وبذلك تم استيعاب اعداد كبيرة من يهود الاتحاد السوفيتي السابق الذين لا يعترف بيهوديتهم في اسرائيل.
تابعت حديثي: ... تبرز في ثنايا التوراة القيم الجديدة في اطوارها الاولى الانانية الفجة والقاسية في كثير من الاحيان ، لأن سعي رب العائلة العبرية (ابرام) المحموم لزيادة ملكيته الخاصة من اماء وعبيد ومال ومواشي لا يقف عند الاعمال التي اقل ما يقال عنها أنها جبانة وخسيسة. فهو يستهلّها بقوادته على زوجته الجميلة ساراي غير مبالٍ بتعريض طهارة النسل العبري للتدنيس بدماء اجنبية. بل ان رب ابرام يؤيد عبده المدلل ويعاقب الفرعون الذي اتخذ من ساراي زوجة له بالرغم من نبل اخلاق وتسامح الفرعون كما يتضح من المقطع التوراتي ادناه.

> وحدث لما قرب ان يدخل الى مصر انه قال لساراي امرأته: اني قد علمت انك امرأة حسنة المنظر فيكون اذا رآك المصريون انهم يقولون: هذه امراته فيقتلوني ويستبقوك ، قولي: انك اختي ليكون لي خير بسببك وتحيا نفسي من اجلك. فحدث لما دخل ابرام بها الى مصر ان المصريين رأوا المراة انها حسنة جداً ورءاها رؤساء فرعون ومدحوها لدى فرعون فأخذت المرأة الى بيت فرعون فصنع لابرام خيرا بسببها وصار له غنم وبقر وحمير وعبيد واماء واتن وجمال. فضرب الله فرعون وبيته ضربات عظيمة بسبب ساراي امراة ابرام فدعا فرعون ابرام وقال له: ماهذا الذي صنعت بي؟ لماذا لم تخبرني انها امرأتك؟ لماذا قلت لي هي اختي حتى اخذتها لتكون زوجتي؟

تكوين: 12 :1 – 19

ويكرر ابرام فعل القوادة على زوجته وادعاء انها اخته مع ابيماك ملك جرارالفلسطينية عندما دخل ارض فلسطين راجعاً من مصر. وكما جازى الفرعون النبيل ابرام جازى ابيماك ابرام بخير كثير فأقطعه ارضا وملّكه بئراً كان ابرام قد حفرها وعقد معه معاهدة عدم اعتداء متبادل مدى الدهر شاهدُها سبع نعاج اعطاها له بجوار البئر، الذي سمي ببئر سبع.
قال السيد حسين: هذا كلام مقرف عن نبي الله ابراهيم ولا يعقل ان يتصرف ابو الانبياء بهذا الشكل... قصص الانباء في القران خالية من هذه الترهات.
قلت: هذا هو ما موجود في التوراة وبأمكانك الاطلاع علية ... إذن لنقل ان القران هذّب قصص الانبياء التي ورثها عن اليهودية.
قال الاستاذ بهنام: هذا ما موجود في التوراة فعلاً وقد قام الكثير من انبياء التوراة بافعال واعمال مشينة ... خذ مثلاً النبي لوط الذي خرج مع اهلة من مدينتة التي اشتد فيها الفساد وممارسة اللواط المحرّم ولكنه ، أكمل الاستاذ بهنام كلامة بعد تردده للحظات ،... يفعل الفعلة الشنيعة مع بناته ... ثم يتبرأ من ابنه الاكبر لأنه رأى عورة ابيه وهو عاري! ... المسيح والمسيحية الحقّة براء من هذه المفاسد.
ردد السيدان خالد وحسين والاستاذ محمد اعوذ بالله اعوذ بالله بينما اتسعت حدقتى عيون سمير وقيس في ذهول.
تابعت حديثي: تُظهر التشريعات التورآتية قيم المجتمع الابوي فمفاهيم العفّة وممارسة الجنس محصور في نطاق الزوجية ... وكذلك فأن مكانة المرأة قد تدنّت وأصبحت ملك خاص للرجل وحاضنة لانجاب اطفاله وتربيتهم. فالتشريعات اليهودية المستلهمة من قوانين حمورابي تحرّم المعاشرة الجنسية خارج نطاق الزوجية كما هو مبين في الوصية التوراتية السابعة والعاشرة.

لا يكن لك آلهة أخر غيري
لا تصنع تمثالا منحوتا ولا صورة لما هو موجود في الجنة
لا تقسم باسم الرب باطلاً، لأن الرب لا يبرئ من نطق باسمه باطلاً
تذكر يوم السبت وإجعله مقدساً
أكرم أباك و أمك
لا تقتل
لا تزن
لا تسرق
لا تشهد علي قريبك شهادة زور
لا تشته زوجة جارك
سفر الخروج وسفر التثنية

عقّب الاستاذ بهنام: وفي العهد القديم ، اي التوراة ، يكون العقاب شديدا في حالة ألزنى وخصوصا على المرأة للمحافظة على بكارتها قبل الزواج وعفتها بعده.
رد صديقي بأستهزاء: عدى أنبيائهم فلا يطالهم العقاب مهما فعلوا ... الله يحبّهم!
تابعت حديثي: قلت ان اليهودية في بداية امرها لم تكن دينا توحيديا بل خالطتها كثير من المعتقدات الوثنية لشعوب المنطقة التي سكنت بينها الى حين ، ولعل النبي موسى هو الذي وطّد التوحيد والتشريعات الاولى التي ميزت اليهودية عن باقي الاديان الوثنية ... ففي كنعان كان إله اليهود هو ايل وفي عهد النبي موسى كان الههم هو الاله الواحد أتون او ادون ... وأتون هو الاله الذي نادى به الفرعون الموحد اخناتون حيث تظهر اثاره في النص التوراتي الغريب ادناه.

"اصغي يا أسرائيل ، ادونَي إلهنا ، إلهنا واحد"

وجدت هذا النص المترجم عن الاصل الارامي في كتاب سيجمند فرويد "موسى و التوحيد" ... ادون او ادوني ، ويلفظ بالأغريقية ادونيس ، كان يعبد في شمال الشام هو نفسه الاله أتون المصري الذي يمثل القوة الخفية وراء اشعة الشمس لإله لايرى بالعين .. وذلك بعد ان اعتنق الفرعون المصري امنحوتب الرابع تلك الديانة وغيّر اسمه الى اخن-اتون او اخناتون.
سأل السيد خالد: فمتى اصبح الههم "يَهَوَه"؟
قلت: اصبح اله القبيلة العبرية يهوه في عهد النبي هارون اخو النبي موسى ... ويهوة هو اله وثني للبراكين جُرّد من صفاته الوثنية السابقة ليحل محله اله التوحيد ادوني بعد اندماج العبريين النازحبن من مصر ببني جلدتهم الذين كانو يعبدون يهوة في سيناء ، وسنشرح ذلك بتفصيل اوسع في الفقرة التالية المعنونة "قصة النبي موسى" ... ان الذي يدرس تاريخ تطور الدين اليهودي يرى ان صورة الاله قد تطورت من اله وثني (نصف اله ونصف بشر) يصارع التنين وينتصر عليه الى اله محدود الصفات فهو ليس الخالق الاول والاوحد وقواه ومعرفته محدودة ، الى اله وخالق اوحد كلي القدرة والمعرفة ... ويلاحظ ايضا تأثير الطقوس الوثنية عليه مثل تقديم الاضاحي للاله المتعطش لرائحة الدم والشواء ونلاحظ ايضا تأثير الطقوس المصرية في تحنيط الموتي في ما تذكره التوراة من تحنيط النبي يعقوب والنبي يوسف بعد موتهم.
قال السيد خالد: يصف القران اليهود بأنهم اهل الكتاب وانهم شعب الله المختار ولكنهم خانوا العهود واستحقوا ان يمسخوا قروداً ... خذ مثلاً الاية "ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين".
قال الاستاذ بهنام: علمت ان القرأن في اية ما يصف المسيحيين بكونهم خنازير ...
قال صديقي : الاية هي "قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنة الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت ، اولئك شر مكانا وأضلّ عن سواء السبيل".

قلت: لا ارى ان المقصود بهذه الايات عامة اليهود والمسيحيين بل هي كما أظن تشير الى اليهود والنصارى الذين لا يتبعون شرائع كتبهم السماوية ... على كل حال هذا موضوع سابق لأوانه ولعلنا نناقشه في المحاضرة القادمة عن الاسلام.
قال صديقي: كثير من العلماء المشهورين وكثير من الحاصلين على جائزة نوبل يهود ... فكيف يخرج ممن يعتنق هذا الدين المتخلّف مثل هذا العدد الكبير ممن ساهموا مساهمات كبيرة في ترقّي الحضارة الانسانية ... هذا شئ محيّر؟
قال الاستاذ محمد: ارث العراق الفنّي يرجع معظمه الى اليهود ... مساهماتهم كبيرة في الاغاني والمقام العراقي ... وكان منهم أدباء وشعراء ... واطباء ...حسقيل ساسون كان وزير الماليه في اول حكومة عراقية.
قلت: بمرور الزمن تطورت اليهودية كثيراً من بداياتها الفجّة وهي ايضاً ليست مقتصرة على العهد القديم بل ان هناك مساهمات كثيرة مما كتبه مراجع الحاخامات الكبار من تعليقات في الحلقات الدينية وهو مستمر لحد اليوم.
قال السيد حسين: عندهم الحاخام وعندنا آية الله المرجع الديني الذي يقوم بدور مشابهه.
قلت: ربّما ولكن مراجعنا مقلّدين وليسوا مجددين إلّا ما ندر... لعل عدم تمكّن اليهود من تأسيس دولة بأسمهم لفترة طويلة وعيشهم كأقليّة في ظل دول مسيحية او اسلامية جعل من الضروري ان تكون تشريعاتهم اكثر ليونة وتسامح ... ففيها ما يحث على التأقلم مع الاكثرية المحيطة بهم ... ولانهم حرموا لفترات طويلة من مناصب سلطوية في الجيش او امتلاك الاراضي مثلاً في كثير من الدول فقد انصبّ اهتمامهم على تنمية قدراتهم المهنية والثقافية والفنيّة وامتهان اعمال الربى.
قال صديقي: شاهدت برنامجاً تلفزيونياً على قناة روسيا اليوم مثير للاعجاب فيه معلومات قيّمة عن اليهود والربى.
سأل قيس: ما هو الربى
قال صديقي: هو ان تقرض مالاً لشخص مقابل نسبة ربح مئوية.
قال قيس: يعني تماماً كما تفعل البنوك الان.
قال السيد خالد: هذا مخالف للاسلام الذي حرّم الربى ... "قالوا إنما البيع مثل الربا وأحلّ الله البيع وحرّم الربا".
قال قيس: ولكن هناك بنوك اسلامية ايضاً.
قال السيد خالد: هي لا تتعامل بالربا فالمال الموَدّع عندها يستثمر في مشاريع وتعطي جزء من ربح المشاريع الى المُودّع.
قال الاستاذ محمد: نفاق وتحايل على الدين ... ان الكثير من السعوديين والخليجيين والقطريين ممن يدّعون الاسلام الحق وغيرهم من الكفرة يودعون اموالهم الطائلة في بنوك امريكية وبريطانية ... حسناً فعل الاسلام ولا اقول هذا دفاعاً عنه ولكن الربى مثل السرقة ... الربى هو ان يربح الشخص من المال نفسه وليس من تشغيل المال ... هذا ما يسميه كارل ماركس برأس المال المالي ومنه ومن المضاربات المالية نمت الثروات الفاحشة للرأسماليين الماليين ومالكي البنوك.
قال صديقي: ... يظهر ان اليهود تعلّمواعمل الربى عندما كانوا في بابل فكلمة رأس المال أتت من تقييم ثروة الشخص بما يملكه من رؤوس الماشية ... ويظهر ايضاً ان الغرب الرأسمالي مارس الربى الذي حرّمته التشريعات المسيحية اول الامر ... الخطر في المجتمع الرأسمالي لا يكمن في الربى بحد ذاته بل بالقيم الأجتماعية التي يخلقها ويؤدي الى هرم سلطوي يتربع على رأسه اصحاب اموال جمعوها من غير انتاج مادي.
قال السيد خالد: حلل الله البيع وحرم الربى ... فهل في مفهومك ان البيع هو من الانتاج المادي؟
قال صديقي: نعم فكل مال نتيجة تشغيل اموال مثل شراء سلعة وبيعها بربح معقول هو انتاج مادي ... اي ان التاجر هو مثل الذي عنده مصنع لأنتاج الورق ويبيعه في السوق بربح معقول.
قلت: الشيوعيون يعتبرون صاحب المعمل رأسمالي يربح من عرق جبين الطبقة العاملة فهو برجوازي ... يؤممون معمله لو تمكنوا من الحكم.
قال صديقي: هذا سبب رئيس لفشل الشيوعية في البلدان الاشتراكية.

قلت: هنالك عامل مهم خطر ببالي الان حول العطاء الحضاري الكبير لليهود بالرغم من قلّة عددهم وهو يتعلق بالهوية.
تسائل الاستاذ محمد مستغرباً: الهوية ... ماذا تقصد ... يعني مثل هذه الهوية التي احملها للاحوال المدنية؟
قلت ضاحكاً: كلّا ... ما اقصده هو الانتماء الى الهوية الانسانية ممتدّه في تراث ديني وثقافي عريق يتمسكون به بالرغم من ان الكثير منهم ملحد او لا يعترف بقدسية التوراة ومثال على ذلك أينشتاين ... بل ان معظم العلماء والمبدعين من اليهود هم كذلك.
قال الاستاذ محمد: كارل ماركس ملحد وكتب كتاباً في المسألة اليهودية ينتقد فيه حب جمع المال عند اليهود ... وهو من اصول يهودية فجدّه كان حاخام
قلت: يختلف الانسان عن الحيوان بأن له عقل وفي هذا العقل تكمن هويته الشخصية المتكونة جلّها في الصغر ... تراث اليهود غني ويمتد لألاف السنين ولكنه يتواصل مع الحاضر ... هذ يعطي عمقاً وثقلاً كبيراً للشخص خصوصاً اذا رُفد بتعليم عالي يحرص عليه المجتمع اليهودي ويؤدي في كثير من الاحيان الى نتاج حضاري وعلمي من أناس موهوبين ... لقد ولدت مسلماً ولكني لا اقوم بفرائض الاسلام ومع ذلك اقوم ببعض الشعائر الاسلامية المجتمعية ... كقراءة الفاتحة في الفواتح والاحتفاء بالعيد مع العائلة و
قاطعني صديقي: والاحتفال بعيد الكرسمس معي والسُكُر حتى صباح السنة الجديدة ... انت لا تعترف بكل الشرائع الاسلامية ... اليست هذه ازدواجية في المعايير؟
قلت: لا اسمي هذه ازدواجية ... انا لست ملحد لاني اعرف ان الله موجود فهو الوجود الكلّي كما بينت في محاضرة سابقة ... انا اختلف اختلافاً جذرياً مع كل الشرائع الاسلامية السائدة ولي تفسير اخر للمشاعر الروحية التي هي في قلب كل الاديان بيّنته في محاضرتي الاولى عن الاديان ... في رأيي الاسلام واليهودية والمسيحية ليسوا اديان وشرائع فقط بل مجتمع تواصل عبر تاريخ الشعوب ... هناك تواصل عمره الف واربعمائة سنة في المجتمع الاسلامي الذي صبّت فيه حضارات عريقة من شعوب انضوت تحت ظلّه ... أنا وانت وكل المجتمعين حولي ومن جملتهم الاستاذ بهنام نحمل جزء كبير من قِيمهِ ... منها الغير جيد ومنها الجيد ... الغير جيد ممكن ان نتركه ونبدله بقيم حضارية ... اتريدني ان اترك الجيّد الذي يمكن ان ارتكز عليه واطور نفسي بمساعدته ايضاً.
قال صديقي: وهل حضور مجلس العزاء وقراءة الفاتحة هو من جملة هذا التراث الجيد.
قلت: وهل قراءة الفاتحة غير جيّد ... انه من جملة تراث المجتمع الاسلامي في العراق ولا يحمل طابعاً سلبياً ... قبل فترة قصيرة اقمنا مجلس عزاء على روح والدة زوجتي وحضره جمع غفير من المعارف وكان فيهم المسلم السنّي والشيعي والمسيحي والصابئي والملحد ، واشرت بيدي اليه ، ... اليس هذ شئ جميل يعبّر عن تكاتف وتراحم العراقيين بأختلاف اديانهم ومذاهبهم .. على كلٍّ لقد وصلت الان الى منتصف المحاضرة تقريباً وقد طالت كثيراً بفضل مداخلاتكم القيّمة ولا زال امامي نصفها الاخر ولعل من المناسب ان نأخذ فترة استراحة لنكمل بعدها النصف الاخر الذي يبدأ بقصة النبي موسى ... ، نادى صديقي على عامل المقهى لجلب الشاي ثم اخرج كيس من كعك السيد من حقيبته وثنّاه الاستاذ بهنام بكيس آخر من الكليجة ووضعوهما على الطاولة امامنا.

محادثات فلسفية مع صديقي (15)

المحادثة الخامسة - حول الاديان التوحيدية الابراهيمية – اليهودية 2:

دار الحديث اثناء فترة الاستراحة عن صفقة القرن التي يحاول الرئيس الامريكي دونالد ترمب أن يسووقها الى الفلسطينيين والعالم العربي ويبدو ان الرأي السائد هو انه باع ما تبقى من فلسطين الى إسرائيل مقابل صفقة ماليه مغرية جداً ووعود بأنتعاش أقتصادي كبير الى الفلسطينيين وجيران إسرائيل من العرب .. قد يكون ترمب اسوء من سابقيه ولكنه فاز بفعل سياسة اوباما التي تساهلت كثيراً مع المهاجرين الغير شرعيين وبفعل الصفقة النووية مع إيران التي سمحت لإيران بالتمدد في الشرق الاوسط وتهديد حليفتهم إسرائيل وبفعل مساندة اللوبي اليهودي المؤثر له. جلب الاستاذ بهنام انتباهنا الى احتفال تنصيب ترامب في سنة 2017 والخطبة التي قام بها رجل الدين اليهودي الذي كان يردد انشودة " On the river of Babylon when we sit down" من مزامير داوود التي تتحدث عن توق الرجوع المسبيين في بابل الى اورشليم ، وفي هذه الانشودة مقطع يتحدث عى أمرأة بابل وأبنها الصغير الذي سوف يحطمون رأسه وينثرون مخّه وهم فرحين .. هزّ الاسناذ بهنام أسفاً وتنبأ بأيام شؤم لا تكتفي بنقل السفارة الامريكية الى القدس الغربية بل بما هو اسوء على حساب المطالب الفلسطينية العادلة.
بدأت بالجزء الثاني من المحاضر وقلت: ابدأ هذا الجزء من المحاضرة بقصة النبي موسى الذي يعتبر المؤسس الحقيقي لأولى ديانات التوحيد الابراهيمية ولكن قصته بين التوراة والاخبار التاريخية والاساطير المتناقلة تبدو في غاية الغموض. فمن الناحية التاريخية لا يوجد ما يؤكد وجود النبي موسى بصورة قطعية ، فأن كان هناك وجود حقيقي لمصلح تاريخي او نبي ديني بهذا المسمى فهل كان مولده في مصر؟ وهل هنالك ما يدفعنا الى تصديق قصة انتشاله من الماء ورعاية العائلة الفرعونية له كما ورد في التوراة؟
القصّة التواتية لا تختلف كثيراً عمّا في القرأن تتحدث عن ولادة النبي موسى في مصر وانتشاله من نهر النيل ، بعد ان وضعته امه في سلة و سيبته في النهر لتلافي قتله من قبل الفرعون الذي كان يخشى من المولود الذي سينتزع مُلكه منه ، كما في المقطع التالي من سفر الخروج في التوراة:

2: 2 فحبلت المراة و ولدت ابنا و لما راته انه حسن خباته ثلاثة اشهر

2: 3 و لما لم يمكنها ان تخبئه بعد اخذت له سفطا من البردي و طلته بالحمر و الزفت و وضعت الولد فيه و وضعته بين الحلفاء على حافة النهر

يُنتشل من الماء وتتبناه ابنة الفرعون وتسميه موسى.

سأل الاستاذ محمد: هل تعرف ما هو تاريخ ولادة النبي موسى؟

قلت: يُعتقد انه في حدود سنة 1300 الى 1350 قبل الميلاد ، واصلت حديثي:

ان القصة التي يرويها لنا الملك سرجون (2340 – 2248 ق م) مؤسس الدولة والسلالة الاكدية تشابه الى حد بعيد حكاية ولادة النبي موسى وانتشاله من الماء كما في النص التالي الذي وجد في مكتبة نينوى عاصمة مملكة اشور

"أنا سرجون ، الملك العظيم ، ملك اكد ... كانت امي كاهنة عليا ، مدينتي هي آزوفيرانو ... حملت امي بي ووضعتني سراً واخفتني في سلة مقيرة من الحلفاء وغطتني ورمتني في الماء ، فلم يغرقني النهر بل

حملني الي آكي سقّاء الماء ، فأنتشلني آكي بدلوه ، ورباني واتخذني ولداً وعينني بستانياً عنده ، وبينما كنت اعمل بستانياً احبتني الالهة عشتار فتوليت الملوكي".

قال صديقي: يبدو ان الملك سرجون عاش حوالي 92 سنة وقصتة تسبق قصة النبي موسى بحوالي الف سنة ... فهل ان قصة موسى هي نسخة محورة عن قصة سرجون الاقدم؟ فأن كانت كذلك فكيف وصلت هذه القصة الى مصر ولماذا تم نسخها؟

قلت: ان التناقضات الكثيرة في القصة موسى التوراتية اضافة الى حقيقة ان مصدر معظم التشريعات الموسوية الموجودة في التوراة منقولة نصاً من تشريعات دولة لكش وتشريعات الملك حمورابي كما في الوصايا التوراتية ... اضافة الى ان معظم القصص التوراتي حول الخليقة والتكوين وادم وحواء والطوفان مثلا ، مصدرها ارض الرافدين وامتدادها في سوريا وفلسطين ... واضافة الى افكار دينية اساسية اخذت من الزرادشتية مثل فكرة العقاب والثواب والجنة والنار والحياة بعد الموت ويوم القيامة تجعلنا نفكر في فرضية تحل مشكلة هذه التناقضات.

قال السيد حسين: إن ما ستقوله هو فرضية ..فهو إذن ليس حقيقة ... فكيف نصدق به؟

قلت: كثير من العلوم تبدأ من فرضيات ولكنها تقترب من الحقيقة كلّما كانت تطبيقاتها وتوقعاتها اقرب الى الواقع ... والبحث التاريخي الموضوعي هو بحث علمي يقترب من الحقيقة كلما كان السرد لحوادث تاريخية معينة له دلائل على ارض الواقع ...

قال السيد خالد: مع احترامي لك انا لا يمكنني ان أكذّب كلام الله في القرأن والايات التي تذكر قصة موسى ... وقصة ادم وحواء ونوح وأصدّق ما تقوله في فرضيتك ... انا مؤمن بكل مافي القرأن الموحى من الله وكل ما هو من الله حقيقة مطلقة.

قال الاستاذ محمد: لماذا تفرض ان قصة ادم وحواء ونوح في القران حقيقية ... لم يذكرها الله في القران على انها حقيقة بل كقصّة.

قال السيد خالد: القرأن "لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه" ... صدق الله العظيم

ردّ الاستاذ محمد: إليك آية من القران تقول ان فيه قصص"نحن نقص عليك احسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرأن وإن كنت من قبلِهِ لمن الغافلين" ... القرأن فيه قصص والقصّة فيها خيال وقد يكون فيها بعض الحقيقة .. و قصة موسى في القران .. قصّة!

قلت: خلاصة القول ... انا سأذكر فرضية وعليكم ان تختاروا بين الفرضية التي بنيت على وقائع تاريخية وبين ألايمان الحرفي بالقرأن وتفسيرات فقهاء الزمن الغابر ...

قال السيد خالد: أنا أؤمن بأن ما في القرأن الكريم هو الحقيقة المطلقة وارفض كل ما يخالفه.

قال الاستاذ محمد: بل تؤمن بتفسير معيّن للآيات القرأنية وترفض كل ما يخالفها ... هذا يضعك في موقف صعب فكثيراً ما تبرز حقائق علمية جديدة تخالف ما جاء في القرأن وهذا الانغلاق على تفسير معين يجعلك تبتعد رويداً رويداً عن الواقع الملموس وتعيش بفكرك في عالم هؤلاء المفسّرين قبل الف سنة او أكثر.

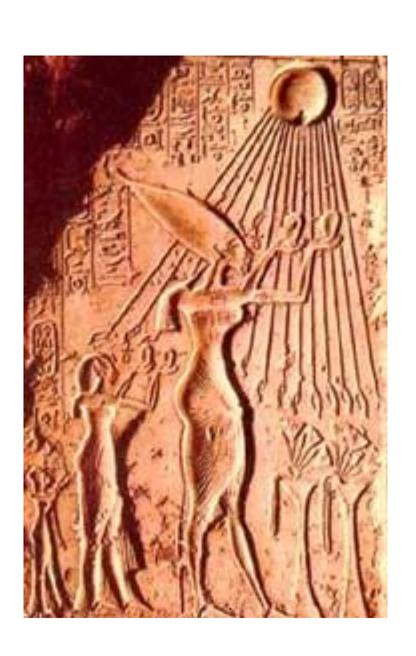
سأل السيد خالد: مثل؟ .. اعطني مثال من آية تخالف العلم.

ردّ الاستاذ محمد: "ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين" ... النجوم وقسم منها الاف المرات اكبر من الشمس مصابيح ورجوم للشياطين! ، قهقه صديقي ضاحكاً بملأ فمه.

قال السيد خالد: سوف استمع برحابة صدر الى فرضيتك يا استاذنا.

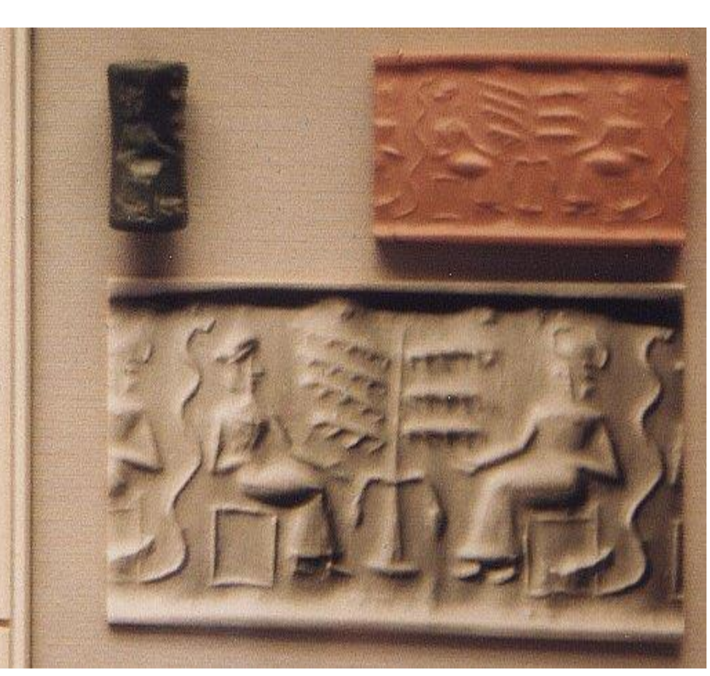
قلت: الحمد لله ... لنرجع الى صلب الموضوع ...ان اسم موسى باللغة العبرية هو "موشي" ... كلمة موشي تشبه كلمة مَوَشّى بالماء باللغة العربية! ... ولكن فرويد يؤكد بأن اسم موسى هو اسم مصري خالص فالكلمة المصرية "موسَ" تعني "طفل" وكثير ما يطلقها المصريون على اسماء مركبة كصفة مثل "امون موس" اي امون الطفل و "بتاح موس" اي بتاح الطفل وتعني ان آمون انجب طفلاً وبتاح انجب طفلاً. وبذلك يفترض فرويد مؤيداً من قبل باحثين اخرين ان موسى كان مصريا خالصاً وعلى اكثر الظن من الطبقة الاستقراطية ، وكان مولده في حوالي سنة 1350 ق م معاصراً للفرعون الموحد اخناتون. ولعل موسى المصري هو احد قُوّاد حملاته العسكرية المدعو تح موس الذي جاء منتصراً اثر حملة عسكرية في الحبشة.

ويدّعي فرويد ان موسى كان في خدمة الفرعون اخناتون الذي أنشأ ديانة توحيدية عظيمة مستمدة من عبادة إله واحد ممثلاً برمز الشمس واهبة الحياة "أتون"
قال صديقي: لا زالت كلمة أتون باللغة العربية تعطي تقريبا نفس المعنى فهي عين النار المتوقدة.
واصلت حديثي: ديانة أتون كانت شائعة بين بعض الشعوب الكنعانية التي كانت تحت جنح الامبراطورية المصرية. فاشعة شمس الاله الواحد أتون تغطّي شعوب الامبراطورية ، ذلك الاله الذي لايرى و"لم يلد ولم يولد" كما جاء في كتاب الاموات ... انظروا الى هذه المنحوتة الجدارية لأخناتون يتعبّد الى الاله الواحد تغمره اشعة الشمس ووراءه زوجته نفرتيتي



هجر اخناتون العاصمة ممفس التي هي ايضاً المقر الرئيسي لعبادة آمون ليؤسس عاصمة له في طيبة يحكم منها برفقة زوجته نفرتيني وابدل عبادة آمون بعبادة أتون حتى جاءته المنية ، فأنقلب عليه كهنة آمون اللذين فقدوا سلطتهم وعزهم ايّام حكم أخناتون فنكّلوا بعبَدَة أتون وطاردوهم. فشدّ الامير المصري تح موسَ الرحال مع رهط من العبرانيين ، الذين كانوا قد حطّوا الرحال في أراضيه ، بأتجاه سيناء حتى وصلوا الى قادش غرب شبه الجزيرة العربية. وعندما التقى العبريين الفارين من مصر مع قومهم من العبريين ساكني قادش الذين يعبدون اله للبراكين يدعى يهوه أرتدّوا عن ديانة أتون وشاركوا قومهم في عباداتهم الوثنية مما اغاض تح موس فانزل بهم اشد العقاب. ولكنهم تآمروا (حسب رواية فرويد) لقتل هذا الامير الذي ليس منهم ويلثغ بلغتهم فقتلوه.
قال السيد حسين: لعل ثقل لسان موسى المذكور بالقران يُعزي الى عدم اتقانه اللغة العبرية.
قلت: هذا هو عين استنتاج فرويد لكون موسى ليس كأخيه هارون الذي ربما كان أخ غير شقيق من ام عبرية فموسى مصري لا يتقن تلك اللغة ... ، واصلت حديثي: يقول فرويد ان ذكرى الاب القاسي وتعاليمه بقت في النفوس يتناقلها قومه اللاويين بضعة اجيال حتى ظهرت في دين توحيدي انتشر بين العبريين أُبدل فيه اسم تح موس الى موسى و الاله أتون بأله البراكين يهوه.
سأل قيس: ومن هم اللاويين؟
ردّ الاستاذ بهنام: هم من اقرباء النبي موسى المقربين ...ولعلهم فرع او فخذ من العشيرة العبرية ، واصلت حديثي: ... واصل العبريون مسيرتهم في صحراء سيناء ... ارض التيه حتى وصلوا الى ارض الفلسطينيين فحطوا الرحال نهائياً واسسوا مملكة يهوذا (975 – 586 ق م) وعاصمتها اورشليم (القدس مدينة السلام) التي عاشت اكثر من مملكة اسرائيل التي قضى عليها الاشوريين سنة 721ق م.
سأل سمير: فهل كانت هناك مملكتان لليهود؟

قلت نعم: في يهودا التي جاء منها اسم اليهود ومملكة اسرائيل في السامرة ... مملكة يهودا غزاها نبو خذ نصر عدة مرات لقمع ثوراتها وأنهى وجودها سنة 586 ق م وحطم ابنيتها ومنها هيكل سليمان وسبى قومها واتى بهم الى عاصمته بابل. وكان الكثير من السبايا قد اختلط بشعب بابل الذي يتكلم لغة قريبة من لغتهم واصبحوا كأبناء البلد يساهمون في حياة البلد واعماله.
لقد كان اليهود في غربتهم يخشون الذوبان في شعب بابل وضياع ذكريات مملكتهم وهيكل سليمان المحطم واخبار واسفار ابائهم وتعاليم موسى ... وهذا كان حافزاً لتدوين تراثهم في التوراة فشرعوا يكتبون مستلهمين من تراث حضارات وادي الرافدين ، فنسبوا نتاج التراث البابلي والكنعاني الغزير لهم واصبحت قصة الخليقة البابلية جزءاً منه واصبحت قوانين حمورابي الواح تشريعات جاء بها موسى من ربه ... كان لأصحاب الاعمال اختام على شكل اسطوانة عليها صور اونقوش تترك انطباعاً على الطين الطري فهو بمثابة توقيع صاحب العمل على وثيقة ... انظروا الى انطباع هذا ختم من الفترة الاكدية في العراق حوالي سنة 2200 ق م ...



نرى امراة مقابل إله على رأسه قرنين جالسيَن وفي الوسط نخلة والمرأة تمد يدها لقطف ثمرتها وخلفهم الثعبان ... ألا يذكرنا هذا بقصة ادم وحواء!
سأل صديقي: وضّح ... ما هي علاقة قصة الملك سرجون الاكدي الاسطورية بالنبي موسى؟
قلت: ذكرت ان السبي البابلي كان حافزاً لجمع التراث والتاريخ الاسطوري العبري ولكتابته في كتاب التوراة في بابل اولا ثم ليكتمل مع كتب مقدسة اخرى في فلسطين عند رجوع قسم من سلالة السبايا في بابل بعد ان حررهم ملك الامبراطورية الفارسية خسرو سنة 538 ق م الى فلسطين. ولكي يمحي كاتبي النصوص التوراتية كل اثر لمصرية النبي موسى وهو الشخصية المركزية في الديانة اليهودية فقد نسخوا وحوروا اسطورة سرجون وقصة انتشاله من الماء لتكون قصة منتحلة عن موسى العبري الذي انتشلته اميرة فرعونية ليتربى في كنفها. نقول ذلك ولدينا دليل اخر يمكن ان يضاف الى مصرية النبي موسى ... وهو أننا لا نجد اشخاص منحدرين من النبي موسى (اي ما يقابل السّيد العلوي عند المسلمين) بل نجد ان الذين يحملون لقب كوهن ينحدرون من النبي هارون اخو موسى. فلعل النبي هارون ... وهو الاخ الغير شقيق لموسى الذي ينحدر من ام عبرية ويتكلم اللغة الام بطلاقة ، فهو ليس مثل النبي موسى المصري من اب وام مصريان فلا يعتبر بنوه يهوداً بعد ان اصبح انحدار الشخص من ام يهودية شرط ليهودية الشخص بعد رجوع قسم من يهود السبي الى فلسطين.

قال الاستاذ بهنام: يبدو ان موسى لا يتكلم العبرية بطلاقة فيستخدم اخوه هارون كمترجم عندما يريد مخاطبة العبريين كما تقول التوراة.
قال صديقي: هذا كلام معقول ... الكوهن اليهودي يقابل السيد العلوي المسلم!
قال الاستاذ بهنام: ان ترجمة كوهن بالعربي هو كاهن ولا يجوز لأحد غير من لقبه كوهن اولاوي ان يكون رجل دين عندهم ... اي ان يكون كاهن.
واصلت حديثي: هنالك جانب آخر لا يقل اهمية من تاريخ اليهود كان مطموراً حتى نشره البروفيسور كمال الصليبي في عدة مجلات اكاديمية مرموقة.
سأل قيس ومن هو كمال الصليبي:
قلت: هو أستاذ جامعي ومؤرخ لبناني الاصل قام بأبحاث تاريخية عن لبنان وتاريخ التوراة والإنجيل ... وفي سنة 1985 نشر كتابه "التوراة جاءت من الجزيرة ألعربية" الذي احدث ضجة واسعة في الاوساط الاكاديمية والدينية على حد سواء. فهو يدعي في هذا الكتاب ، وفي بحوث نشرها في الاواسط العلمية الاوربية ، انّه "في بداية الحقبة المسيحية ، تم التسليم بأن شعب إسرائيل التوراتي حفر مساره وبشكل رئيس في فلسطين. وفي ما وصلنا من إرث مدون عن غربي جزيرة العرب ، كما هو موجود في جل موروثها الشفاهي ، يبرز بني إسرائيل بوصفهم السكان القدماء لذلك الاقليم". يدلل صليبي على ادعائه بالرجوع الى الاصل العبري للتوراة مصحوباً ببحث معمّق في جغرافيا التوراة تدلل على ان اكثر من 70% من اسماء الاماكن التي ذكرت في التوراة تقع غربي الجزيرة العربية وتنحصر في مناطق تضم عسير والجبال الوعرة المطلة على البحر الاحمر والطائف والحجاز ومشارف المناطق المتصلة بوادي الاردن التي انحدر منها بعض المهاجرين ليعيشوا في فلسطين. ومما يعزز من نظرية صليبي هي القصة التوراتية (صموئيل الثاني 24: 5-8) عن احصاء لسكان "بني اسرائيل من دان الى بئر السبع الذي اضطلعت به لجنة من رؤساء الجيش بناء على اوامر الملك داود". فبينما وجد مفسروا التوراة صعوبة جمّة في متابعة سير لجنة الاحصاء عبر الاراضي الفلسطينية لعدم وجود الادلة التاريخية على وجود معظم الاماكن المذكورة في التوراة يتابع صليبي مسار لجنة الاحصاء عبر جبال ووهاد غرب الجزيرة بأنسيابية تامة مارا بمعظم القرى والمدن المذكورة بالتوراة والتي لا زال معظمها يحتفظ بنفس الاسم المعرب.
سأل السيد خالد: هل لك ان تأتي ببعض الأمثلة على وجود ما يشابه الاسماء الواردة في التوراة في الجزيرة العربية وليس في فلسطين التاريخية؟
اخرجت كتاب "التوراة جاءت من الجزيرة العربية" من حقيبتي وتصفحت اوراقه: هذا مثال ... أرض التيه لبني اسرائيل تناظر جبل التيه بين الطائف ومكة ... صهيون يقابلها مكان في الحجاز يدعى قعوة الصيان او تلة صهيون ... "سدوم التوراتية وعمورة وادمة وصبوييم لا يمكن ان تكون مدناً في الاردن والبحر الميت في فلسطين ، بل هي بلدات قديمة للوديان الخصبة من الاراضي المنخفضة الساحلية من منطقة جيزان في غرب الجزيرة العربية". ويشوع الذي عبر نهر الاردن (هيردن بالعبرية – الهاء تقابل ال التعريف العربية) بصعوبة بالغة كما تسجل التوراة تلك المغامرة البطولية لم يعبر نهر الاردن الصغير الذي لا يتطلب جهدا ومغامرة كبيرة بل عبر منحدر (هيردن) الجبلي عند الجبال المطلة على البحر الاحمرعبر السيول الجارفة التي سببتها الامطار ووصل الى مكان يدعى جلجال ، وهو اليوم قرية تدعى جلجول ... كذلك يدّعي الكتاب ان مفسري التوراة لم يجدوا اي اثر لمدينة لكش التي حاصرها الملك الاشوري سنحاريب في احدى حملاته فعزوا موقع المدينة عند منطقة تل الدوير في فلسطين بسبب لقية وحيدة من كسرة فخارية مكتوب عليها الحروف "ل ك س" وجدوها هناك ... ولكن انظروا الى صورة هذا المجسّم الحجري الذي اكتشف بين اثار نينوى وهو يصور سنحاريب وجيشه المنتصر على سفح جبل تحيطه اشجار الصنوبر واشجار مثمرة وتظهر مدينة لكش على منخفض من الجبل وهذا ما حيّر مفسري التوراة فأرض فلسطين ليست جبلية مما حدى بصليبي الى تعزيز نظريته حول موقع الحدث التاريخي في غرب الجزيرة الجبلي حيث لا زالت هناك قرية على سفح منخفض من الجبل تدعى لكثة.



أكملت حديثي: لعل فيما ادعاه صليبي كثير من الصحة فيما يتعلق بنشوء اليهودية وتواجدها في غرب الجزيرة العربية ولكنني لا أتفق معه من ان التوراة جاءت من الجزيرة العربية. وتفسيري الذي يمكن ان يوحد الرؤية التاريخية لتسلسل الاحداث هو ان اليهودية نشأت وترعرعت بين الشعوب العبرية التي كانت تجول مناطق غرب الجزيرة العربية في مرحلة المشاعة البدائية ثم المرحلة القبلية. ثم استقر ت في مجتمعات قروية على طول مناطق في غرب الجزيرة وفي فلسطين ايضا لتنشئ مجمعات قروية ودويلات في مدن صغيرة لم تدم طويلاً في محيط من امبراطوريات عظمى.

قال الاستاذ محمد: بعد كل هذه التوضيحات من حضرتك فهل يحق لليهود ان يقولوا ان ارض فلسطين وعد من الرب لهم وأسرائيل الحالية هي تحقيق لهذا الوعد؟

قال الاستاذ بهنام: المشكلة ان هذا الوعد لن يكتمل إلّا بكامل الاستيلاء على الضفة الغربية ايضاً.

قال صديقي: مع اعتزازي باليهود لأنهم كانوا بيننا في العراق كأخوة في وطن واحد ومساهماتهم في اغناء الحضارة الانسانية في مجالات العلم والادب والموسيقى كبيرة ولكن هذه البحث في التاريخ اليهودي الذي قدّمه الدكتور موفق لا يبرر تلك الحجج.

أختلط صوتا السيدان خالد ومحمد وهم يلعنون إسرائيل الدولة اللقيطة حسب تعبيرهم.

قلت: لا يمكننا الحديث عن تاريخ الدين اليهودي من دون الحديث عن الحجج الصهيونية في الحق الديني والتاريخي لليهود في ارض الميعاد ، والتي كان من نتيجتها نشوء دولة اسرائيل في عام 1948 بعد اغتصاب اراضي فلسطينية وتهجير سكانها ... الواقع ليست هناك دلائل تاريخية لقيام دولة موحدة حكمها على التوالي شاؤل وداود وسليمان بل ان قيام مثل هذه الدولة مستحيل نظراً لعدم توفر القاعدة السكانية والاقتصادية ، لحوالي 200 مستوطنة زراعية بدائية من العبريين ، استوطنت الهضاب قبل حوالي 1200 سنة بين الكنعانيين المتحضرين وتطبّعت بثقافتهم وديانتهم ... اختفت مملكة السامرة الى الابد من التاريخ بعد ان دمّرها الاشوريون عام 721 ق م امّا يهوذا فقد عاشت بعد دمار اسرائيل قرابة قرن ونصف من الزمان ثم انتهت عندما قام نبوخذ نصر الكلداني بتدمير اورشليم نحو 586 ق م ، سبى قسماً كبيراً من اهاليها الى مناطق بابل ، وبقوا هناك حتى سقوط العاصمة بابل بيد قورش الفارسي عام 539 ق م.

قال الستاذ بهنام: من معلوماتي البسيطة ان دولة يهودية نشأت في فلسطين تحت حكم من يسمون بالمكابيين فما شأنهم؟
قلت: ان المقاطعة اليهودية بقت كمستعمرة في عهد الاسكندر المقدوني والسلوقيون من بعده الذين أضفوا عليها طابعاً اغريقياً بنشر المؤسسات الثقافية والدينية الاغريقية الطابع مثل الجمنازيوم والستوديم، ولكنهم ايضاً منحوها شيئاً من الاستقلال السياسي القائم على السلطة الكهنوتية.
سأل قيس: من هم السلوقيون؟
قلت: احتلّ الاسكندر المقدوني اراضي واسعة تمتد من مقدونيا الى افغانستان ومات شاباً في بابل في طريق عودته من افغانستان فأنقسمت امبراطوريته الى قسمين قسم حكم مصر وقسم اخر هم السلوقيون الذين اسسوا عاصمتهم على نهر دجلة قرب طاق كسرى وكانت فلسطين تحت حكمهم.
واصلت حديثي: وفي ظل ضعف الحكم السلوقي سيطرت الاسرة اليهودية المكابية على المقاطعة اليهودية وتمكن احد افرادها (سمعان) من اعلان استقلال المقاطعة سنة 143 ق م ثم نصب نفسه كاهناً اعلى وحاكماً مطلقاً ، والغى كل مظاهر الثقافة الاغريقية واعاد تطبيق الشرائع المتزمتة تعاونه في ذلك طائفة الصدوقين التي تلتزم التفسير الحرفي للتوراة. وفي ظل تدهور السيطرة السلوقية تمكن الملوك- الكهنة المكابيين من ضم اجزاء اخرى وسعت من مملكتهم الى شرق الاردن ، وكان لسياسة التهويد القسرية والقتل والقسوة المبالغة حتى على السكان اليهود اثراً بالغاً تمردت اثره فئات واسعة من اليهود يقودهم ألفريسيون الذين يميلون الى الاعتدال الديني ويمثلون الطبقات الشعبية ... ان تاريخ تلك الفترة مرتبك بعض الشئ فقد تداخلت فيه مصالح الفئات المحلية.
قال الاستاذ بهنام: اعرف ايضاً ان ملكة تدعى سالومي تولت الحكم فهل تعرف شيئاً عنها؟
قلت: القليل جداً فبعد وفاة زوج سالومى الملك الكسندر يناسوس عام 76 ق م تولت سالومي العرش وحكمت لمدة تسع سنوات حتى تمكن ابنها الصغير من تولّي الحكم.
قال الاستاذ بهنام: بُنيت حول سالومي كثير من القصص الوهمية تحول واحد منها الى فلم سنة 1953 ، من بطولة ستيوارد كرينجر وريتا هايورد، شاهدناه في الصغر. وفي الفلم تحب سالومي ضابطا رومانياً تحول الى المسيحية وتسعى جاهدة ولكن من دون جدوى لانقاذ يوحنا المعمدان من الاعدام.
واصلت حديثي: انتهت اخر دولة يهودية مستقلة دامت قرابة ثمانين سنة (من سنة 142 حتى سنة 63 ق م) بعد ان دمّر الرومان عاصمتها اورشليم فعادت كمقاطعة صغيرة ضمن الامبراطورية الرومانية. وقد عاصر حاكم المقاطعة هيرود (Herod) ولادة المسيح وأُعطيَ صلاحيات واسعة على المقاطعة وسمي بملك اليهود ... ويقال انه من اصول غير يهودية بل عربية لذلك لم تعترف به طبقة الكهنوت كيهودي ولم يكن هو ايضاً يهودياً إلّا بالاسم. احب هيرود الثقافة الرومانية المنفتحة عالمياً فقمع كل مظاهر التعصب اليهودي وشجع انصهار المجتمع بالحضارة الرومانية ، ثم اعاد بناء هيكل سليمان بأبهى صورة ليكون رمزاً عالمياً يتقارب فيه اله اليهود واله الرومان زيوس. وعندما تمرّد يهود فلسطين مرة اخرى بقيادة الحشمونيين وحاولوا الاستقلال عن السلطة الرومانية تم تدمير نواة دولتهم وهيكل سليمان فتفرق اليهود في البلاد وتحول الكثير منهم الى المسيحية.
قال السيد خالد: ألا تفقهون ما يقوله الاستاذ موفق ... التبرير اليهودي لدولة اسرائيل باطل ... هم غرباء احتلّوا أرض فلسطين ... محتلّين يجب طردهم وتحرير ارض فلسطين من دنسهم.
قال صديقي: هم واقع على الارض ولا يمكن لقوى تعارض وجودهم في فلسطين ان تطردهم بالقوة.
قال السيد خالد: هم محتليّن ومقاومتهم مشروعة ... من العدل طردهم من فلسطين.
قال صديقي: نحن العرب محتلين ... احتلينا ارض العراق وسوريا بحجّة الفتوحات الاسلامية ... الولايات المتحدة الامريكية احتلت اراضي الهنود الحمر فهل من العدل ان نُطرد من العراق ونعطيه الى سكانه الاصليين من البابليين والاشوريين ويخرج الامريكان من امريكا ويعطونها الى السكان الاصليين من الهنود الحمر؟
قلت: انا والكثير من الناس المنصفين لا يدعون الى ازالة اسرائيل من الوجود ولكني أقول ان الادعاء التاريخي بأرض اسرائيل ادعاء باطل يضر بمصلحة اليهود أنفسهم. فالادعاء التاريخي حتى لو صح لا يضفي شرعية توجب وجود بلد ما ... ولكن منطق الواقع يدفعنا الى الاعتراف بأن شرعية وجود اي دولة

نابع من وجودها الفعلي الثابت على ارض وكجزء لا يتجزء من الحضارة الانسانية. وان كونها جزء من الحضارة الانسانية يحتّم عليها الاعتراف بتجاوزاتها ألاإنسانية ، اي كما فعلت الولايات المتحدة الامريكية مثلاً بأعترافها بالمجازر ضد السكان الاصليين من الهنود الحمر وتعويضاتها السخية لهم.
قال الاستاذ بهنام: ان التمسك بالخرافة لم يعد ينفع بعد ان تكشفت الحقائق للجميع في عصرنا هذا ، عصر الثورة العلمية وتكنلوجيا المعلومات ، فمن مصلحة اليهود على المدى البعيد المساهمة في كشف خرافة التاريخ اليهودي بأنفسهم وعدم تكرارهم في فلسطين فضائع ألعنصريين واعداء السامية ضدهم في اوربا ... نأمل من يهود اسرائيل الاعتراف بحقوق الشعب ألفلسطيني المشروعة وتعويض المنكوبين منهم والكف عن سلب اراضيهم ومشاركتهم في العيش بأخوة حقيقية وسلام.
قلت: قبل ان نختم هذه المحاضرة من الضروري ان اتحدث قليلا عن يهود العراق في الفترة التي اعقبت الحرب العالمية الاولى ونشوء الدولة العراقية سنة 1923 ... كنت في لندن وحضرت المؤتمر الذي اقامه الكاتب العراقي كنعان مكّية وذلك في محاولة يتيمة للتواصل مع يهود العراق في اسرائيل و اقطار العالم ... ساهم في هذا المؤتمر بعض اليهود من اسرائيل وخارجها منهم الكاتب الاسرائلي من اصول عراقية سامي ميخائيل ... صاحت سيدة يهودية عراقية من لندن موجهة كلامها الى كل العراقيين المتواجدين بصوت عالٍ فيه عتاب شديد يشبه الشتيمة "نحن اعرق منكم في العراق يا عرب... نحن العراقيين وانتم الدخلاء ... لم نرجع الى اسرائيل بعد عتقنا من السبي البابلي قبل اكثر من الفين وخمسمائة سنة ... بقينا في العراق عراقيين ولم نذهب الى اسرائيل لمّا طردنا من وطننا اخيرا لاننا عراقيين وسوف نبقى عراقيين".
كان منظراً مؤثراً اثار حزناً وسكوناً وقتياً مشحوناً بالتوتر ، والحقيقة ان في كلام السيدة اليهودية الكثير من الصحة. فلا يمكن تصور العراق الحديث والهوية العراقية من دون مساهمات يهود العراق التراثية والثقافية والموسيقية ، فيهود العراق ينظرون الى أنفسهم كعراقيين اصيلين ساهموا مساهمات كبيرة في صنع تاريخه الحديث ولهم عمق تاريخي يتجلى في مراقد ومقامات الانبياء اليهود الذي يربوا عددها كما سمعت منهم على اربعين مرقدا ومقاماً.
قال الاستاذ بهنام: هذا صحيح ... خذ مثلاً مقام النبي يونس في الموصل والذي هو نبي في الاسلام ايضاً ... وهناك مرقد النبي ناحوم قرب الدير الكبير في قضاء تلكيف كما أتذكّر.
قال الاستاذ محمد: هناك مقام عزرا الكااتب في ناحية العزير في محافظة ميسان و ذو الكفل في الحلّة.
قلت: ذو الكفل هو نفسه النبي حزقيال الذي كان في بابل ايام السبي.
قال صديقي: هل تعرفون لماذا سمي بذو الكفل ... الكفل هو التثنية في عمل وذو الكفل كان مستشاراً ومفسراً لأحلام الملك من جهة ونبي لقومه من جهة اخرى.
قلت: اليهود العراقيين فيهم من صار عربياً ويتكلم العربية بلهجة خاصة تشبه اللهجة الموصلية والمسيحية ، وفيهم من صاركردياً وفيهم من صار تركمانياً. وقد انتشروا في كافة محافظات وقرى ونواحي العراق ولكن تركيزهم الاكبر كان في بغداد حيث كانوا في اواخر القرن الثامن عشر يمثّلون ثلث سكان بغداد التي بلغ تعدادها اكثر من نصف مليون نسمة. وكانت الطائفة اليهودية في العراق طائفة متكاتفة متداخلة ومتعايشة بسلام والفة مع المسلمين وكافة الطوائف الاخرى ، ويسيّر حياة مجتمعها الروحي والمدني مجلسان. المجلس الاول هو المجلس الروحاني الذي يبتّ في القضايا الدينية ويضم كبار حاخامات الدين من اماكن عباداتهم (وتسمى في العراق بالتوراة) التي يقصدونها افواجاً كل يوم سبت. اما المجلس الثاني فهو المجلس الجسماني الذي يبت بأمورهم المدنية ويضم جملة من كبار التجار والمتنفّذين من موظفي الدولة.
ساهم اليهود ألعراقيون مساهمات جمّة في التراث العراقي ويرجع اليهم الفضل في وضع الكثير من التراث الموسيقي المسمى بالمقامات وأسماء الكثير من مؤلفيهم الموسيقيين وقارئي المقام والمطربين من امثال صالح واخيه داوود الكويتي وفلفل كرجي وسليمة مراد لا زالت معروفة يردد الحان اغانيهم الكثير من العراقيين اليوم ... وقد اغتنت الحركة الادبية بكثير من الباحثين والادباء اليهود من امثال مير بصري وانور شاؤل وشموئيل موريه وكان من بينهم الكثير من ذوي الشهادات والاختصاصات العالية ممن ساهم في شتى نواحي الحياة ، فقد عيّن اسحق ساسون كاول وزير مالية في الدولة العراقية الناشئة سنة 1922 وقد ساهم مساهمة جليلة في تطوير النظم المالية على اسس عصرية ، وساهم ايضاً في تطوير النظم القضائية والبريدية وفي تأسيس غرفة التجارة سنة 1947.

قال الاستاذ محمد: من هنا جاء المثل العراقي الذي يُضرب على البخيل الحريص على ماله فيقال له حسقيل لأن الوزير حسقيل كان حريصاً على اموال العراق ... مو مثل مسلمي السلطة اليوم.
تابعت حديثي: وكان بينهم الكثير من الاطباء المشهورين ، والمحامين والمهندسين والمعلّمين وغيرهم. وكان لهم الباع الكبير في مجالات الاعمال الحرة من تجارة وصناعة. وفي مجال المهارات المهنية اشتهر اليهود بصياغة الذهب وكخياطين ماهرين. وقد اهتمت الجالية اليهودية بصورة خاصة بتعليم ابنائها فأنبرى أغنياؤهم لتمويل مدارس خاصة كمدرسة المُحسن فرانك عيني ذات التعليم المكثّف الراقي ، وكانت تقبل في صفوفها نسبة من الطلاب المسلمين والمسيحيين المعدمين والايتام.
سأل الاستاذ محمد: عدى المساهمات الفنيّة والادبية والتجارية هل ساهموا بالسياسة وهل كان بينهم من سعى لنشوء اسرائيل؟
قلت: لعلمي ان اليهود العراقيين لم يخرجوا الى اسرائيل إلا لضروف قاهرة لأنهم كانوا وطنيين ويحبون العراق ... ساهم الكثير منهم في الحركة السياسية وخصوصاً الحركة الشيوعية التي جذبت الكثير من الكادحين او ذوي الدخل المحدود المتأثرين بالمد الثوري الذي يدعو الى المساواة والتأخي الاممي والانساني ، والذي كان بصورة عامة يجتذب الاقليات المضطهدة في ظل تصاعد المد الشوفيني العروبي. فقبل يوسف سلمان مؤسس الحزب الشيوعي العراقي (واسمه الحزبي فهد) كانت هنالك تنظيمات ماركسية ساهم فيها اليهود ، وعندما تأسس الحزب الشيوعي العراقي سنة 1934 كان الكثير من قيادييه من اليهود ، بل كان كلّ اعضاء عصبة مكافحة الصهيونية التي اسسها فهد سنة 1946 عقب تأسيس اسرائيل من اليهود العراقيين.
سأل الاستاذ محمد: وماذا عن الفرهود؟
قلت: دخلت كلمة "فرهود" المحوّرة من " فر اليهود" الى قاموس اللغة العراقية الدارجة حتى يومنا هذا. ويرمز الفرهود الى أعمال عنف ونهب نشبت في بغداد في سنة 1941 مستهدفة سكان المدينة من اليهود عقب سقوط حكومة رشيد عالي الكيلاني وهو رئيس وزراء عراقي ذو ميول قومية ودينية استولى على الحكم بأنقلاب ايدته المانيا النازية. انتهت الحادثة في اليوم التالي لدى دخول القوات البريطانية بغداد بعد ان راح ضحية الفرهود اقل من مئتي قتيل وألف جريح يهودي.
تكّلم سمير بعد صمت طويل: أنا لم اعرف او ارى يهودي في حياتي ... سمعت عنهم من الراديو والتلفزيون وكله يسئ اليهم ويكرههم فتصورت انهم وحوش غادرة لولا الوالد الذي تحدّث لي عن جيرانهم اليهود الطيبين في مدينة العمارة حيث وُلِدَ أبي.
قلت: لم تعرفهم لأنهم تركوا العراق ... لقد ترك الفرهود أثرا عميقا لدى اليهود العراقيين وساعد على سرعة هجرتهم الطوعية والقسرية في كثير من الاحيان إلى إسرائيل خصوصاً اثر تصاعد العداء لليهود عقب تأسيس دولة اسرائيل في سنة 1948. فبحلول عام 1951 هاجر أكثر من 80% منهم إلى إسرائيل وبذلك يعتبر الفرهود بداية النهاية للوجود اليهودي في العراق الذي امتد لأكثر من 2600 سنة منذ ألسبي ألبابلي.
قال صديقي: يتراءئ لي حلم بعيد المنال ارى فيه يوم يعترف فيه البرلمان العراقي بمظالمهم فيصدر قانوناً بتعويضهم عن حقوقهم المسلوبة من املاك وعقارات ويمنحهم الجنسية العراقية ، اضافة الى جنسية البلدان التي يتواجدون فيها الان ، ويدعوهم للمشاركة في بناء الصرح الحضاري الجديد في العراق.
قال الاستاذ بهنام: لا يحب السياسيين الاسرائيلين حلمك هذا ففيه تقويض لحلم اسرائيل كبرى تجمع فيه كل يهود العالم على كل ارض فلسطين.
قلت: على كلٍّ لا يمكن ان يتحقق هذا الحلم مادام العراق هكذا ... تمزقه الصراعات الدينية ومطامع الدول فيه وينخر فيه الفساد ... لن يتحقق هذا ما دام اهل العراق من العرب والاكراد والتركمان ومن المسلمين والمسيحيين وغيرهم مسلوبة حقوقهم ومظلومين ... لقد وصلت الى نهاية المحاضرة على امل اللقاء بكم في محاضرة قادمة ... وشكراً.

محادثات فلسفية مع صديقي (16)

المحادثة السادسة - حول الاديان التوحيدية الابراهيمية – المسيحية 1:

اخبرت صديقي بأنتهائي من تحضير المحاضرة الموعودة وضرورة أتصاله بالأصدقاء وتحديد موعدها كالعادة في يوم الجمعة القادم. ، وفي العاشرة صباحاً من يوم الجمعة المصادف 219/2/22 أجتمعنا في مكاننا المعهود في مقهى الشابدر. و قبل ان أبدأ المحاضرة تجدد الحديث سياسة الرئيس الامريكي اليمينية المتطرفة وقراره السابق بمنع رعايا سبعة دول من دخول الولايات المتحدة الامريكية فأبدى الحضور رفضهم القاطع لهذا القرار المجحف والمنافق بحق العراق الذي كان ولا زال ضحية الارهاب الاسلامي المتطرف ولم يكن يوماً مصدراً للارهابيين الى دول العالم.
قال السيد خالد: ان القرار يعكس عنصرية وتوجّه معادي للاسلام.
قلت: انا لا أؤيد هذا القرار لأني اعتقد بأنه سوف لا يمنع الارهاب بل ربما يعطي حجّة لمتطرفين أسلاميين من حاملي الجنسية الامريكية للانزلاق الى حضيض الارهاب ... خذ مثلاً ذلك الحادث في كاليفورنيا ... مواطن امريكي مسلم وزوجته حملوا رشاشات وقتلوا زملائهم في العمل وناس آخرين ... مواطنين مكرّمين معززين بين اهلهم وبين اصدقائهم المسيحيين ولكن جرى غسل لأدمغتهم ... الارهاب هو نتيجة فكر متطرف وليس نتيجة مواطني بلد معيّن.
قال صديقي: هذه الحادثة وغيرها جعلت الرأي العام الامريكي المتسامح يميل الى كراهية المسلمين ويتهمهم بالارهاب ... كيف للأمريكي المسيحي ان يفرق بين مسلم مسالم وآخر ارهابي عندما يرى رجل ولد في امريكا ودخل مدارسها وعاش فيها كمواطن متساوي الحقوق ينقلب فجأة الى قاتل مثل هذا الذي ذكرته ... يبدو ان هذا القرار غيرمدروس ولكنه تنفيذ لوعد انتخابي وهو في رأيي ليس ضد المسلمين لأنه شمل سبعة دول مسلمة فقط بل هو ضد دول فيها ارهاب وفوضى ... مقابل رشوة يمكن لأي شخص ان يحصل على جواز سفر عراقي بأسم غير اسمه الحقيقي فكيف للسلطات الامريكية ان تعرف ذلك؟
قلت: الكلام يطول حول هذا الموضوع ... أود ان اقدّم لكم اعتذارين أولاً لمخالفتي الوعد بأن محاضرة اليوم ستكون حول الدين المسيحي والاديان في العراق عدى الاسلام فلقد بدى لي اثناء تحضيري للمحاضرة ان موضوع الدين المسيحي يستحق كل محاضرة اليوم ولذلك ستكون المحاضرة المستقبلية عن الاديان الاخرى في العراق ... وثانياً اعتذر منّك يا أستاذ بهنام مقدّماً إذا صدر منّي ما يخالف معتقداتك ألدينية فهمّي الاول هو معرفة الحقيقة الموضوعية التي تخالف في كثير من الاحيان المعتقدات الدينية.
قال السيد بهنام: انا مسيحي وأعتز بأصلي وبديني ولكني لست متعصباً وعقلي يتقبّل كل ما هو منطقي فلا ألومك ان خالفت معتقدي الديني ... لو حدث ان قلت شيئاً غير مقتنع به فسوف اطرح رأيي المخالف ، ابتسم وقال ، ولن أتهمك بالكفر والالحاد.
قلت: شكراً على سعة صدرك ... المسيحية ديانة تتبع سيرة حياة واقوال يسوع المسيح ، وهو في الاسلام عيسى ابن مريم.
سأل سمير: يسوع المسيح ... ما معنى مسيح؟
قال الاستاذ بهنام: كلمة المسيح هي تعريب لكلمة ماشيحا الآرامية وتعني الذي مُسح جسدة بالدهن المقدّس ... طقس من الطقوس الدينية لتطهير الروح.
اكملت حديثي: يعتنق المسيحية اكثر من مليارين من البشر يتوزعون على كل قارات الارض. اصبحت المسيحية ديانة مستقلّة عن اليهودية بعد صلب يسوع المسيح ... وقد جمعت اقواله وافعاله في اربعة اناجيل هي انجيل مرقس (حوالي سنة 70 م) وانجيل متّي (حوالي سنة 80 م) وانجيل لوقا (حوالي سنة 90 م) وانجيل يوحنا (في الفترة بين سنة 100- 110 م).
قال: السيد خالد: يعني كل الاناجيل جمعت بعد صلب المسيح بعشرات السنين.
تابعت حديثي: ... انجيل يوحنا جدير بألاهتمام فيوحنا لم يعاصر المسيح بل تحول من اليهودية الى المسيحية اثر رؤيا وهو في طريقه الى دمشق ... هذا الانجيل يعكس اراء المسيح العرفانية التي تتميّز برسالة انسانية

رافضة للشرائع اليهودية المجحفة ويتقاطع غالباً مع ما ورد في الاناجيل الثلاثة التي سبقته. وفي القرن الرابع الميلادي اصبحت الاناجيل الاربعة المذكورة اساس الدين المسيحي الكاثوليكي في الامبراطورية الرومانية ، وأدينت وقمعت كل الاعمال الدينية التي خالفت ألكنيسة الرسمية الارثدوكسية ، اي القويمة الايمان ، ودمّرت اثار كل الكتابات ألدينية والاناجيل التي تخالف ارائها وخاصة تلك التي تطرح رؤية عرفانية (غنوصية) وكاد معظمها ان يندثر لولا أن فلاح مصري من نجع حمّادي لقى لفافات من الكتاب المقدس العرفاني في سنة 1945.
سأل السيد حسين: ما هي العرفانية الغنوصية:
قلت: بأختصار ... كلمة الغنوصي مشتقة من اصل اغريقي وهي بالانكليزية (Gnostics) وما يقابل الغنوصيون بالعربي هو العرفانيون وهي تخص جماعة تعتقد انها تعرف أسرار الوجود والحياة وتحافظ عليها ... هذه المعرفة المقدسة لا تأتي عن طريق التعليم او الملاحظة بل بوحي علوي ، فتغمرهم بعطاء روحي يغنيهم عن مباهج الحياة الدنيا.
واصلت حديثي: وفي اواخر القرن الرابع الميلادي جُمعت الاناجيل الاربعة وسمّيت بالعهد الجديد مع التوراة اليهودية ، وهي العهد القديم ، في كتاب واحد هو الكتاب المقدس فدمج ما لا يمكن التوفيق بينه نتيجة رؤيتين مختلفتين تماماً واحدة خاصة باليهود واخرى رسالة عالمية للانسانية جمعاء.
تنهد الاستاذ بهنام ثم قال فرِحاً: شكراً استاذ على التوضيح ... هذا بالضبط ما كنت اعتقدة ...
واصلت حديثي: نشأت المسيحية في مقاطعة يهودية في فلسطين وكانت في نهاية القرن الاول قبل الميلاد واحدة من المقاطعات الكثيرة التي حكمتها الامبراطورية الرومانية التي كانت تسمح لشعوب المقاطعات التي تحكمها بنوع من الحكم الذاتي مقابل ولاء مطلق لحاكم المقاطعة الروماني الذي له قوة عسكرية وتؤول له كل الامور المهمة وهكذا كان حال هيرود (Herod) الّذي نُصِّب ملكاً على اليهود. وكانت اليهودية انذاك ديناً مثقّلاً بالخرافات والطقوس التي تقيّد حياة اليهودي بأكثرمن 600 وصيّة ، ويسيطر على المجتمع في المقاطعة اليهودية حفنة من الاثرياء المتزمتين دينياً (الفرّيسين) ومن الكهنة المشرّعين (الناموسيين). وكانت هنالك ارهاصات للتغير اكثرها انتشاراً تلك التي امتزجت بالاتجاه الفلسفي العرفاني ، وهي بصورة عامة لا تسعى الى تغيير المجتمع واصلاح دينه بل الى تغيير الذات واصلاحها وانقاذها من مستنقع الفساد والابتذال بالانزواء بعيدا عن المدينة في كهفِ جبلٍ او في غور صحراءٍ قاحلةٍ. هكذا كان وضع الجماعات العرفانية المتنسكة والمتعففة ، ولكن شيئا جديدا ظهر من بينهم ألا وهو تلك الجماعة التي ترفض الانزواء وتسعى الى تغيير المجتمع واصلاح الدين ومحاربة الفساد ورفض كل مايشوب الدين من خرافات وطقوس وكهانه جشعة تستغل بسطاء الناس وتحول دون صفاء التواصل بين الخالق والفرد. كان على رأس هذه الجماعة رجلٌ ثوريٌ قارب الثلاثين من عمره اسمه يسوع ، عرف عنه مريدوه انه ولِد لعذراء اسمها مريم.
قاطعني صديقي: أعذرني موفق ... اعذرني استاذ بهنام ... أعذروني يا مسلمين على ما سأقول ... اريد ان اصحح خرافة ولادة يسوع من عذراء.
قال السيد خالد: اتريد ان تخالف ما جاء في القرأن والانجيل!؟
ردّ صديقي: نعم ... هل نسيت اننا بصدد محاضرة موضوعية وعلمية عن الدين ... اعذرني ولكن الرواية القرأنية تردد الرواية الأنجيلية التي وضعت بعد اربعة قرون من صلب المسيح ... ما توفر من المصادر التاريخية والدينية يشير الى ان يوسف النجار كان زوج مريم ... فكيف هي عذراء ... وحتى هناك من يقول ان للمسيح اخوة واخوات.
قال السيد حسين: فمن اين جاء القول بأن السيدة مريم عليها السلام عذراء؟
قال صديقي: جاء من خطأ في الترجمة من لغة الانجيل الارامية الاصلية الى الاغريقية ... ربما ترجمت كلمة مريم البتول بمعنى مريم الطاهرة الى مريم العذراء ، نظر صديقي الى الاستاذ بهنام مستفسراً.
هزّ الاستاذ بهنام كتفيه مردداً: ربّما .. ربّما.
سأل قيس: ألَم يعرف المترجمون ولو بعد حين هذا الخطأ؟
قال صديقي: طبعاً ... ولكن هذا الخطأ يروق الفكر الكاثوليكي الذي كان في طور التكوين ... فهو يرفع من مكانة المسيح الى مطاف الآله ... فهو أبن الله ... فيضفي على من يمثله على الارض ... اي البابا وهو في بداية الامر الامبراطور نفسه... قدسية وسلطة مطلقة.

قلت: لم أود ان اطرح ما قاله صديقي ... ولكن بعد ان قال ما قال اود ان اضيف شئ اخر عن حياة المسيح ... رأيت قبل فترة فلم وثائقي في التلفزيون تشاهد فيه بقايا معبد لطائفة خارجة عن التعاليم اليهودية وفيه صورة من القرميد على ارض المعبد وفي الصورة الكاهن وزوجته وما يشير (حسب تفسير مقدم البرنامج) الى انه المسيح وزوجته الكاهنة مريم المجدلية ... خلاصة القول في هذا الفلم ان المسيح كان كاهن يهودي ولكنه خرج على الدين التقليدي.
قال الاستاذ بهنام: مريم المجدلية حسب الانجيل كانت عاهرة انقذها المسيح من الرجم فتابت واصبحت من اخلص الناس لرسالته.
قال صديقي: هي أكذوبة أخرى لأكمال الصورة العرفانية للمسيح ... الجنس في نظر العرفانيين من الشرور الشيطانية ... جعلوا من المسيح ناسك ومن مريم المجدلية عاهرة تائبة ... يظن البعض من الباحثين في التاريخ ان للمسيح ومريم المجدلية اطفال.
قال سمير: فهمت الان السر في فلم ... شفرة دافنجي.
قال صديقي: Da Vinci Code مأخوذ من قصة تدور حول صراع لحفظ حياة حفيدة المسيح من قبل جمعية سرّية حافظت على السر لألفي سنة ... صراع مع الكنيسة الكاثوليكية التي تسعى للتغطية على الحقيقة والخلاص من حفيدة المسيح.
تابعت حديثي: كان التعميد في نهر الاردن عادة دينية جارية وقد عمّد المسيح واحد من اشهر العرفانيين واسمه يوحنا (المعمدان) وقال له انت المخلّص الذي كنت انادي بظهوره ... أنطلق يسوع المسيح الذي مسحت عنه الاثام يبشر برسالة محبة الله والانسان ، لا تثنيه الصعاب وتخرصات وتهديدات الناموسيين والفرّيسين وتملقهم وتحريضهم للسلطة الرومانية عليه بعد ان احسوا بخطر رسالته على سلطانهم. كان من بين اليهود من اعتقد ان يسوع هو المسيح المنتظر التي بشرت به التوراة ليقود اليهود الى الخلاص ، وقد اعتنق هذا المعتقد بعد صلب المسيح جماعة مسيحية - يهودية تركّزت في مدينة اورشليم وعندهم "كنيسة الختان" ، التي تشترط ختان الذكور على الطريقة اليهودية ولكن رسالة المسيح لم تكن لليهود فقط بل كانت رسالةً عالمية للانسانية جمعاء فقد انتشرت رسالته بسرعة بين غير اليهود. يقول الكاتب فؤاد السوّاح في كتابة "الوجه الاخر للمسيح" "لقد عبّر يسوع من خلال سلوكه اليومي عن رفضه لشريعة موسى ، واحل محلها شريعة القلب والروح ، شريعة تخدم الانسان بدل ان تستعبد الانسان:

"ومر يسوع في السبت خلال مزارع ، فأخذ تلاميذه يقطفون السنابل وهم سائرون فقال له الفريسيون: انظر ، لماذا يفعلون في السبت ما لا يحل؟ ... فقال لهم: إن السبت جُعِلَ لأجل الانسان ، لا الانسان لاجل السبت" مرقس 2: 23 – 27.

كما عبّر في اقوال عديدة عن فساد حرّاس الشريعة:

"الويل لكم ايها الناموسيون. تحمّلون الناس احمالاً باهضة ، وانتم لا تمسّون هذه الاحمال بأحد اصابعكم ... الويل لكم ايها الناموسيون. فقد استوليتم على مفتاح المعرفة ، فلا انتم دخلتم ولا الذين ارادوا الدخول تركتوهم يدخلون" لوقا 11: 46 – 52."

قال الأستاذ بهنام: هذا المسيح الانساني ... على راسي.
قال الاستاذ محمد: ما اشبه اليوم بالبارحة ... في بلاد المسلمين يُغرق مدّعوا ألدين ألمتزمتون الناس بالشرائع والطقوس ويبشرونهم بسعادة في الآخرة حتى لا يروا بؤس حياتهم الدنيا.
واصلت حديثي: ... بشّر المسيح برسالة عالمية شمولية جوهرها محبة الله ومحبة الاخرين:

"فقال لتلاميذه بعد قيامته: اذهبوا وتلمذوا جميع الامم ، وعمدوهم باسم الاب والابن والروح القدس" ... : "فساله واحد منهم ، وهو ناموسي ، ليجربه: يا معلّم، ماهي اكبر وصية في الشريعة؟ فقال له: أحبب ربك

بجميع قلبك وجميع نفسك وجميع ذهنك. تلك الوصية الكبرى الاولى. والثانية مثلها، أحبب قريبك حبّك لنفسك. وبهذه الوصيتين يرتبط كلام الشريعة والانبياء" متّي 22: 35 – 40."

ويتجلى في انجيل يوحنا ما يعكس صدق رسالة المسيح الرافضة لليهودية ولشرائعها المجحفة وللكهنوت المتسلط الذي يقف بين الانسان وربّه ، مؤسساً لعبادة روحية بلا وسيط ولعبادة القلب لا عبادة الحرف (اي الطقوس والشرئع اليهودية) ، فيقول للمرأة السامرية التي التقاها:

"صدقيني يا أمرأة ، ستأتي ساعة يعبد فيها الاب لا في هذا الجبل ولا في اورشليم. أنتم تعبدون ما تجهلون ، ونحن نعبد ما نعلم. لأن الخلاص هو من اليهود. ستأتي ساعة ، بل اتت الآن ، يعبد فيها العباد الصادقون ألأب بالروح والحق ، لأن ألأب يريد مثل هؤلاء العباد. إن الله روح ، فيجب على العباد ان يعبدوه بالروح والحق.".

وعن المرأة الزانية التي اتاه بها الكتبة وألفريسون طالبين منه ان يرجمها بموجب شريعة موسى فيقول:

" من كان منكم بلا خطيئة فليتقدم ويرمها بحجر" فيعفو عنها ويقول لها "وانا لا احكم عليك. اذهبي ولا تعودي الى الخطيئة".

والمسيح الثوري لا يكتفي بالقول:

" ثُمَّ دَخَلَ يَسُوعُ الْهَيْكَلَ ، وَطَرَدَ مِنْ سَاحَتِهِ جَمِيعَ الَّذِينَ كَانُوا يَبِيعُونَ وَيَشْتَرُونَ؛ وَقَلَبَ مَوَائِدَ الصَّيَارِفَةِ وَمَقَاعِدَ بَاعَةِ الْحَمَامِ. وَقَالَ لَهُمْ: "مَكْتُوبٌ: إِنَّ بَيْتِي بَيْتاً لِلصَّلاَةِ يُدْعَى. أَمَّا أَنْتُمْ فَجَعَلْتُمُوهُ مَغَارَةَ لُصُوصٍ" متي 21 / 12-17.

وفي قول شهير اخر يحل يسوع ألأخلاق محل الشريعة جملةً وتفصيلاً : "افعلوا للناس ما اردتم ان يفعله الناس لكم. هذه هي خلاصة الشريعة وكلام الأنبياء" متّي 7: 12.

وبالرغم من رفض المسيح لليهودية وشرائعها كاملةً إلّا ان حوارييه متّي ولوقا جاهدوا لاثبات يهوديتة وانتسابه الى انبياء ال ابراهيم في محاولات توفيقية بين الدين اليهودي والمسيحية الناشئة وتمهيداً لربط التوراة (العهد القديم) بالاناجيل التي استلهموها من اقوال المسيح (العهد الجديد). فنرى انجيل متّي ينسب يسوع الى ال ابراهيم حتى يصل الى يوسف فيهمل الحمل العذري لمريم ويقول: "ويوسف زوج مريم والدة يسوع ، الذي يقال له المسيح". وينسب انجيل لوقا المسيح الى ال ابراهيم ويورثه مُلك ملوكهم ولكنه يضفي عليه وعلى الانسان ككل صفة ابن الله ... ان محاولة ربط نسب يسوع بالملك داود ليس إلّا توكيد على أن مسيح الانجيل هو الذي حقق مسيح التوراة على مسرح التاريخ.
قال الأستاذ بهنام: الا تعتقد إذن ان المسيح من نسب النبي داوود كما ورد في الانجيل؟
قلت: هناك مفارقة كبيرة في تاريخ ولادته ... فأنجيل لوقا يروي قصة الاحصاء العام الذي امر به القيصر الروماني اغسطس حيث يلزم على كل فرد تسجيل حضوره في المدينة التي تنتسب اليها عائلته. فيسافر يوسف الناصري بصحبة زوجته مريم الحبلى بيسوع الى بيت لحم ، حيث بيت داود الذي ينتسب اليه للاكتتاب ، ولكن المثبت تاريخياً ان الاحصاء كان في سنة 6 ميلادية. وفي انجيل متّي تكون ولادة يسوع المسيح في عهد هيرود ولكن المثبت تاريخياً ان هيرود توفى سنة 4 ق م.
أستفسر الاستاذ بهنام: فأين ولد المسيح إذن؟
قلت: ... تحضّر للمفاجئة ... ان البحوث التاريخية الاخيرة تدلّ على ان مدينة بيت لحم الحالية لا يمكن ان تكون موقع ولادة المسيح فقد استحدث اسمها بعد ولادة المسيح بأجيال لتبرير انتماءه الى ال النبي

داود. اما مدينة بيت لحم الحقيقية التي عاصر وجودها تاريخ ولادة المسيح فتقع في منطقة الجليل مقابل السفوح الشرقية لجبل الكرمل ، ولعلها في لبنان الحالية.
قهقه صديقي بأعلى صوته وقال: قرة عينك استاذ بهنام ... المسيح طلع لبناني ... اكيد عنده ذوق ويعرف يلبس حلو.
ضحكنا جميعاً وردد الاستاذ بهنام: لبناني .. فلسطيني .. عراقي مو مهم ولكن المهم انه انساني وابن اوادم.
اكملت حديثي: لم تتوقف محاولات الايهام بأن المسيح هو سليل انبياء اليهود بل تعدتها الى القول انّ تعاليم المسيح هي تواصل مع الشريعة اليهودية لغرض اصلاحها واكمالها ، ففي انجيل متي:

"لا تضنّوا أنّي جئت لانقض الناموس والأنبياء ، ما جئت لانقض بل لأكمل".

بل هي تُصّور المسيح كيهودي ملتزم بالتعاليم العنصرية المتعالية على غير اليهود ورسالته هي للخراف الضالة من بيت اسرائيل فقط:

" ودعا تلاميذه ألإثني عشر ، فأولاهم سلطاناً يطردون به الأرواح النجسة ويشفون الناس من كل مرض وعلّة ... وقال لهم: لا تسلكوا طريقاً الى الوثنيين ، ولا تدخلوا مدينة السامريين ، بل اذهبوا نحو الخراف الضالة من بيت اسرائيل" متّي 10 : 1 – 6.

قال الاستاذ بهنام: من المؤكد ان بعضاً من حواري المسيح اقحموا تلك النصوص في صلب اناجيلهم التي تتناقض مع رسالة المسيح العالمية التي اعلنها في عدة مناسبات ، لأن تلك النصوص لا تتناسب مع تواضعه الشديد بل في تفضيله الفقراء والصعاليك على الاغنياء المترفين. فكيف لتعاليم المسيح التي تدعو الى اسقاط العبادات الشكلية والشرائع اليهودية والى ايمان من دون وسيط ، بين الله وهو روح كلّي وبين الانسان وهو من روح الله ، ان تؤدي من جهة الى نظام ديني كهنوتي ... اسمعوا هذا النص من انجيل توما:

سأل تلاميذه "اتريد ان نصوم؟ كيف نصلّي؟ هل نتصدّق؟ ماذا نأكل وماذا لا نأكل" فقال لهم ما يلخص الصلاة الحقيقية "لا تقولوا كذباً ولا تفعلوا ما لا تكرهون"

واصلت حديثي: كان اول بوادر النظام الديني الجديد هو تأسيس النظام ألكنيسي الذي استهلّه سمعان (وهو نفسه القديس بطرس) بخطاب وعظ بجمع غفير من اليهود في اورشليم بعد حوالي خمسين يوما من صلب المسيح. وردد بطرس ما قاله المسيح يطالبه بأنشاء الكنيسة:

"قَالَ لَهُمْ: وَأَنْتُمْ، مَنْ تَقُولُونَ إِنِّي أَنَا؟ فَأَجَابَ سِمْعَانُ بُطْرُسُ وَقَالَ: أَنْتَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ الْحَيِّ . فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُ: طُوبَى لَكَ يَا سِمْعَانُ بْنَ يُونَا، إِنَّ لَحْمًا وَدَمًا لَمْ يُعْلِنْ لَكَ ، لكِنَّ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ. وَأَنَا أَقُولُ لَكَ أَيْضًا: أَنْتَ بُطْرُسُ، <u>وَعَلَى هذِهِ الصَّخْرَةِ أَبْنِي كَنِيسَتِي</u> ، وَأَبْوَابُ الْجَحِيمِ لَنْ تَقْوَى عَلَيْهَا ".

يجادل ألرافضون للنظام الكنيسي الذي يضع وسيطاً بين الله والانسان بأن كلمة كنيسة في عهد المسيح لا تعني ما تعنيه اليوم من بناء قائم بل تعني <u>جمع المؤمنين برسالته الخالدة</u> ، وعلى اي حال فقد نشأت الكنيسة وتطورت وانتشرت في انحاء الامبراطورية الرومانية. وبعد اضطهادٍ للمسيحيين دام كثيراً ولكنه لم يحد من انتشاره اعتنق الامبراطور قسطنطين المسيحية سنة 312 م لاسباب سياسية ، ونقل العاصمة الامبراطورية الى قسطنطينة (اسطنبول حالياً). وخلال حكم الامبراطور ثيودوس في سنة 392 اصبح الدين المسيحي هو دين الدولة والكنيسة الارثذوكسية (القويمة)، للمتحولين من اليهودية الى المسيحية وغيرهم، هي الكنيسة الرسمية وما عداها يعتبر انحرافاً عن المسيحية.

قال صديقي: نلاحظ تأثير الفلسفة اليونانية على الكنيسة الكاثوليكية التي هيمنت خلال القرون الوسطى على مقدرات الحكم والشعوب الاوربية ، فالنظام الكنائسي هو انعكاس لكتاب الجمهورية لافلاطون الذي يتخيل فية الدولة المثاليه من ثلاثة طبقات وعلى رأسها طبقة الذهب المكونة من الفلاسفة الحكماء النسّاك الذين تخلّوا عن مباهج الدنيا واطماعها ، ويقابلهم في الكاثولوكية رجال الكهنوت المسيحي. والطبقة الثانية هي طبقة الفضة من الحكّام وقوّاد الجيش والثالثة هي طبقة النحاس من عامة الشعب العامل.
واصلت حديثي: حدثت انشقاقات في المسيحية تشضّى فيها المسيحيون (وذلك حسب ما قرأت) الى اكثر من 22000 طائفة وفرقة ونحلة اكبرها **الارثدوكسية الكاثوليكية** ومركزها هو في روما عاصمة الامبراطورية الرومانية.
صفر السيد حسين بفمه متعجباً: يعني هم اتعس منّا ... عندهم هذا العدد وعندنا سبع وسبعين.
قال السيد بهنام: لم اكن اتصور هذا العدد من الفرق المسيحية ... ولكن عندكم (يقصد المسلمين) أكثر من سبعة وسبعين.
قلت: لعل من الافضل ان نأخذ فترة استراحة الان لأواصل الحديث بعدها عن اسباب هذا التشضّي وعن نتائجة ، نادى الأستاذ بهنام على عامل المقهى لجلب الشايات ثم اخرج كيس فيه بعض الكليجة ووضعه على الطاولة وتبعة صديقي بكيس من كعك السيّد.

محادثات فلسفية مع صديقي (17)

المحادثة السابعة عشر - الاديان التوحيدية الابراهيمية – المسيحية 2:

واصلت حديثي بعد الاستراحة: قلت ان المسيحية انقسمت او تشضّت الى آلآف الطوائف أكبرها الكاثولوكية التي كانت الدين الرسمي للأمبراطورية الرومانية التي تسيطر على بقاع واسعة من العمورة ... وقد ساعد على هذا التشضّي الخلاف حول طبيعة المسيح الالهية – الانسانية ، اضافة الى العامل الجغرافي نتيجة انسلاخ اجزاء واسعة عن الامبراطورية الرومانية ، فقمعت جماعات وحركات فكرية كثيرة بأعتبارها هرطقات ولكن بعضها عاش ليكّون طوائف مسيحية كبيرة. وكان من اكثر تلك النحل تأثيراً في عهد الامبراطوية الرومانية هو **النسطورية** ، نسبة الى القسيس مار نسطورس " الذي آمن بالثالوث الأقدس لكنه اعتقد أن الابن الموجود مع الله منذ الأزل هو غير يسوع ، وأن هذا الابن الأزلي قد حلّ في شخص يسوع عند عماده وبالتالي فقد علّم نسطورس وجود **شخصين في المسيح** واحد بطبيعة الهية والاخربطبيعة بشرية ودعا العذراء والدة المسيح وليس والدة الله".
قال السيد خالد: هذا ما يقوله القرأن الكريم.
قلت: لأن الفكرة مأخوذة من نصارى الجزيرة العربية وهم على هذا المذهب وهي تناسب فكرة التوحيد الخالص الذي جاء به الاسلام ...
واصلت حديثي: من اجل حل هذه المشكلة الدينية ، اي هل ان يسوع ابن الله ام انه عيسى ابن مريم ثم حل به المسيح الذي كان مع الله ، فقد امر الامبراطور الروماني المجمع المسكوني بعقد مؤتمر في أفسس (تركيا) سنة 431 م كان من اثره أن حرّم المذهب النسطوري
سأل قيس: ولماذا حرّم النسطورية وحلل الاخرى التي تقول ان المسيح ابن الله؟
قلت: تصور نفسك في مكان هذا الامبراطور الذي يريد ان يستخدم الدين لدعم سلطته المطلقة فماذا تختار؟ هل تختار ان يكون المسيح هو ابن الله مما يجعلك ممثل ابن الله على الارض ام تختار ان يكون المسيح ابن مريم؟
ردّ قيس: سأختار ان يكون المسيح ابن الله.
قلت: هذا ما فعل الامبراطور فأصبح بذلك اول بابا للمسيحية الكاثولوكية ...
تابعت جديثي: تعرض اتباع نسطورس الى اضطهاد شديد وتشتت من بقى منهم في انحاء نائية. فأحتضنتهم الامبراطورية الفارسية الساسانية المعادية للرومانية ، وأقام النساطرة **الكنيسة السريانية الشرقية** في سلوقيا عاصمة السلوقيين قرب طاق كسرى. ونظرا لطبيعة المذهب النسطوري التبشيري الفعّال فقد انتشر في العراق والجزيرة العربية وبلاد فارس والهند حتى وصل الى الصين ومنغوليا وكوّن اكبر الطوائف المسيحية انذك ، ولكنه تراجع وتقلّص اثر سقوط الامبراطورية الساسانية واثر الاحتلال المغولي للامبراطورية العباسية التي تمتعوا فيها بحمايتهم وتكريمها لعلمائهم ، ولم يبق منهم إلّا القلّة بعضهم في تركيا. وفي اجتماع اخر في سنة 439 أُقرت نظرية البطريرك كيرلس الأول الاسكندري في أتحاد الطبيعتين في طبيعة واحدة. ولكن هذه العقيدة تمت معارضتها في روما والقسطنطينية ، اللتين دعتا إلى مجمع آخر سنة 451 هو مجمع خلقيدونية كان من نتيجته حصول الانقسام الثاني في الكنيسة فتشكلت عائلة الكنائس "الأرثو دكسية المشرقية". شكّل أصحاب الطبيعة الواحدة أو المونوفيزيون قاعدة شعبية كبيرة في مصر والحبشة وأرمينيا وبدرجة أقل في سوريا وعانوا من شتى أنواع الاضطهاد على يد الإمبراطورية البيزنطية لكن الاضطهاد لم يأت بالثمار المرجوة بل عمّق الشرخ الحاصل في الإمبراطورية بين الفئتين. ويرى الكاتب فؤاد السواح "أن عدد من المسيحيون العرب دعموا عملية الفتح ، خصوصًا الغساسنة والمناذرة ، وكذلك فعل المسيحيون السريان. يُذكر أن بطريرك النساطرة قد سافر إلى المدينة المنورة طالبًا من عمر بن الخطاب الإسراع في احتلال العراق ، في حين أن سكان المدن السورية على نهر الفرات فتحوا أبواب المدن مهللين للفاتحين الجدد".

قال الاستاذ بهنام: أجد هذا الكلام بعيد عن التصديق فكيف يسعى بطريك مسيحي لأحتلال بلاده من قبل مسلمين؟
قلت: يجوز ان حدث هذا فرسالة الاسلام كانت غير واضحه للمسيحين العرب وبدت لهم انها تعترف بالمسيحية، بل ان الاسلام في بداياته كان يعني الطريق القويم للديانات الإبراهيمية فينضوي تحت لواءه اليهود و المسيحيين ايضاً .. ومن جهة اخرى فأن المسيحيين السريان والنساطرة كانوا مضطهدين من قبل الامبراطورية البيزنطية.
قال صديقي: لقد جرى أضطهاد المسيحيين الشرقيين من قبل المسيحيين الاوربيين حتى اثناء الحروب الصليبية.
قلت: هذا صحيح ... كان الصراع بين اوربا المسيحية والشرق المسلم يخفي وراءه مصالح سياسية واقتصادية واقليمية توسعية ، وقد تطور هذا الصراع الى حملة صليبية اولى سنة 1094 استطاعت خلالها احتلال الساحل السوري اضافة الى لبنان وفلسطين ومناطق من تركيا والاردن ومصر. ثم تلتها حملة ثانية رداً على سقوط الرها ، وثالثة رداً على سقوط القدس ، وثالثة ورابعة احتلّت فيها القسطنطينية ، وخامسة وسادسة أُحتلت فيها لفترة وجيزة القدس مرة اخرى. ثم انتهت الحملات الصليبية وتم اجلاء بقايا الصليبين بعد سقوط اخر حصونهم في عكّا سنة 1291. وبدأت بعدها حروب استعادة الاندلس التي انتهت بسقوط غرناطة سنة 1492، ثم تجدد الصراع بين اوربا المسيحية والشرق المسلم بظهور قوة مسلمة فتية بتأسيس الامبراطورية العثمانية التي استطاعت فتح القسطنطينية سنة 1453 وسقطت اثرها الامبراطورية البيزنطية وتحول ثقل ألكنيسة الارثوذكسية الى روسيا القيصرية.
لقد كان اخر انشقاق كبير عن الكنسة ألكنيسة الارثودكسية الكاثوليكية في بداية عصر التنوير في اوربا ، فقد أحتجّ المصلح مارتن لوثر في المانيا على فساد الكنيسة الكاثوليكية واستيلاء بعض الحكّام مثل ال ميديشي وال بورجيا على كرسي البابوية. وفي سنة 1517 وضع لوثر قائمة من 95 بنداً بالاعتراضات على ممارسات الكنيسة الكاثوليكية مؤسساً **للبروتستانية**. ثم ظهرعدد من المصلحين كان أبرزهم جان كالفن مؤسس **الكالفينية** وتوماس مونزر مؤسسا **حركة المعمدانية** التي ظهرت بتأثير حركة تجديدية العماد.
وفي عام 1534 انشق هنري الثامن ملك إنجلترا عن الكاثولوكية واعلن نفسه رئيس كنيسة إنجلترا وذلك بعدما رفض البابا ترخيص طلاقه من كاثرين أراغون ، ما أدى إلى تأسيس **الكنيسة الأنجليكانية** التي تعتمد النظام الأسقفي.
قلت: حان الان الوقت للحديث عن المسيحيين العراقيين ولعل الاستاذ بهنام يشاركني الحديث بتوضيح الكثير من المعلومات التي لا اعرف تفاصيلها.
ردّ الاستاذ بهنام: بكل سرور ولكن على قدر علمي المحدود.
واصلت حديثي: كان اكثر السكّان الاصليين في بلاد الرافدين وسوريا والاردن وفلسطين ولبنان ومصر قبل الفتوحات العربية الاسلامية في القرن السابع من المسيحيين السريان. وكان منهم عرب انتشروا في شبه الجزيرة العربية بين بعض القبائل العربية وفي اليمن وجلّهم من المخالفين بمعتقدهم المسيحية الارثودوكسية التي تقول ان المسيح ابن الله .. وكانت مملكة المناذرة على التخوم السورية مسيحية ايضاً.
ولم يحدث التحول الى الاسلام بشكل مفاجئ بل بصورة تدريجية فما أن اطلّ القرن الحادي عشر حتّى اصبح معظم سكّان تلك البلدان من العرب المسلمين.
قال الاستاذ بهنام: للعلم فقط ... حكم معاوية سوريا بمعاونة فعّالة من المسيحيين فقد كانت زوجته ميسون وام يزيد مسيحية عربية وتنتمي الى احد بطون قريش من قبيلة بنو كلب ... وقد وجدث عملات معدنية صكّت في زمنه وعليها رسم معاوية يحمل الصليب واخرى معاوية يحمل رمزاً من رموز الزرادشتية.
علّق صاحبي: سياسي ملعون يعرف كيف يرضي المسيحيين في سوريا والزرادشتيين في العراق ... ولكن ألم تكن قبيلة بنو كلب هي قبيلة النبي محمد؟
قال الاستاذ بهنام: نعم وهذا الفرع في بلاد الشام تحول الى المسيحية ... ميسون لم تتحول الى الاسلام وكبدوية عربية فضّلت العيش في خيمة في الصحراء وقد تربّى يزيد في كنفها.
قال: السيد حسين: هذا يفسر عدم اكتراثة للاسلام فقد كان يشرب الخمر في مجالسه علانية.

قال الاستاذ بهنام: ساعد المسيحيين على تثبيت حكم معاوية وبخبراتهم بنوا له اسطول بحري ساعد على نصره المبين في معركة أُم الصواري في مصر.
تابعت حديثي: ترجع اصول معظم المسيحين العرقية في العراق الى الاشوريين والبابليين وينتمي معظمهم الان الى الطوائف الكلدانية والاشورية والى السريان الارثودوكس ... ويقدّر عدد المسيحين في العراق بحوالي مليون نسمة ، وقد يكون استمرار الهجرات وخصوصاً في الفترة الاخيرة قد قلّص من عددهم الى حوالي نصف مليون نسمة.
قال الستاذ بهنام: بل اقل من ذلك مع استمرار الهجرة ... نحن ملح الارض سكّان العراق الاصليين.
تابعت حديثي: ينتمي مسيحيوا العراق الى مجموعات متنوعة من الكنائس ، الآشورية الارثودكسية والكاثوليكية الآشورية ، السريانية الأرثودكسية والكاثوليكية السورية ، ومنهم ايضاً من ينتمي الى الأرمن الأرثدوكس والأرمن الكاثوليك والى الأرثدوكسية اليونانية واللاتينية الكاثوليكية والى الطوائف البروتستانتية ... وقد ساهم ألمثقفون من السريان من كلتي الطائفتين النسطورية واليعقوبية مساهمات كبيرة ، اثناء فترة الامبراطورية الاموية وبعدها في فترة التسامح من الخلافة العباسية (758 – 1258) ، في تقدم الحضارة الاسلامية من خلال ترجماتهم للكتب من السريانية والاغريقية الى العربية. وكان بعضهم على صلة صداقة حميمة مع الحكّام العرب فقد ارتبط البطريق النسطوري تيموثي مع الخليفة المهدي وابنائه الثلاثة بصداقة وثيقة ، وتبوء بعضهم مراكز عالية فقد كان الطبيب يوحنا ابن موسويه رئيساً لدار الحكمة التي اسسها المأمون سنة 830 م ، وكان يقوم مع ألموظفين السريان الاخرين بترجمة كتب الطب والفلسفة والرياضيات والفلك والعلوم الاخرى الى العربية وتدقيقها. وتبوء تلميذه يوحنا حُنين ابن اسحاق هذا المركز بعده وكان يعتبر من اعظم المترجمين واغزرهم انتاجاً. وقد خدم اطباء من عائلة بخت - ايشو المسيحية في بلاط الخلافة لسبعة اجيال متعاقبة ، وساهمت ايضاً اسرة بيت قرّة المندائية بالمعارف في مجال الفلك والرياضيات.
ولكن الحروب الصليبية وما تبعها من الاحتلال المغولي جلب الكثير من المآسي لا للمسلمين فقط بل الى الاقليات الدينية والعرقية ، فتضاءل بالتدريج عدد المسيحيين ولكنه حافظ على وجوده في المدن الرئيسية مثل البصرة وبغداد وفي منطقة سهل نينوى. وقد تسببت الحرب العالمية الاولى وما تبعها من ارهاصات استقلالية في العراق الى مذابح اخرى ضد الاشوريين فتضاءل وجودهم اكثر بسبب الهجرة الجماعية. وقد دمّرت قرى اشورية كثيرة اثناء الحروب مع الكرد واجبر ألآشوريون على تغيير اسمائهم وقوميتهم الى العربية في شهادة الجنسية اثناء حكم البعث في العراق.
قال صديقي: ولكن سقوط النظام البعثي في سنة 2003 الذي كان من المفروض ان ينصف الاقليات في العراق ومن جملتهم المسيحيين ولكنه جلب الحروب الطائفية التي كان ضحيتها بالدرجة الاولى تلك الاقليات العريقة.
قلنا ان معظم مسيحي العراق كانوا على المذهب النسطوري وكنيستهم هي **كنيسة المشرق او كنيسة السريان المشارقة** التي تّدعي ان أصولها ترجع الى الرسول توما ... هذه صورة لأقدم دير للنساطرة والان للكاثوليك الاشوريين في القوش كنت قد زرته في 2006



ولكن الخلاف بدأ يدبّ بين مسيحيي العراق نظراً لاختلاف ظروف معيشتهم ، بين المسلمين العرب في وسط العراق وجنوبه ، حتى تسللت كثير من الكلمات العربية الى لغتهم السريانية الشرقية ، وبين الاشوريين المنعزلين في شمال العراق ... ولعل الاستاذ بهنام يشرح لنا بشكل ملخّص كيف انقسموا في العراق.
قال الاستاذ بهنام: ... لقد زاد من الخلاف اصرار بعض مطارنة النساطرة على تعيين وراثي لبطريق الطائفة بدل الانتخاب فقرر مطارنة الوسط والجنوب الانشقاق عن كنيسة المشرق وانتخبوا بطريقاً لهم ثم ارسلوه الى روما لمفاوضة البابا. وبعد مباحثات طويلة قرر البابا إنضمامهم الى الكنسية الكاثولوكية في سنة 1552 مع الاحتفاظ ببعض سمات كنيستهم الشرقية ، وتم تعيين رسولهم (يوحنان سولوقا) كأول بطريق كاثولوكي في العراق ، ولتمييز انفسهم عن الكنيسة الشرقية الاشورية سمّوا انفسهم بالكلدان وكنيستهم هي كنيسة بابل الكلدانية.
\
قلت: شكراً استاذ بهنام ... لقد وصلت الى نهاية المحاضرة ...
قاطعني سمير: أستاذ لو تسمح تشرح اشكالية المسيح ابن الله بين المسيحية والاسلام.

قلت: طيّب ... سوف لا اتحدث عن الاعتقاد الديني الذي يؤيده الانجيل والقران حول امكانية الحمل العذري واكتفي بالحديث عن هذه الاشكالية التي أدت الى اتهامات بالكفر من بعض المسلمين.

قال السيد خالد: مع احترامي الكبير للأستاذ بهنام ولكم جميعاً ... القول بأن الله سبحانه وتعالي له ابن هو كفر بالنسبة لنا نحن المسلمين ولا يشذ عنا احد ... بسم الله الرحمن الرحيم "قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً احد" صدق الله العظيم.

أعقب السيد خالد السيد حسين بأيه من سورة مريم: "وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً* لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدّاً*تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدّاً* أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَداً* وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَداً* إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْداً".

قلت: هنالك مداخلات كثيرة في الاناجيل الاربعة تشير الى انّ المسيح ابن الله ، فمثلاً يبدأ انجيل مرقص "بدء إنجيل يسوع المسيح ابن الله " وفي انجيل متّي يسأل المسيح "في نظركم ، أنتم ، من أنا؟ أجاب بطرس وقال له: أنت المسيح ابن الله الحيّ" وينهي انجيل يوحنا "لتؤمنوا أنَّ يسوع هو المسيح ابن الله ، وتكون لكم ، إذا آمنتم ، الحياة باسمه " ... ونعرف ان الاسلام دين توحيدي خالص يرفض ان يكون لله ابن كما في سورة

الاخلاص التي ذكرها السيد خالد ... ويشير القران صراحة الى كفر المسيحيين الذي يقولون ان المسيح ابن الله ففي سورة المائدة "لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم" ... ولعلنا لا نبالغ عندما تقول ان عقلاء المسيحيين لا يعتقدون بأبوة الله البايولوجية (الجينية) للمسيح ايضاً ، ويتهمون من يظن ذلك منهم بالكفر والجهل بالدين. ولعل في رأي المسيحية المتنورة والاراء المسيحية الغنوصية والنسطورية ما يتناسب مع ما اورده القران من دون المساس بالمفاهيم الاساسية بقدسية المسيح. يقول الانجيل ان المسيح جاء نتيجة حبل مريم العذري من الروح القدس:

"فقالت مريم للملاك: كيف يكون هذا وأنا لست أعرف رجلا فأجاب الملاك وقال لها: الروح القدس يحل عليك ، وقوة العلي تظللك ، فلذلك أيضا القدوس المولود منك يدعى ابن الله**"** لوقا 1: 34 -35 ، والروح القدس هي روح الله.

والقران لا يختلف في هذا ... ففي سورة التحريم:

"وَمَريَمَ بنت عِمرَانَ الَّتِي أَحصَنَت فَرجَهَا فَنَفَخنَا فِيهِ مِن رُوحِنَا " ... وكذلك في سورة الانبياء "وَالَّتِي أَحصَنَت فَرجَهَا فَنَفَخنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلنَاهَا وَابنَهَا آيَةً لِّلعَالَمِينَ"

ونستنتج مما ورد في القران بأن المسيح هو نتيجة بذرة من روح الله في الانسان ففيه شئ من الالوهية وفيه شئ من الانسان ، ولا تنفع تبريرات بعض المفسرين الواهية للتغطية على هذا الاستنتاج بقولهم بأن من جاء الى مريم ونفخ فيها هو الملاك جبرائيل مرسلاً من الله. وهذه الازدواجية الالهية الانسانية التي يبيّنها القران مشابه لتلك التي يقول بها النساطرة ويشيرون الى ان المسيح هو عيسى ابن مريم وليس عيسى ابن الله ويقولون بطبيعتة الالهية والانسانية المزدوجة. فكيف نوفق بين ما تصرح به الاناجيل الاربعة بأن المسيح هو ابن الله وبين القول بأنه ابن مريم وفيه ازدواجية الهية انسانية. يجب اولاً ان نتذكر بأن صفة ابن الله هي ليست الصفة الوحيدة التي يوصف بها المسيح ، فهو ابن الانسان وينسبه انجيل لوقا الى شجرة العائلة الابراهيمية التي تنتهي ب "بن انوش بن شيت بن ادم ابن الله" ، والمسيح هو في انجيل يوحنا (1 و14) كلمة الله:

"فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ، وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللهِ، وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللهَ... وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَدًا وَحَلَّ بَيْنَنَا ، وَرَأَيْنَا مَجْدَهُ، مَجْدًا كَمَا لِوَحِيدٍ مِنَ الآبِ ، مَمْلُوءًا نِعْمَةً" وَحَقًّا"

وهذا مما يدلل بأن المقصود بالمسيح ابن الله هو في سياق ايمان روحي لا مادي وبيولوجي جيني ، فجوهر الله في المسيحية هو الكلمة الفعّالة ، اي ان الله هو فكر كلي وفعل في هذا الفكر

قال صاحبي: اي ما يقابل انساق الحركة في المادة كما شرحتها لي سابقا.

تابعت حديثي: ... المسيح هو كلمة الله التي تجسدت على الارض، اي انه تجسيد بشري لكلمة الله ، اي ان المسيح هو ممثل لقوانين وشرائع الله للمجتمع البشري كما ان القوانين الفيزيائية ممثلة لفعل الله في العالم المادي. **وكلمة الله هي روح الله ، والمسيح ابن الله بهذا المعنى الروحي لانه وليد من هذه الكلمة على الارض**. وفي انجيل يوحنا (6: 47) **"من يؤمن بي فله حياة أبدية "** ، وهذا يحاكي الفكر الغنوصي في الايمان بالكلمة الخالدة بعد الجسد الفاني. وفي انجيل متّي (6: 31 - 33) يدين المسيح الاقبال المحموم على مباهج الدنيا ويشير بصورة غير مباشرة الى ان كل المؤمنين ابناء الله:

"فلا تهتموا وتقولوا ماذا نأكل وماذا نشرب وماذا نلبس؟ فهذا كله يطلبه الوثنيون ، وابوكم السماوي يعلم انكم تحتاجون هذا كلّه. فأطلبوا الملكوت وبره قبل كل شئ ، تُزادوا هذا كلّه". فكل ابناء ادم المؤمنين هم ابناء الله (الروحيين) كما في انجيل لوقا ... لا أعتقد ان هذا المفهوم المسيحي يتعارض مع المفهوم الاسلامي

المستلهم من القران الذي يقول ان روح الانسان من الله ولا يقول انه ابن الله ، بل ان المفهوم النسطوري حول طبيعة عيسى ابن مريم ، الالهية الانسانية المزدوجة ، قريب جداً من المفهوم الاسلامي عن المسيح ...

كنت اهمّ بأنهاء محاضرتي لولا ان صديقي تطرق الى جانب مهم من تاريخ المسيحية: هذا كلام جميل عن المسيح وعن مبادئه الأنسانية المتسامحة ولكن المسيحية والعالم المسيحي لم يكن هكذا حتى عصر النهضة الاوربية والمساعي لفصل الدين عن الدولة التي اسقطت هيمنة الكنيسة على الناس وأرجعت الدين الى منبعة الروحي الانساني ... المجازر التي أرتكبت بأسم الدين المسيحي أبشع بعدة مرّات مما تقوم به القاعدة وداعش.

قلت: هذا صحيح ... شكراً لأنك نبّهتني الى جانب لم اعطه حقه من الشرح ... روح التسامح التي نادى بها المسيح لم تعد موجودة فقد ساد تعصب اعمى قاد الى فضاعات يندى لها جبين الانسانية من القتل بالجملة لطوائف متهمة بالهرطقة ، اي من كان لهم تفسير مختلف عن تفسير الكاثوليكية ، الى احكام محاكم التفتيش في اوربا بالموت حرقاً للآلاف من الابرياء ... الى فضاعات الحملات الصليبية التي استمرت حوالي مئتي سنه ضد السكان المحليين من مسلمين ومسيحيين ...

قال صديقي: الى الحروب الاوربية بين الكاثوليك والبروتستانت التي راح ضحيتها عشرات الآف البشر ... وكثير ما كان يجمع سكان قرية المنكوبة مع نسائهم واطفالهم في مكان واحد ويحرقون احياء ... اصبح اطالة عمر الضحية اثناء التعذيب الوحشي فن يتمتع به المتفرجين ... في أنكلترا كانت تقطع قدما ورجلا الضحية اولاً ثم تشق بطنه وتنتزع امعائه ببطئ وتلف على عجلة دواره ثم تحرق ...

قال السيد حسين: الحرق والتعذيب بالاسلام حرام ... هذا جزاء الكافرين في حياة الآخرة.

رد صديقي: بل هو موجود منذ اليوم الاول للاسلام ... الخليفة ابو بكر أمر بحرف احد خصومه وقلّده ابو بكر البغدادي بحرق الطيار الاردني ... ماذا تقول عن سلخ جلد الحلّاج وهو حي ...

قال السيد حسين: لا اعلم مدى صحة ما تقول ... على كل حال هذه ممارسات حرّمها الاسلام.

قال: صديقي: وهذه ممارسات حرمها المسيح ولكن...

قلت: انتهت المحاضرة وشكراً على استماعكم ومساهماتكم الغنيّة وسعة صدوركم ... نلتقيكم في محاضرة مقبلة.

محادثات فلسفية مع صديقي (18)

المحادثة الثامنة عشر - الاديان التوافقية – المانوية والصابئة المندائيون:

أخبرت صديقي بأكمالي المحاضرة الجديدة فأتصل بالاصدقاء ورتّب اللقاء مع شلّة الاصدقاء في مقهى الشابندر في الساعة العشرة من يوم الجمعة المصادف 2019/3/1. اجتمعنا مرة اخرى في مكاننا المعتاد فبدأت المحاضرة بالقول: موضوع محاضرة اليوم هو عن أديان مهمة تواجدت على ارض العراق عدى من اليهودية والمسيحية والاسلام ...من هذه الاديان من لم يعد له وجود او اتباع كالمانوية ومنها ما زال حياً يمارس أتباعه طقوسهم الدينية كالصابئة المندائية والأيزيدية واهل الحق الكاكائية ... يطلق الباحثون الغربيون على هذه الاديان تسمية الاديان التوافقية (Synchronistic Religions) لأن تراثها يتكون من جمع توافقي لعقيدة وتراث عدة اديان رئيسية.

قال صديقي: ولكن حتى الاديان الرئيسية هي تجميع توافقي لمعتقدات واديان قبلها فما الفرق إذن؟

قلت: كلامك فيه الكثير من الصحة ولعل المقصود هو ان الاديان التوافقيه هي تجميع توافقي من الاديان الكبرى... ، ثم تابعت حديثي:

1. المانوية (Manichaeism)

الديانة المانوية انقرضت ولم يعد لمعتنقيها وجود وذاب فكرها في ديانات اخرى ، كما هي الحال مع المزدكية وديانات اخرى عمّت منطقة وادي الرافدين وما حوله. إلّا اننا سنتطرق اليها بأختصار وذلك لأعتقادنا ان مظاهر الزهد بالدنيا والمشاعرالسوداوية وما يرافقها من الولولة والتباكي في الاغاني العراقية ومراسيم الحزن الدائم عند الشيعة هي امتداد للتراث السومري والاكدي والبابلي .. حتى يقال ان كلمة اويلاخ التي يرددها العراقيون في الكثير من اغانيهم هي من اصول سومرية – بابلية ... ولقد تبلور هذ الاتجاه السوداوي بشكل واضح في المانوية. استمد هذا التراث الحزين وقوده العاطفي الذي جعله يتواصل عبر العصور من توالي الكوارث واستمرارية مظالم الحكّام القساة ، فوجد المانويون في تراث الفكر العرفاني الذي يعتبر الدنيا شراً خلقه الشيطان ضالتهم فنبذوا مباهج الدنيا وتنسّكوا ، وهذا ايضاً جزءاً من تراث تقاة اليهود والمسيحيين والمسلمين.

تُنسب المانوية الى نبيها ماني (216 - 276 م) ، وهو فارسي الاصل وموطنه في بابل ايام كانت بلاد الرافدين تحت الحكم الفارسي. بدأت دعوة ماني الى دين عالمي جديد من موطنه وانتشر دينه من خلال المبشّرين الى ارجاء العالم المتحضّرعلى امتداد الامبراطورية الرومانية حتى نهاية القرن الرابع ، ثم افل واعتبر هرطقة عند تحول الامبراطورية الى المسيحية. وانتشرت المانوية ايضاً في بلاد ما بين النهرين وبلاد فارس وتركستان والصين وترجمت كتبها المقدسة الستة التي كتبت بالارامية الى لغات العالم المتحضّر الاخرى. ولقد حاول الحكم الساساني الحد من انتشارها بعد تسامحه المسبق في نشرها فسجن نبيّها ماني الذي مات في سجنه من دون ان يؤدي ذلك الى الحد من انتشارها. بدأ التضيّق على المانويين بعد الفتح الاسلامي للعراق وفارس سنة 637 م ، فطورد اصحابها واعتبروا زنادقة ايام الحكم العباسي حتي تم القضاء على تأثيرهم ، فانتقل مركزهم الروحي الذي كان في بابل الى سمرقند (ازبكستان) في القرن الميلادي العاشر. واستمر المانويون يمارسون عباداتهم في انحاء ازبكستان والصين حتي افول المانوية أيام حكم سلالة المنك في الصين حوالي القرن الرابع عشر.

يضم الدين المانوي خلاصات من البوذية والزرادشتية والمسيحية العرفانية ، فاخذ من البوذية تناسخ الارواح ، اي حلول ارواح الاموات في الاحياء ، وأخذ من الزرادشتية ثنائية الصراع بين الخير المطلق وهو النور الالهي الخلّاق والشر المطلق وهو الظلام المدمّر. واخذت المانوية من العرفانية الزهد بالدنيا الفانية وسبيل خلاص النفس من شرور العالم ، وذلك بالعلم الباطن الذي ينير النفس بالنور الالهي ورفض وادانة لليهودية وإلهها يهوة (اله الشر في رأيهم)... هذه صورة متخيلة لماني وصورة قديمة لمجمع من النسّاك في صلواتهم بالمعبد.





الصابئة المندائية

قلت: انتقل الان الى شرح دين الصابئة المندائية ... ولعل المندائية هي الديانة الوحيدة التي لا زالت تحتفظ لحد الان بكثير من سمات الفكر العرفاني السابق للمسيحية في فلسطين ، فيما يخص المعرفة الباطنية بالأسرار الالهية ، والتي خالطت تأثيرات من فكر وحضارة وادي الرافدين الاكدية ـ البابلية والزرادشتية. وكلمة مندا الآرامية تعني المعرفة ، اي انها تقابل Gnostic اليونانية ، وترمز الى الله فهو المعرفة الكلّية. امّا كلمة "مندائية" فهي ادغام لِ "مندا – د ـ هيّة ، وتعني "معرفة الحياة".

ويبدو ان المعتقدات المندائية العرفانية الطابع جلبت عداء اليهود لهم فهاجر الكثير منهم في القرن الاول قبل الميلاد من موطنهم في جنوب الشام الى جنوب بلاد الرافدين وخالطوا السكّان الاصليين من الانباط الوثنيين (السريان قبل المسيحية) ، وتطور فكرهم في ظل حكم الامبراطورية الساسانية والإمبراطوريات الإسلامية التالية.

قال السيد حسين: حسب علمي ان قسم منهم استقرّ في حرّان شمال وادي الرافدين وبقى على مذهبه القديم وفيه تعددية الالهة وعندما مرّ بهم الخليفة العباسي عبد الله ابن المأمون مع جيشه خيّرهم بين الاسلام او احد الاديان الكتابية وعدا ذلك القتل ككفرة .. فتفتق ذهنهم عن حيلة تنجيهم من القتل .. ادّعوا بأنهم من الصابئة الذين اعتبرهم القران من اهل الكتاب مثل اخوانهم في جنوب العراق وتعللوا بالآية من سورة

المائدة "إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحًا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون" فعفى الخليفة عنهم.

قلت: هذا جائز فيبدوا ان دينهم العرفاني البدائي في فلسطين فيه اعتقاد بأن النجوم الهة تسيطر على حياة البشر ولكن جماعات دينية في فلسطين ومن جملتهم من بقى من الصابئة فيها و قسم من الخارجين عن اليهودية كما في العرفانيون الذين كانوا نواة الدين المسيحي كما شرحت ذلك في المحاضرة السابقة .. قد تطوروا الى دين توحيدي .. ولعل صابئة العراق منهم ولو ان الاعتقاد بالنجوم والتنجيم لازمهم ...

تابعت حديثي: ونظراً لطبيعة دينهم الذي يتطلب التعميد (مشباتّه) بالماء الجاري الحي (هيّة) سكن المندائيون في العراق قرب الانهار وخاصة نهري دجلة والفرات والقارون (ألكارون) وشط العرب في مقاطعة خوزستان في ايران. واصبح الصابئة ألمندائيون جزءاً من النسيج الاجتماعي العراقي الجنوبي الذي تعايش مع المسلمين لمئات السنين ، واشتهروا بصياغة الذهب ونقش المينا على الفضة ، وتكلموا العربية بلهجة اهل الجنوب ونسوا لغتهم الارامية الاصلية عدا بضعة رجال دين يقرأون كتبهم المقدسة ويرددون تراتيلهم الصلواتية بلهجة منها هي الآرامية الشرقية.

أمّا معتقدات المندائية الرئيسة فهي:

1. في صلب الديانتهم الاعتقاد باله اعلى هو المصدر والمبدع النوراني الحي ... خلق كائنات نورانية واوكل اليها خلق العالم وكافة المخلوقات الحيّة ... خلق كائناً نورانياً هو "الانسان المثال" ثم خلق الكون وجعل هذا الانسان المثال نائباً عنه.
2. الروح في منفاها الارضي تسعى الى الرجوع الى عالم الانوار في حضن المصدر النوراني ... وهنالك مكان تُحجر فيه الروح النجسة لتتطهر قبل الرجوع الى المصدر النوراني.
3. ألثنائية في كل شئ ، فكما في الافلاطونية هنالك المثالي الخالص والكامل وهنالك الواقع الارضي الذي يشوبه النقص. فهناك نور وظلام ، ومصدر النور والخلق والحياة هو الاله النوراني ومصدر الظلمة هو "بتاهِل" حاكم الظلام الذي خلق العالم المادي الذي يقابل الدميورج عند العرفانية. هناك ايضاً آدمان وحواءان ، ادم وحواء ارضيّان وادم وحواء مثاليان خفيّان (كسيّه) على كوكب "مشوني كشطه" النوراني. وقد تزوج ادم الارضي (وهو من طين) حواء المثالية من مشوني كشطة والعكس بالعكس بين الزوج الاخر وبين ابنائهم وبناتهم ، وبذلك لم تحدث خطيئة زواج الاخ والاخت. وهناك شبيه مثالي لكلٍ منّا على مشوني كشطه وعند موت الارضي منّا تغادر روحه الجسد وتبدأ رحلة الصعود ويغادر شبيهها المثالي الى العالم النوراني الاعلى منتظراً شبيهه الارضي ، ثم يلتحمان بعد ان تطهرت روح الارضي من كل الاثام.
4. الايمان بالقضاء والقدر ومصير الانسان الذي يمكن استطلاعه من خلال التنجيم ، لذلك فقد برعوا فيه واصبح شيوخهم منجّمي الخلفاء العباسيين.
5. لا يعتبرون الحياة الدنيا شراً مطلقاً يوجب الخلاص من شرها بالتنسك ونبذ مغرياتها كما في العرفانية والمانوية. فهم لا يؤمنون بالتنسك ويولون اهمية كبرى للحياة الزوجية العائلية مع التمسك بالاخلاق الرفيعة وعدم الافراط في شرب الخمر.
6. يدّعي رجال دينهم انهم من سلالة نوح ... ليس لهم انبياء بل ملائكة من عالم نوراني يعلو على البشر يسمونهم "ناصورائيين"، وهم ادم وهابيل وشيت ويونس ونوح وابنيه سام وارام ويحيى ، ولكن ليس إبراهيم وموسى ويسوع ومحمد. وللمندائيين معراجهم ، كما لليهود في رؤية النبي حزقيال ومعراج النبي محمد في الاسلام. ومعراج المندائية هو معراج دنانوخت ، اي ادريس او هرمز ، الذي صعد الى السماء السابعة حيث عالم النور وعاد ومعه كتاب من كلام الله هو"كنزا ربّا".

7. اسرار المعرفة الالهية الباطنية ، والتي لا يعرفها إلّا القلة من كبار كهنتهم ، تساعد الانسان على ولادة جديدة لا مادية اي ولادة روحه في العالم النوراني بعد إنطلاقة الخلاص من سجن الجسد والعالم المادي معه. وهنالك تقسيم واضح للمندائيين بين ألناصورائيون الذين يمتلكون المعرفة الالهية وعامة الناس منهم ويسمون بالمندائية.
8. والكهنوت درجات ثلاث، من المبتدئ المتدرّب الى اعلى الدرجات التي لايصل اليها إلّا القلة وقد يصبحون من المتنورين الناصورائيين.
9. التراث الديني المكتوب للمندائية كبير ويشمل مواضيع حول الايمان والاخرة والمعرفة الالهية التي لا يعرف عنها الا القلة من المندائيين الكهنة المتبحرين في العلوم الدينية. هنالك عدد من الكتب المندائية المقدّسة اهمهما هو كنزا ربّا ، وفيه مجموعة من القصص التاريخية والدينية والصلوات ، وينقسم الى قسمين هما كنزا ربّا شماله (يسار) وكنزا ربّا يمينه (يمين). وقد ترجم كنزا ربا من ألآرامية الى العربية على يد مولى هارون الرشيد المترجم أحمد بن عبد الله بن سلام ثم اختفى اثره ليظهر في ترجمة انكليزية والمانية في القرن ألماضي ، ثم في ترجمة عربية مشوّهة سنة 1997 صدرت في بغداد بصياغة الشاعر عبد الرزاق عبد الواحد. ويأتي بعد كنزا ربّا كتاب الصلوات "القولسته"، وكتاب "دراسه د- أحيّه" اي كتاب يوحنا المعمدان ، وكتاب "الديوان" ويضم شرحاً لمحطّات الروح بعد مغادرة الجسد واثناء صعودها ، وكتاب "اسفار ملواسهَ" ويضم شرحا للابراج الفلكية. وهنالك عدد من القصص الغير موحدة عن خلق العالم تكشف عن المصادر المختلفة التي اثّرت بالمندائية.
10. من شعائر المندائية الاساسية العماد (بالماء الجاري - الحي) والصلاة بعد الوضوء ثلاثة مرات في اليوم (وهي عبارة عن تبريكات وانحناء كلّما وردت كلمة السجود) ، والصوم (عن اللحوم 36 يوماً متفرقة على مدار السنة) والصدقة. ويكره المندائيون اللون الازرق لانه يشبه لون الماء الاسن الذي يعيش فيه كائن "الروهة" مصدر الشر.
11. من دلائل نشوء المندائية من اصول عرفانية معاداتها لليهودية ورفضها للختان ، فيقولون في تبرير ذلك لا يجوز الانتقاص مما خلقة الله كاملاً.

قال الاستاذ محمد: تواجدت في مدينة الناصرية التي ولدت فيها وفي محلّتنا بالذات عدة عوائل صابئية تعايشنا معها بسلام ووئام رغم ان بعض السادة المعممين يقول انهم انجاس فما علاقة المسلمين التاريخية بهم؟

قلت: وكذلك تواجد الكثير منهم في مدينة العمارة التي ولدت فيها وفي قضاء قلعة صالح من محافظة ميسان ... كان خالي يأخذني الى ضفاف نهر دجلة للتفرج على طقوس التعميد فأنظر بتعجب الى رجل الدين بجلبابه الابيض وهو يردد كلمات غير مفهومة ويغطّس اشخاصاً بالماء ... كما في الصورة هذه ...



يشير الكاتب رشيد الخّيون في كتابه "الأديان والمذاهب بالعراق" الى انه بالرغم مما اصاب المندائيين من مضايقات واضطهاد في فترات قصيرة من عمر الدول الاسلامية فإنّ المسلمين بصورة عامة اعتبروهم من اهل الكتاب كما في الاية من سورة المائدة التي ذكرها السيد حسين ومما يُذكر في التعايش والتداخل بين المسلمين والصابئة المندائية تلك الصداقة الحميمة بين نقيب الطالبيين الشريف محمد حسين الرضي (ت 406 ه) وبين الصابئي ابي اسحاق ابراهيم بن هلال وما تبادلاه من رسائل وجدانية ، جُمعت في كتاب "رسائل الصابئ والشريف الرضي" ، وقصيدة الرثاء الرائعة في ثمانين بيتاً للشريف الرضي إثر وفاة صديقه الحميم ابراهيم الصابئ (ت 384 ه) ومطلعها:

أعلمت مَن حملوا على الاعواد أرأيت كيف خبا ضياء النادي

ومنها يضاً

ما مات من جعل الزمان لسانه يتلو مناقب عوّداً وبوادي

فاذهب كما ذهب الربيع وإثره باقٍ بكل خمائلٍ ونجادِ

وفي مقابل موقف الشريف الرضي الذي يعكس سعة الافق الفكري وألتآلف بين المسلمين والمندائيين نجد موقف التعصب والانغلاق الفكري من أخيه الشريف المرتضى الذي علّق على قصيدة اخيه الأكبر "أعلمت من حملوا على الاعواد" بالقول "نعم علمنا أنهم حملوا على الأعواد كلباً كافراً صابئاً عجل به الى جهنّم".

ويرى الكاتب رشيد الخيون ان المندائية هي احد منابع الاسلام الرئيسية وما احناف الجزيرة إلا مندائيين فيقول "الاحتمال الوارد ان سلمان الفارسي واسمه الحقيقي (روزبه) كان صابئاً مندائياً ، فللدين المذكور وجود ببلاد فارس والعراق عندما كانا تحت حكم واحد ... وبالتالي لا أجد سبباً يمنع من إشارة الاية "ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين" آل عمران: 67، الى مندائية إبراهيم الخليل أو برهم الملاك حسب التعبير المندائ. والاشارة الى برهم الملاك هي إشارة الى برهم الملاك النوراني وليس أبراهيم النبي ، فالمندائيون لا يعترفون بالأنبياء بل بملائكة نورانيين والناصورائيين المذكورين. "وهم في دعاء التعميد يقولون "بسم الحي ربي اصطبغت بصبغة إبراهيم الكبير ابن القدرة

تحرسني وتسمو بي الى العلا" يعنون بإبراهيم الكبير الملاك المذكور ، ولا يستبعد ان يكون إبراهيم المشترك بين الاديان هو برهم الملاك ، جسّده الاخباريون بشخص إبراهيم النبي المعروف".

يقدّر عدد نفوس المندائيين في العالم بحولي 70000، وكان عددهم في العراق اكثر من 60000 وفي ظل ألظروف الطائفية القاسية هاجر الكثير منهم بعد 2003 وبقى في العراق حوالي 5000 الى 7000 نسمة منهم. اكثر الهجرات كانت الى ايران ، ويقدّر عددهم فيها بحوالي 30000 ، والى الدول الاوربية مثل السويد والمانيا ثم الى استراليا وكندا. ومن الجدير بالذكر هنا ان تزايد عددهم في ايران حفّز اية الله علي خامنئي في رسالة نشرت سنة 1999 على اصدار جملة امور ايجابية بحقّهم بعد ان درس كتبهم ، فقال "نتيجة البحث في النقطة الاولى: إن الاقوى والاظهر بحسب الادلّة ان الصابئيين يعدّون من اهل الكتاب" ... وصلت الى نهاية الجزء الاول من المحاضرةز

وكالعادة نادى العميدان المتقاعدان حسن و خالد على عامل المقهى لكي يجلب لنا الشاي وتبرعوا بكمية من كعك السيد الطازج.

محادثات فلسفية مع صديقي (19)

المحادثة التاسعة عشر - الأديان التوافقية – الازيدية والكاكائية:

بعد استراحة قصيرة بدأت بالجزء الثاني من محضرة اليوم ، قلت :

الازيدية والإزيديون

ويسميهم العرب اليزيديون ، وهم تباع طائفة دينية قديمة حار الباحثون في اصلها ، فهنالك من الباحثين من يرجع اصلها الى زمن الحضارة السومرية 2000 سنة ق. م مستدلاً على ذلك بكلمة أزيدا السومرية وتعني الروح الخيرة الغير ملوثة. ومنهم من يرجع اصولها الى الديانة الزرادشتية نسبة الى كلمة يزدان او إزيد والتي تعني عند الزرادشتيين الإله المقدس والمعبود وهنالك من يدّعي انهم كانوا ملّة وثنية ثم اهتدت الى الاسلام ، بتأثير شيخ يسميه العرب عدي (ويسميه الايزيديون آدي او عادي) بن مسافر الاموي ، ثم خرجوا عن الاسلام بعد موته ليصبحوا ديناً مستقلاً يُعبد فيه الشيطان. ولكن الارجح ان الايزيدون هم من الاكراد الذين كانوا على الديانة المثرائية اسوةً بباقي الشعوب الآرية (الايرانية) ...

قاطعني قيس بسؤال: استاذ قبل ان تواصل الحديث ... ممكن ان توضح لنا شئ عن الديانة المثرائية؟

قلت: دعني انقل لك ما قرأته من شبكة لالش الاعلامية للأيزيديين ... الديانة المثرائية هي ديانة الشعوب الهندو اوربية التي كونت نواة حضارة الشعوب الهندية السنسكرينية والاوربية الهيلينية اليونانية والرومانية والايرانية الفارسية. وهي ديانة متعددة الالهة يحتل فيها الاله ميثرا او ميترا مكانة عالية وكان لها تأثير على الديانات التي تلت. "وورد اسم ميترا في الآفيستا بالتفاصيل بوصفه بـ (فو ئورو كه ويه تى) أي صاحب الرعي، وأينما يورد ذكره فانه أُعتبر رمزاً ومدافعاً عن الحق والعهد الصادق والناقم على النمّام ومخالف العهود .. ومن ثم تزداد رويداً رويداً مهام ميترا في الآفيستا إلى أن تصل إلى حد يقول اهورا مزدا عنه (أنا الذي خلقته بشكل يستحق العبادة مثلي من جميع الوجوه)".

تابعت حديثي: تحول معظم الاكراد الى الزرادشتية عندما صار موطنهم جزءاً من الامبراطورية الفارسية وتأثر من سكن الشام منهم بدين أدون التوحيدي .. الذي ذكرته سابقا في محاضرتي عن اليهودية. وعندما جاء الاسلام تحول الاكراد الى الاسلام وبقى الجزء الذي كوّن الشعب الايزيدي منهم على الديانة الزرادشتية ، ولكن بمرور الزمن انصهرت تأثيرات الاديان في دين توافقي تظهر فيه اثار المثرائية والزرادشتية ودين الشعوب الكنعانية التي تعبد الاله الواحد أدون اضافةً الى تأثيرات أسلامية وعرفانية.

سأل صاحبي: فما هو دور الشيخ عدي او آدي؟

قلت: آدي اوعدي بن مسافر الاموي هو متصوف مسلم شافعي المذهب وكردي الاصل جاء من الشام وحطّ الرحال في كردستان العراق في حوالي سنة 1200 ميلادية وقد كانت له مبادئ جماعة صوفية تختلف ارائها في الشيطان عن المفهوم الاسلامي الدارج.

قال صاحبي: كل من يود ان يفهم الآراء المنطقية لهذه الجماعة الصوفية يقرأ كتاب الدكتور صادق جلال العظم "نقد الفكر الديني".

سأل سمير: وما خلاصة هذه الآرآء؟

قال صاحبي: تحاول تلك الاراء حل لغز يخص محنة ابليس في القران على اساس منطقي فتخلص الى القول ان ابليس معذور لانه انصاع لمشيئة الله التي لا يمكن ان تُخالف في عدم السجود لغير الله وعصى أمر الله الذي يمكن ان يخالف ... فحسب هذا المنطق لم يرتكب ابليس معصية بل كان محباً لله ومخلصاً لمشيئته...

قلت: ويظهر ان ما جاء به الشيخ عدي في تبرئة الشيطان من ذنب عصيان الله نسبه الايزيديون الى "ملك طاووس" ، وهو رئيس الملائكة في الديانة الايزيدية ... لقد كان تأثير الشيخ عادي على الايزيدية عظيماً فاصبح قدس الاقداس ... ولوجود عناصر من الدين الاسلامي في دينهم اصبحت عندهم اماكن وطقوس تشبه ما للمسلمين.

سأل قيس: اي من شعائرئهم تشبه ما في الاسلام؟

قلت: سأذكرها لاحقاً ... امّا فيما يخص الادّعاء بانتساب الايزيدية الى مذهب يتبع يزيد بن معاوية الاموي فلا يتعدى كونه اكذوبة روج لها كتّاب قدماء لم يطلعوا ويبحثوا في هذا الدين عن قرب بل نقلوا ما كان يُتداول من اشاعات حولهم. وفي حملة التعريب التي آلت الى الفشل .. في ظل نظام البعث العراقي البائد تأسس في بغداد سنة 1969 مكتب بأسم "مكتب إدارة شؤون الامويين" حيث جاء في بيان نشرته جريدة الثورة الرسمية "ان المكتب يعمل لإدارة الدعوة العربية ، وإظهار عروبة الأمويين في شتى المجالات الرسمية والشعبية".

قال السيد خالد: ولكن كان عندهم مقاتلين في الجيش العراقي ابلوا بلاءاً حسناً في الحرب ضد أيران.

تابع حديثي: اكثر ما اشيع عن الايزيدين هو عبادتهم للشيطان متمثلاً بملك طاووس وكان لهذه الاكذوبة الناتجة عن جهل كبير بدين باطني تُحفظ تعاليمة بسرّية في صدور رجال دينهم ، حجّة لمدعي الدفاع عن الاسلام في اصدار فتاوى القتل الجماعي في عهد السلطان العثماني سليمان القانوني وسليمان الثاني بحجة انهم مرتدون عن الاسلام. ولا زال الايزيديون متمسكين بدينهم رغم ماضٍ مليئ بحملات القمع والتعسف ونبش واحراق عظام الشيخ عدي ... وفي عهد حكومة صدام حسين تعرضت مناطق الايزيدين في جبل سنجارسنة 1973 لهجوم كاسح من قوات خاصة محمولة على المروحيات سقط خلالها المئات من القتلى وهجّر بقيّتهم من قراهم الى مجمعات لا تتوفر فيها ابسط مقومات الحياة الكريمة من تأسيسات كهربائية وماء صافي. وقد صعقت عند زيارتي سنة 2006 لواحدة من تلك المجمعات قرب قضاء بعشيقة فلا زالت على حالتها المزرية منذ عام 1973 بالرغم من تزايدٍ كبير في عدد سكانه.

سأل السيد خالد: ماذا كنت تعمل هناك وكيف زرت مناطق تواجدهم؟

قلت: عملت من سنة 2005 حتى نهاية 2007 كمستشار في الحكومة المحلية لمحافظة نينوى وقد استقيت معظم المعلومات عن الايزيدية إِثر عملي في القرى والنواحي التي تواجدوا فيها والتقيت بأمرائهم وشيخهم الديني بابا شيخ... كذلك استفدت كثيراً من كتاب "الاديان والمذاهب بالعراق" للاستاذ رشيد الخيون ومن عدة مقالات استقيتها من الانترنت وخصوصاً ماجاء باللغة الانكليزية على صفحات موسوعة وكبيديا ... سأتحدث الان عن معتقداتهم الدينية ...

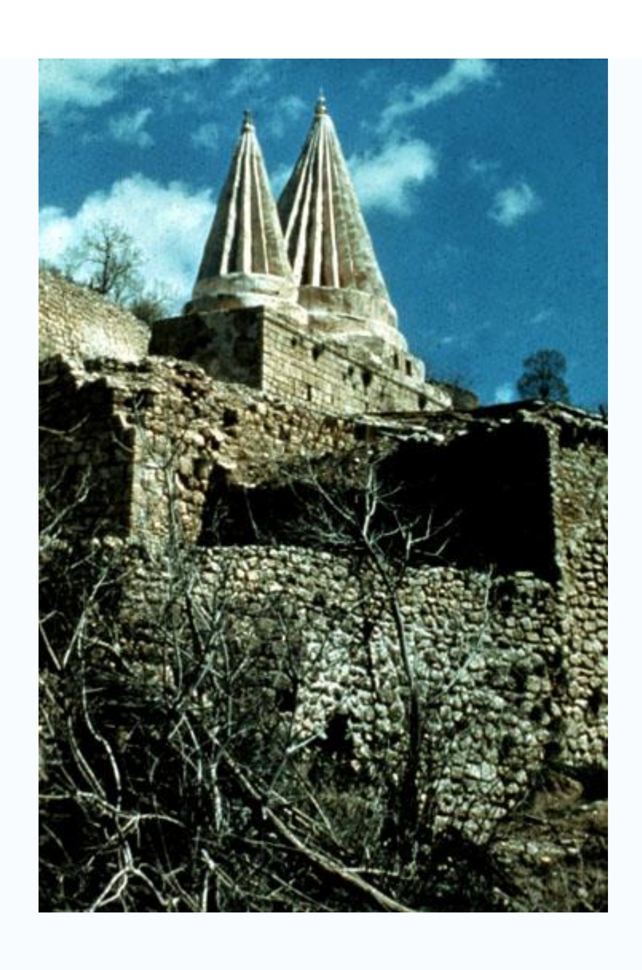
قلنا ان الدين الايزيدي هو دين توافقي اخذ من كل الاديان التي تواجد فيها الاكراد بعضاً من مبادئه وطقوسه ولكنه شذّ عنها في البعض الآخر مما جعلة ديناً مميزاً ذو طابع خاص. وتتلخص اهم مبادئ الايزيدية ونقاط توافقها واختلافها مع الاديان الاخرى في ما يلي.

1. الايزيديون يؤمنون بالأله الواحد يزدان ... وهو نور السماوات والارض ... خلق العالم ثم خلق سبعة ملائكة واوكل اليهم كل حسب اختصاصه ادارة امور الدنيا والوساطة بينه وبين البشر. وكان اول ما خلق من نوره هو رئيسهم مَلك طاووس الذي يمثله اليزيديون بطير الطاووس الزاهي الالوان ... ولعل لرمز الطاووس اصل اشوري قديم فكان الطير عندهم روح ملائكية تتحكم بأعمال الناس ، والطاووس ملك الطيور وعند اليزيديين هو رمز النور الألهي الذي يري كل شئ من خلال عيون لا تحصى ترتسم في ذيل الطاووس المختال بمشيته ... انظروا الى هذه الصورة التي ترمز الى ملك طاووس ...



2. تروي المعتقدات اليزيدية قصة خلق رئيس الملائكة ومعلّمهم ملك طاووس المشابهة لقصة الشيطان مع الله في القران ولكن نهايتها تختلف كلياً عن النهاية الاسلامية او المسيحية ، فبدل ان يُطرد ملك طاووس وييأس من رحمة الله ويظل ملعوناً الى يوم الدين لأنه عصى امر ربه وابى السجود لآدم ، فأن الاله يزدان يكافئ ملك طاووس لنجاحه في الاختبار وتمسّكه بالمشيئه الالهية بعدم السجود لغير الله فيعينه الإله رئيساً للملائكة ونائباً وممثلاً له على الارض. وكان ولا زال هذا المعتقد التبريري الذي جاء به بعص المتصوفة من امثال عدي بن مسافر الاموي مصدر ابتلاء الايزيدين واتهامهم بعبادة الشيطان.
3. ان مصدر الخير والشر هو الانسان نفسه فلا تعترف الايزيدية بغواية الشيطان او باله للشر والظلام ... لا وجود للشيطان في عقائدهم ولكن تكرار اتهامهم بعبادة الشيطان وما لاقوه من ظلم وتعسف جرائه جعلهم يتهيبون من ذكر اسمه امامهم ، ولعل بعض رجال دينهم قد حرّم ذكر اسم الشيطان ، خوفاً من تكرار ذلك الاتهام الباطل وما يجره من ويلات عليهم.
4. نرى التأثير المثرائي في بعض الطقوس وفي معبد لالش الذي يضم رفات الشيخ عدي ، فهو كالمحاريب المثرائية بوقوعه في كهف وبأحتوائه على سبعة درجات وبوجود نبع مائي ووجود رمز الحية المقدسة رمز المحبة والسلام على واجهته الخارجية
5. نرى تأثير الديانة الادونية الكنعانية ، فالايزيديون يعتبرون يزدان هو النور الاعلى وتتجه صلواتهم الى تجلياته في نور الشمس في الصباح ، وترى رمز الشمس في قبّة معابدهم المخروطية واشعتها الممتدة.

6. وربما كان تأثير تقديس الشمس نابع ايضاً من ديانات ما بين النهرين القديمة التي كانت تعتبر الشمس (شمش) الهاً للحق ومصدراً للعدل. فقبل وصول الشيخ عادي كانت زعامة الامارة اليزيدية الدنيوية والدينية في الشمساني الذي يمثل إله الشمس ، ثم اصبحت في خلفاء الشيخ عدي الى اليوم واصبح شيخ العائلة الشمسانية وزيراً للامير. وهنالك تأثير اخر من الديانة البابلية هو ان الايزيدية تعتبر الملاك سن ، الذي اطلق عليه اليزيديون بعد الشيخ عادي اسم الشيخ افتخار الدين ، هو المسؤول عن العلم والمعرفة وناقل الوحي الى جميع الانبياء. وسن هو اله القمر عند البابليين. ومن الجدير بالاهتمام هو استمرار نسبة الايزيدين الى الاله سن حتى اليوم ، فقد لاحظت عند زيارتي الى قضاء بعشيقة في محافظة نينوى ان الاهالي المسيحيين لا زالوا يطلقون على الايزيدي اسم ديصاني ، وديصاني وهو تحريف لكلمة ديساني المأخوذ من اللغة الكلدانية-المسيحية نسبة الى الاله سن.
7. اما التأثير العرفاني فيمكن لمسه من خلال تشابه بعض طقوسهم مع الطقوس والمعتقدات المندائية. فالديانتان تقدسان الشمس بأعتبارها مصدراً للخير ، وأعتقادهم المشابه للمندائية بأنحدارهم من ادم وابنه شيت ينقصه اعتقادهم بأنهم جاءوا من ادم دون حواء. وخلافاً للمندائيين الذين يرفعون من شأن المرأة ويحرمون الختان فأن الايزيديون يحطّون من مكانة المرأة ويتشددون في الختان ... هذه صورة لمعبد لالش في قضاء الشيخان وترى القبة الكبيرة ذات ال 24 شعاعاً (ضلعاً) التي ربما تمثّل ساعات اليوم والقبة الصغرى ذات ال 12 شعاعاً التي ربما تمثل اشهر السنة وفي هذا المعبد يرقد الشيخ عدي وزميله الشيخ حسن.



قال الاستاذ بهنام: لا شك ان كلمة شيخ التي دخلت الى اللغة الكردية هي كلمة عربية ومنها اشتق اسم قضاء الشيخان. ولعل الاسم هو جمع لاسم شيخ باللغة الكردية بأضافة الالف والنون ، او انه عربي الاصل للشيخين عادى وحسن

... تابعت حديثي:

8. هنالك تأثير اخر يمكن ارجاعه الى العرفانية وهو اعتقادهم بأمتلاك المعرفة الالهية الحقيقية التي يلقنها رئيس طائفتهم الدينية ، المسمى بابا شيخ ، شفوياً الى تلاميذه الذين سيخلفوه ، بابا بيش إمام وكذلك بابا كافان الذي لم اعرف دوره بالضبط سوى انه اقل رتبة من بابا بيش إمام وانه راعي الايزيديين كما تدل عليه كلمة كافان بالكردية.
9. وفي لقاء مع بابا شيخ سألته عن كتبهم المقدسة السرية وهي المصحف الاسود (رش كتابة) وكتاب سفر الرؤيا (سيلوا كتابة) والتي يقال ان احد المهتمين بالشأن الايزيدي تمكن من الحصول على نسخ منها وطبعها في كتاب. فأجاب بابا شيخ بأقتضاب: ينتقل علم ديانتنا في الصدور ، وعلم الديانة في صدري القنه الى تلاميذي ، واشار بيده الى بابا بيش إمام ، والكتب المنسوبة لنا مزورة.



صورة لبابا شيخ وهو يتحدث الينا سنة 2007

10. يعتقد اليزيديون بتناسخ الارواح والذي يعرف عندهم بالكواساسا ، وذلك اسوة بالاديان القديمة المثرائية والزرادشتية ، وامكانية حلول ارواح الملائكة المقدسة السبعة وتجسدها في شيوخهم. ويحدث التناسخ في طبقات العامة الاقل شأناً فتحل روح الميت في حيوان او نبات او في مولود جديد من نفس طبقة العامة وذلك حسب ما اقترفت يديه من حلال وحرام خلال حياته.
11. المجتمع اليزيدي فيه فصل مراتبي صارم يحدد موقع كل طبقة وما يحل لها وما يحرم. وعلى رأس الهرم الاجتماعي طبقة الامراء (ميران) وهم من سلاله الشيخ عدي وكان يرأسهم عند تواجدي في نينوى مير تحسين بك الذي يدير شؤون الطائفة الدينية والمدنية ويتمتع بسلطة مطلقة عليهم. يلي طبقة الامراء طبقة شيوخ الدين (پير) وعلى رأسهم بابا شيخ الذي يدير الشؤون الدينية العليا ويحفظ اسرار الدين الذي يلقنه لتلاميذة. ويقوم البيرات ألآخرون بأدارة الشؤون الدينية الاخرى من صلاة وصوم وادارة لشؤون الفقراء القائمين على خدمة الضريح. وهنالك ايضا القوّالين .. ويلاحظ هنا التأثير الصوفي .. فهم الذين يحيون الطقوس الدينية ويعزفون ويرددون الاغاني الدينية ويحملون الرموز الدينية متمثلة بالسناجق السبعة. وهناك الكوجك الذين يهتمون بشؤون الجنائز. اما الطبقة الثالثة الدنيا فهي طبقة المريدين ، ويلاحظ هنا ايضاً ان الاسم مأخوذ من تأثير صوفي ، وهم طبقة عامة الناس من كسبة وفلاحين وصنّاع. ولا يجوز لخارجي اعتناق الايزيدية ولا يجوز لايزيدي اعتناق دين اخر او الزواج من خارج الطائفة الايزيدية او الزواج من خارج طبقته
12. في حديث خاص مع الامير تحسين سألته عن جملة اشياء سمعناها عن اليزيدية ، مثل تحريم تعلم القراءة والكتابة على العامة وتحريم اللون الازرق واكل الخس ، فأشار بيده الى شرطي يرتدي الثوب الرسمي الازرق ، وقال هذا الشرطي ايزيدي ولا يوجد الان من يطبّق هذه العادات القديمة

المضرة فكثير من اليزيدين مثقفين وخريجي كليات. ولعل الكثير من تلك العادات والتحريمات كانت قد فرضت على هذا الشعب المسكين لاحكام السيطرة عليه من قبل طبقة الامير ورجال الدين السابقين ولكن وسائل التقدم الحضارية كسرت الطوق المفروض عليهم الان.

13. لليزيديين طقوس دينية واعياد ومهرجانات كثيرة ، فالصلاة عندهم خمسة اوقات يمارسونها ووجوههم باتجاه الشمس في الصباح وباتجاه كعبتهم في لالش بعد غروبها. ويوم الاربعاء هو يوم مقدس لان يزدان خلق ملك طاوس فيه ولكن السبت هو يوم راحة. وعندهم ثلاثة ايام العيد في شهر ديسمبر وحج سنوي الى مرقد الشيخ عادي في لالش. واهم مهرجاناتهم هو مهرجان رأس السنة في الربيع وطاووس كيران حيث تحمل السناجق السبعة يتقدمها سنجق الطاووس الى كل القرى اليزيدية ... هذه صورة القوّالين وهم يدقون الدفوف في مهرجان



تابع حديثي: تتجلى الرموز الممثلة للتأثيرات الدينية في اليزيدية في معبد لالش في قضاء الشيخان وكأنه صورة مصغرة لمقدسات الاديان كلها ، فهناك جبل عرفات .. وهناك نبع زمزم داخل معبد لالش ، ويعتقدون انه موصول بنبع زمزم في مكة ، ونبع اخر اسمه كانيا سيبي اي النبع الابيض وجسر يسمى بيرا سلات.

وبعد رشفة من قدح الشاي الذي امامي تابعت حديثي: لا يعرف بالضبط عدد نفوس الازيديين خصوصاً مع الويلات والتهجيرات التي مرّوا بها في ظل وحشية وهمجية داعش ولكنه كان على اعلى تقدير لا يتعدي النصف مليون نسمة معظمهم في كردستان العراق ، في قضائي سنجار والشيخان ، وبضعة آلآف منهم في سوريا واذربيجان وحوالي 40 الفاً موزعين في اوربا وامريكا الشمالية ، ومعظمهم في المانيا ... وقد سنحت لي فرصة نادرة للاطلاع عن قرب على مجتمعهم والتعرف على الكثير من الشخصيات المهمة اثناء عملي في محافظة نينوى وقد لاحضت تحسّن حالتهم بعض الشئ ... ولكن حكومة اقليم كردستان تسعى الى ضمهم اليها باعتبارهم جزءاً من الشعب الكردي وتسيطر على قضائي الشيخان وسنجار ، اللذين لا زالا رسمياً وبالاسم فقط جزء من محافظة نينوى ، وكانت هناك ارهاصات مقاومة الاندماج بالاقليم ، تمحورت حول حزب ايزيدي يسمى حزب الاصلاح والتقدم يسعى الى تأسيس كيان لحكم ذاتي للإزيدين.

اخذت رشفة اخيرة من قدح الشاي الذي امامي وقلت: اخر ما اود التحدث عنه هو عن دين **أهلُ الحق الكاكائية** وهو دين انتشر اولاً بين اكراد غرب ايران في فروع قبيلة كوران الكبرى ، وقد تعددت اسماء هذا الدين وتعددت التقولات حوله وذلك لأن التقّية الصارمة بين معتنقيه حالت دون معرفة الكثير من اسراره ... فقد كان لقمع شيعة اهل البيت وتيارات دينية اخرى اثر كبير في ظهور اخويات تتخذ من التقيّة ستراً لدعوتها ... ان الاسم الدارج في ايران هو "اهل الحق" ولكن الاسم الدارج بين اكراد العراق هو "الكاكائية" ، نسبة الى كلمة كاكا الكردية وتعني الاخ. فهم يقولون انّهم اخوية دينية لا وجود للمراتب الطبقية فيها

ويترأسها الاخ الاكبر الذي يحضى بأحترامهم وطاعتهم. وينعتهم المسلمين بتسمية العلي اللّهيه وذلك نسبة الى الفرق الباطنية المغالية في تقديس الامام علي بن ابي طالب الى حد تأليهه.

سأل سمير: ماذا تقصد بالباطنية استاذ؟

قلت: هي تسمية أُطلقت على فرق دينية تبطن غير ما تُظهر من معتقدات مذهبها التي تبقى سرّاً متداولاً بين اعضاءها فقط ... انظروا الى هذه الصورة لبعض شخصيات اهل الحق من محافظة السليمانية وفوقهم رمز ديني.



تابعت حديثي:

1. دين اهل الحق هو دين توافقي تختلط فيه الاديان القديمة للامة الكردية بفكر اسلامي يغالي في تقديس الامام علي ، يقول الخّيون في كتابة عن الاديان في العراق "وجد بعض الباحثين في تاريخ الكاكائية صلة بين كلمة كاكا (الاخ الاكبر) وتنظيم الفتوة ، المعروف بالأخية ، التي شجعها الخليفة الناصر لدين الله فوضعها تحت اشرافه العام (604 ه) ... والتي تعززها الاية القرانية من سورة الحجرات "إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ" ... لقد ظهرت عدة اخويات يظللها طابع ديني صوفي في الدولة الاسلامية ، فمنها ما هو استمرار للفتوة كالاخوية الرياضية .. كما في الزورخانة .. والكلمة فارسية تطلق على اماكن تمارس فيها الرياضة البدنية انتشرت في القرن الماضي في العراق .. وهناك اخويات مهنية مثل اخوية النجارين والحدادين والبنّائين ،التي تشبه الى حد بعيد النقابات المهنية اليوم .. وهناك اخوية قتالية عسكرية كما في الجيش الانكشاري العثماني الذي تبع الطريقة الصوفية البكتاشية ويرفع من حماسته القتالية المناداة بأسم الامام علي اثناء الهجوم.

2. يتضح الأثر العرفاني الباطني لأهل الحق في ادّعاء امتلاكهم الحقيقة الالهية السرّية ، فالحق هو الله واهل الحق هم اهل من يعرف حقيقة الله ، وتتناقل اسرار دينهم بسرّية من جيل الى جيل في صدور رجال دينهم وهي غير معروفة حتى للعامة من ابنائه.
3. مما يؤكد صلة دين اهل الحق بالتصوف هو نشأته على يد رجل صوفي علوي اسمه "سلطان أسحاق بن عيسى البرزنجي" غرب ايران في القرن السادس عشر ميلادي ، ومرقده في قرية بيرديور على جبل هورمان لا زال مزاراً للكاكائيين. وكتابهم المقدس الذي انزل على سلطان اسحاق كما يدعون هو سرينكام .
4. وكما في الايزيدية يعتقد اهل الحق بتناسخ روح الانسان وقصة الخلق والتكوين فيها ما يشابه الايزيدية ايضاً ، فهنالك سبعة دهور او عصور ، والله يظهر في كل عصر بهيئة انسانية يرافقه اربعة او خمسة من الملائكة فيتجسّد لأول مرة في شخص خاوندكار أي خالق العالم ، ويتجسد للمرة الثانية في شخص علي وفي الثالثة في "النازرين" ولعله يماثل الناصورائيين عند المندائيين وفي الرابعة في سلطان اسحاق ، وهو مهديهم المنتظر الذي سيأتي لخلاص امّته يوم القيامة والذي سوف يكون مشهده الاخير في سهول شهرزور في محافظة كركوك.
5. تقدر نفوسهم بحوالي مليون نسمة معظمهم في ايران ، حيث يتواجدون بكثافة في كرمنشاه ، وهنالك حوالي خمسون الفاً في تركيا و حوالي عشرين الفاً في العراق معظمهم في محافظة كركوك بناحية طاووق .. واحد مزاراتهم هناك هو مزار زين العابدين في ناحية داقوق.
6. دخلت الحضارة الى ابناء هذا الدين فأصبح من بينهم المثقفون ذوي المهن الراقية والادباء ومنهم السيد فلك الدين كاكائي الذي اصبح سنة 2006 وزيراً الثقافة في حكومة اقليم كردستان العراق ، ومنهم الموسيقار الايراني والصوفي علي نور إلهي.

وقبل ان انهي هذه المحاضرة اود القول اني وجدت قلّة منهم تعيش بين الشبك قرب ناحية برطلّة المحادية لمدينة الموصل.

سأل الاستاذ محمد: ومن هم الشبك الذين لم اسمع عن وجودهم حتي قبل بضعة سنوات؟

قلت: الشبك هم طائفة اثنية مسلمة معظمها من الشيعة ألإثنى عشرية ، تكونت من اقوام كردية الاصل اختلطت مع العرب والتركمان في المنطقة التي تعيش بها الان فنتج عن ذلك اثنية خاصة ذات لغة تشابكت ، ومن هنا جاء اسم الشبك ، فيها مفردات كردية وفارسية وتركمانية وعربية. ويقال ان اصولهم ترجع الى عشيرة كوران الكردية المحاذية للحدود العراقية حيث رافق بعضها حملة السلطان الصفوي نادر شاه على الموصل التي كانت تحت الحكم العثماني.

أنتهت محاضرة اليوم وشكراً على حضوركم.

سأل السيد حسين: هل سيكون لنا لقاء إخر في محاضرة عن الاسلام يا استاذ؟

قلت: هذا موضوع فيه الكثير من الكلام الذي يمكن ان يثير الخلاف والجدل الحاد ولكن له اهمية قصوى الان ... اقول الحق انا متخوف من طرح موضوع الاسلام بوجود السيدين خالد وحسين

قال السيد خالد: ولما التخوّف ... الكثير مما طرحته يخالف معتقداتنا الدينية ولكنّا تقبلناه منك لثقتنا من ان ما تقوله نابع من بحث جاد ليس الغرض منه الانتقاص من الدين.

قلت: شكراً على سعة صدوركم ولكن اخشى ان بحثي في الاسلام سوف يتعارض مع الكثير من معتقداتكم المقدّسة ... فهل تسامحوني بالرغم من عدم اقتناعكم بما سوف اطرحه ... اطرحوا رأيكم ولكن لا تقولوا ان هذا مقدّس لا يمكن الاعتراض عليه

قال السيد حسين مبتسماً: لك "الراي والامان" ... سوف لا تجد منّا غير النقاش الحضاري حتى لو لم نتقبّل ما سوف تطرحه

قلت: شكراً مرة اخرى ... الموضوع معقّد وقد كتبت عدة مقالات حوله ... ساحاول ان اجد الوقت لدراسة الموضوع وتحضير ما يمكن طرحه عليكم للنقاش والاضافة ... سأعلمكم عند انتهائي من المحاضرة المقبلة ... وشكراً للجميع مرة اخرى.

محادثات فلسفية مع صديقي (20)

المحادثة العشرون - الإسلام 1:

اقول الحق ... لم اكلّف نفسي عناء البحث في المصادر التاريخية للأسلام لعلمي المسبق بأن معضمها لا يمكن الوثوق به فقد طالتها ايادي المزورين الساعين إمّا لتبييض صورة رجالاته او تشويه سمعة من لهم عقائد مخالفة. لذلك اعتمدت في كتابة محاضرتي على كتب ومقالات ومقابلات متلفزة من متخصصين وباحثين في حقيقة الاسلام وتاريخة. اتصلت بصديقي واخبرته بأكمالي المحاضرة المرتقبة فقام بأعلام الاخرين والاتفاق على لقاء مقبل في الساعة العاشرة من يوم الجمعة المصادف 2019/3/8. وفي صباح ذلك اليوم جائني صديقي وقيس وسمير معه واصطحبني بسيارته الى المقهى. كان المقهى شبه خالي عدا من صاحب المقهى وعامله والسيدين خالد وعباس الذين سبقونا وأعدّوا الكراسي والطاولة في زاويتنا المعهودة ، وما ان جلسنا في زاويتنا المخصصة حتى وافانا الاستاذين محمد وبهنام بعد ان أوصوا عامل المقهى لجلب الشايات للجميع.

بدأت بالقول: ما سوف ادلي به في محاضرة اليوم يشبة ما في محاضراتي السابقة فهو نتيجة بحث موضوعي مدّعم بما توفر من ادلة تاريخية ... بحثي في الاديان يضطرني الى إزاحة المقدّس من الصورة لا لكوني لا أعيره اهمية بل لأنه عقبة في طريق البحث العلمي الموضوعي.

قال السيد خالد: ماذا تقصد بأزاحة المقدس من الصورة؟

قلت: محمد (صلى الله علية وسلّم) ... الذي أُلحق بأسم محمد يضفي عليه التقديس فيجعل من تحليل شخصيته كبشر يخطئ ويصيب مستعصية ... سوف اذكره بالاسم الذي كان من حوله يطلقه عليه ... اي محمد او النبي محمد او الرسول ... ارجو ان يكون ذلك مقبولاً لك وللاخرين فمن دون ذلك لا أتمكّن من الاستمرار بالمحاضرة.

قال السيد حسين: بعد المحاضرة ما بدت وطيّرت صلى الله عليه وسلم من نبيينا محمد!

رد السيد خالد: كمؤمن لا يمكنني تقبّل ذلك فأنا اعتبر النبي صلى الله عليه وسلم سيد البشرية ومعصوم من الخطأ ولكنّي استمع الى ما ستقول بكل رحابة صدر ... سنذكر مقدساتنا انا وزميلي حسين بالطريقة التي نؤمن بها ، هز السيد حسين رأسه موافقاً.

قال صديقي: كلام الاستاذ موفق معقول ... لا بد ان صفة صلى الله عليه وسلم قد لصقت بأسم محمد بعد وفاته فأنا لا اذكر في كتب التاريخ التي قرأتها شخصاً واحداً كان يناديه بهذه الصفة اثناء حياته.

قلت: لنرجع الى صلب الموضوع ... الشئ الاخر بخصوص مشابهة محاضرة اليوم للمحاضرات السابقة هو انها ليست سرداً تاريخياً لنشوء الاسلام وتطورة بل هي تعليل موضوعي لمفاصل في تاريخه فيها اشكالات ادّت الى تطور تشريعاته بالشكل الذي نجده اليوم محمّلاً بالتناقضات والتعصّب والعنف ومثال ذلك الملموس همجية داعش وامثالها.

قال السيد خالد: ولكن داعش والوهابية وأمثالها انحراف عن الاسلام الصحيح المتسامح ...

وقبل ان يستمر السيد خالد في مقولته قاطعه صديقي: بل ان داعش وغيرها تطبّق ما جاء في القرأن والسنّة النبوية ... مع احترامي لك سيد خالد ولكن هذا الكلام التبريري والتوفيقي لا ينفع ... نريد حلاً جذرياً للمشكلة.

قلت: هذا هو غرضي من محاضرة اليوم .. سوف اطرح آراء وافكار مغايرة للفكر الاسلامي السائد لعلها تساهم في حل جذري لمشكلتنا الحضارية .. خلال المسيرة التاريخية للاسلام ظهرت تيارات فكرية متعددة كان فيها المتسامح والمتعصّب والهمجي المتشرّب بروح البداوة .. ومسلمي اليوم مشوشين تتنازعهم تيارات مختلفة ومن الصعب جداً للتيار المتسامح ان يسود من دون تنازلات مذهبية تُحل فيها التناقضات وتزال فيها تشريعات الزمن الغابر المجحفة لتفتح الطريق الى اسلام حضاري متسامح.

قال صديقي متهكّما: مع احترامي للمؤمنين منكم ... ولكن ألا يتبئكم ما يجري اليوم بأسم الدين والتاريخ الاسلامي بأن الدين هو العقبة في طريق الانسانية والحضارة .. اليس من الافضل لنا ان نترك خرافة الدين وننصرف الى تحسين حياتنا اليومية والتعايش بسلام ووئام مع جميع البشر؟

عقّب السيد خالد مذعوراً: اعوذ بالله اعوذ بالله! ، وبعده السيد حسين: الله يسامحك ... افتح قلبك للأيمان بالله وبهذا الدين الحنيف يا أخي ... إن الله غفور رحيم.

قلت: كلامك كما ترى ياصديقي غير مقنع للسيدن خالد وحسين وأظن ان النظرة الحائرة في عيني الشابين قيس وسمير تدل على شك بما تقول فلعل تربيتهم وثقتهم بوالديهم المؤمنين تمنعهم من تصديق ما تقولة .. علينا احترام مشاعر ملايين المؤمنين في كل انحاء العالم فمشاعر الايمان حقيقية وموجودة في بُنيتنا البايولوجية كما بينت ذلك في محاضرة سابقة ولو ان تفسير تلك المشاعر بشكل اديان وشرائع وشعائر يشوبها الخلل والتشويه.

سأل الأستاذ بهنام: لقد ذكرت في محاضرة سابقة شيء عن المشاعر الروحية وارجو ان توضح لي وللحضور أهمية تلك المشاعر.

قلت: بتلخيص شديد ... دماغ الانسان يحمل المعرفة ومن المعرفة ما هو مكتسب اثناء حياة الانسان كالمعرفة العقلية التي يمكن لها ان تُحفظ في الكتب وكذلك المهارات المكتسبة التي لا يمكن لها الحفظ في الكتب كمهارة سياقة السيارة مثلاً ... وهنالك معرفة موروثة من خلال الجينات الوراثية فالطفل مثلاً يأتي الى الدنيا وهو يعرف كيف يرضع من ثدي امّه ... وهنالك الغرائز والمشاعر التي تهدف الى المحافظة على الفرد وعلى الجنس البشري ... ومن المشاعر ما هو خفي في اعماقنا ولكنه يبرز في لحظات التأمل وصفاء الذهن ... وبروزه اقوى عند بعض الناس واضعف عند آخرين ... والمقصود هو ما نسميه بالمشاعر الروحية ... وهي في حقيقتها مشاعر التواصل مع الكل الحي وموقعها في ذلك الجزء من الدماغ الذي يحمل المعرفة الموروثة.

قال السيد حسين: ماذا تقصد بالكل الحي؟

قلت: ذلك الجزء من الدماغ متشابه بين كل البشر ويحمل مشاعر تواصل الفرد مع البشر وتواصل البشر مع مملكة الحيوان والاحياء عموماً ومع الطبيعة ... تلك هي المشاعر الروحية ويجب عدم الاستهانة بها .. ما احاول ان أبيّنه في محاضرة اليوم هو فشل الدين الرسمي للامبراطوريات الاسلامية المتعاقبة لأبتعاده عن المشاعر الروحية وأنجرافه وراء تحقيق مصالح السلاطين والمتسلّطين.

قال الاستاذ بهنام: لا بد ان المشاعر الروحية هي نفسها المشاعر التي تعبّر عن وحدة الانسانية فالمبدعين يستقون منها ومن تجارب الحياة ما يترجم الى نتاج ادبي وفنّي.

قال الاستاذ محمد: كلّنا اذان صاغية ... اكشف لنا ما تعتقده من مواقع الضعف في الاسلام الرسمي .. والسنّي وكذلك الشيعي الموروث.

قلت: لكي نفهم الاسلام يجب ان ندرس اولاً شخصية مؤسس الاسلام والوحيد من الانبياء الابراهيميين الذي يمكن الوثوق بوجوده التاريخي الحقيقي.

قال الاستاذ بهنام: وماذا عن المسيح والنبي موسى؟

قلت: لا توجد ادلة تاريخية موثوقة حول وجودهم الفعلي ... قد يكون المسيح هو خلاصة رمزية لعدة مصلحين ثوريين من جماعة الأسيين بالذات عانوا ما عانوا على يد اليهود آنذاك ... هذا ما يقوله بعض الباحثين ولكن انا شخصياً اميل الى القول ان المسيح الذي صلب كان موجود فعلاً ...

تابعت حديثي: ثانياً ولو اننا واثقين من والوجود الحقيقي لمحمد إلا ان تاريخ ولادته في حوالي سنة 571 ميلادية يمثل اول الاشكاليات في الاسلام لأن المصادر التاريخية تذكر ان والده عبد الله بن عبد المطلب قد توفى قبل ولادته بأربعة سنوات.

قال السيد خالد: هذه اكذوبة يروج لها الحاقدين على الاسلام.

قال صديقي: فلماذا اذن يفتي شيخ الازهر بجواز حمل المرأة من زوجها وولادتها بعد اربعة سنوات من حملها ... الا يدل ذلك على تصديق رواية مولد محمد ومحاولة تبريره بتشريع ، وقبل ان يعترض السيد خالد عاجله صديقي بالقول: هنالك فيديو لمقابلة مع شيخ من الازهر يسأل فيه عن هذا التشريع فيؤيد وجوده ويبرره ... سوف أُريك هذا الفديو إن كان لا يزال موجوداً على حاسوبي.

قلت: هذا الفديو معي ... وهو على حاسوبي الذي امامي فهل تودون رؤيته ، هز الجميع رؤوسهم بالايجاب

https://www.youtube.com/watch?v=2zt4k9UEH4o

قال السيد خالد: ما الضير في هذا التشريع يا اخي ... انه يدل على التسامح في الاسلام.

رد صديقي بأنفعال: بل يدل على الكذب والخداع ... خداع ملايين المؤمنين البسطاء الذين يصدقون هذا الهراء ... ان كانت ولادة محمد فعلاً بعد اربعة سنوات من موت ابيه فهي نتيجة حمل من شخص آخر .. ربّما من عمّه عبد المطلب أو كما تقول بعض الروايات من الراهب بحيرة الذي كا يتردد على مكّة .. ساد صمت قاطعة صديقي .. وهذا ينطبق أيضاً على الولادة العجائبية للمسيح .. لنكن واقعيين لو لم يكن حمل امّه مريم من زوجها يوسف النجار فهو إذن ... قاطعته قبل ان يسترسل ..

قلت: في رأيي ان وجود ما يعبّر عن المشاعر الروحية عند الانسان امر ضروري وهذا الذي يعبر عنها المليئ بالتأملات وبعض الحكم والاساطير نسمية دين .. ولكن في عصرنا الحاضر ... اي عصر آخر ما توصل اليه العلم واغنى به المعرفة الانسانية لا يمكن القبول بالخرافات والتبريرات الغير علمية و لا منطقية ... ان كان لا بد من دين يعبر عن المشاعر الروحية فليكن دين يتماشى مع العلم والمنطق وليس بديلاً عنهم.

قال الاستاذ بهنام: لقد بيّن الاستاذ موفق في محاضرة سابقة بطلان خرافة المسيح ابن الله ولم يؤثر ذلك على ايماني كمسيحي بل زاد من ايماني بدين المسيح الانسان الذي ضحّى بنفسه في سبيل مبادئه الانسانية ... اليس من الاجدى للمسلمين ان نكشف حقيقة محمد الانسان ايضاً؟

لم ينطق احد بكلمة بعدها فواصلت حديثي: لا تهمني مسالة ولادة محمد بقدر ما تهمني محاولات تبرير كل ما يخص مؤسس دين الاسلام وتصويره كأنه إله معصوم بقدرات فوق البشر فولادته اعجازية وحياته لا يشوبها الخطأ ... والحقيقة ان دراستي لشخصيته كأنسان وليس ككائن فوق البشر بيّنت لي قدراته المتفوقة وعزيمة لا تكل لرجل مؤمن برسالته وسياسي داهية بدأ بدعوته في عمر الاربعين ومات في عمر الستين وبذر بذور دين جديد ووضع في يثرب نواة اول دولة مدنية في الاسلام .. ان انتقادت مناهظي الرسالة المحمدية تصب في مجريين اولهما تشكيك في نبوة محمد وثانيهما تبخيس لحياة محمد الشخصية. وسوف لا ادخل في جدل عقيم حول نبوة محمد لأن القضية هي قضية ايمان ، ولا اريد ايضاً ان ادخل في جدل حول حياة محمد الشخصية بل سأقوم بعرض صورة شاملة لأعمال وافعال محمد الرجل والأشكالات التي رافقت حياته وأدت إلى مفاهيم خاطئة في مسيرة الاسلام ثم أستنتج من ذلك تقييماً تاريخياً له.

الاشكالية الثانية في حياة محمد هو ألادعاء بانه كان يحمل اسم قثم بن عبد الله قبل الدعوة الى الاسلام.

كاد السيد خالد يقفز من مقعده فقال بأنفعال: ما هذا الكلام الغريب البعيد كل البعد عن حقيقة نبي عرفة تاريخ الاسلام بأسم محمد ... من اين جئت بهذا الاسم؟

قلت: هذا ما وجده بعض المستشرقين وكتّاب عرب في مصادر اسلامية قديمة ... أنا لا اجد اي غرابة في ذلك فقد كان من عادة العرب تبني اسم يصف فعلاً او وظيفة أجتماعية يفتخرون بها فجد النبي عمرو تبنى اسم هشام لأنه كان يهشم الثريد لزوار الكعبة التي آلت ادارتها اليه ، وعم النبي شيبة الحمد هو عبد المطلب ، وابو سفيان هو صخر بن حرب.

قال السيد حسين: ولكن الامام على بن ابي طالب الذي يكنى بذو الفقار نسبة الى سيفه ذو الحدّين لا زلنا نعرفه بالامام علي بن اب طالب وليس بذو الفقار.

قال صديقي: لأن ذو الفقار كنية لعلي لم يتبناها كبديل لأسمه.

تابعت حديثي: لو افترضنا ان اسم النبي كان فعلاً قثم ... تفسيري الذي يحل هذا الأشكال هو ان قثم شب وسط توقعات امّته بخروج نبي منهم وقادت تأملاته الروحية الى تساؤلات لم يلقى لها جواباً إلّا عند كهنة ونسّاك كان يسرع الى لقائهم عند سفره مرافقاً قوافل التجارة الى الشام.

قال السيد حسين: نعم هذا صحيح ... وقد بشّره احد هؤلاء الرهبان بأنه النبي المنتظر محمد الذي جاء في التوراة.

قلت: ما موجود في التوراة ، في الفصل الخامس الكلمة 16 من نشيد سليمان باللغة العبرية ، هو اسم محمدم ، والميم في نهاية محمد هي للتعظيم كما في كلمة اله التي اصبحت بالعبرية الوهيم. محمد في هذا النص من التوراة هو صفة المنتظر الذي سيأتي لينقذ اليهود بعد دمار مملكتهم ولما ترجم الكتاب المقدس الى اليونانية بعد تبني الامبراطورية الرومانية للدين المسيحي في القرن الميلادي الرابع ترجمت كلمة محمدم

الى مايقابل معناها باليونانية (παράκλητος - **Pa**raclete) واطلقوا عليه بالعربية اسم "الفارقليط" .. هل تودون ان تتفرجوا على فديو لصلاة يهودية يذكر فيها اسم محمد عدة مرات .. اتجهت الاعين الى حاسوبي وانا ابدأ الفديو .. قلت سوف أبدأ من الدقيقة الخامسة لأن الذي قبلها هو دعاية اسلامية تحاول ان تثبت ان اسم محمد موجود في التوراة .. هم على حق ولكن محمد التوراتي هو صفة المنقذ او المخلص الذي سيأتي في نهاية الزمان ..

https://youtu.be/80lSrWEWtO0

واصلت حديثي: لا بد ان شخصية قثم قد حازت اعجاب احد هؤلاء الرهبان الذين كان قثم يهرع الى لقاءهم .. ولعل راهب اسمه بحيرة من دير قرب منطقة بُصرى جنوب سوريا .. والذي طرد من الكنيسة الارثدوكسية لقوله ان المسيح ابن مريم وليس ابن الله .. كانت لديه توقعات عن قرب ظهور النبي المنتظر فقال في قثم انه محمد الذي نادت به التوراة .. تبنى قثم اسم محمد وهو مصدّق كل التصديق لهذه النبوئة وظنّ ان اليهود سيقبلونه بصفته النبي المنتظر محمد ولكن يهود مكة والمدينة كذّبوه فانقلب عليهم وقضى على وجودهم الفعلي في الجزيرة العربية .. وكما في المسيحية التي استقلّت عن اليهودية كدين جديد رغم محاولات دمجة باليهودية بجعل المسيح النبي اليهودي المنتظر من سلالة النبي ابراهيم فقد استقل الاسلام عن اليهودية كدين جديد رغم ان اكثر ما فيه هو امتداد لليهودية ومحاولات جعل النبي محمد والعرب عموماً من سلالة النبي اسماعيل ابن النبي ابراهيم من جاريته هاجر.

قال السيد خالد: أليس النبي وكل العرب من سلالة النبي ابراهيم وابنه النبي اسماعيل من زوجته الثانية هاجر؟

قلت: لو أتبعنا التحليل العلمي الموضوعي نجد ان الفحص الجيني للعرب يؤكد انتمائهم الى سلالة بشرية جاءت من الجزيرة العربية ... مثلهم مثل الكلدانيين والبابليين الاشوريين والكنعانيين والعبريين .. ما ذُكر عن النبي ابراهيم وسلالته لا يتعدى عن كونه قصة اسطورية معززة بالايمان.

قلت: اعتقد ان الوقت قد حان لأخذ استراحة قصيرة

قاطعني الاستاذ بهنام: دعني اضيف بعض ما قرأته عن الراهب بحيرة .. بحيرة بالارامي تعني المتبحّر بالمعرفة .. بعد صلب المسيح ظهرت في فلسطين عدة أشكال من الايمان المسيحي .. هناك من أستمر على يهوديته ولكنه أعتبر المسيح هو المخّلص اليهودي .. الكثير من النحل التي خرجت من اليهودية ولا مجال لذكرها هنا ولكن نحلة الأبيونيون اثارت حفيظة الامبراطور البيزنطي لتعاليمها التي تقول ان الذين يقولون ان المسيح أبن الله كفرة ضالين .. وأن اليهود الذين لم يؤمنوا بالمسيح المخلّص قد أغضبوا الله ... كفّرتهم الكنيسة الكاثوليكية .. بحيرة احد هؤلاء الأبيونيين .. طرد من الكنيسة وأنزوى في دير بعيد عن مركز الامبراطورية .. ويبدو انه وجد ضالته في قثم .. يبث معتقادته لهذا الشاب المتعطش للمعرفة الدينية .. ولعله هو الذي اقترح اسم محمد علية بوصفة النبي المنتظر.

قال الاستاذ محمد: هذا قد يفسر ما جاء في سورة الفاتحة ... غير المغضوب عليهم ولا الضالين ..

رد صديقي: نعم ... سور الفاتحة والمعوذتان .. اي قل اعوذ برب الفلق .. والاخرى قل اعوذ برب الناس .. هم ليسو من القران كما جاء على لسان احد ثقاة الاسلام الاوائل سعد بن عبادة .. كلام منطقي فإذا كان القران من كلام الله فكيف يدعوا الى نفسه .. ان تلك السور دعاء من الانسان الى ربه

قال الاستاذ بهنام: في الحقيقة ,, وحسب ما سمعت من احد القساوسة ان هنالك ما يشابه سورة الفاتحة باللغة السريانية .. ولعل الفاتحة هي تحوير يناسب ما جاء به بحيرة الى محمد.

قلت: ... نواصل المحاضرة بعد الاستراحة ... اخرج السيد خالد كيساً من كعك السيد ووضعه امامنا على الطاولة بينما صاح السيد حسين على عامل المقهى لجلب الشايات.

محادثات فلسفية مع صديقي (21)

المحادثة الحادية والعشرون - الإسلام 2:

كان صديقي اثناء فترة الاستراحة منكبّاً على تلفونه النقّال يبحث في الانترنت عن شئ ما بينما انفرد بي السيدان خالد وحسين وابدوا امتعاضهم مما ذكرته في محاضرتي وخوفهم الشديد على سلامتي لو عرف بمحتواها المتشددون فقلت لهم بأني لم اقصد الأهانة والتجريح بل سرت وفق المنهج الموضوعي العلمي وعرضت ما كان مستوراً في المصادر التاريخية عن النبي من قبل اناس يظنون بأنهم يخدمون الاسلام بتبيض صفحتة التاريخيه. ولكن العكس صحيح فأخفاء الحقائق لا يخدم الدين بل يزيد من عدم مواكبته للمنطق بأللجوء الى أساطير و تشريعات غيبية غبيّة تحاول ردم الفجوة المنطقية كما في المثال السابق عن امكانية حمل المرأة من زوجها وولادتها بعد اربعة سنين .. ذكرت لهم قصة شرائي لكتاب تلبيس ابليس لأبن الجوزي لأن فيه نص يقول ان أبو حنيفة حلل شرب الخمر ولكني لم اجد هذا النص فرجعت الى صاحب المكتبة وذكرت له ذلك فقال لي هذا الكتاب وباقي كتب التراث طبعت ونشرت بأسعار زهيدة في المملكة العربية السعودية بعد ان حُذف منها ما يسئ للاسلام ورجاله برأيهم .. أخرَج من زاوية في مكتبته نفس الكتاب بطبعة قديمة وقال لي هذا هو الكتاب الاصلي من دون تغيير ستجد فيه ما تبحث عنه .. الاجدى بنا ان نعرف من تاريخنا الاسلامي ما هو الاقرب الى الحقيقة فتزوير التراث لا ينفع الحقيقة ولا الدين لأنه يصور ماضي المسلمين كأنه جنّة على الارض فيصبح وسيلة داعش وامثالها لغسل عقول الشباب ووعدهم بدولة اسلامية كما في هذه الكتب المزورة فتعمى ابصارهم عمّا يرتكبونه من فضائع ويتصورونها قربى لله ورسوله ... شكرتهم لقلقهم على سلامتي وبينت لهم بأني لست اول الذين يقولون في النبي محمد ما ذكرته بل ان سوق الكتب في شارع المتنبي يعجّ بكتب كثيرة فيها اكثر مما ذكرته ، مثل كتاب الشخصية المحمدية لمعروف الرصافي وكتب خليل عبد الكريم والسيد القمني وكامل النجّار. قلت لهم انا لا ارى اي انتقاص من شخصية محمد لو كان اسمه قبل الدعوة قثم بل العكس فحتى من وجهة النظر الدينية يمكن القول ان قثم حقق نبوئة التوراة فأصبح قثم هوالنبي المنتظر محمد الذي انشأ دين الاسلام واتباعه الذين يفوقون المليار من البشر .. علينا الخروج من قوقعة العزل الحضاري بين تراث مزور وتشريعات لامنطقية ولا أنسانية لنواجه العالم المتحضر ونتعايش مع شعوبه على قدم المساواة .. وفي نهاية حديثي معهم شكرتهم مرة اخرى على سعة صدورهم فشكروني بدورهم وأبدوا رغبتهم بمواصلة حضورهم محاضراتي مع تحفّضهم على الاراء المخالفة لمعتقداتهم.

تصدّى لي صديقي بالكلام قبل ان ابدأ بالجزء الثاني من المحاضرة: أعذرني موفق ولكني وجدت معلومات مفيدة على الانترنت حول أسم النبي محمد وعلاقته بالتوراة.

قلت: هات ما عندك ... تفضّل

قال: هذه معلومة من السيد صباح ابراهيم تقول "الكلمة العبرية هي محمديم و ليس محمدم ، والياء و الميم في اخر الكلمة تستخدم للجمع .فالكلمة تعني مشتهيات ولا تدل على اسم محمد الا باللفظ فقط وليس بالاسم والمعنى. و النص يقول:

حَلْقُهُ حَلاَوَةٌ وَكُلُّهُ مُشْتَهَيَاتٌ. هذَا حَبِيبِي، وَهذَا خَلِيلِي، يَا بَنَاتِ أُورُشَلِيم"
فما علاقة محمد ببنات اورشليم ؟
وهي تقرأ هكذا (حلقه حلاوة وكله محمد وهذَا حَبِيبِي، وَهذَا خَلِيلِي، يَا بَنَاتِ أُورُشَلِيمَ)
المسلمون يريدون اثبات وجود اسم محمد في التوراة والانجيل لكنهم لا يفلحوا ".

قلت: هذه معلومة جيدة وهي تفتح الطريق لأحتمال آخر ... انا أؤيد السيد ابراهيم ان الكلمة العبرية هي محمديم وهي على وزن إلوهيم ... جمع لكلمة اِله يراد به التعظيم ... وسواء كان اسم النبي قثم ثم اصبح محمد بناءاً على السيناريو الذي وضعته في الجزء الاول من المحاضرة والذي اظن هو الارجح ام انه كان دوماً محمد ولكن المهم هو ان محمد اعتقد انه آخر نبي مكمّل للأنبياء من سلالة النبي ابراهيم.

قال صديقي: هذا تعليق آخر من السيد ابراهيم "اعترف محمد شخصيا في كتابه قائلا على لسان ربه (ان كنت في شك مما انزل اليك فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك). هذا اعتراف صريح ان محمد كان يستقي معلوماته الدينية من احبار اليهود و كهنة النصارى و اشهرهم القس اليهودي المتنصّر ورقة بن نوفل و بحيرة الراهب الذي يعتقد انه هو الاب الحقيقي لقثم ، لأن عند ولادة آمنة لقثم خرج نور من فرجها انار قصور بصرى !!!
السؤال .. لماذا وصل نور آمنة الى بصرى بالذات ؟
انها المدينة التي يقطنها بحيرة الراهب . التفسير هو حسب رسالة الدكتوراه التي قدمت مؤخرا في امريكا ، ان خبر ولادة قثم (النور) وصل الى ابيه الحقيقي الراهب بحيرى الذي سبق و ان زار مكة و التقى بآمنة بعد موت زوجها باربع سنوات ، فحبلت بقثم .
والراهب بحيرة اراد ان يجعل من قثم نبيا لأمته"

قال الاستاذ محمد: هذا كلام يثير الجدل ... معلوماتي عن القس ورقة بن نوفل انّه كان من الاحناف الذين يؤمنون بأله واحد وقد اجتمع نفر منهم وقرروا البحث عن دين اقرب الى نفوسهم ويناسب معتقدهم فكان ان تحول ورقة الى النصرانية ... وورقة هو ابن عم خديجة وقد قام بمراسيم عقد الزواج بينها وبين محمد ... اي ان محمد تزوج على الطريقة النصرانية!

واصلت حديثي فقلت: صحيح ان محمد قد استقى الكثير من معلوماته الدينية من احبار اليهود وكهنة النصارى ولكن انا استبعد ان يكون ابو قثم هو الراهب بحيرة او بحيرى .. واعتقد ان هذه قصة مختلقة لتبرير نبوئته المزعومة بظهور نبي الاسلام ... قثم تربّى في كنف عمّه بعيداً عن بحيرة ... وحتّى لو كان بحيرة على اتصال بأبنه المزعوم يلقّنه من معتقداته فكيف يتمكن من خلق قابليات قثم التي مكّنته من ان يكون نبي وحاكم وقائد المسلمين العسكري في المدينة .. لا يمكن ذلك لأن تلك القابليات لا تُلقّن بل هي كامنة في قثم وتطورت عندما وجدت بيئة مناسبة تتلائم مع تطلعات المجتمع.

قال الاستاذ محمد: كل ما نعرفه عن حياة النبي محمد او معظمه هو مما كتبه ابن اسحق في "سيرة رسول الله" بعد حوالي 120 سنة من وفاته اي في عهد الخلفاء العباسيين .. وهناك شك كبير بصحة معظم ما فيه لدخلول الكثير من الأساطير والاسرائيليات عليه وكذلك للمبالغات في ذم الامويين لخلافهم المعروف مع العباسيين .. ثم جاء ابن هشام ليلخّص كتاب ابن اسحق في كتاب "السيرة النبوية" الذي اعتمدت علية المصادر اللاحقة عن حياة النبي بصورة رئيسة .. انا اشكك بكل هذه السيرة اللتي كتبت وفق ما تمليه مصالح الخلفاء العبّاسيين .. بل ان فيها ما يسئ كثيراً للنبي محمد

قلت: سوف ابدأ بالجزء الثاني من المحاضرة قبل ان نحيد عنها بعيداً .. نضجت في عقل محمد مقومات دين توحيدي جديد جائت تفاصيله تباعاً في الايات المكية القصيرة المفعمة بطاقة روحية إجتذبت اليها الفقراء والمساكين والعبيد الذين لا حول لهم ولا قوة ، وعندما أدرك محمد بفطنته وحنكته التي نحتتها التجارب طوال ثلاثة عشر سنة من دعوته في مكة خطر وئدها وهي في المهد من قبل اصحاب الدين القديم من ذوي السلطة والجاه قرر الهجرة مع قلّة المخلصين الذين التفّوا حوله الى يثرب حيث اخواله الاقوياء

المتمرسين بالقتال من قبيلة الخزرج .. توالت في المدينة الايات المدنية والتي تختلف عن ايات مكّة الروحية بكونها تعالج احول المسلمين المدنية لا الروحية بصورة رئيسية.

سأل سمير: ماذا تقصد استاذ بالايات الروحية والايات المدنية؟

قلت: الايات الروحية هي الايات النابعة من التأمل الوجداني الذي بينته في الجزء الاول من المحاضرة والايات المدنية هي بالدرجة الاولى تشريعات لحالات ومسائل واجهت المسلمين وتتطلب الحل في وقتها ... أؤكدّ على "في وقتها" لغرض سوف اوضحه لاحقاً في محاضرة قادمة.

واصلت حديثي: لعل في تحول اسم مدينة يثرب ، ويعني في ما يعنى التوبيخ والملامة ، الى مدينة النبي بعد الهجرة ثم ليقتصر على اسم المدينة رمزاً يفصح عن فحوى دعوة محمد الى الدين الجديد وفيه روحانية سماوية ومدنية ارضية فالاسلام دين ولدت فيه وازدهرت لحين مدنية وحضارة ساهمت فيها أُمم وشعوب انظوت تحت لوائه ... ثم خبت.

قال صديقي: ذكرت في الجزء الاول من المحاضرة أنك لا تريد ان تدخل في تفاصيل حياة محمد الشخصية ولكن ذلك ضروري في بعض المواقف التي كان لها اثر كبير في صياغة التشريعات الاسلامية مثل الموقف المعادي لليهود الذي تبلور بعد ان رفضوا دينه .. من امره بذبح يهود المدينة المسالمين بحجة واهية الى تنكيله وطرده ليهود خيبر الى زواجه .. بل إغتصابه لليهودية صفية بعد ان قتل زوجها وابيها واخيها .. و زواجه من عائشة وهي طفلة لا يتجاوز عمرها الثمان سنوات وهو في عمر الخامسة والخمسين .. كل ذلك اعطى مادة لفتاوي مشينه.

قال السيد خالد: اليهود خانوا العهد فأستحقّوا القتل.

ردّ صديقي: لم يخونوا العهد بل كانت تلك حجّة لتصفيتهم والاستيلاء على املاكهم.

رفع قيس يده مستأذناً ومقاطعاً الجدل الدائر: لقد اختلطت عليّ الامور وما عدت افهم .. ارجوكم اساتذة فهموني .. ما قصة يهود المدينة وخيبر وصفيّة وعائشة؟

قال صديقي: بأختصار شديد .. كان في المدينة عدة قبائل يهودية استسلم معضمها ومن جملة من لم يستسلموا كانت قبيلة بنو القنيقناع .. قُطعت اعناق رجالهم وسبيت نساءهم ثم طردوا من المدينة.

قال السيد حسين: لقد تحالفوا مع اعداء الرسول فكانوا رتلهم الخامس (اي جواسيسهم) في المدينة.

قلت: كل ما نعرفه عن هذه الحادثة هو من كتاب ابن اسحق الغير موثوق به .. المهم هو ان النبي تخلّص من اليهود في المدينة وفي خيبر.

سأل قيس: وماذا عن صفّية؟

قال صديقي: كانت بعض القبائل العربية تدين باليهودية قبل تحولها الى الاسلام .. وصفيّة بنت حيي شيخ قبيلة الأوس اليهودية كانت فائقة الجمال .. ولمّا انتصر عليهم جيش محمد وقتل ابيها وزوجها واخيها أُهديت له فدخل عليها في خيمةٍ لم يغادرها لثلاثة ايام فخالف بذلك حتى القرأن الذي يحرم الزواج قبل اكمال العدّة.

قال السيد خالد: لقد خيّرها الرسول بين الاسر او الزواج به إن اسلمت .. أسلمت فتزوجها.

قلت: زواج محمد من صفية صحيح ولكن ما يحيط بهذه الرواية وغيرها من تبريرات مشكوك بصحته فهو من كتاب ابن اسحق وغيره .. كما في صحيح البخاري.

قال صديقي: في الحديث عن عائشة .. هل سمعتم عن التفخيذ .. هل سمعتم عن رضاعة الكبير؟ ، اجابوا بالايجاب عدا قيس وسمير الّذين هزّوا رأسهم بالنفي فواصل صديقي حديثه ، جاء في كتاب "تحرير الوسيلة" للأمام الخميني ما يؤيد التفخيذ وهو جواز ممارسة الجنس مع طفلة بين فخذيها مع عدم الايلاج .. هذه من بركات رسول الله المعصوم من الخطأ فقد فعل هذا مع عائشة لمدة سنتين حتى جائها الحيض .. اما جواز رضاعة الكبير فهو من بركات ام المؤمنين عائشة فقبل ان تأذن لرجل غريب بدخول بيتها كانت تأمر اختها برضاعة الرجل من ثديها فيصبح رضيعها اي مثل اخيها!

قلت: لم يفتني كل ما ذكرتموه ولم اهمل هذا الموضوع الحساس فقد كنت انوي الحديث عنه في محاضرة مقبلة .. ولكنه طُرح الان وسوف اتحدث عن تعليلي الذي ارجو ان يكون موضوعياً ومنطقياً قدر الامكان وعليكم تصحيحي ان وجدتم خللاً فيه .. أنا لا أريد تبرير ما فعله محمد .. ولكن لكي نفهم ما قام به محمد اثناء حياته من دون تبريرات واهية علينا ان ننظر الى الجوانب المتعددة لشخصيته .. كان محمد مصدقاً لأصطفائه كنبي يوحى أليه من الله "وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى" وكان المصدقون به يلتزمون بما أُوحيَ أليه على انه الحقيقة المطلقة من الله ...

أرتسمت أبتسامة خبيثة على وجه صديقي فهمت منها ما يقصد فقلت: هناك من يعتقد ان محمد محتال استغل البسطاء من الناس لمصلحته الشخصية .. وقد كان اليهود يقولون انه مجنون ولكني متأكد من ان محمداً كان يعتقد بصدق رسالته السماوية والوحي الذي كان يخرج من وجدانه فيتحول الى ايات قرأنية .. يقول المثل ان حبل الكذب قصير .. فلو كان محمد كاذباً لما تحمّل وطأة الضغوطات والصعوبات التي جابهته في مكّة طوال ثلاثة عشر سنة ولقبل بالمنافع التي عرضها عليه اهل مكة مقابل التخلّي عن دعوته .. ولما استمر يكافح بكل الوسائل .. لو كان كل ما في الدين الذي جاء به محمد مجرّد اكاذيب وخرافات لما استمر حتى الان وتكاثر المؤمنين به.

ردد الاستاذ محمد: "وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى" ... تمعّن في المعنى الدقيق لهذه الاية فكلمة ينطق تدل على ان ما يقوله ليس من هواه اي من عنده فنقول مثلاً ان الراديو ينطق بما يقوله المذيع ...

شبك السيد خالد يديه متضرعاً وقال: اعترف ان في معتقداتنا الاسلامية الكثير من الخرافات والاكاذيب ولكن فيها ايضاً بصيص شعاع من جوهر روحي هو ما يجعلنا نؤمن ونتغاضى عن تلك الخرافات والتشريعات التي لايقبلها العقل .. اصبح الاسلام مسخرة لأعدائه بفعل هذه الخرافات والتشريعات .. متى يأتي رجل دين شريف يزيل الخرافات ويُسقط تلك التشريعت ويكشف جوهر الاسلام المشرق لكل الناس .. عندها لن يبقى ملحد على وجه البسيطة.

قال الاستاذ بهنام: لا تعوّل على رجل دين يريد حقاً اصلاح الدين .. سواء كان مسلماً او مسيحياً .. فكيف يهدم ما بناه له اسلافه ليعتاش منه.

واصلت حديثي: أسمعوا وتفكروا بالاية التالية " قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا " .. الله يقول لمحمد في القرأن انك بشر .. وكبشر لا بد أنه يصيب ويخطي في اقواله وافعاله ولا نستبعد الهفوات والنزوات.

قال الاستاذ بهنام: فإذن محمد كبشر ليس معصوماً .. هو على رأس قائمة التقديس في الاسلام فكيف يكون احفاده من الأئمة الاثنى عشر معصومين عند الشيعة؟

رد السيد حسين: هم معصومون من الخطأ في الدين وتشريعاته فهم كالوعاء الذي يحوي الدين وتشريعاته فينتقل من اب الى ابن .. وما دام كلام الله معصوم من الخطأ فلا بد ان يكون الوعاء الذي ينقله معصوم من الخطأ .. هذا هو التفسير الذي سمعته من أحد آيات الله.

قال صديقي: وهل اقنعك هذا الكلام؟

ردد بصوت خافت وهو يبتسم: لا والله .. ولكن

قلت:عقيدة عصمة النبي محمد التي سوف اتطرق لها في محاضرة مقبلة أدّت الى إشكالات كبيرة يدفع المسلمون ثمنها حتى اليوم .. الواقع لا القرأن ولا محمد نفسه أدّعي العصمة والذين عاصروه يعرفون هذه الحقيقة ايضاً .. نقرأ عن استفسار رجل من الخزرج في امور كان النبي يتحدث بها ، فيسأل "هذا الكلام ... أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله ، فقال لا بل من عند الله" ' ونفهم من احاديث اخرى مشابهة ان المؤمنين كانوا يتبعونه بلا نقاش إذا قال إن ما ينطق به من عند الله ويناقشونه في الامر أذا قال انه من عنده .. مثلاً .. في غزوة أُحد صاح النبي في المقاتلين: أشيروا علي أيها الناس .. وبعد هزيمة اعدائه سمع عن تقدمهم بجيش آخر فاستشار أصحابه ، فقال الشيوخ نقاتل هنا ، وقال الرجال نخرج للقائهم . فأخذ النبي برأي الرجال .. وفي غزوة الخندق رُفعت إلى النبي التقريرات الاستخباراتية تفيد بتحرك جيوش تحالف واسع بين القبائل العربية واليهود صوب المدينة ، فاسْتَشَارَ الصّحَابَةَ ، ما العمل ؟ .. فأشار عليه سلمان الفارسي بحفر خَنْدَقٍ يَحُولُ بَيْنَ الْعَدُوّ وَبَيْنَ الْمَدِينَةِ ، وهي حيلة دفاعية يستخدمها الفرس .. كان محمد كأنسان يتشاور مع اصحابه في الامور الدنيوية والحربية فيمكن ان نستشف من ذلك انه يفصل بين امور الدين التي تأتي اليه بوحي وبين امور الدنيا التي يستشير بها القوم ذوي الخبرة.

قال الاستاذ محمد: يمكن ان تأخذ من ذلك عبرة تفيدنا اليوم في الفصل بين الدين والدولة اي ما يسمى بالدولة العلمانية فمجال النبي السماوي لا يهيمن على مجال محمد الدنيوي .. ان القول بأن الاسلام دين ودولة أكذوبة ابتدعت في زمن الدولة الاموية وتوطدت في الخلافة العباسية .. فقد سار الخليفتان ابو بكر وعمر على هذا النهج فهم يستشيرون علي بن ابي طالب في الامور الدينية ولكنهم في الامور الدنيوية يقومون بما تمليه عليهم مصلحتهم ومصلحة الدولة التي آلت رئاستها اليهم حتى لو خالفت تعاليم القرأن والنبي .. فيقال مثلاً ان عمر ابن الخطّاب وهو يعالج امور امبراطورية متوسعة مترامية الاطراف قام بمخالفة القرأن ثمان واربعون مرة.

قلت: عدم عصمة النبي تؤكدها الآية التي ذكرتها وبعض الايات الاخرى كما في سورة عبس "عبس وتولّى إن جاءه الاعمى ... " .. الله يؤنب النبي على انشغاله عن اعمى سأله ان يقرأ عليه بعض ايات القرأن .. بل ان النبي نهى عن تدوين أحاديثه وسيرته خوفاً تؤخذ اقواله وافعاله على انها ملزمة على المسلمين كالقران فقد أمر ان يؤخذ بالقرأن فقط كما في الحديث التالي المؤكدة صحته ...

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "لا تَكْتُبُوا عَنِّي وَمَنْ كَتَبَ عَنِّي غَيْرَ الْقُرْآنِ فَلْيَمْحُهُ وَحَدِّثُوا عَنِّي وَلا حَرَجَ"

ولعل غاية النبي هي علمه بأنه قد يرتكب أخطاء كبشر وكانت ايضا لإفساح مجال من الحرية للمسلمين لكي يشرّعوا قوانين تناسب حياتهم والعصر الذين يعيشوى فيه من دون خرق لثوابت الاسلام ومن دون اثقال حياتهم المدنية بكل صغيرة او حديث خرج من النبي في حياته اليومية التي تصرف فيها "كبشر مثلكم".

قال السيد حسين: اعتقد ان الرؤية المحمدية لمستقبل الدولة الاسلامية هي في دولة تسترشد بمرشد ديني لا يكون هو رئيسها ، وهو ما يناقض مذهب ولاية الفقيه الايرانية المصدر. لقد كان المرشد الديني ايام خلافة عمر وعثمان هو الامام علي وعندما قُتل الخليفة عثمان رفض الامام علي في البداية بيعة المسلمين له في ان يكون الخليفة التالي بعد عثمان وفضّل في ان يكون الخليفة من هو أقدر على ادارة الدولة .. و في اليوم التالي من الحادثة بايع الامام علي جميع من كان في المدينة من الصحابة والتابعين والثوار. يروى إنه كان كارها للخلافة في البداية واقترح أن يكون وزيراً أو مستشاراً إلا أن بعض الصحابة حاولوا إقناعه فضلا عن تأييد الثوار له فارتضى تولي الخلافة خشية حدوث شقاق بين المسلمين.

قلت: كان محمد يمتلك قابليات متفوقة تُمكّنه من استيعاب مسؤليات جبّارة ومتعددة ، فقد كان نبياً مشرّعاً (السلطة التشريعية) ، ورئيساً لدولة المدينة الناشئة (السلطة التنفيذية) ، وكان ايضاً قائدا حربيا لقواتها الضاربة من المهاجرين والانصار .. اسس دولة المدينة الفتية في محيط من البداوة المعادي للمدنية واخلاق التمدن .. وقد وصفهم القرأن بالاعراب كما في السور التالية.

"قالت الاعراب آمنّا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من اعمالكم شيئا غن الله غفور رحيم" سوره الحجرات: 14

وكذلك "الأعراب أشد كفرا ونفاقا وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله والله عليم حكيم" سورة التوبة: 97.

قال صديقي: ولكنه ايضاً قام بأعمال شنيعة ذكرت بعضها قبل دقائق.

قلت: نعم .. أنا لا ابرر ما قام به ولكني اكرر ما قلته سابقاً من أنّه بشر له حسناته وسيئاته ونزواته .. تزوج محمد من خديجة التي يقال انها تكبره بخمسة عشر سنة .. احبّها كثيراً فقد كانت له الزوجة والام التي فقدها والصديق الذي يفهمه اضافة الى ان غناها الكبير من زوجين سابقين وافتهم المنية تباعاً وفرت له مجال التأمل والتفكير الذي تكلل بالنبوة وكانت هي اول المصدقين به .. اخلص محمد لخديجة في حياتها وتزوج من عدة نساء بعد وفاتها فلعله كان يطمح بأبن ذكر يحي اسمه ويورثه ما حققه في حياته.

قال صديقي: بل هو الحرمان من النساء الجميلات والصغيرات ما دفعه للزواج من عدد كبير من النساء عندما توفرت له القدرة على ذلك بعد وفاة خديجة التي تكبرة كثيراً .. فقد تجاوزت الستين من العمر عند وفاتها.

قلت: ربما الغرضين معاً اي ما ذكرته انا وما ذكرته انت .. اما بخصوص امره بذبح اليهود في المدينة فهو امر مريع لا يُبرر ولكنه من وجهة نظر زعيم لمجموعة من المؤمنين بدينه التوحيدي وجد في اليهود الذين رفضوا دعوته واستهزئوا بها منافساً عقائدياً جبّاراً لهم من العمق التاريخي ما يهدد بوئد البذرة التي بذرها فقرر التخلص منهم بكل وسيلة فقتل من قتل وطرد الآخرين من الجزيرة العربية .. امر لا يمكن تبريره من الناحية الانسانية ولكنه ساعد على انتشار الاسلام في الجزيرة من دون منافس عقائدي.

قال السيد حسين: ذكرت ان الرسول كان رئيساً لدولة المدينة .. المدينة لم تكن دولة!

قلت: المدينة مجازاً دولة ولو لم يُذكر ذلك التاريخ .. للدولة مواصفات أهمها ان يكون لها دستور او عقد اجتماعي ينظّم العلاقا ت والتعاملات وسلطة تنفيذية وقضائية وتشريعية وشرطة تحمي الدولة من الداخل وجيش يحمي حدودها .. وقد تحققت تلك المواصفات.

سأل سمير: فما هو دستور هذه الدولة؟

قلت: هي وثيقة المدينة التي صاغها النبي .. وهي وثيقة تنظم العلاقة بين أطياف المجتمع فى المدينة بين المسلمين من مهاجرين وأنصار والعرب الغير مسلمين واليهود. فهي تآخي بين المهاجرين والانصار وتنظّم علاقات متكافئة عادلة بين المسلمين واليهود والعرب الغير مسلمين ، لا تعتدي فيها فئة على اخرى ولا تتدخل فئة في شؤون الفئة الاخرى الدينية والمدنية .. وتعتبر بحق اول دستور مدني ويمكنك ايجاد نصها على الانترنت إذا كنت تود قرائتها .. امّا في ما يتعلّق بالمقومات الاخرى فالسلطة التنفيذية والتشريعية والقضائية اجتمعت في النبي وكانت هنالك قوة عسكرية من المهاجرين والانصار .. ولو رجعت الى احد محاضراتي الاولى ولوجدت ان دولة المدينة تتوسع الى امبراطوية لوسنحت لها الضروف .. وهذا ما حدث لدولة المدينة.

قال السيد حسين: ماذا عن حديث الغدير ووصيّة الرسول بخلافة الامام علي من بعده؟

قلت: هذا آخر ما كنت اود الحديث عنه من الاشكالات التي أدت الى اكبر الانشقاقات في الاسلام .. حديث الغدير حديث مُوَثّق 100% ولو ان الشيعة اضافوا له "جنجلوتيه" طويلة عريضة ، ضحك الجميع عدا السيد حسين الذي تلفّت في الوجوه مبتسماً .. تمرّض النبي في مكّة وعرف ان المنيّة قريبة فألقى خطبته الاخيرة المعروفة بحجة الوداع ثم قفل راجعاً مع ركبه الى المدينة .. أخذ ركبه طريقاً جانبياً يمر بواحة خم ولكن المرض أشتد علية فرقد محتضراً قرب الغدير .. لم يعش له ولد يخلفه سوى احفادٍ من ابنته فاطمة وابن عمه على بن ابي طالب..

قال في الملأ "ألستم تعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم" ؟
قالوا : بلى.
قال : " ألستم تعلمون أني أولى بكل مؤمن من نفسه " ؟
قالو: بلى.
فاخذ بيد علي فقال: " من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم والِ من والاه و عادِ من عاداه

.. يقال ان عمر ابن الخطاب منع الرسول من كتابة وصيتة وصاح باللذين قرب فراشه "دعوه ... انه كلام رجل يهجر" اي لا تستمعوا اليه انه كلام رجل يموت .. ولكن عندما التقى عمر بعلي قال له "هنيئا يا ابن أبي طالب أصبحت و أمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة".. توفى الرسول وانتم تعرفون كم من التطاحن الدموي جرى بين شيعة علي ومناوئيهم عبر التاريخ الاسلامي.

أنهي محاضرة اليوم بتقييم لمساهمات محمد في صناعة التاريخ الاسلامي:

I. أطلق البداية لتكوين هوية حضارية خاصة لأمته من العرب بعد ان كانوا تائهين بين الحضارات عريقة، البيزنطية الرومانية والساسانية الفارسية القريبة والصينية والهندية البعيدة

II. جاء بدين جديد يعتنقه اليوم 1.62 مليار مسلم ، اي حوالي 23% من البشر.

III. خلق مفهموم الامة الاسلامية كنواة لمجتمع يقوم على وحدة العقيدة الفكرية بين اقوام وشعوب مختلفة لا على مفهوم قرابة الدم والقبيلة المتخلف. وبذلك مهّد الطريق لخق مدنية وحضارة جديدة يصب فيها تراث الشعوب التي انضوت تحت لواء الاسلام ، فمن نواة الامة الاسلامية في دولة المدينة (المدنية) وكان هو اول قائد لكيانها المدني ولجيشها الى امبراطوريات وحضارة اسلامية تنامت وتكاملت بمرور الزمن لتصبح في اوج مجدها منارا للعالم المتحضر .. ثم خبت.

IV. ارسى في دولة المدينة اسس العلاقة بين الدين والدولة المدنية التي يحكمها دستور .. ولو ان هذه العلاقة التي يمكن ان تسمى بالعلمانية سرعان ما نُقِضَت وسار الاسلام على طريق الخلافة السلطوي الذي دمج بين الدين والدولة.

V. في رأيي الشخصي ان هذا الرجل ذو القابليات الفكرية والسياسية الفذة كان من اكثر الرجال تاثيراً في التاريخ ، ويكفي في هذا الصدد ان اذكر ما قاله الكاتب الايرلندي الشهير برنارد شو " لو كان محمد موجود الان لأستطاع ان يحل مشاكل العالم وهو يشرب فنجان قهوة" .. او المثل الانكليزي الذي يدل على قابليته في التعامل بمرونة مع الصعاب " If the mountain won't come to Muhammad then Muhammad must go to the mountain" اي اذا لم يأتي الجبل الى محمد فعلى محمد الذهاب الى الجبل .. اختم محاضرة اليوم وشكراً لأستماعكم وسعة صدركم .. المحاضرة القادمة عن الاسلام ايضاً وسوف اخبركم بموعدها عندما اكملها.

محادثات فلسفية مع صديقي (22)

المحادثة الثانية والعشرون - الإسلام 3:

بعد أكمال محاضرتي إلتقينا مرة أخرى في مقهى الشابندر وذلك في الساعة العاشرة من يوم الجمعة المصادف 2019/3/15 فبدأت محاضرتي بالقول المأثور:

"حين سكت اهل الحق عن الباطل توهّم اهل الباطل انّهم على حق"

وضعت هذه الحكمة للامام علي بن ابي طالب في مقدمة محاضرتي لأعتقادي الجازم بأن معرفة الباطل و السكوت عنه في تاريخنا الاسلامي هو أحد اهم الاسباب في تردّي وضعنا الحضاري .. ما يدرّس في مدارسنا من تاريخ أسلامي وما امتلئت به عقولنا من معتقدات متخلّفة تطفح بالاكاذيب والانحرافات هما السبب في ما وصلت اليه شعوبنا من حالة التردّي الذي يكاد ان ينهي هويتها الحضارية. ولأعقادي الجازم بأن كشف ما هو اقرب الى الحقيقة والمنطق في تاريخنا الاسلامي والتخلص من ادران الماضي والأكاذيب التاريخية والعقائدية الذي انتجت داعش وما شاكلها هو الطريق الوحيد الذي يمكن من خلاله الحفاظ على هويتنا الانسانية التي تواكب ركب الحضارة ... لن أُجافي الحقيقة إن عرفتها ولو كانت مرّة ولن اسلك غير طريق التحليل الموضوعي الذي يغوص في اعماق ما اعتبرة المسلمون لقرون مقدساً لايُمس من قريب او بعيد ولكني لن اتخلّى عن جوهر الدين الانساني ولن اشيح بوجهي عن الاسلام ذو الطابع الاجتماعي فهو جزء اصيل من هويتي التي تنتمي الى وطني الام العراق.

قاطعني صديقي: أرى ان سعيك لتخليص الاسلام من أدران الماضي التاريخية والعقائدية ميؤس منه لأنّك سوف لن تلقى آذاناً كثيرةً صاغية ولن تتمكن من اقتلاع ما انغرس عميقا في أذهان الجماهير .. لماذا لا نترك كل ما يتعلق بالأسلام ورائنا ونبدأ صفحة جديدة بتبنّي المفاهيم الانسانية والحضارية الحاضرة؟

قلت: قبل فترة رأيت مقابلة مع السيد أحمد القبانجي .. سأل سائل: ارى تناقض بين ما تصرح به من ذم يكفر بالاسلام وبين ملبسك الذي يدل على رجل دين شيعي؟ .. اجاب بما معناه: أنا مؤمن بالله .. الاسلام ثلاثة انواع .. إسلام آيدولوجي وهو الاسلام الذي انتج الشرائع ووضّفها لخدمة السلطة وانتج داعش وما شابهها .. وهناك إسلام شعبي تعايش الناس في ظله بسلام وهو إسلام إجتماعي فيه عادات وطقوس لا تضر بل تحث على تقوية اللحمة الاجتماعية في كثير من الاحيان مثل ما في طقوس الاعياد الدينية .. وهنالك إسلام روحي ينفد الى جوهر الدين ولا يهتم بالتشريعات وانا ممن يتبعوت هذا الاسلام الروحي إضافة الى بعض من الاسلام الاجتماعي لأني جزء من هذا المجتمع

ساد بعض الصمت فتابعت حديثي: أنا الى حد ما مثل القبانجي في نظرتي الى الدين .. ان وجودي ووجودك المعنوي .. اي الفكري .. سواء شئت ام ابيت أرتبط بهوية فيها أرث حضاري عريق .. ومن عطاءات هذا الوجود المعنوي عند بعض الاشخاص بنت الامم الحيّة حضارتها .. لم تتخلص تلك الامم الحيّة من أرثها ولكنها وضعت ما هو صحيح منه اساساً لبناء صرح حضارتها المتقدمة .. نحن أيضاً لا نريد التخلّص من كل أرثنا بل نود ان نكنس عن طريقنا المفاهيم والتشريعات الدينية اللا إنسانية والرجعية التي تراكمت منذ فجر الاسلام حتى الآن ونرميها في مزبلة التاريخ وبذلك يتكشّف الجوهر الذي ساهم في رفد الحضارة الانسانية في الماضي والذي سنبني عليه حضارتنا كجزء متفاعل ومكمّل للحضارة العالمية.

قال صديقي: ولكن هذا الارث الحضاري في الغرب المتطور هو ارث العلم والادب والفن فلو كان الدين من هذا الارث لقبلت به.

قلت: يمكن ان نعتبر بعض ما في الدين تراث ادبي .. تجد بين اسطر الكتب المقدسة ادباً راقياً تتوارى ورائه معاني انسانية وروحية عميقة .. الدين في جوهره الروحي كما بيّنت سابقاً هو تعبير عن توق الذات الى التواصل مع الوجود الكلّي .. تكتسب معرفة ماهية هذا الوجود الكلّي والتوصل معه أهمية قصوى .. هذا الوجود الكلي .. خالق الطبيعة والحياة والذي يسميه المسلمون الله .. أهمية معرفة الله هي جوهر الدين كما جاء في شبكة المعارف الاسلامية:

"إنّ علم معرفة الله هو من أعظم العلوم شرفاً وأكثرها قيمة ، بل إن التكامل الحقيقي للإنسان لا يتيسر من دون المعرفة الإلهية ؛ لأن الكمال الحقيقي للإنسان يتحقق في ظل القرب لله تعالى ، ومن البديهي أنّه لا يمكن القرب إلى الله تعالى من دون معرفته"[6].

تابعت حديثي: لا يمكن انكار وجود ما يبرر الفكر الظلامي والاعمال الوحشية لداعش وامثالها في آيات قرأنية وفي احاديث منسوبة الى النبي محمد والخلفاء الراشدين والصحابة من بعده .. الكثير من المسلمين يقولون أن ما تقوم به داعش انحراف عن الاسلام الصحيح ويأتون بآيات معاكسة ويذكرون اعمال للنبي والخلفاء الراشدين والصحابة تدلل على أنسانية الاسلام وعدالته .. بعض هؤلاء من المنافقين .. فهم في السر وبين من هو منهم لا ينكرون مبررات الفكر الظلامي الوحشي من آيات وأعمال ولكنهم ينكرونها في العلن .. والبعض الاخر يدافع عن الاسلام عن إيمان ولكنه لا يقدر ان يحل التناقض بين ما يصرّح به فقهاء الارهاب وضرورة التعايش السلمي بين الاديان والطوائف .

قال الاستاذ محمد: في ظنّي لا يصح الاسلام إلّا بأهمال هذه الايات وعدم تبرير الأعمال المشينة لرجالات الاسلام مهما علت مرتبتهم.

علّق صديقي متهكّما: مهما علت مرتبتهم .. محمد واحد منهم

رد السيد خالد: ولكن القران الكريم كل متكامل لا يمكن إهمال اي آية اوحيت الى رسولنا محمد صلى الله عليه وسلّم الذي دوّنت سيرته وأحاديثه الصحيحة

رد الاستاذ محمد بأقتضاب: القران يؤكد على ان النبي بشر مثلنا .. والبشر ما معصوم يخطئ ويصيب .. كل اعمال النبي واقواله وإن صحّت .. عدا ما ما اوحي له من الله .. اعمال واقول من بشر مثلنا .. فيها ما هو حكيم و فيها ما خضع للدوافع الذاتية والغريزية

رد صديقي: يعني على المسلم ان لا يلتزم بالسيرة النبوية ولا يقدّسها لأنها ما فيها من فعل بشر يخطئ ويصيب

[6] شبكة المعارف الاسلامية
http://www.almaaref.org/maarefdetails.php?subcatid=108&id=541&cid=1&supcat=1&bb=39&number=10

أنهيت الجدل بتأيدي لما قيل: هذا صحيح .. سأبيّن كيف السبيل الى إصلاح حقيقي من دون المساس بألايمان الحقيقي بجوهر الدين .. سأدلي رأيي عن الاساس العقائدي الذي بُنيت علية التشريعات الاسلامية التي أدّت الى هذا الخراب والضياع الفكري في عالمنا الاسلامي.

قرأت عشرات الكتب والمقالات حول اسباب التراجع الحضاري في الامة الاسلامية وسوف اختار مما قرأت موضوعين باللغة الانكليزية اولها مقالة للدكتور هارولد رود عن مسبباته الحاضرة[7] وثانيها مقتطفات من كتاب ألبروفيسور مصباح الدين عن جذوره التاريخية[8].

لا يُرجع رود اسباب التدهور الحضاري في المجتمعات الاسلامية الى الخصائص الوراثية (الجينية) للمسلمين ولا الى دين الاسلام بل الى الثقافة الاسلامية (Islamic culture). فهي ثقافة **تلقين** تُنتج في افرداها قصوراً في المقدرة على التفكير الحر وطرح الاسئلة وعلى الاعتراف بالفشل والتعلم من الفشل وعلى تحمل مسؤلية الفرد لأعماله وعلى تقبّل المساومة من اجل الوصول الى حل وسط .. ولا امل عند المسلمين باللحاق بركب حضارة القرن الواحد والعشرين حتى يواجهوا بجرأة مشكلة الثقافة الاسلامية المقيدة للمبادرة والتقدم.

ردد صديقي: يبدو ان المقدس المدعوم بالترهيب والتخويف لمن يتجرء على التساؤل عنه نشأ لتكميم الافواه .. تمعّن في هذه الحكمة الغبية .. رأس الحكمة مخافة الله .. غالبا ما اراها معلّقة على الحائط في دكاكين الباعة .. التقديس اهم وسيلة للايدولوجية الدينية لتقييد المبادرة ولجم التتسائل عن المقدس الذي لا تبرير علمي له .. الله .. المسيح ابن الله .. صلى الله عليه وسلّم .. المهدي المنتظر .. حياة الآخرة .. الجنة والنار!

تابعت الجديث: أما مصباح الدين فيعزي اسباب التخلف في المجال العلمي ، وهو اساس التقدم الحضاري الغربي ، الى جملة عوامل اهمها الموقف الاجتماعي وطبيعة الدولة والتشريعات الاسلامية غير الملائمة. وتكتسب التشريعات الاسلامية اهمية كبيرة في الموقف الاجتماعي فكثيراً ما ينحاز شحيحي الثقافة من عامة الناس الى فتاوي رجال الدين المحافظين التي تكون في كثير من الاحيان معادية للعلوم العقلية التي لا يفقهون منها شيئاً .. ولا يتقبل فقهاء الدين المحافظين حتى اليوم المنطق العقلي الذي يعزي الظواهر الطبيعية الى مسببات مادية ، فقبول اي قانون طبيعي هوعندهم قبول بمنطق يتجلّى بألية السبب والنتيجة مما يعني ان الافعال الطبيعية ممكن ان تكون نتيجة تلك القوانين وحدها من دون تدخل إلهي وهذا عندهم شرك كبير لانه يعزي خلق الافعال الى شريك للخالق الاوحد.

ويعلّق مصباح الدين على ان الحرية الفكرية النسبية التي كانت تبشر ببزوغ عصر التنوير الاسلامي زمن الخليفة المأمون كانت في الحقيقة تظم شريحة صغيرة من المجتمع تعتمد كلياً في وجودها على شخص الخليفة. وبناءً على مزاجه الشخصي لم يتورع المأمون من قمع واضطهاد مخالفي مذهب المعتزلة من الحنابلة ، ولم يتورع الخليفة المتوكل بعده من اضطهاد المعتزلة واغلاق مدارسهم. ولهذا يشكك مصباح الدين بقابلية استمرار عصر التنوير الاسلامي الذي يتطلب تطوراً في مجالات حقوق الانسان وحكومة اكثر تمثيلاً للفئات الشعبية. يدعونا مصباح الدين الى التأمل في نتائج تصريح احمد بن حنبل في تخطئة اي موضوع لم يتطرق له النبي ، فهل بالامكان وجود فلسفة او علم او تقدم تكنلوجي او ثقافي بعده .. فقد وجّه الامام ابو حامد الغزالي (1058 – 1111 م) آخر طعنة مميتة في جسم دعاة الفكر الحر عندما أدان الفلسفة في كتابه "تهافت الفلاسفة" واتهم الفلاسفة بالزندقة. ثم اتخذت هذه الادانة بعداً اوسع بتلميحه "ان من النادر ان تجد شخصاً ينشغل بالعلم (الاجنبي) من دون ان يؤدي ذلك الى خروجه عن الدين وانفلات زمام تقواه"

---

[7]HTTP://WWW.POWERLINEBLOG.COM/ARCHIVES/2012/06/THE-PROBLEM-OF-ISLAMIC-CULTURE.PHP

[8]" S. Musbah el Deen"وThe Rice and declined of Science

، فكان ان افتى فقهاء من بعده ، مستندين على حديث نبوي مشكوك بصحته ، ان اي فكرة مستوردة من الخارج بدعة ، ومصير كل بدعة في النار. وهكذا ساد جو معادي للعلم في العالم الاسلامي وتوثّقت العلاقة المصلحية متبادلة بين الحكّام المتسلطين وفقهاء الدين ، الذين فسّروا انتصارات المسلمين في صدر الاسلام و إنتكاساتهم ، كما في الاحتلال المغولي ، على ضوء مدى التمسك بالدين ، اي التمسك بنسختهم من الاسلام المتحجّر الذي يبرر الخنوع للسلطة الحاكمة ولو كانت ظالمة.

قال السيد حسين: ان تعليل مصباح الدين يتضمن نسخة الاسلام الرسمي الذي تبلور في الدولة السنيّة ولا يتضمن الارهاصات والثورات التي اتخذت من الراية العلوية شعاراً لها وأدت تحت طائلة القمع الشديد في كثير من الاحيان الى التقّية و ظهور فرق مذهبية سريّة.

رد السيد خالد: الثورات العلوية وما أعقبها من تطور مذهب التشيّع لا تختلف كثيراً في استخدامها للدين والخرافة لأغراض سياسية .. ولم يكن اعتناق مؤسسي الدولة الصفوية للمذهب الاثناعشري حبّاً بالاسلام وآل البيت بقدر ما هو وسيلة للأنفصال عن الدولة العثمانية التي تدّعي تمثيل المسلمين لتأسيس دولتهم التي تدّعي نفس الشئ.

قلت: كلاكما صحيح .. بعد مؤسس الدولة الاموية معاوية بن ابي سفيان اصبح الاستيلاء على السلطة بالقوة وتوريثها وامساك الحاكم ذو السلطة المطلقة الصلاحيات على السلطة المدنية والدينية بأعتبارة "امير المؤمنين" هو النمط الذي سارت عليه الدول الاسلامية السنّية المتعاقبة. وأصبحت وضيفة معظم علماء الدين خصوصاً في ظل الدولة العباسية هو تبرير حكم الحاكم شرعاً ، إستناداً الى ما أُنتقيَ من الايات القرانية ومن السنة النبوية المختلقة في معظمها ، حتى لو كان الحاكم ظالماً وجائراً ومخالفاً للدين. وفي ظل مثل هذه الدولة الاسلامية تنعدم كلياً حقوق رعاياها ومن جملتها حق الحياة فما بال حق الحرية الفكرية والبحث العلمي. ويضيف مصباح الدين الى ان التراث العربي الذي يدور حول التجارة والحياة المدنية تسبب في عدم اهتمام بالزراعة في الامصار المفتوحة ، ألا فيما يخص جباية الضرائب الباهضة من الفلاحين ، فعم الارياف فقر مقدع ، وكانت الطبقة الحاكمة تنظر بتعالي واحتقار الى الفلاحين والعمل الفلاحي ولم تتطور الصناعة التي تعتمد على مشاغل صغيرة تعمل بما ورثته من خبرة. وفي ظل هذا الوضع الاجتماعي والاقتصادي لم يكن هنالك تراكم للثروة يتسنى فيه للدولة ، حتى لمن يود الاصلاح فيها ، ان تقوم بعمليات اصلاح وتطوير. وحتى لو كان هناك من العلماء والباحثين من كان بوسعة المساهمة بالتحديث فأن جهوده المفردة كانت كنقطة زيت في ماكنة الدولة الصدئة لا تكفي لاسترداد عافيتها وتحريكها ، فلم تكن هناك تعاونية او تنظيم اوهيئة للعلماء والباحثين في ظل الدولة الاسلامية ، كما في الاكاديمية في اليونان ، تعمل بجهد متكاتف ولها تمويل يسندها حتى في اوج عصر التنوير الاسلامي.

قال صديقي: يبدو لي ان هذه التعليلات غير كافية ولا تصل الى جذور المشكلة .. سياسة التلقين والترهيب التي تجعل من الانسان مخلوقاً متلقّي للاوامر والافكار من قبل رؤسائه هي نتيجة لسبب رئيس يكمن في طبيعة الدولة الاسلامية وقد يكون لمصباح الدين بعض الحق من اعتماد البحث العلمي والفكري في الدولة الاسلامية بصورة عامة على إسناد شخصي من الحاكم فليست هناك مؤسسات علمية مستقلة تظم جماعة من العلماء ولكن مرة اخرى ان هذا كان نتيجة لسبب رئيس يكمن في طبيعة الدولة الأسلامية وحاكمها المطلق الصلاحيات للحاكم الذي يمثل بشخصه الدين والدولة.

قلت: لك الحق يا صديقي .. في رأيي إن طبيعة الحكم في الدولة الاسلامية هو نتيجة لسبب اعمق .. لم يرد في القرأن ذكر للدولة الاسلامية وطبيعة الحكم فيها فمن اين جاءت؟ لو تمعّما في ايدولوجية الحكم في الدولة الاسلامية لوجدنا انها لا تختلف عن ايدولوجية الحكم في الدول الاوربية في فترة العصور المظلمة التي دامت من القرن الرابع الى القرن الرابع عشر الميلادي. فوراء كل نظام اجتماعي فلسفة اجتماعية تبرر وجوده وتسنده وهي في كلا المجتمعين فلسفة مستمدة من **الفكر الافلاطوني المثالي** الذي كان له اثر كبير

في هذا الجمود. اعتنقت الامبراطورية الرومانية الدين المسيحي في القرن الميلادي الرابع بعد طول اضطهاد لاتباعة فقد وجد اباطرتها ان في ذلك فائدة سياسية لهم واتخذوا من المذهب الكاثولوكي ديناً رسمياً للدولة فتتعززت سلطة الامبراطور فيها لكونه ظل الله على الارض. وما نظام الحكم الروماني والكنيسة الكاثولوكية إلا نسخة معدّلة مما نادى به افلاطون في كتابه الجمهورية والذي يقسّم فية المجتمع المثالي الى ثلاثة طبقات على رأسها طبقة الذهب من الحكماء ، البعيدين عن مطامع الدنيا ولذّاتها ، وهم مستشاروا الجمهورية وهم الحكّام الغير مباشرين. تلي طبقة الذهب طبقة الفضة ، ومنها الحكّام الفعليين من اداريي الدولة والقادة العسكريين ويرئسهم ملك يأخذ بمشورة طبقة الذهب. واخيراً طبقة النحاس من عامة الشعب العامل والخاضعين للطبقتين العلويتين. فكهنة الكنيسة التي يرئسها البابا هم طبقة الذهب ، والامبراطور ووزرائه والقادة العسكريين هم طبقة الفضة وطبقة النحاس هم عامة الشعب. والمثالية في الفكر المسيحي تمثّل الله في الكلمة الفعّالة ، اي ان عالم الله هوعالم ما فوق الطبيعة .. عالم الفكر الكامل ، والمسيح هو ابن الله ، بمعنى انه وليد عالم المثال (الله) وقد جاء الى الارض ممثلاً لكلمة الله عليها .. دمجت الدولة الاسلامية بين طبقة الذهب وطبقة الفضّة بأسم أمير المؤمنين الخليفة وحاشيته من قوّاد الجيش ورؤساء السلطات المعينيين من قبله .. فتضاعفت المسافة بين طبقة الذهب والفضّة الضيّقة التي تمتلك كل السطات ومعظم الثروات وشريحة النحاس الواسعة والمسحوقة.

قال قيس: لعل ذلك بسبب ان الخليفة في الجوهر رئيس قبيلة يمسك بيده كل السلطات الروحية والمدنية.

قلت: احسنت يا عزيزي .. لم تمت روح البداوة والانتماء القبلي في الاسلام بل تعززت في دولة معاوية بن ابي سفيان الذي حكم وفق العرف القبلي دولة على الطراز البيزنطي .. ما تلى من تاريخ الدول الاسلامية والمذهب الرسمي للدولة هو تعتيم شبه كامل على طبيعة الدين الاسلامي التي تسمح بتنوع وديناميكية يتلون فيها الدين بصبغة المجتمع الذي يعيش وسطه دون تغيّر في جوهره. فالله في الاسلام هو الحق ، اي الحقيقة ، والحقيقة لها ما لا يحصى من الوجوه المتغيرة ، وهذا يعني ان الله متغيير في المظهر ثابت في الجوهر. وهذا ما كرهه الفقهاء الذين خشوا الانحراف عن الدين الرسمي واضمحلال سيطرتهم على عقول الجماهير ، ولم ترق للسلطات الحاكمة تلك الحرية التي يوفرها هذا التفسير للدين الاسلامي لأنه يسمح بحرية فكرية تتصدى عاجلاً ام اجلاً لسلطتهم الغير شرعية وتحاسبهم على اخطائهم بحق امّتهم. وبالرغم من تمكن حكّام وفقهاء الدولة الاسلامية من وئد الانفتاح الفكري وتحريم الفلسفة إلا ان عناصر من الفلسفة المثالية التي تعزز سلطتهم ، اضافة الى الكثير من الخرافات والمعتقدات اليهودية ، دخلت الى الاسلام وتوطدت في فكره منذ بدايته. كان اكبر مصدر للفكر المثالي هو من اهل البلدان المفتوحة في الشام والعراق من المسيحيين السريان الذين اصبحوا في صدر الاسلام جزء لا يستغنى عنه في ماكنة ادارة الدولة الاسلامية الناشئة واغنائها الحضاري بالترجمات من السريانية والاغريقية الى العربية. فمن الناحية السياسية قلّد مؤسس الدولة الاموية معاوية النموذج البيزنطي فحوّل الشورى الى ملكية وراثية معززة بشرعية دينية ، ثم اقتفى إثره ملوك الدولة الاموية ثم الدولة العباسية والعثمانية فكان الخليفة المسلم ند للامبراطور الروماني ، بيدة السلطة الدنيوية المطلقة ويدعمه كظل لله على الارض رجال الطائفة الدينية المعتَمدة رسمياً من الدولة. وعلى صعيد الفكر الديني فقد رفض الفقهاء كل ما يتعلق بالفلسفة ولكنهم تبنوا الاطروحة المثالية في تفسير القران والتشريعات الاسلامية ، فتغلغل بعض من الفكر المثالي حتى في الفكر الصوفي مما ادى الى اغراقه في تعليلات مثالية عن الخالق والوحي والنبوة.

قال الاستاذ بهنام: لم تختلف الدولة المسيحية الكاثولوكية عن نظيرتها الاسلامية فعند اعتناق الامبراطورية الرومانية المذهب الكاثوليكي اصبح الامبراطور هو رئيسها الديني ايضاً وبدأ بقمع وتصفية كل التيارات المسيحية المخالفة للكاثوليكية .. ثم انفصلت المؤسسة الدينية عن الدولة ولكنها بقت تحت امرتها .. ثم استفحل شأن الكنيسة فأصبحت السلطة الدنيوية تحت امرتها لفترة ثم انحسر تدخّل الدين في السلطة الدنيوية حتى تلاشى في عهد التنوير ثم الثورة الصناعية.

واصلت حديثي: لنستعرض الان بعضاً من جوانب الفكر المثالي في التراث الاسلامي الذي أدّى الى جمود عقائدي لا ينسجم مع ديناميكية التطور الاجتماعي البشري:

واجه الفقهاء الذين تشرّبوا بالفلسفة اليونانية مشاكل متعددة في تفسير التناقضات في القرأن وفي اقوال النبي وافعاله فاستخدموا تسويغات افلاطونية مثالية متعددة وطريقة الاستقراء والاستنتاج لحل التناقضات وحفظ قدسية الدين بالطريقة التي يفهمونها.

سأل سمير: استاذ ما هو الفكر المثالي وما هي طريقة الاستقراء والاستنتاج؟

قلت: المثالية هي الفلسفة القائلة بأن حقيقة الكون هي عقل مفكّر فعّال والعالم المادي ناتج عرضي غير كامل منه .. أفلاطون يتصور وجود عالم عقلي مثالي قوامه أفكار ونماذج هندسية ورياضية مطلقة الكمال .. وما يشبه ظل عالم الفكر هو العالم المادي المحسوس والغير كامل .. اما طريقة الاستنباط والاستقراء فهي الطريقة التي نستخدمها لحد اليوم في استخراج معارف جديدة ولكن طريقتنا اليوم مدعومة بالملاحظة الحسّية والتجربة بينما أعتمد فقهاء الدين على النص الديني فقط .. باستخدام الاستنباط يمكننا الحصول على معلومات خاصة من معلومة عامة .. مثل كل البشر هالكون (معلومة عامة) ، افلاطون من البشر ، إذاً افلاطون هالك (معلومة خاصة بأفلاطون) .. وبالاستقراء نحصل على المعلومة العامة من المعلومة الخاصة مثل تلك النار أحرقت يدي ، إذاً النار (بشكل عام) تحرق.

قال صديقي: الدين الاسلامي كما هي الحال مع كل الاديان أداة لأسناد السلطة الغاشمة بقوة غيبية تسيطر على النفوس بالعقيدة الفكرية بينما عساكر الحاكم تسيطر على النفوس بالقوة الفعلية .. الدين من صنع البشر انفسهم لذلك تجد فيه اخطاء البشر والقرأن لا يشذ عن ذلك وفيه ما لا يحصى من الاخطاء.

قلت: سوف لا اتطرق لما ذكره صديقي عن أخطاء القرأن بل في المشاكل التي واجهت فقهاء المثالية وكيف كان حلها عندهم .. وما فقه الاسلام اليوم إلا نتيجة ذلك .. ثم أبحث في امكانية التخلص من الفكر المثالي للخروج بأسلام انساني معاصر .. إسلام تطمئن به قلوب المؤمنين الحقيقيين الذين احترمهم.

قال الاستاذ محمد موجهاً كلامه الى صديقي: أنا افهم ما تقصد ولكن أخطاء القرأن اللغوية والتاريخية لم تؤدي الى التشريعات المجحفة التي صدرت عن الفقهاء والمشرعين.

قلت: هذا ما كنت اقصده انا ايضاً .. لنرجع الى المشاكل التي واجهت فقهاء المثالية وكيف كان حلّها عندهم:

1. بشرية النبي والعصمة

- الله في الفكر المثالي هو الحقيقة المطلقة الكاملة وهو خالق الطبيعة الحيّة والغير حيّة وكل مخلوق بالضرورة غير كامل

- القرأن كتاب الله وفيه الحقيقة المطلقة الكاملة
- النبي بشر .. فكيف يوحى الكامل الى الغير كامل والمعرّض للخطأ؟
- الحل: وحي الله الكامل في انسان معصوم من الخطأ.

2. النسخ في ايات القران يقضي على التناقض

- النسخ هو ابطال احكام أيات تتقدم عليها زمنياً .. يرى المشرع والفقيه المتشرّب بالفكر المثالي ان القران هو كلام الله ، فهو إذن الحق والحقيقة المطلقة والكاملة الصالحة بكليتها لكل زمان ومكان.
- كيف يكون القران حقيقة مطلقة كاملة وفية ايات متناقضة ، من مثل الايات التي جاءت في اليهودية والمسيحية وايات التي جاءت في الخمر.
- الحل: وضع القران في إطار زمني وقال بنسخ الآية الاخيرة للايات المشابهة السابقة.

3. حقيقة الاحداث والقصص في القرأن

- كل ما في القران هو كلام الله وهو الحقيقة المطلقة.
- في القران ادم وحواء ، قصص الانبياء ، اهل الكهف ، الطير الابابيل
- الحل: هي في القرأن فهي حقائق.

4. ما أدخل على الاسلام من اليهودية

- كثير من الطقوس التشريعات الاسلامية مستمدّة من اليهودية مثل الزكاة والصلاة خمسة اوقات وتحريم لحم الخنزير.
- ختان الذكور ، حجاب المرأة في اليهودية
- الحل: الختان وحجاب المرأة يصبح في الاسلام لأن اليهود والعرب هم ابناء ابراهيم الذي شرّع الختان والحجاب تسنده ايات تمّ تأويلها واحاديث نبوية.

اعترض السيد حسين: الصلاة الاسلامية شرّعها القرأن فكيف تقول انها مأخوذة من اليهود؟

قلت: لقد ناقشنا هذا الموضوع سابقاً ولكي أذكّرك .. لم يذكر القرأن عدد الصلوات بل ذكر أهمية المحافظة عليها وخاصةً الصلاة الوسطى "حافضوا على الصلوات والصلاة الوسطى" .. ذكر ان عددها ثلاثة كما أتذكّر .. ولكن لم يذكر كيفيتها في السجود والاعتدال والقيام بل ذكر ان على المؤمنين القيام بها في اوقاتها المحددة ولم يذكر ما هذه الاوقات "إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتا" .. صلاة اليهود (تيفيلا) في الصبح والعصر والمساء وصلاتين عند القيام من النوم صباحاً وقبل النوم في الليل تسمى يشماع (أسمعي) لأنها تبدأ ب أسمعي يا أسرائيل .. يشماع ها اسرائيل .. أعتقد آن الأوان لأخذ استراحة قصيرة بينما أتركوكم لتشاهدوا هذين الفديويى على حاسوبي للصلاة اليهودية.

تبرع قيس هذه المرة بالشايات وأخرج من كيس كان يحمله كيكية وضعها على الطاولة وقال: هديّة من صنع الوالده

https://www.youtube.com/watch?v=0aHWASyMjwg

https://www.youtube.com/watch?v=YCIqv03NQ6k

محادثات فلسفية مع صديقي (23)

المحادثة الثالثة والعشرون - الإسلام 4:

بعد نصف ساعة من فترة الاستراحة أجتمع الاصدقاء حولي فبدأت حديثي بالقول: الغرض من كل محاضراتي المتعلقة بالدين .. او الاصح تاريخ الدين وفلسفته هو ليس الطعن بالدين وتسفيهه على انه مجرّد خرافات رافقت الانسان البدائي قبل وبعد نشوء الحضارة الانسانية ولا اللجوء الى تبريرات غير عقلانية وغيبية لأعمال شخصياته الرئيسة وما في كتبه المقدّسة .. فلا يمكن لأي باحث اهمال الاثر العميق للفكر الديني في الحضارة الانسانية والذي لايمكن ان يكون مجرّد خرافات واساطير اختلقها الانسان البدائي .. ومن جهة اخرى لا يمكن اليوم لأي عاقل ان يقبل بالخرافات والاساطير الدينية على انها حقيقة .. انا احترم وأدافع عن المؤمنيين ، بغض النظر عن انتمائاتهم الدينية والعقائدية ، الذين يرون في الدين جوهر إنساني روحي تطمئن له نفوسهم .. ولكني لا أتوانى عن كشف زيف من يرون في الدين وسيلة للهيمنة على اقدار الناس سواءاً تحت ظل الدولة الثيولوجية كما في بدعة ولاية الفقيه في جمهورية إيران الاسلامية أو لغرض الكسب المادي وتضليل الناس وحرفهم عمّا ينفعهم في حياتهم .. لقد بينت في محاضرة سابقة عن المسيحية كيف شُوّهت مفاهيم ومعتقدات المسيح الثوري لكي تخدم المصالح السياسية للدولة الرومانية فوجدت ان المسيحي المؤمن ، اشرت الى الاستاذ بهنام ، قد تقبّل ذلك.

رد الاستاذ بهنام: لا بل زاد احترامي وتقديري لهذا المسيح الثوري.

تابعت حديثي: كذلك سوف أكشف بطلان الكثير من التشريعات الاسلامية التي حجبت اللب الروحي للدين وشوهته فيكون بوسع المؤمنين الحقيقيين ، اشرت الى السيدين خالد وحسين ، أن يزيلوا كل الشكوك والشوائب عن إيمانهم الذي ينسجم مع الانسانية والحداثة .. سوف اتناول في القسم الثاني من محاضرة اليوم ما طرحته في القسم الاول من تفسيرات وتبريرات فقهاء المثالية وأبيّن بطلانها من خلال منطق القرأن نفسه وما ورد فيه من ايات.

في ما يتعلق بعصمة النبي محمد

- "قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا" 110 سورة الكهف .. يؤكد الله في هذه الاية بشرية محمد فهو كباقي البشر يخطئ ويصيب في تعامله مع الاحداث والمجتمع .. ويعاتبه في سورة عبس لعبوسه في وجه الاعمى الذي جاءه يطلب قراءة شئ من دعوته عليه بينما كان هو مشغولاً مع رجال مهميّن من قريش ، "عبس وتولى إن جاءه الاعمى". وفي آية اخرى يعاتب الله النبي لقبوله بفداء اسرى من معركة بدر "مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآَخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ" 67 الأنفال.
- ويترتب على بطلان عصمة النبي بطلان كل الحجج عن عصمة آل البيت من الأئمة .. والآيات القرأنية التي يأتي بها الشيعة من مثل "إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا" لا تعني اكثر من ان الله قد طهّر اهل بيت النبي ، علي وفاطمة والحسن والحسين ، مما يدنّس الدين .. انتبه هنا آل البيت اي اهل البيت الاحياء وليس احفادهم!
- لقد أكّد النبي ان آرائه وافعاله كبشر قابلة للنقاش والنقد فكثير ما كان يأخد بالرأي الاصوب ممن هو أعلم منه في موضوع معين .. لذلك كره تدوين احاديثه خشية ان يختلط الصحيح

والخطأ من اقواله وافعاله بالقران فنهر مدونيي سنّته "لا تكتبوا عني ومن كتب عني غير القرآن فليمحه وحدثوا عني ولا حرج ومن كذب علي أحسبه قال متعمدا فليتبوأ مقعده من النار" .. تؤكد على صحة هذا الحديث كافة المصادر الاسلامية وهو واحد من ثمان احاديث فقط تأكد من صحّتها الامام ابو حنيفة .. وهذا الحديث المؤكدة صحته يدعو بصراحة الى الاعتماد على القران فقط في امور الدين.

- يترتب على بشرية محمد المعرّض للخطأ في اقواله وافعاله موضوع خطير هو ما حاول فقهاء المثالية تجنّبه وذلك ان النبي معرّض للخطأ حتى في فهمه وتلاوته للوحي الالهي وأكبر دليل على ذلك هو ما يعرف بالايات الشيطانية التي يقال ان النبي تفوّه بها.

اعترض السيد خالد قائلاً: ولكن تلك اكاذيب ودعايات معادية للنبي فالقرأن واياته محفوظة لا يمكن التلاعب بها بقدرة الله العلي القدير "إنّا نحن نزّلنا الذكر وإنّا له لحافظون" .. "ما فرّطنا في الكتاب من شئ".

قال الاستاذ بهنام: سمعت قبل سنيين عديدة عن كتاب "آيات شيطانية" للكاتب الهندي الاصل والبريطاني الجنسية سلمان رشدي .. كانت هناك ضجّة كبيرة أُثيرت حوله ومظاهرات مهددة بقتله في كل البلدان الاسلامية وفي بريطانيا بعد كفيره وهدر دمه من قبل الامام الخميني وأئمة السنّة ايضاً .. في الحقيقة انا لم اطّلع على الكتاب ولكن احد اقربائي في بريطانيا قرأه وقال لي ان فيه مجموعة من القصص الخيالية التي تدور حول تلك الايات وبيت دعارة في مكة فيه نساء لهم اسماء زوجات النبي الاثنى عشر .. حتى انا كمسيحي لم استسيغ ذلك واعتبرته تعدّي على دين يعتنقه ملايين البشر .. ولكن هذه بريطانيا .. بلد الحرية والديمقراطية .. حتّى المسيح والملكة اوأي شخص مهما على شأنه او قديسته مسموح بنقده واهانته ما دام ذلك لا يمس التعدّي على الحقوق المدنية للمواطنين.

قال السيد خالد: إن هذا الكلب الحقير يستحق القتل ليكون عبرة لمن اعتبر.

قال صديقي: وهل قتله سيحل المشكلة ويمحو ذكر تلك الايات من كتب التاريخ؟

سأل سمير: ولكن ماهي هذه الآيات؟

قلت: تؤكّد ذكر النبي لهذه الايات كتب المؤرخين الاسلاميين واليك بعض ما قيل في تفسير هذه الآية في "الفخر الرازي" ج 6 ص 244
«أن رسول الله لما رأى إعراض قومه عنه ، شقَّ عليه ما رأى من مباعدتهم عما جاء به ؛ فتمنَّى أن يأتيه الله بشيء ما يقارب بينه وبينهم لحرصه على إيمانهم. فجلس ذات مرة في ناد من أندية قريش ، وجلس معه كثيرون من أبناء قريش ، وأحبّ يومئذ ألاَّ يأتيه من الله شيء ينفر منه ، وتمنى ذلك فأنزل تعالى سورة النجم فقرأها حتى بلغ "أفرأيتم اللاّت والعزى ومناة الثالثة الأخرى" ألقى الشيطان على لسانه {تلك الغرانيق العُلى إن شفاعتهن لترجى}. فلما سمعت قريش فرحوا، ومضى رسول الله في قراءته فقرأ السورة كلها، فسجد وسجد معه المسلمون والمشركون، وتفرَّقت قريش وقد سرَّهم ما سمعوه، وقالوا قد ذكر محمد آلهتنا بأحسن الذِّكْر. فلما أمسى الرسول أتاه جبريل فقال ماذا صنعت لقد تلوت على الناس ما لم آتيك به من عند الله ، فحزن الرسول حزناً شديداً وخاف من الله خوفاً عظيماً حتى نزل قوله تعالى في (سورة الحج 52:22)) "وما أرسلنا من قبلك من رسول أو نبي إلاّ إذا تمنى فألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقى الشيطان".

قال صديقي: يترتّب على ذلك موضوع خطير ولكنه يحل معظم مشاكل الدين الاسلامي ليس من خلال بشرية محمد المعرضّة للخطأ فقط بل بامكانية تعرض القرأن نفسه للخطأ والتحريف.

قال الاستاذ محمد: سأذكر ما قرأته قبل فترة وكنت متردداً في ذكره .. عندما كان العمال يرممون حائط في المسجد الكبير في صنعاء سنة 1972 وجدوا مخطوطات قديمة فوضعوها في اكياس بطاطا وخزنوها حتى جاء من ادرك اهميتها سنة 1979 لأن فيها مخطوطات قرأنية تعود الى سنة 70 هجرية .. فسمح لبعثة مستشرقين المان بترميمها وفرزها وقام هؤلاء بذلك حتى سنة 1996 .. المهم في ذلك هو ان هذه المخطوطات تثبت ان القران قد تغيير عبر التاريخ فتحول بفعل الحفظة والناسخين من قرأن بكلمات غير منقّطة قد تعطي معانٍ مختلفة كلّياً الى القرأن المعروف اليوم.

سأل صديقي: ولماذا حُفظت هذه المخطوطات كل تلك الفترة ما دام فيها ما يختلف عن قرأن اليوم .. لقد امر الخليفة عثمان كما اعتقد بحرق كل ما يخالف النسخة المعتمدة من القرأن فلماذا بقيت هذه النسخ من دون حرق؟

قال الاستاذ محمد: لعل الذين كان بعهدتهم جمع والتخلّص من تلك المخطوطات المخالفة للقرأن المعتمد خشوا حرقها او إتلافها لأن فيها ذكر اسم الله فوضعوها في مكان خفي وبنوا عليها جدار.

قلت: اعتقد ان هذه المسألة قد تم اشباعها بما يكفي .. لننتقل الى المسألة التالية

مسألة النسخ في ايات القران

- قلت: يقول الفقهاء ان النسخ هو ابطال احكام أيات تتقدم عليها زمنياً .. ويتطلب ذلك وضع القران في إطار زمني ونسخ الآية الاخيرة للايات المشابهة السابقة .. وبذلك ناقض الفقيه المنطق الذي وضعه بنفسه فهو من جهة يدّعي ان القران أزلي صالح لكل زمان ومكان ، اي انه خارج اطار الزمن ، ومن جهة اخرى يضع آياته في اطار زمني فتنسخ اخر آية ما كان قبلها زمنياً بما يخص نفس الموضوع .. ألفقيه ارتكب خطيئة دينية كبيرة بأهماله عن قصد الآية التي تقول بعدم النسخ " ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير" البقرة – 106.

قال السيد حسين: رجل الدين الذي استشرته حول هذه الآية قال ما معناه ان ما ننسخ يراد بها الاثبات .. لم افهم هذا!

- قلت: هذا هراء فمعنى الاية واضح ولا ينفع تبرير العكس لأستأصال الايات المتناقضة بحيلة النسخ .. ولكن لكلمة نسخ معنى آخر هو النقل .. تقول مثلاً نسخت الكتاب .. في هذا الشارع الكثير ممن يملكون آلة للنسخ (photocopier) ..

قاطعني السيد خالد: هذا التفسير يحل اشكالية كبيرة عند المسلم .. النسخ بمعنى النقل .. يقول سبحانه وتعالى ما نسخنا اي ما نقلنا حرفياً من آيات الكتب السماوية من قبلنا بل جئنا بأحسن منها.. لعنتة الله على الفقهاء .. ردد السيد حسن ايضاً: لعنة الله على الفقهاء.

تسائل سمير: هل بأمكانك إعطاء مثال على ذلك .. رفع السيد خالد رأسه الى أعلى في محاولة لتذكر دليل من القران ولكن السيد حسين عاجله بالقول: اي نعم .. تتذكر المقاطع من التوراة التي ذكرها استاذ موفق عن النبي إبراهيم والتي جعلت منه .. استغفر الله .. سمساراً يبيع شرف زوجته سارة .. هز الجميع برؤوسهم مؤيدين .. واصل جديثه: القران جاء بقصه أحسن منها خاليه من هذه الترهات المخلة بالشرف.

واصلت حديثي: إن نهج الفقهاء المثالي في التشريع والتفسير يؤكد صحة كل التهم التي نسمعها عن الاسلام ، لأن النسخ ابرز القرأن في صورة دموية غير متسامحة. فالايات المدنية المتأخرة هي بصورة عامة غير

الايات المكية المتسامحة .. الايات المدنية القاسية جاءت والدعوة الاسلامية كطفل يحبو في ظل ظروف قاسية متحديةً جبابرة الاعداء الداخليين والخارجيين .. وهي الايات التي استخدمها ابن تيمية الذي عاش في ظل تدهور وضع الامة الاسلامية من حروب الصليبيّن وغزو المغول للبلاد الاسلامية .. ولجأ صاحب الوهابية محمد بن عبد الوهاب الى التبريرات الفقهية لأبن تيمية .. ويلجئ اليها اليوم التيار السلفي المتشدد لتشريعات هؤلاء لتبرير اعمالهم الوحشية .. تلك الايات لا تنسجم مع روح العصر .. عصر الديمقراطية والتقدم العلمي والتكنولوجي .. نأتي الان الى

حقيقة الاحداث والقصص في القرأن

- في رأي فقهاء المثالية ان القرأن هو كلام الله وكل ما فيه هو حقيقة مطلقة .. ادم وحواء ، قصص الانبياء ، اهل الكهف ، الطير الابابيل .. هم في القرأن فهم حقائق لا يرقى شك في وجودها .. قصة ادم وحواء موجودة بشكل مفصّل في التوراة ولعل اليهود نقلوها من التراث البابلي ثم حوّروها من ثم انتقلت من التوراة الى القرأن .. امّا قصص الانبياء فهي كذلك منقولة بشكل مبتسر من التراث اليهودي وفيها الكثير من الاختلافات التي اثارت اعتراضات اليهود وسخريتهم في بعض الاحيان .. ويمكنني القول ان القرأن هذّب تلك القصص فرفع كل ما يشين من افعال واعمال ابراهيم ولوط والباقي من الانبياء التوراتيين ولكنه جعل من مريم اخت موسى وهارون نفس مريم ام المسيح والفرق بينهما في حدود 600 سنة! .. اما قصة اهل الكهف فهي قصة كتبها راهب مسيحي لتعبّر عن حفظ الله للثابتين على ايمانهم وتدور احداثها حول جماعة من المسيحيين رفضوا التخلي عن دينهم قبل تحوّل الامبراطورية الرومانية الى المسيحية فحفضهم الله في كهف وأفاقهم ليعيشوا في زمن صارت المسيحية فيه دين الامبراطورية .. اما قصة الطير الابابيل فيقال هي نسبة الى مدينة ابابيل قرب نينوى التي اشتهرت بكثرة الطيور فصارت الطيور تُعرف بهذا الاسم في الحضارات العراقية القديمة وكان الآشورية يعتقدون أن أسراب من الطيور المقاتلة تشارك في المعارك و تساهم في رمي الحجارة على الأعداء وإلقاءها على رؤوسهم .. وهكذا يمكن ارجاع الكثير من الاحداث التاريخية والقصص الى تراث حضارات قديمة .. وقد يكون فيها بعض الصحة ولكن اغلبها مختلق.
- في الحقيقة ... لم يدّعي القرأن ان تلك الاحداث والقصص حقيقة بل ان الاية 3 من سورة يوسف " نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ " تؤكّد ان الله يذكر في القرأن قصصاً ... وكلنا يعرف ان في القصّة الكثير من الخيال ولو ان فيها بعض الاحيان شئ من الحقيقة .. فليس هناك مبرر لخوف المسلم من ارتكاب الخطيئة الدينية إن قال انها مجرّد قصص جاءت للموعظة وبذلك يكون متقدّماً على بعض اليهود والمسيحيين الذين يؤمنون بحقيقة كل ما جاء في التوراة حرفياً.

قال الاستاذ بهنام: تجدهم في بعض المدن الامريكية ولعل بعضهم في الدول الاوربية ايضاً ويسموّهم "Creationists" اي الخلقيين لانهم يؤمنون ان الله خلق العالم والاحياء كما جاء بالتوراة ويقولون ان عمر الانسان على الارض لا يتجاوز 6000 سنة وذلك من خلال حساب عمر آدم وذريته حسب ما جاء في التوراة.

قلت: المسألة الاخيرة التي سأطرحها تتعلق

بما أدخل على الاسلام من اليهودية

- قلت ان الكثير من الطقوس والتشريعات الاسلامية المستمدّة من اليهودية مثل الزكاة والصلاة خمسة اوقات وتحريم لحم الخنزير تم ذكرها في القرأن ولكن الختان وحجاب المرأة بمعني غطاء رأس

المرأة لم يتم ذكرهم في القرآن ولم اجد لهم تبريراً واضحاً في القرأن وما يعرف بالسنّة النبوية .. فهي إذن من اختراع الفقهاء .. سألت امّي مرّة هل النبي مطهّر ، اي مختون ، فقالت بقدرة الله ولدته امّه مطهّر .. سألتها وماذا عن ابو بكر وعمر وعثمان وعلي .. نظرت إليّ بأستهجان وقالت شمدريني ، اي كيف اعرف ، قابل .. استغفر الله .. كاشفة عليهم ! .. من المؤكد عندي ان الرعيل الاول من المسلمين لم يعرف الختان الذي كان مقتصراً على يهود شبه الجزيرة العربية ولا اعلم متى اصبح من الطقوس الاسلامية الملزمة.

- لقد كان الختان عادة منتشرة بين الشعوب السامية قبل اليهودية ثم اصبح في اليهودية تشريع يقصره على اليهود .. الختان حسب الرواية التوراتية هو علامة عهد إله لأبراهيم وأتباعه ان يعبدوه ويطيعوا شرائعه فيعطيهم الارض الموعودة في فلسطين .. وذلك كما جاء في سفر التكوين 17

1 وَلَمَّا كَانَ أَبْرَامُ ابْنَ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ سَنَةً ظَهَرَ الرَّبُّ لأَبْرَامَ وَقَالَ لَهُ: أَنَا اللهُ الْقَدِيرُ. سِرْ أَمَامِي وَكُنْ كَامِلاً،

2 فَأَجْعَلَ عَهْدِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ، وَأُكَثِّرَكَ كَثِيرًا جِدًّا.

3 فَسَقَطَ أَبْرَامُ عَلَى وَجْهِهِ. وَتَكَلَّمَ اللهُ مَعَهُ قَائِلاً:

4 أَمَّا أَنَا فَهُوَذَا عَهْدِي مَعَكَ، وَتَكُونُ أَبًا لِجُمْهُورٍ مِنَ الأُمَمِ،

5 فَلاَ يُدْعَى اسْمُكَ بَعْدُ أَبْرَامَ بَلْ يَكُونُ اسْمُكَ إِبْرَاهِيمَ، لأَنِّي أَجْعَلُكَ أَبًا لِجُمْهُورٍ مِنَ الأُمَمِ.

6 وَأُثْمِرُكَ كَثِيرًا جِدًّا، وَأَجْعَلُكَ أُمَمًا، وَمُلُوكٌ مِنْكَ يَخْرُجُونَ.

7 وَأُقِيمُ عَهْدِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ، وَبَيْنَ نَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ فِي أَجْيَالِهِمْ، عَهْدًا أَبَدِيًّا، لأَكُونَ إِلهًا لَكَ وَلِنَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ.

8 وَأُعْطِي لَكَ وَلِنَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ أَرْضَ غُرْبَتِكَ، كُلَّ أَرْضِ كَنْعَانَ مُلْكًا أَبَدِيًّا. وَأَكُونُ إِلهَهُمْ.

9 وَقَالَ اللهُ لإِبْرَاهِيم: وَأَمَّا أَنْتَ فَتَحْفَظُ عَهْدِي، أَنْتَ وَنَسْلُكَ مِنْ بَعْدِكَ فِي أَجْيَالِهِمْ.

10هذَا هُوَ عَهْدِي الَّذِي تَحْفَظُونَهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ، وَبَيْنَ نَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ: يُخْتَنُ مِنْكُمْ كُلُّ ذَكَرٍ،

11فَتُخْتَنُونَ فِي لَحْمِ غُرْلَتِكُمْ، فَيَكُونُ عَلاَمَةَ عَهْدٍ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ.

12اِبْنَ ثَمَانِيَةِ أَيَّامٍ يُخْتَنُ مِنْكُمْ كُلُّ ذَكَرٍ فِي أَجْيَالِكُمْ: وَلِيدُ الْبَيْتِ، وَالْمُبْتَاعُ بِفِضَّةٍ مِنْ كُلِّ ابْنِ غَرِيبٍ لَيْسَ مِنْ نَسْلِكَ.

13يُخْتَنُ خِتَانًا وَلِيدُ بَيْتِكَ وَالْمُبْتَاعُ بِفِضَّتِكَ، فَيَكُونُ عَهْدِي فِي لَحْمِكُمْ عَهْدًا أَبَدِيًّا.

14وَأَمَّا الذَّكَرُ الأَغْلَفُ الَّذِي لاَ يُخْتَنُ فِي لَحْمِ غُرْلَتِهِ فَتُقْطَعُ تِلْكَ النَّفْسُ مِنْ شَعْبِهَا. إِنَّهُ قَدْ نَكَثَ عَهْدِي.

- خلاصة القول أن العرب قبل الاسلام لم يعرفوا الختان والقرأن لم يفرضه بتشريع على المسلمين بل أنه اصبح تشريعاً فرضه الفقهاء في وقت ما بعد بداية الاسلام فيمكن بهذا الحالة اهمالة من دون إخلال المسلم بإسلامه.
- أما ما يخص الحجاب بمعنى غطاء لرأس المرأة فقد كان من التقاليد الاجتماعية الشائعة عند الشعوب السامية وذلك لتمييز المرأة الحرة عن العاهرة او الجارية ومن الجدير بالذكر ان القانون الآشوري يعاقب العاهرة التي تتحجب بعقوبة بدنية إضافة الى الجلد. .. وعندما رأى الخليفة عمر جارية محجّبة ضربها بعصاه وقال لها ألقي القناع لا تتشبهين بالحرائر.
- ولم يرد الحجاب في القرآن بمعنى غطاء رأس المرأة كما هو واضح من الاية 53 من سورة الاحزاب "ياايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم.......... واذا سالتموهن متاعا فاسئالوهن من وراء حجاب ..." ... أسألكم بالله ماذا تفهمون من هذه الاية ... بعيداً عن تفسيرات الفقهاء؟

قال السيد حسين: الحجاب في هذه الاية بمعنى الساتر بين من هو خارج الدار وداخله .. لعل العرب في ذلك الوقت يضعون ساتراً من القماش على باب الدار ، اي ما نسمية بالعراقي پرده.

ضحك الاستاذ بهنام وردد: "يا ايها الذين امنوا" يبدوا من هذه الاية ان الحجاب هو للرجال "فاسئالوهن من وراء حجاب" ، شاركنا كلّنا بالضحك وعلّق الاستاذ محمد وهو يمسك بيد زميله بهنام: لعد كل هالوقت كنّا فاهمين غلط .. لعنة الله على الفقهاء.

قال السيد خالد: هذه الاية تخص نساء النبي وبما انهن بعرف الاسلام امهات المؤمنين فهذا ينطبق على كل النساء المسلمات ايضاً .. الحجاب يعني ما تم ذكره بالقرأن الكريم واصبح معناه الان غطاء رأس المرأة .. ولكن الحجاب هو من الستر والله يأمر المؤمنات بالستر والحشمة كما في الاية 31 من سورة النور "وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن .. ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها .. وليضربن بخمرهن على جيوبهن .. ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن او ..." .

قلت: وكذلك فأن نفس الكلام موجّه الى الرجال كما في الاية 30 التي تسبقها "قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم .." فعليه أن الستر والحشمة مطلوبة من الرجال والنساء على حد سواء ولاعلاقة له بغطاء راس المراة او شعرها.

سأل سمير: وما المعني ب "ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها" وفي مقطع اخر من الاية "ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن "؟

قلت: المعنى بالاولى هي الزينة الخارجية كالاقراط والمحابس والاصباغ .. والمعني بالاخرى هي الزينة الداخلية .. مثل .. مثل الملبس الداخلي المغري.

قال السيد خالد: أليس القصود "وليضربن بخمرهن على جيوبهن" هو التحجب؟

اجاب الاستاذ محمد: كلا .. الله يامرهن بتغطية "جيوبهن" بالخمار .. اي فتحة الصدر وليس الشعر او الراس او الوجه .. كل ما قيل عن الحجاب هو من أبتداع الفقهاء وتلفيقاتهم على القرأن وعلى الناس .. لعن الله الفقهاء.

تسألتُ: هل في عوائلكم محجّبات؟

قال الاستاذ بهنام: زوجتي تضع غطاء الرأس عندما نذهب الى الكنيسة.

قلت: هذا مفهوم لانه من ظمن التعاليم المسيحية تغطية شعر المرأة في بيت الرب .. وهو تشريع توراتي مُلزم للمرأة اليهودية خارج بيتها.

قال قيس: رأيت فديو لنساء محجبات بشكل كامل في اسرائيل كنت اظنهم مسلمات ولكن تبيّن لي انهم يهوديات.

قلت: لقد شاهدت هذا الفديو ايضاً وهي ليهوديات من فئة متشددة ... كثير ما ترى نساء يهوديات بغطاء رأس ولكن ليس بالشكل المبالغ به كما في نساء هذا الفديو.

قال الاستاذ بهنام: طريقة وضع الطرحة على الرأس عندهم تختلف فالطرحة تلف الشعر وتُشد خلف الرأس بينما يكون شدّها من تحت الذقن عند المسلمات .. ، عاود الحديث والابتسامة تملأ وجهه ، بعض نسائهم الملتزمات دينياً يضعون باروكة من الشعر على رؤوسهم .. تلك حيلة شرعية بأمتياز.

قال السيد خالد: زوجتي وبناتي الآن محجبات .. لم يكونوا هكذا.

قال السيد حسين: زوجتي كانت تلبس العباءة التقليدية .. نزعت العباءة الجميلة ولبست الحجاب القبيح.

قال صديقي: أحمد ربّك انها لا تلبس الحجاب وفوقها العباءة كما تفعل نائبات البرلمان المنافقات.

قال السيد خالد: مضاهر التديّن المبالغ بها والمشاركة بالطقوس والعزاءات الحسينية امام عدسات التلفزيون لا تمحي مفاسدهم وسرقاتهم من ذاكرة الناس .. الويل لهم وان غداً لناظره قريب.

قال قيس: لم يجبر والدي أمّي واخواتي على لبس الحجاب بل أصرّوا هم على ارتدائه .. قالوا نفعل كما تفعل الناس .. انا لا افهم لماذا يقلّدون الاخرين ويضحّون بحقوقهم المشروعة!

أردت ان انهي المحاضر فقلت: في سلسلة محاضراتي التي استمعتم اليها مشكورين ذكرت لكم خلاصة دراساتي واستنتاجاتي في موضوع الدين .. وقد ساهمتم انتم ايضاً بقسط كبير في إغنائها .. اترككم لكي تفكروا بما ذُكِر في المحاضرات ومساهماتكم لكي تخرجوا بنتيجة حول دور للدين يتلائم مع حياتكم واتمنى ان تكون هذه النتيجة منسجمة مع المنطق العقل وروح العصر .. اعتقد أن الوقت قد حان لأنهاء المحاضرة ...

إنبرى السيد خالد وقال معترضاً بصوت مرتفع: لا .. لا يمكن ان ننهي جلستنا اليوم من دون ان نخرج بنتيجة .. لقد حطّمت في محاضرات صرح كل ما كنّا نتمسّك به على إنّه اسلام .. كنّا نقول ان الله كرّمنا بالاسلام وندافع عنه بكل جوارحنا .. نهاجم من ينتقده ونقول عنهم كفرة .. ونعلم في دواخلنا أن ما فيه لا ينسجم مع العقل ولا الانسانية .. لا .. لا يمكن ان نترك الموضوع دون نتيجة .. لا يمكن ان نهدم بيتاً يلتجئ اليه الناس دون ان نبني البديل .. او نضع اللبنات الاولى في اساس متين .. ساد صمت لفترة قصيرة تخللته نظرات حائرة تتلقّت بين السيد خالد وبيني.

قطع الصمت صديقي: كلامك صحيح عزيزي سيد خالد ولكن .. طال لقاءنا هنا .. أليس من الأفضل ان نلتقي في الأسبوع القادم في نفس الوقت لنكمل الموضوع .. لا تريد ان نناقش موضوع مهم على عجالة .. لننهي الجلسة اليوم ونستحمع افكارنا خلال الاسبوع لنطرحها في اللقاء القادم .. ماذا تقولون، ساد صمت قاطعه السيد حسين: كلام معقول .. إذن نلتقي الاسبوع القادم إنشاء الله.

محادثات فلسفية مع صديقي (24)

المحادثة ألرابعة والعشرين - الإسلام 5:

وصل صديقي الى داري الساعة 9:10 من يوم 2019/3/22 وكان معه في المقعد الخلفي للسيارة سمير وقيس .. ركبت السيارة وسلّمت على الجميع بعد إستقراري في مقعد المقدمة .. جالت في فكري تساؤلات كثيرة بينما كان صديقي يسرع الى منطقة الميدان للقاء باقي الاصدقاء في المقهى .. تسائلت مع نفسي .. هل لنسخة أسلام القرون الغابرة التي تعم العالم الاسلامي اليوم ان تتغير الى أسلام معاصر يحتفظ بروح الدين ولكنه ينأى عن التكفير والعنف والتعالي على المختلف وعن الطائفية المقيته أم إننا فعلاً لم نعد بحاجة الى الاسلام وكل الاديان الاخرى كما يردد ذلك صديقي دائماً؟ أخرجت من حقيبتي قلم وورقة وبدأت اسطّر رؤوس الاقلام حول رؤيتي للأسلام المرتجى بينما كان صديقي يلقي نظرات متسائلة بين الفينة والاخرى وهو يسوق عجلته من دون ان ينبس بكلمة...

التمّ الجمع مرة اخرى في زاويتنا المعتادة في المقهى .. في شبه حلقة ليس فيها محاضر من جهة ومستمعين من جهة اخرى .. ساد صمت وجمود يترقّب من سيتكلّم اولاً حتى كسره صديقي بالقول: أقول بصراحة .. أنا لا أعترف بكل الاديان وأعتقد ان معظم مصائب البشرية هي بسبب صراعات دينية الظاهر سياسية الجوهر .. أقول بصراحة إن نبذي للدين لم يأتيني براحة البال لأنه لم يجيب على تساؤلات وجودية .. فأن لم تكن هناك حياة أُخرى فيها عقاب وثواب على ما اقترفت ايدينا في حياتنا .. ولمّا كانت حياتي ستنتهي الى الابد بموتي وموت كل ما أحمله من افكار وعواطف فما ضرورة الكفاح والتضحية من اجل الآخرين .. من اجل ذرّية ومن اجل اهل وقوم ووطن .. كل ذلك يصبح بلا معنى .. المنطق العقلي يزيّن لك سلوك الحياة البوهيمية .. لا ولد ولا تلد ولا مسؤوليات تحملها على ظهرك .. اتبعت في حياتي ما جادت به قريحة عمر الخيّام وحنجرة أم كلثوم

لا تشــغل الـــبال بماضي الزمان
ولا بـــآت العيش قبل الأوان
واغنم من الحـــاضـــر لـــــذاته
فلـــيس فى طبع الليالى الأمان

ولكن في لحضات من التأمل وانا أراقب العضافيرالتي تزقزق وهي تأوى الى اعشاشها على شجرة التين في بيتنا بدأعقلي نفسه بألقاء الشكوك الثقيلة على منطق عبثية الحياة .. هنالك تناقض لا افهمه .. العبثية هي اللامنطق فكيف أستنتج من اللامنطق منطق يقول بعبثية الحياة! .. لا يهمني ان يقول الناس عنّي ملحد .. او كافر .. طز بالناس جميعاً، تدارك فقال للجماعة، عفواً لم أقصد أحد منكم ولكن قول الناس لا يهمني .. هؤلاء المؤمنين بالخرافات وأنا أؤمن بالعلم والمنطق .. تذكرت قولاً لدستوفيسكي .. أنا اقول ما لا يجرؤ الناس على التفكير به .. هذا أنا .. ، أشار الّي بأصبعه وهو يتبسّم، مرّة قال لي موفق ان الملحد هو من يقول ان الحياة عبثية لا جود لهدف فيها وكلّما راجعت فكري تزعزعت قناعتي بعبثية الحياة .. فلا يمكن ان تكون الحياة محض صدفة وبلا هدف.

قلت: انت بدأت تشكك بعبثية الحياة والوجود كله لأن هناك دلائل عقليه تقودك لهذا الاستنتاج .. ولكن لا يوجد دليل علمي قاطع يطمئن له قلبك على ذلك.

واصل صديقي حديثه: حتى لو إن صدّقت بأن هناك هدف سامي في الحياة .. بل في الوجود كله ولكن لا يمكنني الايمان بحياة الآخرة .. ليس فقط لعدم وجود دليل قاطع عليها بل لأن ذلك يعني الإيمان بكل ما جاء في الدين من خزعبلات فهو من ضمن حزمة واحدة لا يمكن ان تختار ما يروق لك منها .. لا يمكنني ان أعبد إله لا يحتاج الى عبادتي لأنه كامل كما يقول الدين .. ولكنه يتصرف كطفل مدلل ولئيم .. يغار ويمكر وهو خير الماكرين فيضع غشاوة على الابصار ووقر في الآذان لكي لا يهتدي الكفرة .. نعم .. اعترف اني كنت على خطأ .. أنا مؤمن الان بأن الحياة ليست عبثاً ولها هدف يتعدّى حياتنا الشخصية المحدودة ولكنه قطعاً ليس من ضمن التصوّر الديني الساذج .. فما هو؟، يبدو ان صديقي الذي أقتنع بمنطق محادثاتي السابقة معه أراد ان أعيد بعض ما ذكرت حول موضوع الهدفية في الوجود على مسامع بعض من جماعتنا التي لم تطّلع عليه

قلت: الدماغ فيه عدد هائل من الخلايا العصبية .. كل خليّة عصبية تقوم بواجها المحدود ولا تعرف شئ اعقد من هذا الواجب المحدود ولكن الفكر والعاطفة تظهر من مجموع تركيبها المعقد والعمليات الكهرو-كيمياوية فيها ...

قال صديقي: فإذن .. حياتنا الشخصية المحدودة هي كحياة تلك الخلايا العصبية المفردة.

عاودت الكلام: هذا الصباح خطر ببالي تسائل .. ما الفرق بين الملحد والكافر .. وجدت جواباً معقولا من الانترنت على حاسوبي .. الإلحاد هو عدم الاعتقاد او الايمان بوجود الآلهة .. اما الكفر فهو مفهوم خاص بالاسلام وهنالك معنيان متداخلان له .. المعنى الدارج هو الكفر بالله وإنكار او جحود نعمته كما في الاية "وبنعمة الله هم يكفرون" (النحل 16: 72) ..

أشار السيد خالد الى صديقي وقال: أستنتج مما قاله الاستاذ موفق .. مع إحترامي الكبير .. أنّك كافر لأنك تنكر الإسلام ..

عاودت الحديث قبل ان يرد صديقي على السيد خالد: المعنى الثاني للكفر هو غطّى او ستر كالقول كفّر عن سيئاته .. واليهود يصومون ويحتفلون باليوم الذي تسلّم فيه النبي موسى الواح التوراة من الله وهو يوم كابور.. او يوم كافور الذي بأعتقادهم يمحي الله فيه سيئاتهم للعام الماضي.

علّق السيد حسين مستهزئاً: والله زين .. كل سنة افعل ما أشاء من الموبقات وفي يوم كافور يمحيها الله

قال صديقي: كلا المعنيين للكفر لا تنطبق عليّ .. أنا لا اقول بعدم وجود قوة عليا تسمونها انتم الله .. هذه القوة العليا موجودة ولكنها لا تتدخل في شؤوني ولا بشؤون البشر .. وانا لا أغطّي او أستر بل أكشف حقائق عن الدين وخرافاته، ضحك وهو يحاول ان يكمل مقولته، سمّوني ما تشاؤون عدا ملحد او كافر..

ساد صمت قصير قطعه قيس بسؤال لي: استاذ قلت ان الختان والحجاب ليس ملزماً في الاسلام ولكني وجدت ان المرأة في كثير من الاحيان تصر على الحجاب .. فعندما زرت مصر مع عائلتي علمت ان ختان البنات منتشر بشكل كبير وتشجّع عليه وتقوم بختان البنات الصغيرات نساء .. فما هو سر هذه القناعة الراسخة بما ينتقص من حقوقهم وانسانيتهم؟

قلت: دوافع الحجاب والختان متعددة ولكن ابرزها هو الدافع النفسي .. فكما يقول الكاتب التونسي العفيف الاخضر "الاشتراك في لباس شرعي واحد، أداء شعائر جمعية في وقت واحد.. تقدّم مثل هذه الممارسات

الجمعية للعصابي القلِق شعورا مطمئنا بالانتماء إلى الأمة .. يعطيه الانطباع بأنه لم يعد مجرد ذرّة ضائعة في المجتمع ولا كمّاً مهملا في حوليات التاريخ" .. ويقول ايضاً "ارتداء الحجاب عن قناعة راسخة هو ما أسماه السوسيولوغ بيير بورديو العنف الرمزي ، أي اقتناع الضحية برأي جلادها فيها؛ فتُسلّم بأن جسدها فعلا عورة، وأنها فعلا خائنة بالقوة، إذن، في حاجة إلى رادع شرعي حتى لا تمر من النية إلى الفعل، من الإغواء إلى الزنا" .. بل ان كثير من الفقهاء يقول ان جسد المرأة كلّه عورة ويجب تغطيته.

قال الاستاذ محمد: كلما زاد الفقيه من تشريعات لتغطية المرأة يبرز شئ آخر يثير غرائز الرجل الطبيعية ليشمل حتّى وقع اقدامها وهي تمشي بالحذاء ذو الكعب العالي فيلوم المرأة على إثارته وينبري الفقه الاسلامي الذي كتبه الرجال لتحريم لبسها للكعب العالي!

قال قيس: ولكن لماذا تصر بعض النساء على لبس الحجاب وعدم الخروج بدون محرم والمبالغة بمظاهر العفة إرضاءاً للرجل.

قال الاستاذ بهنام: يقول علم الاجتماع ان اللغة والمجتمع الانساني الاوسع من العائلة الواحدة خلقته المرأة التي كانت تجتمع مع الاخريات واطفالهم حول النار الموقدة بينما الرجل يسعى للصيد خارج القبيلة .. تكتسب المحافظة على المجتمع بما فيه من عادات عند المرأة اهمّية قصوى حتى لو كان ذلك على حساب مصالحها.

قلت: كل ذلك نتيجة التعصّب .. انا في الحقيقة أُرجع قضية التعصّب الديني الى تزعزع القناعة بمكّونات الهوية الشخصية .. الانسان عقل وجسد والعقل فكر يترسّخ أقدمه منذ الطفولة بمفاهيم ومعتقدات اجتماعية نبني عليها المزيد من المفاهيم والمعتقدات ونحن نكبر ... مكونات البناء الفكري للهوية الشخصية السليمة مترابطة وعندما يتصدّع البناء لضعف وعدم تجانس مكوناته مهدداً بأنهياره يلجئ الانسان الى ما يمكنه ربط البناء من الخارج بحزام قوي من المعتقدات الغير عقلانية ليوقف التصدّع الى حين .. بعد سقوط الدولة العثمانية الاسلامية لم تنجح الحكومات المتعاقبة ذات الايدولوجيات القومية والاشتراكية التي تلبس ثوب الحضارة الغربية من تحسين حياة الشعبوب المغلوب على امرها .. ولم تقوم بتقويم هوية وطنية تتبنّى الحقوق المشروعة للمواطن بغض النظر عن جنسه او لون سحنته او دينه او مذهبه .. تلك الهوية ستكون متجانسة تتماشى مع قيم الحضارة .. كانت النتيجة ان الشباب الضائع تلقّف ما جاد به فكر ومال دعاة الفكر الديني المتطرف ليملأ فراغ الهويتة المحطمة بهوية مزهوة بأنتمائها الى جماعة منغلقة على نفسها لها فكر وهدف واضح يقضي على الضياع والتشتت الفكري ولو على حساب القيم الانسانية.

قال صديقي: يجب مراجعة تلك المفاهيم والمعتقدات والتخلّص من اسوءها وإعادة البناء على اسس قوية .. ولكن ذلك يحتاج الى شجاعة تتحدى القيم البالية وما كنّا نقدّسه.

قال الاستاذ محمد: بل تحتاج الى المفكّر الصادق الشجاع الذي بوسعة تقديم البديل العقلاني ويصمد بوجه اعداء البديل.

قال الاستاذ بهنام: ما قاله الاستاذ موفق يذكرني ببعض ما أدرّسه في علم الاحياء .. بعض انواع الاحياء ذات الخلية الواحدة تلجأ عند مواجهة محيط صعب غير ملائم لحياتها الى بناء غلاف سميك حولها والتقوقع داخلة حتى تتحسن الضروف.

قال الاستاذ محمد: هذا الغلاف عند الجماعات الدينية هو فكر الطائفة الضيّق الّذي يحيطهم بالمحرمات والممنوعات فيعزلهم عن المجتمع داخل شرنقة مليئة بالاوهام المخدّرة لعقولهم.

قال صديقي: تجد ذلك حتّى في الغرب حيث تجد ما يسمي بال (Cult) ينقطع أعضائه عن المجتمع ليعيشوا تحت إمرة من يغسل ادمغتهم بأفكار طوباوية بعد ان تخلّيهم له عن كل ما يملكون.

قالد السيد خالد: لنرجع الى الموضوع الاصلي .. يا استاذ .. لقد هدمت معظم ما كنّا نظن انه من الاسلام وحسناً فعلت فقد ساورتنا الشكوك في بعضه .. شك كتمناه في صدورنا خوفاً من عقاب الله ولأننا لم نجد لتلك المعتقدات بديل يتماشى مع القيم الحضارية ونحتفظ فيه بأيماننا .. فما هو البديل عدى ما أقترحه الاستاذ ، واشار الى صديقي ، من كفرٍ بالدين؟

قلت: هذا البديل الذي اشرت اليه ممكن .. فهمي للدين هو انه جوهر من مشاعر روحية تسعى للتوحد مع الوجود الحي ويسعى خيال الانسان لتفسيرة من خلال النصوص والشعائر الدينية .. يظن معظم المؤمنين ان الدين هو ترتيل تلك النصوص واقامة الشعائر من صلاة وصوم وحج الى اخره بحذافيرها وفي اوقاتها وينسون الجوهر الذي هو اصل الدين .. الذي يعرف الجوهر الذي يكشف عن نفسه من خلال التأمل ومن خلال بعض النصوص الدينية لا يحتاج الى الشعائر والطقوس الدينية .. عرف هذه الحقيقة فلاسفة ومتصوفة عرفانيون رفض بعضهم الشعائر الدينية كلها او بعضها وأبدلوها بالتأمل العرفاني.

قال الاستاذ محمد: قال لي احد معارفي من ألاكراد ان شيوخ الطريقة الصوفية من البرزانيين لا يؤدون الصلاة.

قلت: لا أعلم ذلك وهو شئ محتمل .. فلعل هؤلاء يستندون الى الاية 99 من سورة الحجر "واعبد ربّك حتى يأتيك اليقين" فهم يقولون يمكن ترك العبادة المتمثلة بالصلاة عندما يتيقّن العقل والحس من وجود الله .. سبق ان بيّنت ان معنى الصلاة هو التواصل الروحي .. كلمة صلاة التي تكتب بعض الاحيان في القران صلوة هي كلمة من اصل آرامي بمعنى التواصل الروحي .. الصلاة المعروفة من قيام وسجود ليست في القران .. هي مأخوذة من الصلاة اليهودية فلا ضير في رأيي ان يتواصل الشخص مع خالقه تواصلاً روحياً بطريقة مخالفة لما هو معروف.

أعترض السيد حسين قائلاً: أستاذ اليقين هنا بمعنى الموت فيكون معنى الاية اعبد ربّك حتى الموت.

قلت: هذا تأويل لمعنى اليقين .. ولكن المعنى المباشر الواضح من قاموس اللغة العربية هو طمأنينة القلب على حقيقة الشيء وتصديق جازم لا يقبل الشك .. لماذا نلجئ الى التأويل عندما يكون المعنى المباشر واضحاً كوضوح الشمس .. الكثير من الفرق الدينية التي خرجت من التشيّع لا تؤدي الصلاة المعروفة عند المسلمين بل لهم طقوسهم الخاصة .. سوف أتطرق الى موضوع الفكر العرفاني الصوفي في الاسلام بعد موجز يجيب على تساؤلات الاخ خالد والمتعلق بأسلام بديل يتماشى مع قيم الحضارة ويحتفظ بالجوهر الروحاني الذي هو بغية المؤمنين ، ارتشفت ما تبقّى من الشاي الذي فقد حرارته من القدح الذي امامي وسط سكوت مصحوب بترقب المستمعين ثم واصلت حديثي:

اول ما يجب ان يفعله المؤمن هو نبذ كل الاستنتاجات الدينية المبنية على مفاهيم فلسفة افلاطون المثالية الجامدة وتبنّي المفاهيم الفلسفية العصرية التي تدمج النظرية الفكرية بالتجربة والملاحظة الحسية وكذلك ابدال المثالي المطلق بالنسبي في كل موضوع يجري البحث فيه .. لقد قادني البحث عندما وضعت النبي محمد والقرآن تحت المجهر وفق هذه المعايير الى الاستنتاجات التي ذكرتها في المحاضرة السابقة.. سأتبع نفس الطريقة الآن لأستنتج منه ما يلي:

اولاً: عملاً بالاية القرآنية "قل انما انا بشر مثلكم ..." وحديث النبي "لا تكتبو عني ... " فلا عصمة للنبي ولا لآل البيت فليس على المسلم اتّباع السنّة النبوية وهذا لا يعني أبداً عدم إجلالهم وإحترامهم .. ولكن هذا

يزيل الكثير من الاحراجات التي كان على المسلم المقتنع بعصمة النبي ان يجد تبريراً لها في الممارسات المشينة لبعض المسلمين بدلاً ان يقول ببساطة انها اخطاء ونزوات قام بها بشر مثلنا.

ثانياً: المؤمن الحق يتبع القرأن وحده وقد يهتدي ببعضٍ السنّة النبوية التي لا تتعارض مع المبادئ الانسانية

قال الاستاذ محمد: هذا يطابق ما قال به القرأنيون ... هم جماعة ظهرت في مصر يدعون الى اتباع القرأن وحده .. ولكن السلطات قمعتها.

قال الاستاذ محمد: القرانيون على حق .. السيرة النبوية كتبها ابن مسعود بأمر من الخليفة العباسي كملخّص لسيرة كتبها قبله ابن اسحق .. لا يُعرف إلا القليل جداً عن حياة النبي محمد خصوصاً بعد اكثر من مئة سنه على وفاته وهناك شكوك كثيرة حول صحتة كتاب السيرة والافضل إهماله ..، استدرك قائلا والاحاديث في صحيح البخاري .. أسئلكم بالله كيف جمع رجل من بخارى لا يجيد العربية كل تلك الأحاديث النبوية في كتاب .. كلها كاذيب .. كما ذكر موفق سابقاً .. محمد قال لا تكتبوا عنّي.

تابعت حديثي: بعد نبذ التفسيرات المثالية الجامدة يظهر لنا القران بصورة ديناميكية جديدة .. نفهم من الاية 7 من سورة عمران

"هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخرى متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الألباب" ... برأيكم ما هي الآيات المحكمات؟

قال السيد حسين: اظن ان المقصود بها الاساس العقائدي للأسلام المتمثّل بالآيات المكّية

قال السيد خالد: اختلف الفقهاء فيها ولكني اعتقد انها الايات المكّية وبعض من الايات المدنية التي هي الجوهر الروحي الاسلام.

قلت: تماماً .. الايات المحكمات هنّ ام الكتاب واساسه المتين الذي بنيت فوقه باقي آيات القران .. وما دامت تلك الايات هي اساس بناء القرأن فأن من المنطقي ان نستنتج ان البناء الذي فوقها لا يخرج او يحيد عنها وإلا انهار .. فإذا أردنا ان يكون القران منسجماً مع نفسه ولا تناقض في آياته من دون اللجوء الى حيلة النسخ الباطلة .. اي ابطال آية سابقة مناقضة لآية متقدمة عليها زمنياً وجب ان نثبّت الآيات البيّنات فهي الجوهر الروحي للاسلام وهو جوهرسرمدي لا يخضع للزمن .. اما السُوَر المدنية فقد اوحيت للنبي لمعالجة ضروف الزمنية وقتية للمجتمع الاسلامي الجديد في المدينة وقد أتى بعضها ينقض الآيات المكية .. أسئلكم .. ما المقصود إذاً بالاية 106 من سورة البقرة " ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير"؟

قال الاستاذ محمد: نفس المعنى في الآية السابقة مع اضافة المعلومة ان الله يأتي بآية ثم يأتي بخير منها اومثلها .. لا أعلم لماذا من الأوّل لا يأتي الله بالآية الأخير؟

قال صديقي ساخراً: ألا تؤكد هذه الآية ان في القرأن ايات اقل خيراً او حسناً .. اي اقل كمالاً!

قلت: هنا بيت القصيد الذي يحل المشكلة فيجعل من القرأن وتشريعاته كتاباً ديناميكياً .. فيما عدى أمهات الكتاب الثابتة تخضع آيات القران الاخرى للضروف الزمنية والمكانية المعيّنة فيختار المشرع الآية المناسبة لتلك الحالة المدنية بغض النظر عن التسلسل الزمني لنزولها فهي الآية الخير من أية اخرى مشابهة تتطرق لنفس الموضوع ولكنها لا تنطبق على ذلك الظرف الزماني والمكاني

تسائل قيس: اعطنا مثال على الآيات المكية السرمدية وتلك التي جاءت في ضروف مكان و زمان معين تنقض التي قبلها.

بادر السيد خالد بالرد: انا أجيبك على ذلك .. كلام السيد موفق مقنع جداً وهذا هو المثال على ذلك .. ألآية التي تقول "لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ" واحسب انها من امهات الايات السرمدية وهي القاعدة الاساية في الاسلام ولكن ضروف زمنية ومكانية تطلبت ان يوحي الله الى نبية إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ .. و ألآية ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه .. هذه آيات تناقض الآية الأولى ولكنها جاءت في زمن شديد على الدين الجديد وهو يوطد مكانه في التاريخ .. و بعد ان توطد الاسلام فلا يؤخذ بها بل يؤخذ بالآية التي لا تخضع للزمن والضروف الخاصة اي لا إكراه في الدين

قلت: احسنت سيد خالد .. على المؤمن إذاً اهمال كل التشريعات السابقة ، سنية كانت ام شيعية ، والبدء من جديد في ضوء الصورة التي اوضحتها .. يجب الاستفادة من المجددين الضليعين بالفقه الاسلامي من مثل الشيخ جمال البنّا الذي لا يزكي من تاريخ الاسلام الا فترة اربعين سنة ، هي فترة الخلفاء الراشدين ، ويدعو الى اهمال كل ما شُرّع بعدها واصدار تشريع اسلامي حديث.

سأل سمير: أستاذ من هو الشيخ جمال البنّا؟

قلت: جمال البنّا هو شقيق حسن البنّا مؤسس حزب الاخوان المسلمين ولكنه يختلف جذرياً عن اخية في اطروحاته الاسلامية. لقد جرى التعتيم على افكار الشيخ جمال البنّا النيرة بالرغم من غزارة انتاجه الذي يربو على 250 مؤلفاً.
سأل السيد خالد: وما هي الأُسس الفقهية للتشريع الجديد برأيك؟
قلت: انا لست فقيه ولكن يمكنني ان اتصور الخطوط العامة لهذا التشريع .. فكما بينت سابقاً ان روح القرأن الانساني الرحوم تكمن في الايات المكيّة القصيرة وان في الايات المدنية تشريعات واحكام لفترة نشوء الاسلام الفتي وهو يواجه ضراوة اعداءه في دولة المدينة. ففيه احكام قاسية وتشريعات موقتة زال حكمها وبقى اثرها في القران بعد وفاة النبي ولذلك وجب ان لا يؤخذ بها الان بعد ان تصلّب عود الاسلام فلم يعد لها مكان للتطبيق في المجتمع الاسلامي الحالي .. من هذه الاحكام ما ورد في هذه الاية "إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم" المائدة : 3 ، او "والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالاً من الله" مائده: 38" ... انا لم اقرا او اطّلع على نص يدلّ على تنفيذ امر صادر من النبي بقطع يد او رجل حتى في الظروف الحرجة التي مرّ بها فكيف نأمر بهذا العمل الوحشي إذا اردنا ان نقتدي به .. إن القران يذكّرنا في البسملة التي تُفتتح بها السور بأن الله رحمن رحيم ولذلك وجب تغليب الرحمة في احكام الشريعة واهمال ما جاء في ظروف تاريخية ماضية لا تتناسب مع عصر حقوق الانسان المعاصرة

قال السيد بهنام: تماما كما المسيحية التي تغلّبت فيها النزعة الانسانية بعد أهمال كل النصوص المشينة والعنصرية من أعمال انبياء العهد القديم.

تابعت حديثي: دعني انتقل الى فقرة جديدة مكمّلة لما سبق ...

رابعاً: لا تتساوى ايات التحريم مع ايات تعطي معنى المنع في رأيي .. فالمحرم مصطلح ديني وجزاء اقتراف المحرم عند الله هو عذاب في الآخرة .. ومن المحرمات ما هو مكاني و زماني ، كالمسجد الحرام وبيت الله الحرام والشهر الحرام ، لأنها اماكن وفترات زمنية مقدسة .. ومن المحرّم ما يخص المأكولات ، "إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم " سورة البقرة ...

قال صديقي: لاحظ ان الآية تحرّم لحم الخنزير فقط وليس مكوناته الاخرى مثل عظمه وشحمه وجلده .. وهذا يذكرني بصديق ذكر لي ان احد معارفه مهوس ومبالغ بدقائق الحلال والحرام وحدث ان زاره في بيته ولكنه جلس على الارض رافضاً الاريكة الجلدية التي ظن انها مصنوعة من جلد الخنزير.

واصلت حديثي: أمّا المنع وما يعطي معنى المنع ، من مثل " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ" سورة المائدة: 90" فجزاء خرقه ينص عليه تشريع دنيوي وفق الظروف الموضوعية التي يمر بها المجتمع والتي قد لا تطبقها السلطة الدنيوية لأسباب معينة تبررها وتتحمل مسؤليتها. فجزاء عدم تجنب شرب الخمر ، الذي لا يعني تحريمه ولا يعني غلق حانات الخمر وملاحقة الشاربين وعقابهم اينما كانوا ، يختلف بأختلاف الزمان والمكان في الدولة الاسلامية .. ففي ايام الخليفة عمر مثلاً كان شارب الخمر يجلد ثمانين جلدة.

قال السيد خالد: كان الخليفة عمر رضى الله عنه متشدداً في حكم الخمر ويقال انه عرف ان ابنه قد جلد جراء ضبطه وهو يتعاطى الخمر في مصر امر بجلبه اليه وامربجلده مرة اخرى وهو لم يتعافى بعد من جلده الاول فمات جراء ذلك.
قلت: ولكن هذا الاجراء القاسي لا يتناسب مع العصر والدولة المدنية ذات السلطات المستقلّة ، فالدولة الحديثة لا تأخذ به ، وما دام لا نسخ لايات القران فقد يلجئ المشرع المتنور الى ايات في نفس الموضوع تناسب العصر.

قال الاستاذ محمد: لاحظ ان الاية تقول تجنبوه وليس تجنّبوهم .. الله يمرنا في هذه الاية بتجنّب الرجس لا تجنّب الاربعة المذكورة في الاية.
سأل صديقي: وما هو الرجس فيهم؟
قال الاستاذ محمد: الرجس في الخمر هو حدّ السُكرالذي يلغي التصرف العقلاني .. في الايات الاربعة الاخرى عن الخمر في القرأن تجد ان فيه فوائد ومضار واخرى تقول لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى .. فلا يمكن منعه بتاتاً لأن فيه فوائد بل منع ما هو مضر فيه وهو السُكر
قال الاستاذ بهنام: في المسيحية السكر مذموم ايضاُ .. ففي العهد الجديد "إن كان أحد سكيراً.. لا تخالطوا ولا تؤاكلوا مثل هذا"
قلت: دعني انتقل الى فقرة جديدة مكمّلة لما سبق ...
خامساً: يجب تفسير الآيات تفسير إنساني ما أمكن وهنالك الكثير الذي يمكن ان نفعله في هذا الصدد بعد اهمال التفسيرات القديمة المتحجرة. ففي مجال المرأة وحقوقها فالاية "الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا إن الله كان عليا كبيرا" سورة النساء: 34 ... هذه الآية أُتخذت ذريعة للإمعان في اضطهاد المرأة ولكنها تعني من وجهة نظر اخرى عكس ذلك .. فقيامة الرجال على النساء هو قيامهم برعايتهم و وبواجباتهم الاخرى نحو شريكة حياتهم .. ولا يستقيم الجزء الثاني من الاية اي "واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا إن الله كان عليا كبيرا" إلا اذا كان معنى كلمة اضربوهن هو الاضراب عنهنّ كما في اضراب العمال عن العمل .. وبذلك يكون المعنى "ان الذين تخافون خروجهم عن طريق الصواب فعظوهن ثم اهجروهن واضربوا عن مضاجعتهن في مضاجعهم"

قال الاستاذ محمد: يبدو هذا التفسير معقول جداً فلا يُعقل ان يكون معنى الآية ان نضع الناشز في مضجعها أولاً ثم نضربها .. تبّاً لكم ايها الفقهاء الظالمين!

قال السيد حسين: قلت انك سوف تتطرق الى موضوع الفكر العرفاني الصوفي في الاسلام واقول الحق ان رأيي الذي لا أظن انه يختلف عن رأي صديقي خالد عن التصوف هو انه خروج على الاسلام وقد كفّره

كبار علماء السنّة والشيعة كما كفّروا الفِرَق الباطنية والعلي اللّهيّة والاخرى مثل الاسماعيلية والبهائية والأحمدية وغيرها ... فما هو رأيك؟

قاطع ردّي قيس: أستاذ هل من الممكن قبل ان تجيب على العم حسين ان تقول لي ولو بأختصار ما هو التصوف وما هي الفِرَق الباطنية و العلي اللّهيّة

قلت: كثر الكلام في تعليل كلمة صوفي فمنهم من يقول هي لمن يلبس الصوف من الزاهدين وقال آخرون هي من كلمة صوفيا اليونانية بمعنى الحكمة ومهما كان اصل الكلمة فالتصوف في رأيي هو امتداد للعرفانية التي تكلمت عنها سابقاً فهي لجماعات زهدت بالدنيا الفانية ونذرت نفسها لمعرفة الخالق والتواصل معه .. أمّا الفِرَق الباطنية فقد سُمّيت كذلك مِن قِبل مناوئيها لأنها تُبطن غير ما تُظهر من عقائدها خوفاً من عدو قوي لا تقدرعليه .. والعلي اللهية هي ايضاً تسمية من قبل المناوئين لهذه الفرق التي تقدّس الامام علي وترفعه الى مطاف الاله كما يدّعون.

سأل سمير: وكم من هذه الفِرق موجود وما هي دوافع ظهورهم؟

قلت: منذ زمن الامويين ومروراً بالعبّاسيين والعثمانيين وحتّى اليوم ظهرت من الحركات الدينية والصوفية والفِرق الباطنية المئات ولكن معظمها زال بفعل قمع السلطات له .. اما دوافع ظهورها فكثيرة ولكن اهم دواافع المتصوّف هو االتأمل في الخلق والخالق بعيداً دوافع الحياة المادية ومباهجها المزيفة مستلهماً نصوص ايات روحانية في القرآن .. وفي ما يخص دوافع إبطان المعتقد عند الفرق الباطنية فهو القمع المدعوم من السلطة .. وحتى الشيعة الاثنا عشرية الذين تعرّضوا للقمع أحتموا من قمع السلطة بتبني التقيّة

سأل سمير: وما هي التقية .. او التقيّة؟

عاجل السيد حسين بالجواب: التقيّه هي عمل إتقاء بكتم العقيدة و حتى آنكارها خشية شر العدو و أذيته .. كان ذلك ايام حكم العباسيين المعادين للشيعة فأوصى الامام بأتباع التقيّة عملا بالآية لاَّ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُوْنِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللّهِ الْمَصِيرُ.

قال صديقي: الشيعة الان في الحكم .. من المفروض انه في الوقت الذي يزول الظلم يزول استخدام التقية .. لا زالوا متمسكين بهذا المبدأ الذي يسمح لهم بممارسة الكذب على شعب لا زال بعضه يصدّق وعودهم المعسولة وهم ينهبون البلد

تابعت حديثي: الكثير الفرق الباطنية خلط بين مفاهيم إسلام المذهب الشيعي بالأخص وبين مفاهيم من اديان مناطقية سابقة واستخدمت مذهب التقية بشكل مبالغ به و تقوقعت على ذاتها.

قال الاستاذ محمد: إسلام السلطة دائماً أداة للحكم وقمع المناوئ فلا عجب ان تجد مناوئي السلطة يتخذون من إسلام مناوئ أداة لمحاربة السلطة .. الكثير من الفرق الباطنية هي امتداد لمذهب التشيع لعلي بن ابي طالب والاعتقاد بظهور الامام المهدي المنتظر ليقود المؤمنين الى النصر واقرار العدل على الارض .. يظهر بين جماعة ساخطة على السلطة الجائرة قائد يدّعي أنه المهدي .. يتطور فكر الجماعة الى فِرقة .. فرقة الدروز الذين يسمون انفسهم الموحدون .. والبهائية وآخرها الأحمدية .. المهدي هو بمقام النبي .. لماذا يلجئ هؤلاء الى هذا الأدّعاء والقران يقول ان النبي محمد خاتم الانبياء؟

قرأت من حاسوبي آيتين من سورة آل عمران والاحزاب: "وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ"

"ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما"

وواصلت حديثي: في الاية الاولى محمد رسول قد خلت من قبله الرسل وفي الثانية محمد خاتم النبيين .. الرسول له رسالة سماوية جديدة والنبي من ينبئ الناس برسالة سماوية قد تكون لرسول قبله .. الرسول أعلى شأنناً من نبي يدعو الى رسالة سابقة فقط .. محمد حسب القرأن رسول ونبي فشأنه عند الله اعظم من شأن الرسول وشأن النبي .. ذكر القرأن ان محمد خاتم النبيين ولكنه لم يذكر أنه خاتم الرُسل وفي العقيدة الاسلامية أن المهدي المنتظر يحمل رسالة سماوية تنهي ظلم الضالمين ليسود العدل بين البشر .. لهذا يدّعي او يظن البعض ممن له رسالة تجديد واصلاح في الاسلام أنه المهدي المنتظر ويصدّق به من يصدّق .. أسأل من يتّهم كل هؤلاء بأنهم خارجين عن الاسلام هل ان الاسلام الذي خرجوا عنه هو نفس هذا الاسلام السنّي او اشيعي الذي بينت كل نزواته في محاضرتي اليوم؟ .. ليس من حق اي مسلم ان يتّهم مسلم آخر .. او في الحقيقة اي من له دين اوليس له دين بأنه خارج عن الاسلام او كافر .. هكذا هو الاسلام وهو كما في المسيحية واليهودية فيه طرق متعددة وكل سالك لطريق يظن انه على المسار الصحيح والباقين منحرفين عنه.

قال صديقي: اليس من الافضل عدم سلوك اي من الطرق فكلّها طرق مسدودة لا تصل الى الحقيقة.

قلت: أنا أؤيد ما قلت يا صديقي ولكني استثني منه الفكر العرفاني من شيوخ التصوف الاولين.

قال صديقي: وكيف ذلك؟

قلت: ولدت مسلماً ولكني لا أُصلّي ولا أصوم ولا أُزكّي ولم ولن اذهب الى الحج .. ان اعظم ما في القران هي تلك النظرة الفلسفية للوجود التي تغنّى بها شيخ المتصوفة محي الدين بن عربي .. في القرأن الله هو الحق .. والحق هو الحقيقة .. البحث عن الحقيقة والتواصل معها هو صلاتي .. وإنسانيتي هي بديل جيّد عن صومي وزكاتي وحجّي .. فأن كان إسلامي هذا ليس من اسلام السنّة او الشيعة فهو إسلام الحق عندي .. كل الأديان في جوهرها فكر روحي وجداني يسعى بطرق مختلفة الى تواصل الذات المنفصلة عن ركب الوجود الكلّي والتائهة في لجّة العدم مع منبعها الاول .. عندما ننزع عن الاديان ثوب الطقوس الدينية والاساطير والتقاليد المختلفة تتكشّف امامنا حقيقتها الجوهرية الواحدة متمثله بتوق التواصل الجارف مع الواحد .. هذا هو الحب الالهي .. وهو جوهر كل الاديان .. والذي عبّر عنه ابن عربي

لقد صارَ قلبي قابلاً كلَ صُورةٍ فمرعىً لغـــزلانٍ ودَيرٌ لرُهبَـــانِ
وبيتٌ لأوثـانٍ وكعبةُ طـائــفٍ وألواحُ توراةٍ ومصحفُ قـــرآن
أدينُ بدينِ الحـــبِ أنّى توجّهت ركـائبهُ ، فالحبُّ ديني وإيمَاني

ردد صديقي بأعجاب: الله .. الله .. هذا انسان رائع فهم حقاً معنى الدين .. فماذا وجد في قرأن مليئ بالاساطير؟

قلت وجد ان الله هو الحق .. تتكرر كلمة الحق ومشتقاتها في القرأن 267 مرّة ولكنها تتجلّى بمعنيان رئيسان .. فتجد الله في الحقيقة الوجودية أي ان الله هو كل الوجود ما خفي منه وما ظهر .. وتجده في العدل بين المخلوقات على الارض ... يجد ابن عربي في الاية 115 من سورة البقرة "ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله إن الله واسع عليم" وفي الاية 6 من سورة ق "وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ " الدليل على أن الله هو الوجود الكلّي .. الله موجود اين ما توجهت وجوهنا .. وهو في داخل نفوسنا .. أسألكم .. ما المقصود بوجه الله وما المقصود بحبل الوريد؟

قال الاستاذ بهنام: لا أعلم ما المقصود بوجه الله ولكني اعرف ان حبل الوريد هو هذا ، واشار الى الشريان في الرقبة والاقرب منه هو دواخل عقولنا التي يغذيها هذا الشريان.

قلت: ... في الوجه العيون التي ترى والانف الذي يشم والاذان التي تسمع والفم الذي يتذوّق .. الأية الاولى لم تقل ان بوسعنا ان نرى الله بل نستدل عليه بعقولنا من خلال ما يؤثر في حواسنا .. وجه الله هو الظواهر

الطبيعية .. اعتقد ان هذا التفسير للوجود الالهي هو اقرب للعقل من التفسير المسيحي المثالي الذي يرى ان الله فكر فعّال خالق لعالم المادة.

ردد الاستاذ بهنام أول سفر التكوين: "في البدء كانت الكلمة وكانت الكلمة مع الله وكان الله هو الكلمة" والكلمة هي الفكر الفعّال.

قلت: لا اخفي عليكم ان المتصوفة وقعوا ايضاً في فخ المثالية .. ففي فكر ابن عربي أن هنالك محمد "الحقيقة المحمدية" الموجود قبل خلق آدم وهنالك محمد الذي تقمّص الجسم البشري ونشر الدعوة الاسلامية .. لعله استوحى هذه الفكرة من المسيحية

قال الاستاذ بهنام: طبعاً .. هذا بالضبط هو معتقد النساطرة .. فهنالك مسيح الكلمة الازلية مع الله في السماوات التي تقمصت المسيح الارضي عندما عمّده يوحنا المعمدان في نهر الاردن.

تابعت حديثي: عندما تهدء النفس وتغور في تأمل عميق يتلاشى فيه العقل تنكشف المشاعر الروحانية .. مشاعر التواصل مع الوجود الكلّي .. ولكن هذا التأمل العميق الذي يتلاشى فيه العقل قد يوهم المتصوف ان الله قد حلّ في جسده .. فيردد وهو في وجدٍ كالحلّاج "ما في الجبّة إلا الله" ويتغني وهو في سكرة الحب كالبسطامي "سبحاني ما عظم شأني".

سأل قيس: فهل هؤلاء الدراويش الذين يلتهمون النار ويدخلون السيوف في خواصرهم متصوفة ايضاً؟

قلت: أفعال هؤلاء وامثالهم هو إبتذال للتصوف الحقيقي .. ولكن في حلقات الذكر بترديد ذكر الله ونبيه مع الحركات الايقاعية تتلاشى العقول وتخدر المشاعر .. ولعل ملتهمي النار والطاعنين انفسهم بالسيوف من هؤلاء الذين تخدّرت مشاعرهم وتعاظمت بالايمان قوى اجسادهم الخفية التي تساعدهم على التحمل والشفاء

قال السيد حسين: لقد اوضحت لنا حقيقة كنّا نجهلها عن التصوف العرفاني .. اقول الحق انا معجب ايما إعجاب بالشيخ الصوفي جلال الدين الرومي .. استمع على الانترنت الى اشعاره الروحية الجميلة يرددها مغنّي إيراني ذو صوت شجي.

قلت: مساهمات المتصوفة العرفانيين الكبار من امثال محي الدين ابن عربي ورابعة العدوية وحسين بن منصورالحلاج وشهاب الدين السهروردي وجلال الدين الرومي وصدر الدين الشيرازي اغنت الحضارة الأسلامية والعالمية بما هو روحاني وانساني جدير بنا ان نفتخر به. لقد فهم المتصوفة العظام حقيقة الحق في انه عين الوجود الكلّي ، وفهموا ان جوهر العبادات هو في معرفة الحق ، بتواصل الانسان الساعي الى المعرفة وموضوع المعرفة (الله الحق) من خلال التجربة الصوفية. ولكن المعرفة الصوفية لم تتعدى المعرفة الحسية القلبية .. وعندما اراد بعضهم تفسير الوجود من خلال المعرفة العقلية المنطقية من دون آقرانها بالتجربة والممارسة في عالم الواقع وقع في في فخ الفلسفة المثالية كما اشرت سابقاً.

سأل السيد حسين: انا اعرف ان مرقد الرومي في مدينة قونيه في تركيا فلماذا اشعاره بالفارسية ولماذا سمّي بالرومي.

قلت: هو أيراني ولكنه هاجر منها ليستقر في قونية واستمر بكتابة شعره بالفارسية وتسمية الرومي جائت من ارزروم (ارض الروم) وهي الديار التي سكنها.

قال السيد خالد: الان فهمت ما الذي جعل الامة الاسلامية تحيد عن دين فيه ما يشجّع المعرفة وحديث نبوي يحثً على العلم "إطلبوا العلم ولو كان في الصين" .. تلك التي ذُكرت اهمها هي الاسباب المنطقية التي أدّت بالأمة الاسلامية الى جمود عقائدي ، ودينها يحث على التغيير ، وتخلف علمي ، ودينها يحث على العلم ، وتشرذم وتفرق ، ودينها يحث على التوحد والتآلف .. لا يمكن ان يجري اصلاح الاسلام على النحو الذي

ذكرته من دون تغيير يشمل التشريعات الدينية والمدنية والدولة بمؤسساتها التنفيذية والتشريعية والقضائية تقوم به قيادات واعية يسندها معظم الشعب .. مثل هذا المشروع الجذري الواسع لا يتحقق بين ليلة وضحاها.

قلت: سأذكر شئ عن الاسلام قد تجدون من الصعب تصديقة ولكنه نتيجة لبحث موضوعي لباحثين ثقاة في تاريخ الاسلام .. يرجع بعض هؤلاء الباحثين كلمة إسلام الى أصل آرامي بمعنى الدين الصحيح ذو الطريق المستقيم الذي ليس فيه حيود عن الحق .. يصف القران النبي إبراهيم بأنه مسلم .. تطلعت الى حاسوبي وقرأت الآية "مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ" 67 آل عمران.. بل ان القران يصف أنبياء اليهودية والنصرانية بأنهم كلهم مسلمون .. لم يتبلور مفهوم الاسلام كما نعرفه اليوم ولكن المفهوم الذي يعتبر المسيحين مسلمين لقى فيه معاوية بن ابي سفيان مؤسس الدولة الاموية فائدة جمّة في كسب مسيحيي الشام اليه.. نراه قد صك عملات ذهبية فيها صورته ممسكاً بالصليب .. و لم يجبر زوجته المسيحية ام يزيد على الاسلام .. ونراه بعلاقات حميمة و مقرّبة مع مسيحيي الشام الذين ساعدوه كثيراً في تمشية امور الامبراطورية الجديدة.

سأل صديقي: وماذا عن البيزنطيين الذين كانوا يحكمون الشام .. ماذا كانوا يسمّون القادمين اليهم من الحزيرة العربية؟

أجبت: كانو يسمّونهم المحمديين .. Muhammadan او الهاجريين نسبة الى هاجر زوجة النبي إبراهيم الثانية وام إسماعيل ابو العرب .. لم تظهر التسمية إلا في عهد مروان ابن الحكم الذي ميّز بين أتباع محمد فسمّاهم مسلمين وأتباع الديانتين الاخريين .. وفي خضم صراعه مع عبد الله ابن الزبير الذي أستولى على الكعبة والمدينة وأسس فيها دولة منافسه للأمويين بنى قبة الصخرة فوق حطام معبد يهودي ومسجد سمّاه المسجد الاقصى وأمر المسلمين في الحج اليه بدل الكعبة

تسائل قيس: أستاذ .. هل تقول ان المسجد الاقصى في القدس هو غير المسجد الاقصى المذكور بالقران؟

قلت: نعم .. الاية في القران .. سبحان الذي أسرى بعبده من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى .. المقصود بالمسجد الاقصى فيها هو على أكثر إحتمال أورشليم السماوية .. القدس السماوية التي يعتقد اليهود انها اصبحت في السماء بعد ان دمّرها الرومان سنة 70 ميلادية.

قال صديقي: هذا الإسلام الذي يظم الأديان الإبراهيمية الثلاثة ينفع كثيراً في إستئصال التعصب الديني التكفيري .. هذا الملعون معاوية .. الداهيه السياسية .. أحترمه

علّق سيد خالد على دهائه السياسي: ألم تسمعوا بشعرة معاوية .. هو من قال والله لو كان بيني وبين الناس شعرة واحدة لما قطعتها .. إن شدّوا أرخيت، وإن أرخَوا شددت

قلت: لنرجع الى موضوعنا عن إصلاح الدين .. كل الإجراءات التي ذكرت لا يمكن ان تنجح من دون تغيير ما في النفوس من مفاهيم متخلفة لا تناسب عصر الثورة الصناعية وما تلاها .. الديمقراطية وتكنلوجيا المعلومات .. ولكن لا يمكن ان نغطّي تفاصيل هذا المشروع الجذري الواسع كله في لقائنا المحدود هذا .. كل ما يمكنني قولة فيما يتعلّق بإصلاح السلطات الثلاثة في الدولة هو اننا نحتاج الى دستور جديد يفصل بشكل واضح بين الدين والدولة وقانون انتخابات اكثر نزاهه وقانون للاحزاب وقانون برلماني ورئاسي لا يسمح بالتلاعب بمقدرات الشعب وقضاء مستقل ونزية .. لنقصر اقتراحاتنا على مجال التراث الديني والتاريخي وعملية الاصلاح التربوي والتثقيفي .. فهل من مقترحات لتحقيق هذا الحلم المرتجى؟

أنبرى صديقي بمقترح: تعقيباً على ما قاله موفق لا بد **اولاً** ان نذكر ما هو اساسي .. يجب على الدولة ان تنتهج نهج الدول المدنية العلمانية .. اي فصل الدين عن الدولة فصلاً تاماً .. لذلك وجب ان يكون في الدستور

مادة تمنع رجل الدين من اعتلاء منصب تنفيذي او تشريعي او قضائي رسمي .. وكذلك تمنع الاحزاب الدينية.

قلت: في المانيا حزب كبير اسمه الحزب الديمقرطي المسيحي ولكن منهاجه ديمقراطي بحت لا يفرّق بين المواطنين الالمان .. الاسم غير مهم ولكن يجب منع اي حزب لا يؤمن بالديمقراطية او يفرق بين المواطنين على اساس الدين والمذهب والعرق.

انبرى الأستذ محمد بأقتراح آخر: **ثانياً**... نبدأ بالاعتراف بأننا لسنا "خير امّة اخرجت للناس" وإن تاريخ الفتوحات الاسلامية التي يتباهون بها وتعلمناها في المدارس تحكي قصة تاريخنا المزيف .. هي إحتلال من أجل الهيمنة ونهب الشعوب وليس من أجل الاسلام .. وحالما تصل بنا الجرئة الى الاعتراف بالاخطاء في تراثنا التاريخي والاسلامي الذي تربّينا يتكشّف لنا الطريق القويم للاصلاح بالتحليل والنقد الموضوعي .. لا أخالنا سنبدأ من الصفر فهنالك العشرات من الكتّاب المتنورين الذين كتبوا حول تلك الفترات من التارخ الاسلامي وعانوا الكثير من هجمات القوى الرجعية والمنافقة .. لقد كتبوا عن اسلام عصري يواكب قيم الحضارة الانسانية وحللوا يصدق مواطن الخلل والقوة فية بجراة تثير الاعجاب.

قلت: اتذكر منهم الباحث الاجتماعي علي الوردي وعلّامة الشريعة الاسلامية جمال البنّا والباحثون في التراث الاسلامي سيد القمني ونصر حامد ابو زيد ويوسف زيدان ومن الشيعة علي شريعتي واحمد الكاتب و أحمد القبانجي .. تفرز الدولة من التربويين فريقاً لتخليص الكتب المدرسية مما شوّه تاريخنا وليعيدوا صياغته في ضوء نتاجات الباحثين الموضوعية. ويجري التركيز في دروس الدين على الايات القرانية ذات الطابع الروحي والانساني وعلى مواقف واقوال للنبي والائمة والصحابة تعزز العدل والاخوة الانسانية.

قال السيد حسين: كما في حكمة الامام علي "الناس صنفان اخ لك في الدين او نظير لك في الخلق".

قال صديقي: وتضاف الى حصة درس الدين بعض الدروس عن مبادئ الديانات الاخرى في العراق ، المسيحية واليهودية والمندائية والايزيدية .. وحبّذا لوقُدمت تلك الدروس من معتنقي تلك الاديان ، فبذلك نكون قد وسعنا من افاق الطالب الفكرية وجعلناه اكثر تقبلاً للتسامح الديني.

قال سمير: يجب اعادة صياغة مناهج الدراسة في مدارسنا وجامعاتنا واعادة تأهيل كوادرها لتشجيع الطلبة على المبادرة والمشاركة الايجابية والنقاش الموضوعي في كل مجالات الدراسة ومن ضمنها مواضيع تخص التاريخ والدين والابتعاد عن أسلوب التلقين والقسر والتعنيف والتكفير وكل ما له صلة بالتفرقة على اساس ديني اوعرقي او قومي.

قلت: ومن المفيد ايضاً تشجيع قيام جمعيات طلابية لممارسة النقاش الموضوعي الحر في شتى المواضيع الاجتماعية والسياسية واخرى لشتّى الاهتمامات العلمية والادبية .. في زمننا كان إتحاد طلبة العراق ذو الاتجاه اليساري والذي تأسس سنة 1948 هو الذي يقوم بهذا الدور التنويري فقام البعثيّون بتأسيس الاتحاد الوطني .. اعتقد سنة 1967 للأستحواد على المجال الطلابي .. كانت برئاستهم مجموعة من السرسريّة (عديمي الاخلاق) وكان رئيسهم في كلية الطب اياد علّاوي يحمل مسدساً ..

واصلت حديثي: **ثالثا** ... ادخال درس يعرّف بمبادئ الفلسفة وفروعها الخمسة (المعرفة ، المنطق ، ما فوق الطبيعة ، الاخلاق والجماليات) في الصفوف الثانوية العليا. وبذلك نُغني ونوسع من افق الطالب الفكري فلا نجعله محصوراً في مجال محدود من المعرفة ، ولا نجعلة مقصوراً على ما تشرب به التراث من فكر مثالي .. فيدخل بعدها المجال الدراسي الجامعي او التدريبي المهني وهو مهيئ للتفاعل بشكل ايجابي مع المعارف الحديثة ومن ثم يتخرّج ويساهم في بناء مجتمعه الحضاري المنفتح على الحضارة الانسانية.

تبسّم الاستاذ محمد وقال معلقاً: عندما كنت اتناقش مع بعض اصدقائي و أعرج قليلاً على موضوع فيه شئ من التعقيد يعاجلني احدهم ها .. بدا محمد يتفلسف براسنا، ضحك الجميع وتابع هو الحديث: مفهوم الفلسفة عند الناس هو سفسطة وكلام فارغ مع الاسف

قلت: لا بل هو موضوع مهم جداً .. خذ مثلا موضوع نظرية المعرفة .. فمن خلالها يفهم اي انسان عاقل او باحث في اي مجال من مجالات المعرفة ان الايمان لا يكفي للوثوق بما نظن انه معرفة حقيقية بل وجب التشكيك في كل معلومة لا تستند الى منطق سليم وإستنتاج مبني على العلم والتجربة

ساد بعض الصمت قطعه الأستاذ بهنام بقوله: أعتقد ان ما سأذكرة يمكن اعتباره **رابعاً** .. عند زيارتي لأقاربي في امريكا لاحظت ان الكثير من رجال الدين يحملون شهادات أخرى بجانب شهادة تأهيلهم لأدارة كنيسة والقاء المواعظ .. هذا لا يقتصر على رجال الدين بل يتعداه الى مهنة الطب فلا يمكن قبول الطالب في كلية الطب قبل حصوله على شهادة أخرى فقد حصل أحد أقاربي على بكلوريوس هندسة قبل دخوله للدراسة في كلية الطب .. بل ان احد شروط الترقية في الجيش الامريكي الى رتبة جنرال هو الحصول على شهادة جامعية عليا خارج نطاق الجيش .. هذا شئ جيد لأنه يوسع من افق المسؤولين عن حياة الناس والبلد فيجعل اقوالهم وافعالهم ذات صلة بواقع العصر الذي يعيشونه .. لعل أحد الاسباب الرئيسة في تدهور مجتمعاتنا هو ان أغبى الناس من الحاصلين على اوطئ المراتب الدراسية هم من يصبحون رجال دين او ضبّاط في الجيش ثم يترقّون ليقودوا الناس الى جحيم على الارض .. انا لا اقول ان نمنع هؤلاء من الدراسة في مؤسسات دينية او عسكرية ولكن شروط ترقّيهم الى مناصب عليا مسؤولة عن حياة الناس يجب ان تخضع لأجراءات شبيهه لما في امريكا.

ردد صديقي بأعجاب: احسنت .. أحسنت يا أُستاذ.

قلت: هذا مقترح الاخير لا يرقى الى اهمية سابقية ولعله نتيجة ملاحضة تخص اللغة العربية القاصرة عن التعبير الصوتي عن بعض الاحرف الاعجمية مثل احرف V , P , G كما في اسماء الشخصيات المعروفة التالية مثلاً Vladimir Putin, Bill Gates والتي تكتب فلاديمير بوتين وبل غيت .. فلو ذكرت تلك الاسماء المعرّبة لشخص اجنبي لما عرف من تقصد. العراقيين بصورة عامة يتمكنون من نطق الاحرف الاعجمية وذلك لدخولها في العامية العربية بفعل تأثير شركاء الوطن من غير العرب وجيراننا الفرس والاتراك. إن أضافة تلك الاحرف الاعجمية الى العربية يمكن ان يأتي بفوائد على العملية التعليمية بتقليل الاشكالات اللغوية ، حيث تتواجد كلمات اجنبية مستعصية على النقل الى العربية بصورة صحيحة في كثير من العلوم المترجمة الى العربية كما في علم الاحياء ... اود ان أختم سلسلة المحاضرات التي القيتها من هذا المنبر بنصيحة لكل المؤمنين بأي دين:-

- لا اقبل فتوة رجل الدين مهما علا شأنه قبل تمحيصها بمنطق العقل واخضاعها للمقاييس العلمية إن امكن.
- لا اقبل بأي تفسير للدين يتعارض مع مبادئ حقوق الانسان التي قال فيها الله في القرأن "ولقد كرمنا بني ادم".
- لا ارفض اي شئ توصل اليه الانسان عن طريق العقل والمعرفة المتراكمة لأنه يخالف المعتقد الديني.

أردت ان أنهي اللقاء فقلت: الساعة قاربت الواحدة ظهراً .. طبعاً الموضوع أوسع مما يمكن ان نختصره في هذا اللقاء المطوّل الذي علينا ان ننهيه الان كما أعتقد ..

عاجلني السيد حسين و زميله خالد: كيف ننهي اللقاء ولم نخرج بخطوات واضحة متسلسلة عن عملية الاصلاح

وتبعه الاستاذ محمد: من سيقوم بهذه المهمة الجبارة لأنقاذ شعبنا من هذا التخلف الحضاري

أشرت الى سمير وقيس: الشباب .. نحن الشيّاب فات اواننا

رد الاستاذ بهنام: هذا لا يكفي

رفع الاستاذ محمد ووضعها على كتفي وقال: ماذا تقول .. نأخذ استراحة ثم نكمل.. نذهب الى محل الفلافل القريب وأتبرع أنا بلفاّت لسد جوع مصاريني التي بدأت تزقزق ومصارينكم .. ماذا تقول .. التفت الى الاخرين .. ماذا تقولون .. فهزّوا رؤسهم مؤيدين وانا من ضمنهم.

محادثات فلسفية مع صديقي (25)

الحلقة الخامسة والعشرين - منهج التغيير الجذري 1:

اجتمع الاصدقاء امام الدكّان الصغير لبائع الفلافل .. اوصى الاستاذ محمد على صمّونه محشية بالفلافل والبصل والطماطم والكرفس للجميع بينما تبرعت انا بشراء قناني البيبسي كولا .. أنهينا ألمأكول الذيذ وقوفاً امام الدكان ثم مشينا رجوعاً الى المقهى بينما اولع صديقي سيكارة وتبعة في ذلك الاستاذ بهنام .. دخلنا المقهى واخذنا مواقعنا فيها بينما أكمل صديقي و الاستاذ بهنام تدخين سكائرهم خارج المقهى ثم التحقوا بنا.

قلت: لقد غطينا في المحاضرات السابقة والنقاشات التي رافقتها كثير من المواضيع الفلسفية الوجودية والدينية وأعتقد ان قناعاتنا وإن أختلفت قليلاً او كثيراً إلا انها متفقة حول ضرورة التغيير لأنقاذ امتنا من الغرق في بحر الخرافة والمفاهيم الخاطئة التي لا تتماشى مع قيم القيم الحضارية الانسانية .. ما هو السبيل .. بماذا نبدأ وكيف؟

أجاب صديقي توّاً: نبدأ بالسياسة .. أشار بيده الى الشابين .. قلت ان التغيير سيكون على يد الجيل الجديد من الشباب ولكن هؤلاء يحتاجون الى خطة منهاج للعمل و تنظيمات يعملون ضمنها متكاتفين لمواجهة قوى الردة والظلام التي ستجابههم بشراسة مميتة .. كل هذا يعني سياسة يتبلور منهاجها وطرق عملها في تنظيمات او احزاب تستقطب هؤلاء وتكسب تأييد الشعب.

قال الاستاذ محمد: ثورة .. هذا يعني ثورة .. جسامة المهمة التي تتطلب تغييراً جدرياً تعني ثورة بمعناها الحرفي

تدخل السيد حسين قائلاً: قبل كل هذا .. قبل كل هذا علينا ان نلخص بنقاط واضحة الهدف من التغيير .. و لعله يتضمن كل ما قيل في محاضرات الاستاذ موفق والنقاشات التي رافقته .. أليس كذلك؟ نظر الى الوجوه التي لم تبدي إعتراضاً ثم التفت اليّ .. تفضل استاذ موفق .. إذا سمحت لخص لنا الهدف وسوف تساعدك في تذكر ما لم يذكر ونضيف ...

أخذت نفساً عميقاً وفكّرت برهةً فيما سأبدأ به ثم قلت: ما سوف اطرحة يمثل وجة نظري الناتجة من دراسات جهدت في ان تكون موضوعية .. ولا أحسب انكم تتفقون كلياً مع ما قلت وسأقوله هنا ملخصاً .. وكما لمست .. أنكم تتفقون كلياً على وجود خلل قاتل في بنيتنا الاحتماعية بسسب موروثات فاسدة .. في الدين كما ورثناه وفي التراث الاجتماعي الذي نعيشه ويتمسّك به الناس على انه حقيقة مطلقة ويلومه الكثير من المثقفين والغير مثقّفين لأعتقادهم انه السبب في هذا التردّي الحضاري و الضياع .. إليكم ملخصاً لأفكاري عن الوجود والإسلام، إنحنيت على حاسوبي وقرأت منه نصّاً قد كتبته، ..

1 ليس في الوجود غير ما هو موجود .. هذا يعني تقريبا ٥% من الوجود الطاقي-المادي المرئي .. أي الكون الذي يمكن أستكشافه بواسطة التلسكوبات .. و ٩٥% من الوجود الطاقي الغير مرءي ويشمل ٧٠% طاقة داكنة و ٢٥% مادة وثقوب سوداء و جزيئات النيوترينو
٢ هذا لا يتعارض مع المفهوم القراني .. الغيب هو هذا الوجود الغير مرءي..
٣ الخطأ الكبير الذي اصاب الفلسفة الاسلامية وانعكس على التفسيرات والتشريعات هو الاخذ بالفلسفة الافلاطونية المثالية التي ترجمت الى العربية على يد المسيحيين السريان زمن الدولة العباسية

٤ تكرس اول جملة في الانجيل مفهوم المثالية
"في البدء كانت الكلمة وكانت الكلمة مع الله وكان الله هو الكلمة"
الله في المفهوم المسيحي هو الكلمة، اي الفكر الفعال الذي خلق العالم
٥ في الاسلام الله هو الوجود الخفي الكلي الذي يكشف عن نفسه لذوي العقول من خلال الظواهر الطبيعية
"اينما تولوا وجوهكم فثمة وجه الله" .. الوجه يعبر عن ما يخفي
الله في دواخلنا "إنه اقرب اليكم من حبل الوريد"
٦ لكي يتخلص الدين من التفسيرات المستقاة من الفكر المثالي يجب الرجوع الى المفاهيم الاصلية، ومثالها في بعض اعمال المتصوفة مثل ابن عربي والسهروردي، ونبذ كل ما تراكم من تفسيرات وتشريعات مثالية
٧ لكي نكون علميين وان شئنا مؤمنين حقاً يجب ان لا ننظر الى القران على انه كتاب يجب ان نتبع آياته حرفياً بل ناخذ منه جوهره لكي نتواصل مع الله روحياً .. هذا هو معني كلمة صلاة التي هي من اصل آرامي بمعني التواصل الروحي، والتواصل الروحي ياخذ اشكالاً تختلف عن مناسك الصلاة التي اخذناها من اليهود .. الصلاة قد تعني البحث عن الحقيقة في العلم والادب .. اليس الله هو الحق .. و الحق هو الحقيقة.
واصلت حديثي: جذوره الدين في المشاعر الروحية .. وهي مشاعر تعبّر عن توق التواصل مع الوجود الحي .. وهذا الوجود الكلّي الحي يسمية المسلمون الله وهو عند معتنقي الاديان الاخرى بأسماء أخرى

قال صديقي: وماذا عنّي .. انا لا أعتقد بوجود الله المسلمين ورب المسيحيين .. ولكنك أقنعتني من خلال محادثات سابقة بقوة كلية نحن جزء مكمّل لها هي الوجود الكلّي

قلت: مجازياً .. هذا هو الإله

قال: ولكنه إله لا يتدخل في شؤوني

قلت: نعم .. إله لا يتدخل في شؤونك ولا بشؤون البشر او باقي الاحياء و كل ما في الكون عدا من هيمنته المطلقة على سير القوانين الفيزياوية .. في رأيي .. هذا الإله هو الله

قال قيس: استاذ ماذا تقصد .. وضّح رجاءاً

قلت: أتتذكرون حديثي عن حرية الارادة .. الإنسان له حرية إرادة مطلقة لأن عقله له قابلية إستنباط أفكاراً لخيارات لا تحصى .. ولكن المنطق العقلي يستثي منها الغير ممكن تحقيقه لإنه يخالف القوانين الطبيعية .. إن كنتم من المؤمنين .. فهي قوانين الله التي تمثل مشيئته

قال السيد حسين: فهل تدعونا ان نتصرّف بمنطق عقولنا ونترك آيات وضعية أوحيت للرسول وتشريعات خرجت منها.

قلت: تماما .. البعد الروحي للدين ضروري للإنسان .. لا أدعوك .. كمسلم او كمسيحي .. ان تترك الدين بل تمسّك بجوانبه الروحية .. ولكن أدعوك ان لا تأخذ بالجوانب الاخرى على انها حقائق مطلقة ... هذه الجوانب هي نتيجة توق العقل لمعرفة المعنى والغرض من الوجود الطبيعي و وجوده .. هذان التوقات .. التوق الروحي للتواصل والتوق العقلي لمعرفة الوجود عللهما العقل وهو في بدايات التطور الحضاري بنصوص عرفانية وأساطير وطقوس وتراتيل وأدعية ..

قال السيد خالد: كيف تريدنا ان لا نصدّق قصص القران وهي كلام الله الواحد القهّار والحق المطلق.

قلت: ألم يقول الله في قرانه .. نحن نقص عليك أحسن القصص .. إنها قصص للعبرة

قال صديقي: ألم يستعرض لك موفق كيف ان مصدر معظم القصص و الاساطير في القران هي من نتاج حضارات واديان اقدم من الاسلام.

قلت: يحوي القران في الحقيقة خلاصة تراث شعوب المنطقة الروحي والادبي والاسطوري .. ففي طيات صفحاته أساطير سومرية وبابلية وكنعانية وفرعونية وزرادشتية و يهودية ومسيحية ومندائية .. الدين الذي تسمى بالاسلام في عهد عبد الملك بن مروان هو تراث أديان أقوام صنعت الحضارات في الشرق الاوسط ومصر .. وفي الدولة العباسية التي تلت الدولة الاموية تبلور هذا المفهوم الحصري عن الاسلام على يد الفقهاء وكتبة السيرة النبوية والاحاديث .. إبن مسعود .. البخاري .. وغيرهم .. لقد حشروا فيه مفاهيم لا علاقة لها بالدين الذي جاء به الرسول محمد .. يبدو ان المقصود بالإسلام هو تصحيح وتعديل لليهودية والمسيحية فكلمة إسلام بالآرامية تعني الدين المستقيم الصحيح .. لم يصبح الإسلام ديناً مستقلاً إلا بعد رفض اليهود له وفي ظل الدولة العباسة التي ارادت ان تنشئ دولة جديدة بفكر ديني مسنقل عن مسيحية الروم وزرادشتية الفرس

سأل سمير: أستاذ قلت ان هناك الكثير مما ليس في دين الاسلام .. هل لك أن تعطينا أمثلة؟

قلت: ختان الذكور .. لم يذكر في القران ولم يمارس أيام الرسول بل أدخلها الفقهاء من اليهودية ... اوقات الصلاة الخمسة وكيفيتها .. حجاب المرأة .. كلها من اليهودية

بعد صمت لم يطل كثيراً سألني الاستاذ بهنام: بماذا نصفك أستاذ موفق .. هل أنت رجل مسلم .. لا ديني .. أم ماذا؟

قلت: أنا مسلم بالمعنى الروحي الذي لا يقيم وزناً للفروض والتشرائعات .. أنا جزء من مجتمع يدين بالاسلام وإسلامي هو إسلام اجتماعي .. البارحة ذهبت الى مأتم لصديق توفت والدته وقرأت الفاتحة على روحها الطاهرة .. وفي الأعياد الأسلامية .. يجتمع في بيتي الأقارب والأحفاد مهنئين بالعيد بينما يتم التحضير لوليمة شهيّة .. أكلة دولمة شهية يتحولق حولها الجميع .. ولا يفوتنا أبدا ألاحتفال بميلاد السيد المسيح و رأس السنه مع أصدقاءنا المسلمين والمسيحيين.

قال صديقي متبسماً: كل هذه الاحتفالات لا تخلوا من المشروبات الروحية .. العرق مع المزّات الشهية .. ، ضحكنا،.. و تبادل السيدان حسين وخالد النظرات بإستغراب.

عاود صديقي الكلام: لننهي الموضوع حول الدين وننتقل الى الحلول .. ما هو السبيل لتغيير جذري في مجتمعنا .. لنقل في عراقنا الحبيب على اقل إحتمال .. تغيير جذري يحي ما يصلح من تراث حضاراتنا القدديمة ويضعنا في مطاف حضارات العالم المتقدمة.

بادر قيس: فصل الدين عن الدولة .. أعجبتني هذه الجملة التي سمعتها .. الدين لله و الوطن للجميع.

قلت: هذا يتطلب تعديلا بالدستور .. أقرأ عليكم أهم مادّة متناقضة فيه تسمح للدين بالتدخل في قوانين الدولة ، انحنيت على حاسوبي وفتحت ملف الدستور العراقي وقرأت:

المادة 1: جمهورية العراق دولة إتحادية واحدة مستقلة ذات سيادة كاملة، نظام الحكم فيها جمهوري نيابي ، وهذا الدستور ضامن لوحدة العراق.

المادة 2: أولاً الاسلام دين الدولة الرسمي، وهو مصدر أساس للتشريع:

ا- لا يجوز سن قانون يتعارض مع ثوابت الاسلام

ب- لا يجوز سن قانون يتعارض مع مبادئ الديمقراطية

ج- لا يجوز سن قانون يتعارض الحقوق والحريات الاساسية الواردة في هذا الدستور

... لحضات من السكون عاجلها صديقي بالقول: الدولة ليست شخص لكي يكون لها دين .. الدولة كيان معنوي

قلت: هذا غير مهم .. تلك مقدّمة جميلة لا تمس سن التشريعات والقوانين .. ولكن الفقرة التي تسمح للدين بالتدخل في سن القوانين هي الفقرة ب .. لا يجوز سن قوانين تتعارض مع ثوابت الاسلام التي تجعل من الفقرة ج غير فعاّلة ... ثم ماهي ثوابت الاسلام؟ .. هنا قد يتدخل من يلبس ثوب الدين و له اجندة سياسية ليقول ان الجزية على غير المسلمين من ثوابت الدين ..

قاطعني السيد خالد ليقول: ولكن الدستور حسب ما اتذكر يبدأ بالبسملة ومن ثم آية .. وقد كرّمنا بني إدم .. يعني الرحمة .. ولكل بني إدم .. فلا تفرقة على اساس العرق او الدين ..

قلت: هذه مقدمة الدستور وليست ضمن المواد الدستورية التي تخرج منه القوانين و التشريعات

قال الاستاذ محمد: لا مناص إذن من إعادة صياغة الدستور لضمان الفصل التام للدين عن الدولة ... وتجريد المؤسسات الدينية من كل سيطرة على السلطة التنفيذية .. يجب وضع مادة دستورية تقيّد الخطاب الديني او السياسي التحريضي بما لا يتعارض مع مواد الدستور التي تدعم الديمقراطية و المساواة بين المواطنين

قال صديقي وعلامات الغضب على محياه: الطائفية المقيته وهؤلاء الخونة ومليشياتهم التي تعبث بالبلاد .. هؤلاء الذين قدّموا الولاء للطائفة على الوطن .. بين من يولّي وجهه نحو إيران ولاية الفقيه وحلمها بأحياء الامبراطورية الصفوية .. وذلك الذي يولي وجهه نحو السلطان أردوغان وحلمه بأحياء الامبراطورية العثمانية .. النهب المستمر لثروات العراق .. الفساد والرشوة ... هذه الدولة الفاشلة وشعب جاهل لا زال يصدق خرافات رجال الدين .. تربى على خرافات امجادنا التليدة و دين فضّله الله على كافة الاديان .. دين يزدري كل الأديان، اشار بيديه علامة الاقتباس، "المحرّفة" .. معتزيّن بقوميتهم وقيمهم الاجتماعية المتخلّفة .. الغرب .. ، أضاف مستهزئاً، ما عندهم شرف وقيمهم أخلاقية معدومة! .. لا أريد ان أطيل وخلاصة الكلام إن ما نحتاج اليه تغيير جذري في مؤسسات التعليم .. من المرحلة الابتدائية وحتى الجامعة .. نريد تغيراً جذرياً فيها يطال المناهج المتخلّفة ...

ساد بعض الصمت قاطعته بالقول: عندي صديق عزيز ... أكاديمي مرموق وبروفيسور في أحسن جامعات الغرب و له باع طويل في مجال التعليم الجامعي ومحاولات جادة لأصلاح الجهاز التعليمي في

العراق .. وخصوصاً الجامعي .. هكذا يصف بؤس التعليم الجامعي عندنا، انحنيت على حاسوبي وفتحت فايل وقرأت منه:



قال السيد محمد: يجب ان لا يطال التغيير الجذري مناهج المدارس والجامعات بل بالدرجة الاولى المؤسسات الدينية التعليمية التي تخرّج افواجاً من رجال الدين
ردّ السيد خالد: هذ صعب جدا .. لا يمكنك فرض مناهج علمانية على المؤسسات الدينية العريقة .. مثل المؤسسات التي تدرّس المذهب السني أو الشيعي .. أعتقد ان من الصواب ان لا نفرض عليهم شئ سوف يرفضونه حتماً وسوف يحرضون العامّة ضده .. أعقد أن من الافضل أن نشجع ونحمي مؤسسات وكتّاب متنورين ينشرون فكرهم بين الناس .. سوف يتساقط الفكر الظلامي مع مرور الزمن بزيادة وعي الناس وتفتح أذهانهم على الحقائق الدينية والتاريخية .. اصحاب الفكر الضلامي سينحصرون في قلّة لا تأثير لها.
عاودت الكلام: هنالك اقتراح يساهم كثيراً في توعية الناس من دون المساس بالمؤسسات الدينية العريقة ولا حتّى المؤسسات الجامعية المعروفة .. سيمشي بمناهجة الشعبيّة التنويرية المستقلّة جنباً الى جنب مع تلك المؤسسات ويفعل فعله في توعية الناس التي سوف لا تلتفت بعد تنوّرها الى الافكار المتخلفة والظلامية .. تلك فكرة أقترحها الدكتور المرحوم أحمد الجلبي تتلخص بتأسيس جامعة نسميها الاكاديمية العراقية العليا .. وهي على غرار أعلى مؤسسة علمية في فرنسا كوليج دو فرانس
سأل قيس: وما هي كوليج دو فرانس؟
قلت: الكوليج قام بتأسيسها ملك فرنسي متنور سنة 1530 بنصيحة من المشرف على مكتبتة .. الغرض من أنشائها هو مكافحة طرق التعليم السائدة في السوبون .. وهي التي أسسها أستاذ اللاهوت روبير سوربون ككلية دينية بالاصل ولذلك سيطرت عليها الافكار الدينية الجامدة المناوئة للفلسفة والتحرر .. الكلية غير مقتصرة على النخبة العليا من المجتمع ولا تعطي شهادات للدارسين فيها بل تقدم محاضرات تنويرية في شتى فروع المعرفة مما ساعد كثيراً على تنوير الشعب الفرنسي وهي تعمل لحد اليوم.
سأل الاستاذ بهنام: وهل حاولت ان تفعل شئً بخصوص تأسيس ما تسميها الاكاديمية العراقية العليا؟
قلت: نعم .. طرحت مشروع انشاءها سنة 2010 على الجلبي ووافق على الفكرة ولكن الجو السياسي الذي يسيطر عليه المد الطائفي جعل من تنفيذ هذا المشروع مستحيلاً .. أرى ان إنشاء مثل هذه الأكاديمية

كممهّد للتغيّر الجذري ضرورة .. ، إنحنيت على حاسوبي وفتحت الفايل الذي يخص الاقتراح، .. أقرأ عليكم بعض فقرات المشروع.

....

تعريف الأكاديمية: هي مؤسسة علمية يشرف عليها ويعمل ويدرّس بها كادر من الأكاديميين المتخصصين وأصحاب النبوغ والنظريات العلمية والإنسانية والأدبية والبارزين في ميادين البحوث. تسعى الأكاديمية لنشر الثقافة الموضوعية من خلال المحاضرات ونشر المؤلفات والترجمات ذات القيمة الرفيعة أو طرح الأفكار والرؤى والمشاريع التي تفتح أبوابا جديدة للعلم والمعرفة. والأكاديمية لا تمنح شهادات او درجات علمية ولا توجد فيها اختبارات وامتحانات فهي مفتوحة أمام جميع العراقيين بدون استثناء وبدون رسوم.

هدف الأكاديمية: نشر وتعميق الفكر الموضوعي المعتمد على العقلانية والتجريبية[9] وبالأخص الفكر المرتبط بتراث العراق الحضاري. وذلك لبث مفاهيم الحرية الفكرية ورفع مستوى الثقافة الشعبية. وتعبيد الطريق أمام عمليات التجديد والتحديث والتقدم. والإسهام الفعلي بكل الأنشطة العلمية والأدبية وتنميتها دون قيود لكل فئات الشعب العرقي.

ارتباط وتمويل الأكاديمية: الأكاديمية مؤسسة مستقلة غير مرتبطة بالمؤسسات التعليمية التقليدية كوزارة التعليم العالي أو مؤسسة المعاهد العراقية أو وزارة التربية والتعليم ولكنها مؤسسة شعبية مسئولة أمام المجلس النيابي العراقي حيث يشرف عليها من خلال لجنة مختصة يشارك فيها أعضاء من البرلمان ومن كادر الأكاديمية. وللأكاديمية ميزانية مالية من تخصيص حكومي يوصي به البرلمان بعد مناقشات اللجنة البرلمانية المختصة لخطة العمل التي توضع وتطور سنويا.

إن فكرة الأكاديمية هي فكرة مستقبلية قد تتطلب زمننا طويل لتحقيقها وتعتمد على تطور الأحداث السياسية والاجتماعية في العراق واقترح نواة لبدء العمل من د. احمد الجلبي - د. موفق كمال قنبر- دليلة أبو ألتمن - محمد ألساعدي – سحر عباس. فبعد أن تشرّع الأكاديمية وطريقة تمويلها بقانون من قبل مجلس النواب المقبل يبدأ التفكير بهيكليتها وموقعها.

....

التخصصات المعرفية للأكاديمية: الفلسفة والأديان والعلوم الإنسانية (علم الاجتماع والنفس واللغات والآداب والحضارات ومنها العربية والإسلامية) والعلوم الطبيعية الأساسية (الرياضيات, الفيزياء, الكيمياء, والأحياء) والعلوم التطبيقية (الهندسة بكافة فروعها والطب والاقتصاد).

مناهج الأكاديمية: يشارك مجلس إدارة الأكاديمية وكادرها المتخصص بعد استكمال تعيينهم بوضع مناهج لنشر الثقافة يراعى فيها:

---

[9] العقلانية (Rationalism) هي نظرة فلسفية تعتبر العقل المصدر الرئيس لمعرفة الحقائق الموضوعية. والتجريبية (Empiricism) هي نظرة فلسفية تعتبر الحس المباشر والتجربة هما المصادر الرئيسة لمعرفة الحقائق الموضوعية. ولا تتكامل المعارف الإنسانية إلا بتلاقح العقلانية والتجريبية.

1. منهاج ثقافي ثابت تعين فيه الفروع العلمية والإنسانية ومناهج الفصول والحصص الدراسية ومواضيعنا بالتفصيل.
2. منهاج ثقافي منفتح يسمح فيه المجال لمبدعين في شتى المجالات العلمية والإنسانية والأدبية لإلقاء المحاضرات وطرح أرائهم ووجهات نظرهم بكل حرية.
3. منهاج لتشجيع وتمويل والإشراف على البحوث العلمية والإنسانية ولترجمة ونشر أمهات الكتب العلمية والثقافية التي تفتقر لها مكتبتنا العراقية لمساعدتنا باللحاق بالركب الحضاري المتطور.
4. يخصص برنامج تلفزيوني (على قناة خاصة ان امكن) وصفحة الكترونية (Web Site) للأكاديمية وبرامجها.

....

د. موفق كمال قنبر

في 2010/5/21

فرك الاستاذ محمد يديه وقال: هذه أفكار سديدة جداً في رأيي ... قاربت الساعة الثالثة وأعتقد اننا طرحنا في هذ اللقاء أفكاراً مهمة و من الضروري أن نلتقي الاسبوع القادم لأكمال الموضوع.

محادثات فلسفية مع صديقي (26)

المحادثة السادسة والعشرون - منهج التغيير الجذري 2:

إلتقينا كالعادة في مقهى الشابند في الساعة العاشرة من صباح يوم الجمعة المصادف 2017/3/29 .. مرّت حوالي نصف ساعة والجماعة في نقاش مستمر بينما هم يشربون من اقداح الشاي الذي تبرّعت به هذه المرّة .. صفق الاستاذ محمد يديه وهو ينادي: أعتقد حان الاوان لنبدأ، استتبت الجماعة مرة اخرى في مقاعدها وساد صمت عاجله الاستاذ محمد: كنّا نناقش موضوع التغيّر الجذري وتطرقنا الى بعضه و يا حبذا لو نكمل الرؤية للتغيير الجذري.

قلت: أعتقد ان من اولويات التغيير الجذري هو إصلاح التعليم ..، أنحنيت على حاسوبي وفتحت فايل كنت قد اعددته سابقاً وقلت: أقتطف من إحدى مقالات البروفيسور محمد الربيعي .. وهو الخبير في مجال التعليم الجامعي .. ما يلي حول أهمية إصلاح التعليم:

"نحن نعيش في عراق يمر بأزمة، أزمة اجتماعية وأزمة سياسية وأزمة في التعليم (المدرسي والجامعي على حد سواء)، والتي اعتبرها أُم الأزمات، انها ثاني قضية بعد الفساد، تشغل بال العراقي وتقض عليه مضجعه، إذ لم يعرف إلا التدهور منذ السبعينيات من القرن الماضي، وظل في منحنى تنازلي وتفاقمت مشاكله عبر توالي السنوات. والواقع يرينا إن الفساد لعب دوراً رئيساً في تدهور التعليم، وليكون عائقاً كبيراً أمام كل حل لهذه الأزمة، وليفاقم من مشكلة التعليم الحكومي والابنية وكفاءة التدريسي"

تابعت الجديث: وفي مجال فساد التعليم المدرسي يقول البروفيسور في مقال بعنوان قرب انهيار التعليم المدرسي الحكومي في العراق:

"ولم تعد الحلول الترقيعية او الاجراءات الجزئية او القرارات الاعتباطية وغير المدروسة في ما يتعلق بنظام التربية والتعليم تنفع في النهوض باوضاع المدرسة كي تضطلع بادوارها التربوية والتعليمية لبناء الانسان العراقي، ولن تستطيع من أذابة الجمود التربوي وازالة اسوار الحصار الداخلي والقضاء على الفساد من دون توفر رؤية استراتيجية للاصلاح وتكوين مدرسة مهارات وجودة واخلاق"

تابعت الحديث: لقد إمتد الفساد من أعلى هرم بالسلطة الى أسفلة وفي حديثة عن الكادر التدريسي يقول:

"تفاقم فساد المدرسين وعدم الايفاء بمتطلبات مهنتهم واحتماليات انقراض التعليم الحكومي المجاني في الامد القريب نتيجة فقدان ثقة الناس بالتعليم في المدارس الحكومية. وبرغم كون الجامعات ليس إلا مدارس ثانوية عليا ولها مشاكلها الخاصة الا انها تعاني من ضعف المدخلات نتيجة ضعف التعليم والتعلم في المراحل المدرسية الاولية والثانوية وضعف التاهيل وتدريب المهارات"

تابعت الحديث: إضافة الى ..

"ضعف الاهتمام بالتربية الاخلاقية وفي غرس الاخلاق المدنية من سلوك ومواقف وقيم في نفسية الطالب وعدم اعتبار الاخلاق امراً مرتبطاً الى حد كبير بالتربية السليمة، وببيئة الشخص ومجتمعه، وتفتقد التربية السليمة للطالب حتى تدريس الاخلاق الدينية في درس الدين وبث روح التسامح والتآخي، وقد يعود هذا الى ضعف التكوين التربوي للمعلم اوالمدرس، والى ضعف الاهداف التربوية لدرس الدين. وتعود الحاجة الى تربية الطالب تربية اخلاقية سليمة الى ان المجتمع العراقي يعاني حاليا أزمة أخلاقية

ربما تؤدي إلى انهياره، و من اسبابها انحطاط الوعي، و سقوط الأخلاق في أوساط قطاعات واسعة من هذا المجتمع ألذي لم يستطع إلى الآن تنظيم مسيرة حياته السياسية و الاقتصادية و الثقافية على أساس حضاري عادل و عصري.
... و تفاقم ظاهرة الغياب والتسرب وازدياد الامية والجهل وانتشار المعتقدات الدينية المتطرفة والمنحرفة وتعاظم التهديدات المجتمعية، والتي تواكب تلك الظواهر. فهناك، وباعتراف رجال السياسة والدين والتربويين والمربين بوجود ازمة في المعارف والقيم والاخلاق المتعلقة بالسلوك الانساني، وبعدم قدرة المناهج الدراسية على تنمية شخصية العراقي كفرد يفتخر بالانتماء لمؤسسته سواء كانت مدرسة او جامعة او دائرة حكومية او مصنع، وكعضو صالح ومنتج في مجتمع ديمقراطي حر، وكمواطن ملتزم بالقوانين" وكذلك "ضعف الهيكل التنظيمي، والبنى التحتية، والتجهيزات المدرسية، وتخلف مستوى المناهج المدرسية واعتمادها على الحفظ والتلقين، وغياب المواد التي تنمي الحس النقدي للطالب، وتمكنه من أسلوب تفكير وتحليل منطقي"

تابعت الجديث: وبعد ان يستعرض البروفيسور أهم مظاهر الفساد والتردّ في جهاز التعليم المدرسي يتطرق الى الحلول:

"كبداية لاصلاح واسع وشامل وذلك بتحقيق الاهداف التربوية التالية:
1- تربية الطالب بثقافة المحبة والاخاء بين القوميات والاديان والطوائف ونبذ التعصب بكل اشكاله.
2- تربية الطالب بثقافة الاعتراف بالآخر وثقافة السلم وبالقيم الديمقراطية واحترام حقوق الانسان، واحترام التعددية والاختلاف.
3- ألتأكيد على مبدأ المواطنة الصالحة وحب العراق ووحدته.
4- تربية الطالب بأهمية القوانين واحترامها وبعدم مخالفتها وبحرمة ممتلكات الدولة واموالها، وبتعريفه على حقوقه وواجباته.
5- تنمية الشخصية وحب الاستطلاع والتفكير النقدي المستقل، وحب القراءة والمطالعة، وممارسة السلوك المتمدن والعمل التعاوني والمبادرة عند الطلاب."

تابعت الحديث: ويتطرق البروفيسور الى ضعف التكوين اللغوي والعلمي:

"يعاني منهج تدريس اللغات في المرحلتين التعليميتين، الابتدائي والثانوي، من اهمال كبير، وينعدم التركيز على المهارات الأساسية التي تمكننا من مواصلة التعليم والتعلم باللغات الأخرى خصوصا اللغة الانكليزية التي تنقل منها العلوم والمعارف والمهارات.
إني مقتنع بأن تخلفنا العلمي والتكنولوجي يعود بدرجة كبيرة الى تخلفنا في اللغات العالمية، لأنها الوسيلة الأساسية في اقتباس المعلومات وكسب العلوم ونقل التكنولوجيا، وبها أيضا ننقل علومنا وابتكاراتنا واكتشافاتنا وكل ما يمكن ان نساهم به لتطوير الحضارة الانسانية الى العالم. كما يعاني تدريس العلوم خصوصا في المدارس الابتدائية من ازمة فائقة تحتاج الى معالجة سريعة وتنبع ضرورة ذلك الى ان الثقافة العلمية اصبحت من طبيعة هذا العصر ومتطلباته خصوصا في مجتمع تنتشر فيه الخرافة و المعتقدات المخالفة لاسلوب التفكير العلمي. ولتدريس العلوم والتكنولوجيا يحتاج المعلمون والمدرسون الى زيادة ثقافتهم العلمية وبث روح التنقيب والتجربة والبحث فيهم. اين نحن من تعليم اطفالنا العلوم ولماذا لا يدرس طلبة الصف الاول الابتدائي العلوم، ولماذا لا نغرس في اطفالنا روح التنقيب والبحث منذ

الصغر كما هو عليه في كل مدارس العالم."
ساد بعض الصمت علّق الاستاذ بهنام: هذا الرجل يفهم جيداً مأساة التعليم المدرسي.

وتبعة الاستاذ محمد: ويضع الحلول الحقيقة لها .. وكنّا قد ناقشنا بعضاً من الأفكار في إصلاح التعليم المدرسي الابتدائي والثانوي

قلت: نعم .. وهذا ملخّص مساهمتنا في الموضوع نضيفه على مساهمات البروفيسور..، انحنيت على حاسوبي وفتحت فايب يخص الموصوع وقلت: .. ارجوا ان تطرحوا ما قد فاتني تذكّره وتضيفوا عليه ما تجود به قريحتكم .. سأضع كل ما لخصته في نقاط ..

- تفرز الدولة من التربويين المتنورين فريقاً لتخليص الكتب المدرسية مما شوّه تاريخنا وليعيدوا صياغته في ضوء نتاجات الباحثين الموضوعية. ويجري التركيز في دروس الدين على الايات القرانية ذات الطابع الروحي والانساني وعلى مواقف واقوال للنبي والائمة والصحابة تعزز العدل والاخوة الانسانية.
- تضاف الى حصة درس الدين بعض الدروس عن مبادئ الديانات الاخرى في العراق ، المسيحية واليهودية والمندائية والايزيدية .. وحبّذا لوقُدمت تلك الدروس من معتنقي تلك الاديان ، فبذلك نكون قد وسعنا من افاق الطالب الفكرية وجعلناه اكثر تقبلاً للتسامح الديني.

تدخّل الاستاذ محمد: أنا أرى ان يلغى درس الدين الاسلامي ويستبدل بدرس الدين المقارن .. يعني نفس ما طرحته اخيراً .. حسب علمي أن حصّة درس الدين في المدارس الحكومية البريطانية هي حصّة يدّرس فيها شئ عن الديانة المسيحية السائدة إضافة الى الاسلام واليهودية والهندوسية والبوذية .. ويقوم الطلاب بزيارة الكنيسة الخاصة بالمسيحيين والكنيس الخاص باليهود والجامع الخاص بالإسلام والمعبد الخاص بالهندوس وكذلك البوذيين.

إعترض السيد خالد: كيف نلغي درس الدين الاسلامي في بلد دينه الرسمي الاسلام .. لا يجوز ابداً

قلت: إن الدين إيمان ويمكن لمن يود ان يغرسه في اولاده ان يرسلهم الى مدرسة خاصة او يلحقهم بأحدى الجوامع التي تقوم بذلك في اوقات خاصة لا تتعارض مع اوقات الدوام الرسمي .. وضيفة المدرسة هي تدريس الطلبة بغرض تأهيلهم لمواجهة متطلبات الحياة العملية وتهيئة المتطلبات المعرفية لمن يود إكمال دراسته العليا .. انا أؤيد مقترح الأستاذ .. لننتقل الى نفطة اخرى .. لم يفتنا ذكر معالجة أحطاء وفشل اسلوب ومضمون التدريس الحالي والتي ركّز عليها البروفيسور ..

- تأهيل الكوادر التدريسية لكي يكفّوا عن اسلوب التلقين والقسر والتعنيف والتكفير وكل ما له صلة بالتفرقة على اساس ديني اوعرقي او قومي وإبدال ذلك بتشجيع روح المشاركة وتبادل الاراء والمبادرة والنقاش الموضوعي بين الطالب والمدرس في ما يخص كافة مجالات الدراسة ومن ضمنها مواضيع تخص التاريخ والدين.

قال سمير: أسلوب التلقين والحفظ اصبح غير مفيد بوجود الانترنت .. بلحظات قليلة يمكنننا الاطلاع على اي معلومة نريدها .. يجب تعلّم كيفية الاستفادة من المعلومات المتوفرة بدل حفضها .. واستخراج معلومة جديدة منها ...

قال الاستاذ بهنام: أحسنت ... يعني عملية صنع المعرفة بدل من حفضها

قلت: وقد تم أيضاً اقتراح

- ادخال درس يعرّف بمبادئ الفلسفة في مرحلة الدراسة الثانوية وبذلك نُغني ونوسع من افق الطالب الفكري ليدخل بعدها المجال الدراسي الجامعي او التدريبي المهني وهو مهيئ للتفاعل بشكل ايجابي مع المعارف الحديثة ومن ثم يتخرّج ويساهم في بناء مجتمعه الحضاري المنفتح على الحضارة الانسانية

قال السيد حسين: أنا لا أظن أن إدخال موضوع الفلسفة في المرحلة الثانوية ضروري .. يمكن أن يشوش من أفكار الشباب اليافع .. يمكن ان يقوده الى الخروج على الاعراف الاجتماعية الرصينة .. يمكن يؤدي الى الكفر بالدين.

قلت: بل هو ضروري في هذه المرحلة .. تقول أنه يمكن إأن يؤدي الى الكفر .. وكأنك تردد ما قاله الغزالي عن الفلسفة في تهافت الفلاسفة .. الواقع أنت كمسلم شيعي، اشرت الى السيد خالد، وأنت كمسلم سنّي تتبعون فلسفة خلقت في زمن العباسيين وفيها الكثير من الفلسفة الافلاطونية المثالية .. لنفتح عقل الطالب على افق فكري خارج نطاق الفلسفة المثالية التي تغلغلت في تراثنا ... خذ مثلا موضوع نظرية المعرفة .. فمن خلالها يفهم الباحث الطالب او اي انسان عاقل او باحث في اي مجال من مجالات المعرفة ان الايمان وحده والاستنتاج العقلي وحده لا يكفي للوثوق بما نظن انه معرفة حقيقية بل وجب التشكيك في كل معلومة لا تستند الى منطق سليم وإستنتاج مبني على العلم والتجربة.

قال السيد بهنام: كنت قد أضفت نقطة اخرى تتعلق بتوسع افق المسؤولين عن حياة الناس المادية، أي رجال السلطة، والروحية، اي رجال الدين، لجعل اقوالهم وافعالهم ذات قيمة علمية ولها صلة بواقع العصر الذي يعيشونه .. ذكرت كيف في امريكا الكثير من رجال الدين يحملون شهادات أخرى بجانب شهادة تأهيلهم لأدارة كنيسة والقاء المواعظ ... وهذا لا يقتصر على رجال الدين بل يتعداه الى مهنة الطب ... بل ان احد شروط الترقية في الجيش الامريكي الى رتبة جنرال هو الحصول على شهادة جامعية عليا خارج نطاق الجيش .. في مجتمنعا أغبى الناس من الحاصلين على اوطئ المراتب الدراسية هم من يصبحون رجال دين او ضبّاط في الجيش ثم يترقّون ليقودوا الناس الى الجحيم على الارض ..

قلت: أضيف ايضاً إقتراح يخص الحروف الأجنبية كملحق الى اللغة العربية القاصرة عن التعبير الصوتي عن بعض الاحرف الاعجمية مثل احرف P و V .. إن أضافة تلك الاحرف الاعجمية الى العربية يمكن ان يأتي بفوائد على العملية التعليمية بتقليل الاشكالات اللغوية ، حيث تتواجد كلمات اجنبية مستعصية على النقل الى العربية بصورة صحيحة في كثير من العلوم المترجمة الى العربية كما في علم الاحياء .. ، ساد صمت قاطعنه، ولكن قبل ان ننتهي من موضوع التعليم المدرسي اود أن استعرض جزء من مقال للبروفيسور عن مأساة التلقين كان قد أثر بي شخصياً لأنه كشف لي سر نفوري من المدرسين الذين يحشون أدمغتنا بمعلومات من دون مناقشتها وإستخلاص ما يفيدنا منها .. إسمعوا:

"لقد لعب التلقين والحفظ دورا أساسيا في بناء المناهج منذ تأسيس المدرسة الحديثة والتي تمثلت تاريخيا بالمقرر الدراسي الذي يجب على الطالب تعلمه مما ادى الى التركيز على كمية المعلومات التي يتضمنها الكتاب التدريسي من دون مراعاة الاهداف ومخارج التعلم للمادة التعليمية ، وبعدم مراعاة عمر الطالب، وباعتبار المدرس هو الحجر الاساسي والتلميذ المتلقي السلبي في العملية التعليمية فأصبحت العملية التعليمية، سواء في المدرسة او الجامعة عبارة عن تلقين المعلومات تلقينا اعمى غير واعي، والامتحانات تقوم على تذكر المعلومات واجترارها، وإهمال الكثير من المهام الاساسية في العملية التعليمية، كاكتشاف وتوظيف القدرات والمهارات والمواهب. فأصبح للحفظ قيمة ايجابية كما كان عليه في العصور القديمة، بالرغم من كونه يجعل الانسان اكثر استعدادا لتقبل القهر السياسي ويكرس الاستبداد ويشجع على التطرف.
العلاقة بين التلقين والانظمة الدكتاتورية والقمعية وثقافة القهر والاستبداد علاقة وثيقة لأنه يعّود الطالب على الترديد الببغاوي والخضوع للسلطة ويساهم في نزع ارادة الفرد ويستعبده عبر تكبيل العقل بحيث تجعله محصورا فيما يتلقاه فلا يعوده على النقد والنقاش والتفكير الحر المستقل خارج اسوار

المنهج. والتلقين احدى ادوات السيطرة على البيئة الفكرية والثقافية في الدول الدكتاتورية، واختزال الثقافة الى مقولات ترددها الجماهير من دون فهم ولخدمة مصالح الطبقة الحاكمة، ويؤدي الى التخلف العلمي وما يصاحبه من تدهور في التنمية الاقتصادية وعدم قدرة المجتمع على سد حاجاته الاساسية وظهور مظاهر العجز في الابداع والبحث العلمي وانتشار الاقتباس والسرقات العلمية.
يؤدي اسلوب التلقين والحفظ الى نتائج سيكولوجية وخيمة على الطالب، فهو يشكل ضغطا نفسيا كبيرا يؤثر على حياتهم وعلاقاتهم خصوصا على من لم تتوفر له ذاكرة قوية ، فيكثر الزلل ويورث الضجر ويفقده لذة التفكير والتأويل، ويجعله كارها لقراءة الكتب المدرسية بسبب كثرة الاعادة لغرض الاستذكار، ويحرمه من متعة البحث والتنقيب واكتشاف المعلومات ولا يسمح له بالاستقلالية، ولا بالتفاعل مع المعلمين. انه اسلوب فاشل في التدريس يلغي النقاش والتفكير النقدي، ويركز على الكم لا على الكيف.
..... لم يعد من الصعوبة في عصرنا هذا عصر الثورة الرقمية والانترنت استحصال المعلومات وتسجيلها وتسميتها وتعديدها متى ما شئنا ورغبنا، ولذلك يعتبر الحاسوب اذكى في يومنا هذا من حفاظ المعلومات ولكنه اضعف قدرة من الاشخاص المتميزين في التحليل والاستقراء والإبداع الذاتي.

ومن هذا المنطلق، نود طرح بعض الآراء والمقترحات التي من شأنها ان تخرجنا من مصيدة التلقين والحفظ في النظام التعليمي، وهي:
1- الاعتماد في تأليف الكتاب المدرسي على الاهداف ومخارج التعلم للمادة الدراسية والاستعانة بالتربويين ليشاركوا زملائهم المختصين العلميين في تأليف الكتب المدرسية.
2- الاهتمام بالمهارة والجانبين، الحسي والاجتماعي، في تحسين شخصية الطالب وكذلك الاهتمام بالتربية الاخلاقية.
3- الغاء اسلوب القراءة الحرفية من الكتاب وتعليم الطالب على اسلوب كتابة المختصرات وبما يسمى (رؤوس الاقلام) وبعدم النقل الحرفي من السبورة.
4- التحول من التعليم الى التعلم وذلك بإلقاء العبء على الطالب وعدم حرمانه من المشاركة وتحفيز اكتشاف واستنباط المعلومات عنده، والاهتمام ببيئة التعلم واعتبارها اهم من ساعات التدريس، والتركيز على تعليم الناتج عن فعالية ما، لا على الفعالية نفسها.
5- تكليف الطالب باستحصال المعلومة بدل الحصول عليها جاهزة من المدرس او الكتاب المقرر كالرجوع الى المصادر أو الى الانترنت وسبك المعلومات بطريقته الخاصة.
6- التأكيد على الأساليب التربوية التي تشجع على الفهم والتفكير المستقل والتساؤل والبحث والتجريب والنقد والعمل الجماعي.
7- تغيير الاساليب الامتحانية الحالية بحيث تعتمد اجوبة الاسئلة على التحليل والشرح والنقد واستخدام مجموعة مختلفة من اساليب التقييم تتناسب مع كل نوع مختلف من انواع التعلم. كما يفضل تجنب وضع اجابة نموذجية تستند على مادة الكتاب المقرر كأساس للتقييم.
8- تقليل عدد الساعات الدراسية والامتناع عن اتخام الطالب بالمعلومات وذلك عن طريق تقليص عدد مواد المنهج وإلغاء المواد التي تبدو عديمة الفائدة لتقليل حجم الحشو المعلوماتي.
7- التأكيد على حل المشاكل والبحث والتفكير المستقل في الواجب المنزلي كبديل لاستذكار المعلومات المتوفرة في الكتاب المدرسي او ما ذكره المدرس في قاعة التدريس."

تابعت الحديث: أعتقد إننا أنتهينا من موضوع التعليم المدرسي لننتقل الى مسأله التعليم الجامعي ومسائل أخرى مهمة .. ماذا تقولون لو ناخذ إستراحة لمدة نصف ساعة .. نتجوّل فيها بين الكتب في شارع المتنبي ونرجع بعدها الى هنا ... ، أيّد الجميع تلك الفكرة وانطلقوا يتجولون ويقلّبون الكتب.

محادثات فلسفية مع صديقي (27)

المحادثة السابعة والعشرون - منهج التغيير الجذري 3:

بالتمام .. بعد نصف ساعة رجعت الى المقهى لأجد السيد خالد والسيد حسين قد سبقوني وما ان أخذت مقعدي بجنبهم حتّى تقاطر الباقين في الدخول وأخذوا مقاعدهم المعهودة في الزاوية المخصصة لنا... صاح صديقي على عامل المقهى لجلب الشايات للكل.

بدأت الحديث: أعتقد أن هذا سيكون لقاءنا الاخير المخصص لتغطية موضوع التعليم الجامعي وما تبقى من المواضيع المهة التي ستنبع بالضرورة من متطلبات التغيير الجذري .. سأتحدث بأختصار عن مشاكل التعليم الجامعي والطرق المقترحة لمعالجتها .. وأعترف بعدم إلمامي بالموضوع رغم إشتغالي لفترة طويلة في جامعة ولكني لم أمارس التعليم فيها لكي أتعرف على مشاكله عن كثب .. لذلك سأعتمد مرّة أخرى على مقال للبروفيسور محمد الربيعي الذي له باع طويل هذا المضمار ومحاولات مضنية لإصلاح التعليم في العراق .. في مقال بعنوانٍ مقتبس من الكاتبة غيل شيلي .. إن لم نتغيّر فلن نتقدّم وإن لم نتقدّم فلن نعيش .. يقول البروفيسور:

"ابتدأ بهذا العنوان للتأكيد على ضرورة اصلاح منظومة التعليم العالي في العراق كشرط أساسي لردم الفجوة بيننا وبين الدول الغربية، اصلاح حقيقي يوفر لنا مشروعا اكاديميا حديثا للجامعات للاندماج في عالمنا الجديد، عالم التقنيات الحديثة للتعليم والتعلم، ولبناء البنية المعلوماتية، والمعرفية، بحيث يصبح التعليم الجامعي انعاكس لسوق العمل وحاجة المجتمع ولتحويل المجتمع من سوق استهلاكي الى مركز للانتاج والابداع والابتكار، وبالتالي الى تجديد دعائم قوتنا، وترسيخ امننا الاقتصادي. الاصلاح لن يتم الا بتغير طريقة تفكيرنا .. ان مسألة العلاقة بين التدريب وسوق العمل هي المسألة الاساس في اي مشروع للتغير والاصلاح الجامعي، وأن الاحتياجات الفعلية للسوق والمجتمع هي التي يجب ان تحدد عدد الطلبة في كل اختصاص وهي التي تحدد نوعية الاختصاصات وعدد الجامعات وسعتها .. الشواهد كثيرة على ان الابتعاد عن هذه القاعدة يؤدي الى انشاء جامعات ضعيفة وتوسيع دراسات ليس لها اهمية واغراق مؤسسات الدولة بموظفين لا حاجة ولا دور لهم في تسيير هذه المؤسسات .. وتبقى القضية الأهم والمتعلقة بالسوق هي توفير خريجين يمتلكون على معلومات كافية وقدرة على التفكير النقدي والإبداع وتوظيف المعرفة لاستمرار التعلم، ولهم من الجرأة الأدبية التي تمكنهم من التحدث بطلاقة علمية واحترافية، كما يمتلكون ثقة عالية بالنفس العوامل المشجعة على التغيير .. والتغيير يحتاج الى قيادات تغيير ذات رؤى استشرافية للمستقبل ولها القدرة على تغيير النظم التقليدية في ادارة الجامعات ..
ومن محركات التغيير المهمة توفر الادوات والمواد والمصادر ذات النوعية العالية على الانترنت والتي يمكن للطلاب من الحصول عليها بسهولة نسبية. لقد بدأت هذه المحركات بتغيير نموذج العلاقة بين الاستاذ والطالب في الجامعات الغربية فلم يعد الاستاذ وحده يحتكر المادة العلمية فهي في متناول الطالب مجانا او بتكلفة رخيصة في اي مكان وفي اي وقت، والتعلم عبر الانترنت اصبح شائعا بحيث يمكن تدريس كورسات ومواد بواسطة التلفون المحمول واسلوب "الفديو كونفرس". وتمثل البيئة التحتية الالكترونية المرتبطة بالاليات المتطورة في المؤسسات التعليمية الغربية مفتاح النجاح للجامعات العراقية في احداث نقلة نوعية في التدريس اذا ما تم اشاعة مثل هذه الطرق خصوصا في الاستفادة من خبرات العلماء العراقيين وغيرهم في الخارج .. عمل الجامعات في المقام الاول هو في مجال التنمية البشرية حيث ان عليها التركيز على تطوير وتعزيز قدرات طلبتها في مجال المهارات بوضوح وعلى نحو فعال وليس فقط في مجال نقل المعلومات بالتلقين والاجترار. ان مسؤوليتها في مجتمعنا العراقي هو تعميق التفكير النقدي والثقة بالنفس وفي تطوير ذهنية الطالب التحليلية وقابلياته "كحلال للمشاكل" وفي التواصل والقيادة ، وهذا يتطلب اولا منع "الملازم" الدراسية منعا باتا واجبار الطلبة على استخدام المكتبة (طبعا ليس بالقوة وانما ستتطلب المناهج من الطالب البحث عن مصادر اخرى للتعلم).

ان الجامعات مطالبة بتكييف المناهج الدراسية على نحو ادق من اي وقت مضى لتلبية احتياجات اصحاب العمل سواء من الدولة او القطاع الخاص. وسيعتمد تقدمنا الاقتصادي والاجتماعي على درجة التفكير النقدي الذي يملكه خريجينا لان الجيل القادم من القادة سيكونون من الخريجين الجدد في مجتمع يحترم الشهادة الجامعية كقيمة اقتصادية مضافة ومهارات واسعة وليس كشهرة اجتماعية طنانة فارغة....

النموذج البيدوغولوجي الذي تحّكم في اساليب التدريس في الجامعات العراقية منذ نشؤها هو انها مؤسسات وجدت لتدريس الطلبة بمعلومات مختصة، ولكن النموذج الجديد والذي بدأت جامعات العالم بالتحول له هو انها مؤسسات موجودة لغرض **انتاج المعرفة عن طريق التعلم**. هذا التحول سيغير كل شئ، من طريقة تفكيرنا الى اسلوب عملنا، فالتدريس والتعليم لم يعد غاية الجامعة فذلك مثله كمثل القول بأن غاية العناية الطبية هي لملء أسرّة المستشفيات بالمرضى. ان غاية الجامعة اليوم هو تعلم وليس تعليم الطلاب وبأية طريقة يمكنها من تحقيق ذلك .. منهج التعلم (وليس التعليم) يحقق هدف كبير الا وهو ان كل دورة جامعية تتعلم اكثر من الدورة السابقة لها، وبعبارة اخرى، ان منهج التعلم يفترض ان الجامعة نفسها متعلم يتعلم اكثر واكثر بمرور الوقت وانها تتعلم باستمرار كيفية انتاج معرفة اكثر مع كل دورة ومع كل طالب متخرج. تمثل معايير جودة التعليم الخصائص والمهارات والقدرات التي يتوقع ان يمتلكها حامل الشهادة وتشمل مخرجات التعلم وهي عبارة عن محتوى البرنامج والمقررات الدراسية بالاضافة الى اداء الطلبة. في جامعات المتطورة تتمحور مخرجات التعلم حول المتعلم اي الطالب، وليس حول الاستاذ، وتركز على التعليم الناتج عن فعالية ما، لا على الفعالية نفسها، وعلى المهارات والقدرات الرئيسية، كما تعبر عن الرسالة التعليمية للجامعة وعن القيم التي تمثلها .. ويتطلب التغيير من الجامعات العراقية استخدام مخرجات التعلم لاجل تحويل العملية التعليمية من شأن خاص الى ملكية اجتماعية، ومن عملية عشوائية الى عملية تحتاج الى تخطيط وتصميم. والحوافز مهمة جدا لتحقيق الاهداف المتوخاة من مخرجات التعلي .. ومن الطبيعي ان تكون القدرة على تحفيز الطالب على التعلم احدى المهارات الرئيسية لكل مدرس، وتتبلور هذه القدرة في جعل المقرر ذات صلة وثيقة باحتياجات ومصالح الطلاب، ويتم ذلك بتشجيع الطلبة على تحمل مسؤولية تعلمهم ووفق اجراء تحليلي بمساهمة الطلاب انفسهم ..

ان من اهم الاجراءات التي من شأنها اعتماد وتطوير معايير راقية للتعليم والتعلم ومراقبة تنفيذها هي اجراءات ضمان الجودة والاعتماد الاكاديمي للبرامج الدراسية وللجامعة ككل. تقدم هذه الاجراءات ادوات تقييم انتاجية للجودة والنوعية وغرضها توفير اجابات واضحة لما هي رؤية الجامعة والاهداف التي تسعى لتحقيقها .. تتزايد بمعدلات كبيرة استخدامات تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في مجال التعليم العالي ويتضح دورها في احداث تغيرات جذرية في الممارسات التعليمية. وفي العراق حيث يواجه التعليم العالي تحديات كبيرة لازالت هذه التكنولوجيا محدودة الانتشار حتى في ابسط استخداماتها كالبريد الالكتروني وقواعد البيانات (Databases) والشبكات الالكترونية، ولا تشكل نسبة المواد التعليمية من محاضرا ت وغيرها في مواقع التعلم الالكتروني التابعة للجامعات الا جزءً صغيراً جداً مقارنة بعدد المحاضرات الصفية. وتلعب البنية التحتية الالكترونية وشبكات الاتصال المتخصصة عالية السرعة دورا رئيسيا في التعاون بين العلماء والباحثين في الجامعات على المستوى المحلي والاقليمي والعالمي، ولابد ان يكون هدف ربط الجامعات العراقية بالشبكات الوطنية العربية للجامعات العربية وبشبكة البحث والتعليم الاوربية والشبكات الدولية المتخصصة الاخرى مهمة رئيسية ..

ان الاستثمار في مجال التعليم عن بعد لهو ضرورة للجامعات وللمجتمع ككل، لان مصير الجامعات ككيانات هائلة قد تزول في المستقبل ومثلها مثل الكتاب الورقي، فالجامعات بتنظيمها التقليدي ستتهاوى تحت وطئة تكاليفها الهائلة وزخم الطلب عليها، بالاضافة الى ان التطور الهائل والسريع لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات سيحرر التعليم من قيود المكان والزمان، ومن قيود الاحتكار. اننا نرى في وقتنا هذا تغّير احتياجات المجتمعات المختلفة وواقعها الاقتصادي والتكنولوجي مما خلق قوى سوقية قوية بداخل قطاع التعليم العالي اضعفت من هيمنة الجامعات التقليدية وبدأنا نرى ايضا تفكك وبدء اعادة هيكلة منظومة التعليم العالي الوطنية لتتخطى صناعة المعرفة والتعليم الحدود وتصبح عالمية، ولربما ستصبح الجامعات "سيرفر

Server" للمعلومات توفر خدماتها بأي صورة او شكل من الاشكال المجتمعية وستتحول كثير من المختبرات الى مختبرات ظاهرية (Virtual) والكتب الى معلومات الكترونية، والتعلم من تمحوره حول الاستاذ الى تمحور حول الطالب، والطالب من متلقي للمعلومات الى باحث فاعل عنها، وستلعب الحاسبات الالكترونية المنزلية والانترنت دورا رئيسيا في التعليم. السؤال الذي يجب على صانعي القرار والجامعات التصدي له هو: هل نحن مستعدين لمواجه هذا التحدي؟ او اننا سننتظر ما يذره علينا العالم الغربي من فتات محاولين تقليده والسير على خطاه"

تابعت حديثي: هذا ملخص للمقال الذي أعتقد أنه يفي بالغرض .. إلا إذا كان عندكم إضافة او إعتراض؟ ، يبدو ان الجماعة أكتفوا بما قلت حتى بادرني قيس بسؤال لا علاقة له بالمواضيع التي طرحتها:

أستاذ .. ذكرت أنك أشتغلت في جامعة .. ما هو تأهيلك الدراسي وماذا كنت تعمل طيلة الفترة؟

قلت: بإختصار .. بعد تخرجي من كلية العلوم فرع الفيزياء سنة 1968.. أشتغلت كمدرس لفترة قصيرة ثم عملت في الحاسبة الالكترونية لمديرية كهرباء بغداد كمشغّل ثم كمبرمج حتى سنة 1975.. حيث سافرت الى بريطانيا و أكملت دراستي للماجستير والدكتوراه في مجال الفيزياء .. لم أجد عملاً في هذا المجال فرجعت الى عملي الأول كمبرمج ومطور لبرامج تخص الهندسة المدنية وإدارة المشاريع .. في عدة مؤسسات .. ثم عملت كمدير لخدمات تكنلوجيا المعلومات في جامعة بريطانية.. أنغمست لفترة طويلة في العمل الوطني المناوئ لحكم حزب البعث .. وبعد 2003 عملت في مؤسسات متخصصة بتطوير عمل مجالس المحافظات وإدارتها وكذلك في تحسين وضع الأقليات الاثنية والدينية وتطوير مؤسساتهم الادارية والثقافية في محافظة نينوى.

تدخّل صديقي وبلهجة آمرة قال لقيس: رجاءاً .. كافي تسأل عن ما لا يخص وجودنا هنا، طأطأ قيس برأسه وساد بعض الصمت ثم تابع حديثه: أعتقد أننا غطينا معظم مكامن وأسباب التخلف والفشل .. أسباب مرتبطة بتراثنا الديني والاجتماعي .. دولة فاشلة وفساد مشتشري ووطنية زائفة .. نظام تعليمي متخلّف .. الى آخره ... وكذلك اقترحنا حلولاً جذرية لمعالجة كل ذلك .. ولكن كيف نجعل من تلك الحلول حقيقة واقعة .. إننا في معركة مع جبهة من القوى الرجعية الشريرة ترفض التغيير وتحاربه بشراسة .. وأطماع من دول مجاورة وعالمية .. وللتغلّب على هؤلاء الاعداء وجب ان تكون هناك جبهة متكاتفة من القوى التقدمية تعرف كيف تواجههم وتحبط مخططاتهم وتتقدم خطوة خطوة الى الامام .. كيف السبيل الى مثل هذه الجبهة وما هي مكوناتها وما هي تحالفاتها المحلية والعالمية؟ .. أسئلة كثيرة محيّرة علينا نجد إجابات منطقية وعملية لها دون التفريط بسيادة العراق ومصالح شعبه.

تدخّل قيس الذي يبدو أنه أنزعج من مما قاله صديقي وقال: أستاذ موفق أعتقد ان مناقشة موضوع الحلول يحتاج الى جلسة خاصة أخرى .. ما رأيك وكذلك رأي الاساتذة الكرام ان ننهي لقاءنا الان على ان نلتقي هنا في نفس الوقت الاسبوع القادم.

وافق الجميع على ذلك وانتهى لقاءنا.

محادثات فلسفية مع صديقي (28)

المحادثة الثامنة والعشرون - ماذا نفعل لتحقيق التغيير الجذري 1:

كالعادة أجتمعنا في مقهى الشابندر في الساعة العاشرة من صباح يوم الجمعة المصادف 2019/4/5.

صاح السيد خالد على عامل المقهى لجلب شايات للجماعة .. بدات الحديث بتذكير المجتمعين بما دار في نهاية اللقاء السابق: في لقاءنا السابق قلت أننا أمام دولة فاشلة وفساد مشتشري ووطنية زائفة .. نظام تعليمي متخلّف .. اقترحنا حلولاً جذرية لمعالجة كل ذلك ولكن كيف نجعل من تلك الحلول حقيقة واقعة .. إننا في معركة مع جبهة من القوى الرجعية الطامعة وللتغلّب عليهم وجب ان تكون هناك جبهة متكاتفة من القوى التقدمية تعرف كيف تواجههم وتحبط مخططاتهم وتتقدم خطوة خطوة الى الامام .. كيف السبيل الى مثل هذه الجبهة وما هي مكوناتها وما هي تحالفاتها المحلية والعالمية؟

قال الاستاذ محمد: نعم .. التغيير الجذري هو ثورة .. ونجاح الثورة .. كما أتذكّر من أقوال لينين .. يحتاج الى توفر ثلاثة شروط هي أولاً السلطة من الضعف بحيث لا يمكن لها من كبح جماهير الشعب الثائرة وثانياً ان الشعب لم يعد يحتمل السلطة ومستعد للتضحية بالغالي والنفيس من أجل إسقاطها وثالثاً .. وهذا أهم الشروط .. ان تكون هناك قيادة طليعية واعية ومتمرسة تستقطب الجماهير الشعبية ورائها وتحقق النصر ..

تسائل سمير: ومن هو لين .. لينين؟

رد صديقي: هو قائد الثورة الروسية الذي أصبح اول رئيس للجمهورية الجديدة بعد إسقاط النظام القيصري الملكي سنة 1917.. الجمهورية الجديدة تربّعت على تركة الامبراطورية القيصرية السابقة المتكونة من عدة أنثيات أكبرها الاثنية الروسية وسميت بالاتحاد السوفيتي .. يقود الحكم فيها الحزب الشيوعي السوفيتي الذي يتبنى سياسة تعتمد على الفلسفة الماركسية وتفسيراتها اللينينية .. ويسمونها الاشتراكية العلمية.. ولكن يبدو ان الوهن اصاب هذه الجمهورية فتفككت .. كما أذكر سنة 1991 .. وحل محلها نظام رأسمالي

قال الاستاذ بهنام: فهد .. يوسف سلمان .. وأسمه الحزبي فهد .. مؤسس الحزب الشيوعي العراقي سنة 1934 .. رجل مسيحي من الناصرية نذر نفسه للوطن

قال الاستاذ محمد: كان يردد .. كنت وطنياً قبل ان أكون شيوعياً وعندما اصبحت شيوعياً أصبحت أشعر بمسؤولية أكثر تجاه وطني .. عندما القي القبض عليه وحكم بالاعدام صعد الى منصة المشنقة وهو يردد أرى تحت اقدامي من لا يستحق الحياة

ربت الاستاذ بهنام على كتف الاستاذ محمد وقال: أثرت ذكريات جميلة يا محمد .. كنا لا زلنا طلاب في المرحلة المتوسطة .. وكم خرجنا في مضاهرات حاشدة ونحن نرفع شعارات تمجّد الزعيم عبد الكريم قاسم .. ويردد أنصار الشيوعيين الاكبر عمراً منّا .. عاش زعيمي عبد الكريمي .. وحزب الشيوعي بالحكم مطلب عظيمي ..

قال السيد خالد: أسف لعدم إطلاعي عن قرب على تاريخ الحزب الشيوعي .. كل ما كنّا نعرفة هو إشاعات يغذّيها رجال الدين والقوميين والبعثيين حول حزب متحلل أخلاقياً تمزّقة الخلافات .. يقول أن

الدين أفيون الشعوب ..، أبتسّم، كان ابي المتديّن يلاحظ عدم مبالاتي بالطقوس الدينية .. مثل الصلاة والصوم .. يسبّني .. كلب ابن الكلب .. دينسز (بلا دين) .. شيوعي

أردفه السيد حسين قائلاً: عند إنضمامنا الى الكلية العسكرية تعلّمنا اننا جزء من جيش عقائدي يدين بأيدولوجية حزب البعث .. تعلّمنا أن حزب البعث القائد هو الحزب الوطني والقومي الوحيد الذي سيحقق وحدة الامة العربية .. وان ولاء الحزب الشيوعي هو لموسكو وليس للوطن ... عندما تكونت الجبهة الوطنية وفيها الحزب الشيوعي قالوا لنا هذه جبهة مرحلية نستفاد فيها من تأييد الدول الاشتراكية وتسليحهم لنا بأحدث المعدات العسكرية .. كانوا يستهزئون ويقولون إن اللافتة على مقر الحزب الشيوعي تقرأ .. الحزب الشيوعي العراقي لصاحبة حزب البعث العربي الاشتراكي .. طبعاً لم نصدق ذلك .. أنا نشأت في الكاظمية وعرفت شيوعيين ذوي أخلاق عالية .. متواضعين ويعملون من أجل بسطاء الناس .. كثير منهم قتلوا وآخرين شرّدوا بسبب شرذمة من الرجعيين والقوميين .. كان علينا كضبّاط في جيش عقائدي مراقب من قبل ضباط التوجيه السياسي ان نقبل بما تمليه علينا القيادة .. ونساق الى مذبحة الحرب العراقية الايرانية التي راح ضحيتها اكثر من مليون عراقي بين قتيل وجريح ..

قال السيد خالد: ودمّرت اقتصادنا وكبّلتنا بديون طائلة ومهّدت للاحتلال ألامريكي وإسقاط صدّام وحكمه .. أنا لست مؤيداً لفترة حكم صدام الدكتاتورية الفاسدة ولكن الامريكان نصّبوا مكانه من هو أتعس وأكثر فساداً بعشرات المرات .. وهذه الاحزاب الدينية .. شيعية وسنيّة .. وقومية كردية ..

قام قيس من مقعدة وعلامات الانفعال علي وجهه وقال: ياعم خالد .. نحن الشباب لم نعاني ما عانيتم .. ومع إحترامي وقديري لكم نحن لم نمر بتجاربكم المريرة ولم نعرف خوفكم وإضطراركم للخنوع لحكم صدام الجائر .. لا يمكننا السكوت عن ما يجري الان في ظل هذه الحكومات الفاسدة التي ضيّعت مستقبلنا .. نهب لثروات البلد من قبل ممثلي أحزاب دينية شيعية وسنية .. وأخرى قومية كردية .. مليشيات تابعة لإيران .. أطماع إيرانية وتركية وإنتهاك لسيادة بلدنا ..

تحفّز سمير وقام من مقعده ايضاً: دمائنا تغلي .. لن نقبل بهذا الوضع سنعلنها ثورة قريباً .. لن يقف بوجهنا أي شئ حتى تتحقق مطالبنا .. لا القمع ولا حتى القتل .. لن نصدّق بعد اليوم دعوات الاصلاح من قبل السلطة وأذنابها وجيوش الاعلام المرتزق

قال صديقي: هذا كلام حق .. انا أصدق ما يقوله هؤلاء الشباب .. تتذكرون الكلام عن الشروط الثلاثة للثورة الناجحة .. هؤلاء هم الشرط الثالث المهم .. الطليعة الثورية ..

قلت: وإن بوادر نضوج الشرطين الإخرين .. اي عدم قدرة السلطة على الحكم وإستعداد الثوّار للتضحية في سبيل التخلص من السلطة الغاشمة بادية في الافق

عاود صديقي الحديث: ولكن هذه الطليعة الثورية التي علينا .. بكل تواضع .. ان نتبعها تحتاج الى خطة عمل وتكاتف لقواها وقابلية على تحشيد الجماهير الواسعة لتصبح قوة دفع فعّالة لها القدرة على الصمود طويلاً ودحض قوى الظلام المدججة بالسلاح والمال .. المال الذي تشتري به الضمائر .. تحتاج الى تنظيم!

قال الاستاذ محمد: هذه القوة الطليعية الشابّة ليس لها خبرة طويلة بالنظال الوطني كخبرة الحزب الشيوعي مثلاً .. ويبدو ان الحزب الشيوعي غير قادر على ان يأخذ موقع الطليعة فهو لا يستقطب الان جماهير واسعة ويلجئ الى تحالفات غير موفقة .. بالامس كانت الجبهة الوطنية مع حزب البعث وما آلت اليه من تنكيل بهم .. والإن مع الصدريين في سائرون .. لا أستبعد ان يؤول هذ التحالف الى نفس المصير

المزري .. بصراحة أنا لا افهم كيف يتحالف حزب تقدمي معروف بعدائه المبدئي للتوجهات القومية الفاشية والدينية الطائفية .. سوف لن يبقى لهم رصيد شعبي

وبطريقة إستفزازية قال صديقي: يتحالف مع تلك القوى لأن في مبادئه ما يسمح للدكتاتورية تحت مسمى دكتاتورية البروليتاريا .. كلمة السر التي تفتح أبواب تحالفاته هي إدّعاء الحليف المرتجى إصلاح البلاد والعباد والعداء للإمبريالية التي تتزعمها أمريكا

قلت: ولكن حزبنا الشيوعي ومعظم الاحزاب التي مثله قد تخلّت عن هذا المبدأ .. أستخلصوا العبر من إنهيار الاتحاد السوفيتي والبلدان الاشتراكية وقيّموا آيدولوجيتهم في ضوء مستجدات العصر

قال صديقي مستدركاً: آيدولجيتهم ! .. قبل ان أدخل في معمعة الايدولوجية دعني أشرح للزملاء بعضاً من خلفيتي السياسية التي تعرفها أنت جيداً .. وليس القصد من ذلك سوى ما أستخلصته من دروس قد تفيد في نقاشنا هذا .. لم أكن أعرف من السياسة شيئاً .. عندما كنت طالباً في الثانوية المركزية مع موفق في 1961 حتى 1963 وكان الصراع على أشدّه بين قوى حزب البعث التي كانت تقود المضاهرات ضد حكومة عبد الكريم قاسم التي قامت بأصلاحات جوهرية .. إستهوتني شجاعة الشيوعيين الذي كانوا على قلّتهم يقفون بوجه حثالات البعث المدججة بالسكاكين والعصي .. ما سمعت من محبيهم عن مبادئهم الانسانية يشوبه شئ من الشك وانا أرى في مضاهرات حاشدة جموع من مناصريهم تلّوح بحبل المشنقة وهي تهتف .. ماكو مؤامرة تصير والحبال موجودة .. وانا أسمع المهداوي يكيل السب لرجالات العهد الملكي وهم في قفص الإتهام في محكمة الشعب القريبة من مدرستنا .. اليس من المفروض ان يكون الحاكم حيادياً .. والمتهم برئ حتى تثبت إدانته بمحاكمة عادلة

قال الاستاذ بهنام: ومن قال إن هؤلاء من الشيوعيين .. أتذكّر .. إثر المحاولة الانقلابية للعقيد عبد الوهاب الشوآف في الموصل أتهم الشيوعيين بقتل ألابرياء من البعثيين والقوميين ولكن الحقيقة أنهم كانوا يدافعون عن أنفسهم وعن مدينتهم وعن الثورة بقيادة الزعيم عبد الكريم .. لقد أتضح لنا أنها تهم باطلة فالحزب لم يصدر بيانات تحرّض على العنف

قال صديقي: قد يكون ما ذكرت ولكني لم أسمع شيوعي واحد يدين الاعمال المستهجنة التي أحتسبت على الشيوعيين وأنصارهم بل بالعكس كانوا مؤيدين لها بحجة مقارعة الرجعية والشوفينية القومية .. العمل الغير إنساني مدان سواءاً صدر من البعثيين والقوميين او من الشيوعيين وأنصارهم .. ولكن أقول الحق تغيير موقفي من الشيوعيين عندما أصبحت طالباً في كلية الطب البيطري .. جذبتني لهم إنسانيتهم وتواضعهم .. لم يكن لي علم بألايدولوجية الشيوعية .. ولا بمنهاجهم المرحلي ولكني أصبحت عضواً بتظيم اتحاد الطلبة العراقيين الذي يقف واراءه الشيوعيون .. في سفرات كان يقيمها الاتحاد تحت أنظار رجال الامن المحيطين بنا ويجتمع فيها طلّاب كثيرين من شتى الكليات في جامعة بغداد كانت تجذبني بشدة تلك الأهازيج الوطنية الجميلة وتلك المواهب الشابّة وهي تتغنى بألانتفاضات الشعبية وتطلق الاهازيج ويصدح صوت حهوري بقصيدة عشاير سعود لمضفّر النواب ..

.. هذوله احنه.. سرجنه الدم

عله اصهيل الشگر يا سعود

.. خلينه زهر النجوم

من جدح الحوافر سود

.. تتجادح اعيون الخيل

وعيون الزلم بارود

.. وياخذنه الرسن للشمس

من زود الفرح ونزود

وبأمل وعزيمة يردد طلبة صغار بنات وبنين .. سنمضي سنمضي الى ما نريد وطن حر وشعب سعيد .. وفي السنين الاخيرة من وجودي في العراق عندما كنت أعمل في المستشفى البيطري في ابو غريب صرت واحداً من الشيوعيين وبدأت أحضر الاجتماعات التنظيمية السرية وأطالع جريدة الحزب طريق الشعب .. وأحاول ان أفهم مبادئ الفلسفة الماركسية وتطبيقاتها اللينينية في الاتحاد السوفيتي .. الاتحاد السوفيتي كان على علاقة وثيقة بحكومة البعث .. حكومة البعث التي لا تزل تمارس سياسة القمع والعداء للشيوعيين .. ويبدو ان شعارات التضامن الاممي بين أحزابنا الشيوعية لم تشفع لنا .. فعندما كنت أسأل مسؤولي الحزبي عن سياسة القمع وسكوت السوفييت عنها كان يقول لي هنالك عقود كبيرة مع الاتحاد السوفيتي الذي يقوم بتزويد جيشنا الوطني بالسلاح ويساعدنا في تطوير صناعتنا النفطية .. وعندما ألتقيت مرة بسكرتير الحزب وقتها .. عزيز محمد .. وسألته نفس السؤآل قال بأن المسؤولين السوفيت طرحوا موضوع إعتقالات جماعتنا على الحكومة العراقية وأستطاعوا في بعض الحالات من إنقاذ بعض الكوادر الجزبية .. قلت ولكنهم بدأوا يغتالون كوادرنا وأعدموا الكثير من جماعتنا بالجيش .. قال كلمة ذات معنى .. السياسة بين الدول في كثير من الاحيان تتغلب على المبادئ .. لم يعد الوضع محتملاً بتصاعد القمع فنصحني الحزب بالتصرف حسبما تقتضية الأمور .. وفي سنة 1978 سافرت الى الجزائر وسكنت لبعص الوقت في بيت صديق ورفيق حزبي يشتغل ويسكن في ولاية باتنة التي تقع شرق الجزائر في منطقة الاوراس الجبلية الجميلة .. ساعدني هذا الصديق على إيجاد عمل كطبيب بيطري

سأل قيس: ولماذا ذهبت الى الجزائر بالذات؟

رد صديقي: بعد خروج المحتل الفرنسي الذي حاول في الجزائر ان يبدل هويتها العربية بالفرنسية بدأت حملة هائلة للتعريب وأصبحت الجزائر في حاجة كبيرة لمدرسين وأطباء وفنيين يتكلمون العربية وقد ساعدالحزب الشيوعي الجزائري في تدّفق كوادرنا الحزبية اليها .. في سنة 1979 سمعنا عن إستيلاء صدام حسين على مقاليد السلطة وتابعنا حملته الدموية لإجتثاث منافسيه في حزب البعث وإنحلال الجبهة الوطنية والقبض على العشرات من رفاقنا وتعذبهم وقتلهم وهروب والباقين الى المنطقة الكردية وإنظمامهم الى حركة الانصار

سأل سمير: أستاذ إذا تسمح تقدر توضح لنا بأختصار عن الجبهة الوطنية وعن الانصار

أجاب الاستاذ محمد: الجبهة الوطنية التقدمية التي أعلنت سنة 1974 هي تحالف بين حزب البعث الذي يقود العملية السياسية والحزب الشيوعي العراقي وكذلك كما أعتقد قسم من الاحزاب الكردية .. اما حركة

الانصار الشيوعية فهي إمتداد لحركة مقاتلين سابقة في المنطقة الكردية وهي في تحالف مع قوات البيشمركة الكردية أصبحت قوة فعّالة سنة 1979 بأنضمام مئات الشيوعيين إليها ولكنها لم تحقق الكثير .. وقد قتلت كوكبة من خيرة مقاتليها الشباب المفعمين بالوطنية سنة 1983 .. ومن جملتهم أثنين من أصدقائي .. في منطقة بشت آشان على أيدي قوات من الحزب الوطني الكردستاني .. نعم .. حدثت خلافات حادة بين الكوادر العليا للحزب ادّت الى إنقسامات عديدة ولكننا لن ننسى وطنية الشيوعيين وتضحياتهم الجمّة في سبيل الشعب والوطن .. لم تكن منهاجهم الحزبي يدور حول إنشاء دولة البروليتاريا وكل تلك الشعارات التي لا نفهمها بل كانت دوماً حول المواطنة والديمقراطية والمساواة بين كافة ابناء الشعب وتعميق دور التنظيمات العمالية والفلاحية والطلابية

بعد صمت قصير عاود صديقي الجديث: دعوني أكمل حديثي عن ماضيّ الحزبي لأنتقل بعدها إلى أسباب تزعزع ثقتي به .. بقيت في الجزائر حتى سنة 1985 .. أنتهى عقدي مع الحكومة الجزائرية فحصلت موافقة الحزب للذهاب لغرض الدراسة في بولندا .. لم أحصل على منحة دراسية التي تخصصها الاحزاب الشيوعية في أوربا الشرقية لحزبنا ولعل ذلك لأني أنتقد بعض مواقفه وكذلك لعدم أستجابتي لنداء الحزب للالتحاق بصفوف الانصار في منطقة كردستان العراق .. حصلت على تزكية من الحزب وذهب الى بولندا على حسابي الخاص لأكمال دراستي العليا .. تابعت حماقات صدّام ووحشيته التي كلّفت اكثر من مليون قتيل ومعاق وخراب العراق وإفلاسه .. الحرب العراقية الايرانية من سنة 1980 حتى 88.. غزو الكويت .. حرب تحرير الكويت وتدمير الجيش العراقي على يد القوات الامريكية سنة 1991 .. العراق في أسوء حال .. حصار إقتصادي و أنهيار العملة العراقية .. فقر مدقع .. فساد .. خراب ألأخلاق الذي هو أسوء من خراب البنيان .. أنقطعت صلتي بالحزب ولم اعد أحضر أجتماعاته التنظيمية .. خلال دراستي عشت فترة انهيار المنظومة الاشتراكية .. بدءاً ببولندا ثم الدول الاشتركية الاخرى والاتحاد السوفيني .. لم يكن انهيار المنظومة الاشتراكية نتيجة ضغوط ومؤامرات خارجية من الدول الرأسمالية بالدرجة الاولى أكثر مما هو نتيجة سبب داخلي .. جمود الأيدولوجية والمركزية الشديدة وأنعدام النقد الحقيقي الذي تسببوا بنخر كيانهم من الداخل وسمح للعنصر الخارجي بصورة مباشرة او غير مباشرة من أنهاء وجودهم المريض .. أكملت دراستي للدكتوراه ولم يكن بوسعي الرجوع الى الوطن فقررت تجربة حضّي في الجزائر مرة أخرى .. ذهبت الى الجزائر سنة 1992 وحصلت على عمل كمدرس في جامعة وهران .. بقيت في الجزائر حتى سقوط نظام البعث سنة 2003 فرجعت الى العراق وسكنت في بيت العائلة .. عاودت عملي كمدرس في كلية الطب البيطري التي تخرجت منها لفترة ثم تقاعدت .. وها أنا بينكم

قلت: أنتقدت قيس لأنه سألني عن تحصيلي الدراسي وسيرة عملي ثم أتخمتنا بسيرتك حتى شبعنا!

قال صديقي: آسف جداً عزيزي قيس وآسف للإطالة ولكني لم أذكر ما ذكرت إلا لأبين لكم بصورة مختصرة إرتباط الحزب الشيوعي العراقي الوثيق بتاريخ الحركة الوطنية من خلال معايشتي لها وانا في الحزب في العراق وفي الجزائر وفي بولندا الاشتراكية .. ولكي أكشف لكم سبب آنعدام ثقتي به كأداة للتغيير .. فهل تحبون أن أواصل الكلام حول ذلك؟

أجاب الجميع بنعم فقال: أولاً .. أنا لا زلت أحب الشيوعيين وأعتبر نفسي واحدا منهم لأنهم حقاً وطنيين وكثير منهم وضع قضية تحرر الوطن وسعادة المواطن فوق حياته الشخصية وتاريخ الحزب مليئ بالتضحيات من أجل الوطن كما بيّن ذلك الاستاذ محمد .. ألا يدلّك شعارهم وطن حر وشعب سعيد على ذلك .. الإنطلاق من اولوية مفهوم الوطن والمواطنه بدلاً من مفهوم القومية او الدين يضع السياسة على الطريق الصحيح ولكن السير على هذا الطريق لتحقيق العدالة الاجتماعية يتطلب شئ من المرونة .. تصور أنك في سيارة بمقود صدئ صعب الحركة في طريق يصل الى الهذف ولكن به التوائات .. فسرعان ما يميل الطريق وتخرج السيارة عن الطريق .. يلجأ سائق السيارة الى تعديل مسارها لتبقى على الطريق ولكن بعد فوات

الاوان فقد سبقتها سيارات سأئقيها يرفعون شعارات كاذبة فيجتذبون ركّاب كثيرين ينحرفون بهم الى طريق مسدود .. هذا هو الحزب الشيوعي العراقي .. حزب وطني عريق يحمل آيدولوجية عريقة ولكنها متكلّسة تحد من قدرته على تعديل مساره في اوانه

قلت: ألم نبيّن أن النقد البناء هو الذي يدل على مواقع الخلل .. والحزب يملك آلية النقد التي تتجلّى في مبدأ المركزية الدمقراطية

أجاب صديقي بإنفعال واضح: المركزية الديمقراطية ! .. هذا المبدأ الذي أوجده لينين هو العلّة

قلت: هذا المبدأ يسمح للعضو الحزبي بنقد مواقف الحزب الايدولوجية والتكتيكية وتصرفات أعضائه من القاعدة الى القمّة من دون وجل فما الخطأ في ذلك؟

قال: النقد من الداخل الخلية الحزبية فقط حيث تخضع الاقلية لرأي الاكثرية وتمنع التكتلات ويجري الدفاع عن مواقف الحزب حتى لو لم تؤمن بها خارجه .. إنصباط صارم وعمل جماعي بحيث لا يكون العمل الفردي مغايراً

قلت: لو كان النقد من قبل اعضاء الحزب مقبولاً خارجه لسمح ذلك للأعداء بالقضاء عليه بعد معرفة الخلل فيه .. خصوصاً في ظل حكومة قمعية .. يجب الحذر وإتّقاء شرورها

قال: في ظل حكومة قمعية .. الحزب يتبع مذهب التقّية كماعند الشيعة .. الماركسية اللينينية في ظل نقص التثقيف تصبح كالدين لا يمكن إكتشاف مكنونها المقدس بل ترديد مقولاتها من دون نقاش وفي ظل إجراءات المحافضة على السرّية والمركزية الشديدة تقضي على أي بوادر للنقد من القاعدة فتنقطع صلاتها عملياً بالكوادر العليا للحزب .. المركزية الديمقراطية عند إستلام الحزب للسلطة كما في الاتحاد السوفيتي أو حتى كما في حزب البعث الذي تبنّى مفهوم المركزية الديمقراطية ويمارسها بشكل في غاية النفاق والخساسة .. النقد يصبح طعناً وإفترائاً بين متنافسين في الحزب .. النقد يصبح عند من يداهنون ويتقربون من القيادة فرصة أكيدة لحصولهم على المكاسب .. يقولون للشعب ما يرضيه ويكذبون عليه ويلقون باللوم على الغرب وأطماعه في كل التردّي الذي أصاب البلد

قال الاستاذ بهنام: وهل مارست النقد داخل الحزب وكشفت بعض الخلل الذي تدّعيه؟

قال صديقي: وماذا كان بأعتقادك سبب يأسي وخروجي من الحزب .. صدّقني مارسته وأنتقدت بعض مواقف الحزب بل وصل الامر الى إنتقاد قدس الاقداس .. أي أسس الماركسية اللينينية .. أنتقدت الانسياق الأعمى وراء سياسة الآتحاد السوفيتي في الحرب الباردة التي تأجج العداء لأمريكا والغرب عامة بحجة العداء للإمبريالية والاستعمار .. متناسين أن نموذج الديمقراطية الغربي هو الأفضل حضارياً .. في سفرات سياحية رخيصة سافرت من الجزائر الى الاتحاد السوفيتي أثناء أحتفالات ثورة أكتوبر وشاهدت عظمة الانجازات السوفيتية التي وفرت السكن والدراسة والخدمات الصحية المجانية للشعب .. نقلت ذلك الى رفاقي في الحزب عند رجوعي ولكني أنتقدت مظاهر البيروقراطية الشديدة والفساد ورداءة الانتاج في المعامل وضعف الرقابة .. نقلت لهم بصدق مظاهر تدل على دولة تحتضر بعد أن أفلت شعلة الثورة فيها .. أنتقدت تحالف الحزب الشيوعي مع حزب البعث في الجبهة الوطنية .. دعوت للحذر وأخذ الحيطة من حزب فاشي عرف بغدره .. والمضحك المبكي أن الحزب يعيد التجربة الان في سائرون مع الصدريين .. عصابة تتظاهر بأنها مستقلة عن إيران وتتظاهر بالوطنية ومعاداة الاحتلال الامريكي وتتظاهر بمعارضة الفساد والمحاصصة الطائفية والواقع يقول انها طائفية حد العظم ولاءها لإيران .. تتقاسم المناصب ونهب الثروات

قال سمير بإنفعال ظاهر وأيّده بذلك قيس: لسنا غافلين عن واقع الطائفية التي لم نكن نعرفها من قبل والفساد والعمالة للاجنبي يا أستاذ .. لم تعد تخدعنا شعاراتهم المزيفة وأكاذيبهم المغلّفة بالدين والتقوى .. نحن وملايين الذين حرموا من الحياة الكريمة .. لم نعد نخاف قمعهم .. وان غداً لناظره قريب يا أساتذة

كلام مؤثّر كاد ان يعتصر دمعة من عيني وتصفيق خافت منّا لفت إنتباه روّاد المقهى .. قلت: أبنائي الأعزاء .. انتم المستقبل وأنتم من سيصنعه ونحن نتبعكم ونزودكم بخبراتنا .. ليس فينا من هو طائفي أو عميل لأجنبي أو مرتشي .. ولسنا كذلك منزّهين من الاخطاء .. فكرنا هو نتيجة تجاربنا الحياتية وفيه ما يصلح ومنه ما لا يصلح وعليكم تحكيم عقولكم لأختيار الاصلح او رفض بعضه او كلّه وتقديم فكر يدلّكم على الطريق الصحيح للخروج بالعراق من هذا الوضع البائس .. معرفة الطريق الصحيح يجب ان تكون مقرونه بالعزيمة التي لا تفتر والشجاعة في مواجهة العقبات وتخطّيها .. يجب ان تكون منكم طليعة متكاتفة منظّمة تقود الجماهير الى النصر

قال صديقي: هذه الطليعة يجب ان يكون لها فكر جديد يتعدى آيدولوجية الحزب الشيوعي الذي أنحسرت جماهيريته كثيراً .. وكذلك أحزاب الأسلام السياسي

قلت: أحسنت يا صديقي، تطلّعت الى حاسوبي وفتحت ملف كنت قد أعددته سابقاً، هذا الذي سأقرأه هو ثمرة نقاش مع صديقي .. فيه فكر فلسفي يوضح سبب عدم ملائمة الاحزاب الآيدولوجية للمرحلة الحضارية الحاضرة .. أي المرحلة التاريخية للمجتمعات التي تعيش في ظل عصر تكنلوجيا المعلومات ومتغيراتها السريعة ..

أردف صديقي: بل إن هذه الاحزاب لم تكن صالحة حتى للمرحلة التي سبقتها .. أي مرحلة الثورة الصناعية ولكنها جاءت كرد فعل معاكس للنظام الاقطاعي المحتضر وبزوغ عصر الرأسمالية في عنفوانها الذي لم يعرف غير كسب المال على حساب كل القيم الانسانية

تابعت الحديث: سوف أطرح ما كتبته لتعقبه تعقيباتكم:

1. العقل البشري هو الذي صنع الحضارة الانسانية .. والعقل لا يبدع عند حرمانه من الحرية
2. .التاريخ ينبئنا بفشل الاحزاب الايدولوجية في حكم يرضي الشعب ويحقق آماله متى استلمت السلطة والسبب ان الحزب الأيديولوجي يدافع عن سلطته بهيمنته على القوى الامنية ووساءل الاعلام وبمنع اي مظهر للنقد
3. .اهم الأحزاب الايدولوجية في التاريخ الحديث هي الاحزاب التي تتبع ايدولوجية دينية .. كما في الاحزاب اليهودية- الصهيونية والاسلامية السنية والشيعية والاحزاب التي تتبع الفكر الماركسي .. كما في الاحزاب الماركسية-اللينينية
4. كل محاولات التجديد في تلك الاحزاب بلبس ثوب الحداثة بدمج اساليب حكم حديثة معها فشلت و ستفشل لان العنصر الاساس فيها غير متوفر .. الا وهو حرية الفرد في النقد .. النقد هو العنصر الحيوي الذي يكشف العفن والعوائق في طريق التقدم
5. .النظام الراسمالي في ظل الثورة الصناعية فشل كذلك ولكن الديمقراطية التي نبعت من جوفه خلال صراع القوى المنتجة مع مالكي وسائل الانتاج قللت من لا انسانيتة المنفلته الى اقصى حد وانتجت احزاب ديمقراطية ومؤسسات مستقلة تمارس النقد الحر

تابعت الحديث: هذه خلاصة ما تفتقت به من عقولنا .. سوف اقرأ تباعاً كل فقرة وأنتظر تعليقاتكم ..
قاطعني السيد حسين: أستاذ موفق أعتقد ان الفرصة قد حانت لنأخذ إستراحة لمدة نصف ساعة نتجوّل بين بائعي الكتب .. نفكّر ملياً بما تفضلت به ونستجمع افكاراً للنقاش
قلت: حسنا

محادثات فلسفية مع صديقي (29)

الحلقة التاسعة والعشرون - ماذا نفعل لتحقيق التغيير الجذري 2:

بعد اقل من نصف ساعة رجعت الى المقهى مع صديقي ولم تمر سوى دقائق حتى تقاطر باقي الجمع في الدخول الى المقهى .. بعد جلوسهم في مقاعدهم المعهودة وتبرع صديقي بالشاي للكل بدأت الحديث: نبدأ اولاً بمناقشة ما طرحته في الجلسة السابقة .. أي النقاط التي توضح سبب عدم ملائمة الاحزاب الآيدولوجية للمرحلة الحضارية الحاضرة ..

النقطة الاولى .. العقل البشري هو الذي صنع الحضارة الانسانية .. والعقل لا يبدع عند حرمانه من الحرية، نظرت الى الوجوه أستشف منها تعليقاً .. وسرعان ما جاء من الاستاذ محمد: صحيح ان الحضارة الأنسانية هي نتيجة العقل البشري ولكن الحضارة هي نتيجة العمل المبدع للجماهير
قلت: الحضارة هي نتيجة لأبداع عقل الأفراد وليس الجماهير .. الجماهير تتبع عندما تقتنع بما يقدّمه المبدع
رد الاستاذ محمد: ألافراد هم جزء متكامل من الجمهور الذي يبدع الحضارة
تدخّل صديقي: نتفق على ان العقل البشري هو الذي ابدع الحضارة؟، اومأ الجميع بالموافقة، ولكن العقل لا يوجد في الجماهير بل في الافراد .. عقل الفرد هو الذي يبدع في جو الحرية الفكرية وفي ضروف ملائمة إجتماعياً .. إبداعه قد يكون إختراع جديد يفيد المجتمع او نظرية علمية لها تطبيقاتها العملية او فكر إجتماعي مجدد تقتنع به الجماهير وتتبعة
تدخّل الاستاد محمد مرة اخرى: ولكن إبداع عقل الفرد ما هو إلا نتيجة لما تعلّمه من المجتمع وتفاعله مع الحداث .. يبدء من التربية البيتية ثم في المدرسة ثم في المجتمع والعمل .. تتراكم الخبرات والافكار وتنطلق شرارة الابداع عنده
قلت: نقاشنا تحول الى ما يشبه مسألة من يقول ان البيضة من الدجاجة ام الدجاجة من البيضة .. أعزائي القضية ببساطة هي أن عقل الفرد هو الذي يبدع .. لو كان هذا العقل في مجتمع يقمع تطلعاته الابداعية فلن ترى أبدعاته التي قد تحدث تطوراً حضارياً النور ...
لننتقل الى النقطة الثانية.. التاريخ ينبئنا بفشل الاحزاب الايدولوجية في حكم يرضي الشعب ويحقق آماله متى استلمت السلطة والسبب ان الحزب الأيديولوجي يدافع عن سلطته بهيمنته على القوى الامنية ووساءل الاعلام ويمنع اي مظهر من مظاهر النقد، تطلعت الى الوجوه فبادرني السيد حسين: أنا لا أعرف شئ كثير عن الاتحاد السوفيني ولكن أعرف الكثير عن حزب البعث الذي عشنا مرعوبين في ظلّه .. إدعات الأشتراكية كاذبة .. حزب البعث نقل ما هو أسوء في نظم الدول الاشتراكية .. هذا الذي سماه الاستاذ، وأشار الى صديقي، المركزية الديمقراطية .. ليست هنا ك ديمقراطية بتاتاً بل نفّذ ولا تناقش .. قمع دموي ورقابة شاملة من أمن ومخابرات وضابط التوجيه الساسي .. و.. و.. و .. الوحدة العربية! .. هي تآمر وأغتيالات وتجسس على الدول العربية .. يا لخواء ونفاق شعاركم .. وحدة حرية أشتراكية
علّق صديقي: تعلّم صدّام وزبانيته من أساليب الحكم الستاليني الذي يفوقه وحشيه بعشرات المرات .. ذكر لي صديق قرأ كتاب جديد عن الفترة الستالينية .. قرر المجتمعون مع ستالين من أعضاء القيادة الحزبية أن نسبة معينة من الشعب هم من الخونة والرجعيين الذين يجب تصفيتهم .. أنطلق اعضاء القيادة يعدمون بالجملة ليحققوا تلك النسبة في مناطقهم .. كانت حصّة خروشوف المسؤول عن موسكو 50 الف .. أعدمهم ثم جاء الى ستالين يطلب الموافقة على إعدام المزيد من الخونة فوافق ستالين .. أعدم خروشوف 3 الاف آضافيين!
تابعت قرائتي: اهم الأحزاب الايدولوجية في التاريخ الحديث هي الاحزاب التي تتبع ايدولوجية دينية .. كما في الاحزاب اليهودية- الصهيونية والاسلامية السنية والشيعية .. والاحزاب التي تتبع الفكر الماركسي .. كما في الاحزاب الماركسية-اللينينية

علّق صديقي: لنفصل اللينينية عن الماركسية .. اللينينية بالدرجة الاولى أسلوب حكم وتأسيس دولة من طراز جديد .. دولة تمكنت في النهاية من قمع وإخضاع كل التيارات المناوئة وإنشاء دولة قوية شديدة المركزية في مواجهة الدول الاوربية .. لينين سياسي داهية .. لا زالت بعض مقولاته متداولة حتى الان مثل ما ذكره الاستاذ محمد عن الشروط الثلاثة لنجاح الثورة .. ومنها كتابة مرض اليسار الطفولي الذي يشرح فيه بدقّة هفوات يسار البرجوازية الصغيرة الطوباوي المندفع .. ومنها تطويره لمبدأ المركزية الديمقراطية وتبرير اساليب قمع المعارضة ومصادرة أملاك الاقطاعيين والبرجوازيين .. لقد مهدت افكارة التي تسمح بالقمع وأنتهاك الديمقراطية لدكتاتورية ستالين

قلت: الماركسية كفلسفة فيها جوانب جيدة وفيها جوانب لا أتفق معها .. ولعلها لم تعد مناسبه لعصرنا .. لقد فطن ماركس لبعض الاخطاء في المانيفيستو الشيوعي الذي أصبح الكتاب المقدس الذي يهتدي به الشيوعيون .. أتذكر من مقال قرأته .. عندما كان ماركس في باريس أجتمع حوله الكثير من الماركسيين الذين كانوا يتداولون مقولاته .. نظر اليهم بتعجب وقال أيها الماركسيون أنا لست ماركسي

سأل قيس: أستاذ تقدر تشرح لنا بصورة مبسّطة شئ عن الماركسية

قلت: الفلسفة الماركسية فيها ثلاثة أقسام .. المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية والاقتصاد السياسي ..

المادية الدياليكتيكية هي دمج بين مبدأ الفيلسوف فيورباخ في أولوية المادة على الفكر وقوانين الفيلسوف هيغل في ديالكتيك تطور الفكر الذي يؤدي الى تطور المجتمع .. الماركسية عكست المفهوم الهيغلي لتقول ان اصل الديالكتيك مادي ينعكس على الفكر

قاطعني قيس: أستاذ لم أفهم

قلت: ألا تتذكر حديثي عن الفكر المسيحي الذي يقول أن الله عقل فعّال مطلق خلق العالم المادي، أومأ برأسه نعم، هذا هو مفهوم الفكر يسبق المادة الذي سيطر على الفكر الفلسفي الغربي .. فيورباخ عكس هذا المفهوم فقال ان المادة جاءت اولاً ومنها تطور الانسان ومنه تطور العقل الذي ينتج الفكر .. مفهوم، أومأ برأسه نعم

.. تابعت حديثي، الديالكتيك او الجدلية كما في ترجمتها العربية تضم ثلاث قوانين رئيسية، هي قانون نفي النفي ووحدة صراع المتناقضات وتحول الكم إلى كيف .. يمكن شرح هذه القوانين بصورة واقعية مفهومة لو طبّقنا المفهوم الماركسي عليها لكونها جوهر الطبيعة المادية

قانون نفي النفي .. خذ مثلاً زهرة عبّاد الشمس .. تنتج بذور .. البذور تنفى الزهرة .. تموت الزهرة وتبقى البذور .. البذرة تزرع فتنمو منها زهرة .. نمو الزهرة ينفي البذرة.. أستمرارية عباد الشمس بالوجود الحي تعتمد على دورة ينفي فيها الجديد الاقدم منه والذي بدوره كان نفيا لسابقة .. مفهوم، أومأ برأسه نعم، ..

قانون وحدة صراع المتناقضات .. البروتونات الموجبة ونقيضتها الالكترونات السالبة المحيطة بالنواة في وحدة الذرة .. لنأخذ مثالاً عملياً .. العامل وصاحب المعمل وحدة صراعهم هي المعمل .. الفلاح والاقطاعي وحدة صراعهم هي الارض التي يملكها القطاعي .. مفهموم، أومأ برأسه نعم، ..

تحول الكم الى كيف .. لنأخذ هذه المرة مثال قدر فيه ماء على نار .. النار تزوّد الماء بكم من السعرات الحرارية .. ترتفع درجة الحرارة .. يصبح الماء أكثر سخونة ولكنه لا زال ماء .. يصل الماء الى درجة حرارة 100 فيبدأ بالغليان فيتحول قسم منه الى بخار .. تزايد كم السعرات الحرارية يؤدي الى تحول كيفي او نوعي عند وصول الماء الحد الحراري .. درجة 100 مئوي .. مفهوم ..

بادرني الأستاذ بهنام: شكراً أستاذ موفق لقد أزلت بعض الصدأ عن قراءاتي حول الموضوع من زمن بعيد .. الاضداد موجودة أيضاً في الاحياء .. الذكر والانثى ووحدتهما في العملية الجنسية تنتج وليداً من نفس الجنس .. اليس كذلك

تابعت حديثي: طبّق ماركس وزميله أنجلز المادية الديالكتيكية على تطور المجتمع البشري فوضع نظرية المادية التاريخية .. وفيها .. أن قدرات المجتمع التكنولوجية والإنتاجية مع علاقات الإنتاج الاجتماعية تحدد بشكل أساسي تنظيم المجتمع و تطوره .. أطراف الصراع الطبقي هم طبقة الاقنان ومالكي الارض في العصر الزراعي وعلاقات الانتاج بين الطرفين تحددها العلاقات الاقطاعية .. وفي عهد الثورة الصناعية هم الطبقة العاملة المنتجة للسلع المادية ومالكي وسائل الانتاج البرجوازيين وعلاقات الانتاج بين الطرفين

تحددها التكنلوجيا الصناعية .. مالكي وسائل الانتاج يراكمون الارباح في دورة الانتاج من فائض القيمة الذي يضعونه على إنتاج ضروريات الحياة المباعة .. وبمرور الزمن ومحدودية السوق يزداد العامل فقراً والبرجوازي غناً.

تابعت حديثي: الاقتصاد السياسي مفهوم سبق الماركسية ويعني بصورة عامة تفاعل إقتصاد البلد مع السياسة الداخلية والخارجية .. ولكن الاقتصاد السياسي الماركسي أحدث ثورة في أسلوب النظر الى العلاقات الاقتصادية في المجتمع وكيفية تفسير حركة التاريخ وفق تلك العلاقات فالمتحكم في وسائل الانتاج وقوة العمل يكون هو المسيطر على عملية اتخاذ القرارات المصيرية والسياسية .. المفاهيم الماركسية تلخصت في كتيّب لماركس وانجلز هو بيان الحزب الشيوعي .. او المانيفستو الذي مهّد لنشوء الاحزاب الشيوعية التي تدعو الى التحرر من سلطة البرجوازية والرأسمالية بأستملاك الطبقة العاملة .. المنتجة الحقيقية .. لوسائل الانتاج وصولاً الى إقامة دولة العمال والفلاحين .. كلام جميل ولكن

قال صديقي: ولكن .. ولكن هنالك ثغرات كثيرة في هذه النظرية الجميلة أدت إلى جمود عقائدي وركود إقتصادي ثم الى إنهيار الدول التي تبنّتها .. أنا أفضّل التعليق بتفصيل أكثر بعد قراءة موفق للنقطة التالية

تابعت قرائتي: النقطة التالية هي .. كل محاولات التجديد في تلك الاحزاب بلبس ثوب الحداثة بدمج اساليب حكم حديثة معها فشلت و ستفشل لان العنصر الاساس فيها غير متوفر .. الا وهو حرية الفرد في النقد .. النقد هو العنصر الحيوي الذي يكشف العفن والعوائق في طريق التقدم

قال صديقي: هنالك عوامل موضوعية كثيرة أدّت الى إنهيار نهج الماركسية اللينينية التي بنيت بموجبه الدول الاشتراكية .. أهم عامل ايدولوجي أدى الى تفكك البنية النظام الاشتراكي في رأيي هو مبدأ ألمركزية الديمقرادية التي تحول الى مركزية شديدة وإنعدام أو ضعف النقد من القاعدة الى القمّة الحزبية .. وإرهاب وقمع خصوصاً في عهد ستالين لم تزول أثارها بعده برغم محاولات التجديد ..

قلت: لعل اكبر العوامل المؤدية الى أن تصبح السلطة المطلق للدولة بيد القيادة العليا للحزب هو مبدأ ملكية الطبقة العاملة لوسائل الانتاج .. ملكية الطبقة العاملة تتحول الى ملكية الدولة التي يهيمن عليها الحزب الذي يمسك بزمام السلطة .. وهو بذلك يهيمن على المورد المعيشي للشعب .. من منّا لا يعرف المثل العراقي الذي يدلل على أهمية هذا المورد .. قطع الاعناق ولا قطع الارزاق

تابع صديقي حديثه: الصورة النمطية للصراع الطبقي هي بين القطبين .. البرجوازية الكبيرة المُستغِلة وطبقة العمال الصناعيين .. البروليتاريا .. المُستغَلة .. ولكن ماذا عن البرجوازية الصغيرة التي وفقاً لهذه الصورة النمطية تملأ الفرغ بين القطبين .. قسم كبير منهم مثل أصحاب المصالح الصغيرة صودرت أملاكهم أيضاً وأجبروا على الالتحاق بمؤسسات إشتراكية يملكها النظام .. الكلخوزات الزراعية والمعامل الصناعية .. القسم الاخر مثل العلماء والأطباء والمهندسين والأدباء والفنّانين .. أخترعوا لهم أسم جديد يبعدهم عن تهمة البرجوازية .. سمّوهم شغّيلة الفكر .. ولكن عيون السلطة عليهم إن حادوا عن الطريق القويم .. أي طريقهم .. الأدب .. يجب ان يكون أدب ملتزم .. أي ملتزم بأيدولوجيتهم .. الفن .. فن ملتزم لا يتبع ما في الغرب البرجوازي القذر .. أتذكر شيئاً قرأته .. في زمن ستالين تمت إدانة ومنع بحوث أحد علماء البايولوجيا لأنه تجرأ ان يبحث في مجال العلم البرجوازي .. علم الصفات البايولوجية الوراثية الذي أصبح فيما بعد علم الجينات

قلت: أنا في الحقيقة أرى ان تعريف البرجوازية المبتسر بكونهم الطبقة التي تعيش من إستغلال الطبقة العاملة فيه تجنّي كبير وقاتل .. ألملكية الخاصة جزء مهم من الكيان الانساني .. العقل الذي تميز فيه الانسان عن الحيوان هو شئ غير مادي ولكنه نابع من طبيعة المادة .. هو يحب ان يمتلك ما يعطيه الاستقلالية والحرية والقوة والرفعة في العالم المادي .. حرمان الانسان من الملكية كلّياً يعني إستعبادة من قبل من يملكها .. النظام .. هو حرمانه من مما يعتقد أنه يمنح شئ من الاستقلالية .. هذا من الناحية الفلسفية .. أما من الناحية العملية .. أليس من حق الذي يبتكر ما يزيد إنتاج سلعة ضرورية أن يحصل على نسبة معقولة من من أرباح السلعة .. هو لم يستغل أحد .. يستمتع بدخله المالي الكبيرالذي يخضع للضرائب .. هنالك مقولة قاتلة يتبجح بها بعض الشيوعيين .. من كلٍ حسب طاقته ولكلٍ حسب قدرته .. خذ حالات حقيقية مثل رجلان يعملان في معمل الاول نشيط وطاقته الانتاجية عالية والثاني كسول وطاقته الانتاجية واطئة .. الاول متزوج وله طفل واحد وحاجاته الحياتية محدودة والثاني متزوج وله ستة أطفال وحاجاته وحاجات أسرته كبيرة .. أجور العمل متساوية .. العامل النشيط لا يحصل على مكافئات بقدر الزيادة في انتاجه ولكن الكسول يحصل على اضعاف ما يحصل عليه النشيط لسد أحتياجات عائلته الكبيرة .. العامل النشيط سوف لا يرى اي فائدة من جهده الضائع.

قال صديقي: هذا ما لمسته في الاتحاد السوفيتي السابق .. جيش من الكسالى بلا هدف ولا حوافز ينتجون سلعاً هي تقليد ردئ لما هو موجود في الغرب ويحصلون على كل الخدمات الاجتماعية التي توفرها لهم الدولة

قال الاستاذ بهنام: نجاح الحزب الشيوعي الصيني في تعديل الانحراف في الشيوعية بالسماح للملكية الخاصة .. بل بملكية وسائل الإنتاج .. وهو ما كان محرّماً في الشيوعية الكلاسيكية .. أدى إلى تقدم متضاعف في اقتصادهم وتحسّن هائل في معيشة شعبها .. أليس هذا دليل على قدرة ألشيوعية على التأقلم مع متغيرات العصر ودفع عجلة التقدم الذي يضاهي الان ما في الدول الغربية بل يتقدم عليها في كثير من المجالات.

قلت: في سنة 2010 ذهبت الى الصين في فد حكومي وكنت من أشد المعجبين بالتقدم الهائل في كل نواحي الحياة في الصين .. أثارت إستغرابي الطبقة الجديد من واسعي الثراء بسياراتهم الفاخرة .. فيراري .. مرسيدس .. جاكوار .. بفخار يجولون شوارع بكّين .. قلت في نفسي حسناً هذا يدل على فعّالية الإقتصاد مختلط الذي يجمع بين الاشتراكية والرأسمالية كما تنادي به الاحزاب الاشتراكية الاوربية في برامجها التي تدعو الى نظام يوفر أساسيات الحياة الكريمة من رعاية صحية وتعليم وسكن للشعب ويفتح المجال للملكية الخاصة والكسب الخاضع للضرائب المتصاعدة من العمل الحر .. ولكن هنالك فرق شاسع .. في الصين حزب أوحد يمسك بالسلطة يفوق عدد أعضاءه 80 مليون هو الحزب الشيوعي الصيني .. وكأي حزب شيوعي يمسك بصرامة بالسلطة ويمارس المركزية المتشددة والديمقراطية الذي تنتفي عنده كل أشكال النقد الحقيقي .. أثرت غضب المسؤولين الحزبيين المرافقين لناعندما ذكرت لهم ان حزبهم يستخدم التراث الصيني الكونفوشيوسي الذي يعلّم على الطاعة والخضوع للأعلى مرتبةً لتقوية هيمنتة الحزب على الشعب .. الشعب الصيني سعيد بالحرية النسبية التي رافقت الانتعاش الاقتصادي والسماح بالملكية الخاصة ولكن اليوم سيأتي عندما يبدأون بالمطالبة بكامل الحرية .. عندما يتذمرون لتأثير تباطؤ النمو الاقتصادي لأن الدول الغربية قد وضعت حد لسرقة مخترعاتها ومكتشفاتها التي تُقلّد وتباع للعالم بأسعار زهيدة بيعها ..

علّق الاستاذ محمد: يبدو ان الشيوعية التي نمت في الشرق تحمل بذور الدكتاتورية الشرقية التي بررها مبدأ المركزية الديمقراطية .. وهو الذي رفضته الاحزاب الاشتراكية الغربية .. لا أتذكر أسم المقال الذي

قرأته حيث بيّن ماركس فيه ان طبيعة الاراضي في الشرق حتّمت ظهور زعامات قوية قاسية للهيمنة على الاقنان الذين يعملون في الاراضي المزروعة الشاسعة .. لعل هذا تسرّب في الشرق الى أحزابهم الشيوعية .. وهذا يشمل روسيا والصين

قال صديقي: لا أريد أن أطيل بالموضوع ولكن الصراع بين المعسكرين .. الغربي بقيادة الولايات المتحدة والشرقي بقادة الاتحاد السوفيتي .. وصل الى مراحل من القذارة أضرت كثيرا بشعوب البلدان النامية .. ألمعسكر الغربي يدعم دكتاتويات ونظم متخلفة تعادي الشيوعية والمعسكر الاشتراكي يدعم نظم ترفع شعار الاشتراكية والتحرر من الهيمنة الاستعمارية الغربية ولكنها في حقيقتها نظم دكتاتورية معادية للديمقراطية وتمارس القمع الوحشي .. لاأريد أن أساوي بالمساوئ بين بين المعسكر الرأسمالي والمعسكر الاشتراكي فقد كان للأتحاد السوفيتي والدول الاشتراكية الاخرى حسنات وفضل الكبير في دعم ثورة تموز والكثير من حركات التحرر في العالم .. كانت شعارات المعسكر الاشتراكي في التضامن الاممي والسلام التي صدقها ومشى في ظلها الكثيرون جيدة وتبعث الامل

علّق السيد حسين: إن الحسنات يُذهبن السيئات .. صدق الله العظيم

بعد صمت قصير تخلله رنين اقداح الشاي التي أرتشف البعض منّا ما بقى فيها قلت: نقاشاتكم الشيقة والمتّزنة حول الاتحاد السوفيتي والصين تذكّرني بما كنت الآقيه من إجحاف بعض أنصار الحزب الشيوعي العراقي من الاصدقاء وغير الاصدقاء عند إنتقادي لبعض عوامل الخلل في الآيدولودية الماركسية اللينينية التي أدت الى أنهيار المنظومة الاشتراكية كلّها .. كان البعض يقول ان كلامي سفسطة وكلام فارغ والبعض الاخر يتهمني بالعمالة لأمريكا والاعقل من هؤلاء يقولون ان السبب الداخلي قد تم إصلاحه ويشيرون الى تخلي الحزب عن دكتاتورية البروليتاريا ويضعون اللوم كله على السبب الخارجي مشيرين الى الهجمة الامبريالية الشرسة .. هؤلاء كلّهم لم يتخلّوا بعد عن الفكر المثالي الذي يرى في النقد والناقد عدواً يجب ردعه .. لا الحقيقة مخالفة .. دعوني الخص الموضوع بشكل مبسّط .. الجراثيم موجودة داءما ولا يمكن لوم الطبيعة لو تمرضنا جراءها بل نلوم ضعف مناعتنا واجراءات الوقاية التي لم نتبعها .. لنقل مجازاً ان ما يقابل الجراثيم في الطبيعة هو توجّه الفرد الطبيعي للملكية ونتائج ذلك الطبيعي مجتمعات ودول رأسمالية .. ومقابل ذلك دول إشتراكية فيها أحزاب ماركسية اللينينية ابتلت بضعف مناعة داخلي سببه
اولا لم تفهم ان الملكية الخاصة لوسائل الانتاج والربح المشروع حق طبيعي ضمن قوانين تمنع الاستغلال ثانياً مبدا المركزية الديمقراطية الذي يكون فعال جدا في المحافظة على الحزب في ظروف السلطة الجائرة يؤدي عندما يستلم الحزب السلطة الى دكتاتورية الحزب الواحد ومركزية شديد .. الخطر يكمن في قمع كل نقد لسلطة الحزب .. الذين بالحزب يقولون لهم جاهروا برأي الاكثرية في الحزب حتى لو كان مخالف لرايكم وقد يتعرض للقمع كالمعارض خارجه .. قابليات تلك الاحزاب في السلطة عظيمة في تحشيد الجماهير لتحقيق هدف اقتصادي ولو على حساب حرية الفرد .. مثال على ذلك الخطط الخمسية العظيمة في الاتحاد السوفيتي .. ولكن بمرور الزمن تزداد المركزية ويزداد معها القمع، كما في الحكم الستاليني، ولكن لا يمكن التخلص من تلك المركزية وقمعها للمعارضة والجمود العقائدي والبروقرطية المرافقه لها والنتيجة هي ضعف بنيوي وضعف مناعي يؤدي الى فشلها

قال الاستاذ بهنام: كثير من الاخبار عن الصين والفديوات التي اطّلع عليها تتحدث عن نجاح الحزب الشيوعي الصيني المنقطع النظير في وتحسين معيشة شعبها وزيادة دخلها القومي بمعدلات تفوق 10% كل سنة .. قريباً سوف تسبق الولايات المتحدة إقتصاديّا وكقوة عظمى .. أنا أرى ان تجربة الصين الناجحة هي نموذج يمكن ان نقتدي به في العراق ..

قلت: نعم .. هنالك كم هائل من الدعوات في الاعلام تعظّم إنجازات النظام الصيني في رفع مستوى المعيشة والتقدم الاقتصادي الهاءل .. وهي في معظمها دعوات من اليسار واليمين الديني تبطن العداء للدول

الراسمالية وعلى راسها امريكا .. الكثير من تلك الفديوات وخصوصا العربية منها مصنوعة من قِبل اجهزة الدعاية الصينية والروسية والايرانية .. انا ايضا معجب جدا بتقدم الصين الهاءل ولكن المحرك الذي سبب تقدمهم الهاءل هو وضع اهم تعاليم الماركسية على الرف مع الالتزام باللينينية بحذافيرها .. الحزب نبذ السبب الاول الذي ذكرته .. اي ملكية الدولة لوساءل الانتاج فاصبح من الناحية الاقتصادية نظاما راسماليا وهذا حرر واطلق قابليات الافراد في تنمية الاقتصاد لمنفعتهم الشخصية ولمنفعة الشعب ولكنه أبقى على المركزية الديمقراطية .. هذا المبدأ الذي طوره لينين .. بل عززه بتعزيز مكانة الحزب ومركزية السلطة الشديدة .. أسألكم .. بعد التخلص من هذه الزمرة الفاسدة العميلة هل تريدون للعراق نظام على غرار النظام الصيني الذي يدّعي الاشتراكية ام نظام على غرار النظام الراسمالي الديمقراطي البريطاني رغم كل عيوبه.. ارجوك لا تنسوا نظام سابق قمعي يدّعي الاشتراكية ويلتزم بالمركزية الديمقراطية عشنا في ظله، تطلّعت الى الوجوه وعندما لم اجد إعتراضاً او تعليقاً آخر تابعت جديثي: أعتقد ان علينا ان ننتقل الى النقطة الاخيرة الان .. النظام الراسمالي في ظل الثورة الصناعية فشل كذلك ولكن الديمقراطية التي نبعت من جوفه خلال صراع القوى المنتجة مع مالكي وسائل الانتاج قللت من لا انسانيتة المنفلته الى اقصى حد وانتجت احزاب ديمقراطية ومؤسسات مستقلة تمارس النقد الحر، نظرت الى الوجوه استشف مداخلة فلم أجد .. تابعت الحديث: دعوني أذكر مثالاً على الثغرة المهمة في النظام الديمقراطي الغربي .. خلال فترة وجودي في بريطانيا حدثت جريمة مروعة من أحد أفراد الجماعات الاسلامية المتطرفة التي تدعو في المساجد الى الجهاد ضد الكفرة المسيحيين واليهود .. طَعن طالب من حزب التحرير الاسلامي المتطرّف طالباً آخر فقتله .. لا لشئ سوى ان المطعون كان يهودياً .. طرحت الموضوع على عضو برلماني مسلم من مدينتي برمنكهام وسألته أن يشجب هذا العمل ويدينه فرفض متحججاً بشتى الحجج ولكن من بين ماقاله هو انه سيفقد تأييد المنطقة التي يمثلها والتي معظمها مسلمين من اصول هندية وباكستانية .. وهكذا نرى ان هم البرلمانيين بشتى انتمائاتهم هو إرضاء ناخبيهم حتى لو كان ذلك على حساب العدالة الاجتماعية او ضرر شعوب أخرى

قال السيد حسين: هذا هو الرئيس الامريكي ترامب كمثال آخر.. باع ما تبقى من القضية الفلسطينية لنتنياهو من أجل ضمان أصوات اليهود ومؤيديهم في أمريكا

رد صديقي: ترامب كلب ابن كلب لكن عداءه للتوسع الايراني في العراق وسوريا واليمن الذي يهدد أمن حلفاء امريكا .. واقصد إسرائيل والسعودية .. مفيد للعراق

أراد الاستاذ محمد ان ينهي الموضوع من دون الدخول في نقاش فقال: أستاذ موفق أعتقد اننا غطّينا نقاش معظم المواضيع لنأخذ إستراحة لمدة نصف ساعة نتجوّل بين بائعي الكتب ثم نرجع الى هنا لنستكمل ما قد فاتنا ان نذكره حول إصلاح المجتمع

قلت: حسنا .. ،هممت بالوقوف في نيّة الخروج من المقهى ففاجئني السيد خالد بالقول: يا جماعة أعتقد إننا لم ننتهي من موضوع الاصلاح بعد لأننا لم نناقش مسألة إصلاح النفس .. أعتقد أننا يجب ان نناقش في لقاءنا القادم موضوع إصلاح النفس .. ماهي مقومات الانسان الناجح في حياته الشخصية والاجتماعية الذي يساهم مساهمة مثمرة في رفع شأن وطنه ويساهم في رفد الحضارة الانسانية

قال الاستاذ بهنام: أقتراح جيد .. أعتقد إن الاصلاح المقصود يتجاوزنا .. نحن الذين جاوزنا سن الخامسة والستين بل المقصود هو أولادنا وأحفادنا .. ماهي النصائح التربوية التي نقدمها لهم لكي تصنع منهم ناس مستقيمين يعملون لما هوخير لأنفسهم ولمجتمعهم .. أعتقد أن الاستاذ موفق عنده أفكار يمكن ان تفيد الموضوع

قلت: قلت نعم عندي بعض الافكار التي تصب في موصوع التربية الصالحة .. أذهبوا أنتم للتجوال في سوق الكتب وسأبقى هنا أستجع افكاري المبعثرة حول الموضوع لكي تكون منطلقاً للنقاش في اجتماعنا الاتي

محادثات فلسفية مع صديقي (30)

الحلقة الثلاثون والاخيرة - ماذا نفعل لتحقيق التغيير الجذري 3:

بقيت في المقهى أستجمع أفكاري و اكتب بعض الملاحضات حتى انتهت فترة النصف ساعة ورجع الجمع الى المقهى وجلسوا في مكانهم العهود .. صاح السيد حسين على عامل المقهى لجلب الشايات وحالما حضرت الشايات وبدأنا بأرتشافها قلت: عندما طُلب منّي ان أبدأ الحديث حول موضوع يخص وصايا للجيل الجديد بقيت هنا لأستجمع أفكاري .. فكّرت ملياً .. ماهي النصائح التي يمكن أن تكون حافزاً يخرج الجيل الجديد من أبناءنا وبناتا من مستنقع الافكار والتصورات الخاطئة التي تشربنا بها في مجتمعنا المتخلّف والتي لا زالت تتحكّم ببعض معتقداتنا وأفعالنا واقوالنا بالرغم من أننا أدركنا خطئها؟ .. ما هو نموذج الانسان الحضاري الذي ننصح أبنائنا بالأقتداء به؟ لا بد أن الانسان الحضاري هو نتيجة بيئة حيّة متحضرة تساهم بفعّالية في تقدم الحضارة الانسانية .. شئنا أم أبينا فأن هذه البيئة الحضارية موجودة في الغرب وفيه فطاحل المفكرين الذين ساهموا بتقدّمها .. مَن مِن هؤلاء يمكنني الاقتداء به؟ تذكرت فديو يتحدث عن هموم الشباب والثانى نصائح للشباب .. شاهدتها وأستخلصت منها دروس .. ها هو عنوان الفديوين .. هم باللغة الانكليزية إن شئتم نقلهما ومشاهدتهما

https://www.youtube.com/watch?v=6YP1l39PjO8&feature=em-uploademail

https://youtu.be/Ssjs8562IU8

المتحدث في الفديو الاول يعلل أسباب مشاعر الضياع وفقدان الهوية الشخصية والكأبة عند الشباب الامريكي والاوربي وخاصة بين طلّاب الجامعات اليوم .. الشعور بالضياع وفقدان الهوية ينطبق على شباب العالم الإسلامي .. وكان من نتيجة خيبة الامل في الأنظمة المتعاقبة التي تبوأت الحكم بعد الحرب العالمية الاولى على أنقاض الإمبراطوريتين العثمانية والصفوية التي حكمت بأسم الدين .. كانت الامال تعقد على مستقبل يأخذ من ماضي حضارتنا العريقة ليبني مستقبل يضاهي الغرب في تقدمه الحضاري والاجتماعي .. تركمت مشاعر خيبة الامل بألانظمة القمعية التي تتكلم بأسم القومية وبأسم الدين وتشتري الاسلحة الفتّاكة من الغرب الذي تكفّره وتذمّه وتلبس ثوب الحضارة من دون الاخذ بمحتواها الانساني.. تركمت تلك المشاعر حتى تأزمت في شباب ضائع يشعر بالإحباط وأن لا معنى لحياته بعد ان فقد الثقة بكل الشعارات المطروحة، أخذت رشفة من قدح الشاي ثم تابعت جديثي: .. هناك بجانب الوجود المادي للشخص وجود معنوي من أحاسيس ومشاعر وفكر تُبنى وتتكامل منهم الهوية الشخصية .. ولا تتكامل الهوية الشخصية بغير إنتماء الى فكر وجمع من الناس يحملون هذا الفكر .. كثير ما تكون أهمية الهوية الشخصية أكثر بكثير من الوجود المادي للشخص الى الحد الذي قد يدفعه للتخلّص من حياته المحطّمة معنوياً .. يستنتج الفديو الاول ان أهم سبب لمشاعرالاحباط والكآبة هي تلك التي تستلب من الهوية الشخصية قوتها ومتانتها المتمثلة بالقيم والمعنى في الحياة الشخص .. أؤكد على القيم والمعنى .. قيم أجتماعية يلتزم بها الشخص ويسعى الى تحقيقها فتعطيه الثقة بالنفس والطمأنينة وألسعادة.. تكوين عائلة وانجاب البنين والبنات .. وضيفة او عمل مستمر .. دخل مادي مريح .. قيم الفضيلة والعلاقات الاجتماعية التضامنية وحب الوطن والدفاع عنه .. القيم مرتبطة بالمعنى الوجودي للحياة .. معنى لحياة مآلها يفسره المؤمن من خلال دينه .. إله فوق الجميع وحياة الآخرة في ما بعد حياة الدنيا .. كل الاحباطات التي مرت بها أجيال سبقتنا حتى الان تراكمت في شباب محبط هويته متصدّعة تعاني الخلل .. وكان من نتيجة ذلك إرتداد الكثير الى نمط من إسلام بدوي وحشي متطرف يوعد بجنة على الارض ويحشو التصدعات في هويتهم المشتتة بأوهام ماضي مقدّس لا

شائبة فيه يعاد إنتاجه بجهادهم وتضحياتهم ويعطيهم ما ينقصهم من إنتماء .. من منا لم يشاهد أو يسمع أو يفجع بعزيز من جراء جماعات الاسلام المتطرف .. القاعدة .. داعش التي أحتلت ثلثي العراق .. أكاد أجزم أن لكل منا تجربة او قصة مرعبة عن فترة هيمنة هؤلاء الاوباش

قال قيس: يا أستاذ نحن أيضاً عانينا ما عانيتم من داعش وتجربتنا لا تقل عن تجربتكم .. شاهدنا وخبرنا زيف تلك الجماعات المتطرفة وزيف جماعات الاسلام السياسي شيعة وسنّة .. الذي يحكم البلد وينهبه .. لم نعد نصدّقهم جميعاً ..

أستدرك سمير قائلاً: أقول الحق .. نبذنا تلك الافكار المتخلفة والاكاذيب والتلفيقات في تاريخنا وفي الاسلام كما وصلنا اليوم .. وأكذوبة الوحدة القومية العربية كما روج لها البعثيون.. المصادر التي يمكن التحقق بها من زيفهم كثيرة تملأ صفحات الانترنت .. بعد أن نبذنا تلك الافكار المتخلفة والاكاذيب والتلفيقات أصبح في هويتنا الشخصية .. إن صح القول .. فراغ .. رفض الفاسد لا يعني معرفة الصحيح .. القيم في حياتنا فيها بعض الوضوح .. نحن جزء من الانسانية لا نفرق بين الناس على اساس الدين او اللون او العرق .. نريد وطناً نعيش فيه أحرار .. ندرس ونتعلّم لكي نصبح عاملين مفيدين في المجتمع .. لا زلنا نبحث عن معنى وجودي لحياتنا .. ولكن .. على المدى القريب المعنى في حياتنا مرتبط بوطن حر

أردف صديقي: وشعب سعيد

تابع سمير حديثة: نعم .. شعب سعيد بأنتصاره على قوى الرجعية والتخلف وتحقيقة الاستقلال الحقيقي والديمقراطية الحقيقة

قلت: كلام واقعي جميل أعزائي قيس وسمير .. هذا الفراغ في هويتكم سوف يُملأ بما هو موضوعي اقرب الى الحقيقة ليكوّن كلاً متجانساً .. لن يفرض أحد عليكم ما ستفكرون وتعتقدون به بل ستكتشفونه من خلال تجربتكم .. هذا ينقلني للحديث عن الفديو الثاني .. في مقابلة مع عالم المنطق والفيلسوف الانكليزي برنارد رسل سأله مقدم البرنامج ماذا ستقدم من نصائح للجيل الجديد .. أجاب الفيلسوف .. نصيحتين اولهما عقلية والثانية اخلاقية .. النصيحة العقلية هي .. عندما تدرس موضوع او فلسفة ما إسئل نفسك ما هي الحقائق .. لا تدع نفسك تنجرف الى ما تود ان تصدّقه او أن تصدّق ما له منافع اجتماعية لك بل أنظر الى الحقاق فقط .. اما النصيحة الاخلاقية فهي تتلحص في مقولة بسيطة .. الحب حكيم والكراهية حمقاء .. في هذا العالم الذي أصبح متواصلاً ومتقارباً اكثر واكثر لزم علينا ان نتسامح مع بعضنا .. لزم علينا ان نتقبل الآخر الذي يقول أشياء قد لا تعجبنا .. هذه هي الطريقة الوحيدة للتعايش سوية وليس الموت سوية، نظرت الى الوجوة وسألت، ما رأيكم؟

قال الاستاذ محمد: هذا كلام حكيم من فيلسوف وعالم منطق عظيم .. نعلّم أبنائنا أن لا يصدّقوا ما لا يقبله العقل .. أن يبحثوا عن الحقيقة في كل ما يصل الى أذهانهم .. يبررونه موضوعياً بعيد عن التأثير العاطفي .. قدر الامكان .. يمحّصونه ويزيلوا الاوهام والاكاذيب عنه ويأخذون الصافي منه كمعلومة هي الاقرب للحقيقة .. ولكنها طبعاً قابلة للتغيير متى جاء ما هو اقرب منها للواقع .. سيواجهون ما كان يعتبر مقدساً لا يمكن المساس به او عادات إجتماعية تعبّر عن قيم متخلّفة وسيكون الامر صعباً اول الامر ولكن الخبرة في فرز الحقائق تتراكم .. الشك الذي يسبق اليقين يصبح نهج التفكير السليم

قلت: اليقين الذي يأتي بعد تبرير المعلومة بالعقل موضوعياً ومنطقياً

قال السيد خالد: أنا مؤمن بالله ورسوله ولكن كثير ما تعرض إيماني لشكوك حول تناقضات التشريعات التي تخالف الانسانية والعقل .. لاقت شكوكي صدى في مقولة لأبن رشد .. الله لا يمكن ان يعطينا عقولاً ويعطينا شرائع مخالفة لها

قال الاستاذ بهنام: الفيلسوف رسل ملحد ولكن الذي يقوله عن الحب والتسامح هو أقرب الى المسيحية .. المسيحية التي تخلّصت من شرائع القرون الوسطى .. المسيحية الروحانية التي تضع الانسان كأعلى قيمة .. ، تبسم وأشار بيده اليّ، هذه أيضاً قالها ملحد تعرفه جيداً .. كارل ماركس .. عندما كنت في أمريكا قرأت على جدار أحد الكنائس عبارة God is Love .. الله حب .. في الحقيقة هذه ليست كلمات طوباوية تقال في خطبة الاحد في كنيسة.. أنظر ماذا فعلت الكراهية الحمقاء بالعالم المتحضّر .. على مر التاريخ ملايين البشر قتلوا في حروب تغذّيها الكراهية ويشعل فتيلها عدم التسامح .. أنظر ماذا فعلت الكراهية وعدم التسامح على مر التاريخ بين طوائف دين واحد .. الكراهية يغذّيها الجهل وعدم التسامح يدفعه التكبّر وإستصغار وتسفيه الاخر .. نرجع قليلاً الى مقولة ماركس وأنجلز في المادية الديالكتيكية .. لا يمكن ان يتغيّر ويتقّدم ألمجتمع نحو الاحسن من دون ديالكتيك التعايش السلمي وفيه الأضداد والتناقضات البنّائة غير المدمّرة للمجتمع .. الكراهية والنزاعات والحروب تناقضات مدمرة وفي عصر القوى النووية والاستغلال التدميري للبيئة قد تقضي على الوجود البشري كله

قال صديقي: الشجاعة .. نعلّمهم الشجاعة

قال السيد حسين: كيف تعلّمهم الشجاعة .. الشجاعة لا يمكن نتعلّمها من كتاب او من خلال التلقين بل هي شئ يتعلّق بالمشاعر

قال صديقي: يمكن تعلّم الشجاعة من خلال الممارسة .. يمكن ان يكون الشخص أكثر شجاعة عندما يتغلّب على مخاوفه .. نعلّم الابناء الشجاعة من خلال جعلهم يجربون مواجهة أشياء غير مؤذية كانوا يخشونها .. طبعاً ان تكون شجاعاً لا يعني أن ترتكب حماقات تعرضك وتعرض الاخرين للخطر .. الشجاعة ليست حماقة .. الشجاعة مع عدم القبول بغير الحق والحقيقة تعلّم اولادنا وبناتنا عدم الخنوع وتحدّي الأحكام والتقاليد الغير عادلة والتي لا يقبلها العقل

قلت: كلامك صحيح .. ولكن أهم من الشجاعة في مواجهة التحديات الخارجية .. اي مواجهة الآخر.. هي الشجاعة في مواجهة النفس .. مواجهة معتقدات تقبّلناها وآمنّا بها بأعتبارها حقائق خصوصاً تلك المحاطة بهالة من القدسية .. عندما كنت صغيراً كنت أرتجف خوفاً وأنا في فراشي ليلاً .. أغطي رأسي بالملحف مرعوباً من ملاك سيأتي ليعاقبني لأني تجرأت وتسائلت مع نفسي .. لماذا يعاقبنا الله على خطأ إرتكبناه وهو الذي خلقنا غير كاملين وفي دماءنا تجري الخطيئة .. أين رحمة الله الواسعة من تلك القسوة الوحشية بتعديبنا في نارجهنم .. كانت أمّي تقرأ القرإن وتختمه عدة مرات في السنة .. كنت في بعض الاحيان أنسط لها وأتسائل لماذا أسمع اسم النبي موسى في آيات القران يتكرر ولا أسمع أسم النبي محمد الذي أنزل القران عليه .. مواجهة ما كنت أخاف منه غرست في شجاعة جعلتي استقصي عن حقيقة المقدّس من دون وجل

قال صديقي: حسب ما أطلعت عليه .. يتكرر في القران أسم موسى 136 مرة وأسم محمد 4 مرات فقط .. والسبب بسيط .. لم تكن دعوة محمد لدين جديد بل لإصلاح اليهودية وتخليصها من البدع والمسيحية وتخليصها من إدعاء ان المسيح أبن الله .. ألإسلام كما نعرفه الان خرج في زمن عبد الملك بن مروان زمن الدولة الاموية وإكتمل كدين منفصل زمن الدولة العباسية .. هذا ما قاله لي موفق

وعلى عجل قبل ان ينقلب الحديث الى ما يخص الدين قلت: نرجع الى موضوع الشجاعة .. فأذن وكملخّص لما قيل .. نعلّم أبنائنا ان لا يصدّقوأ غير ما يقبلة العقل وأن يتحلّوا بالشجاعة في تفنيد ما لا يقبله العقل في المعتقدات والعادات الاجتماعية وما هو غير معقول وغير عادل في العالم ..

قال السيد حسين: الشجاعة لها حدود .. ألغصن ينحني ولا ينكسر والشجرة الصلدة تقتلع من جذورها في الرياح العاتية .. نحن ضبّاظ الجيش العراقي لم تنقصنا الشجاعة في محاربة العدو الخارجي ولكننا أضطررنا للإنحناء أمام القوة القاهرة للعدو الداخلي الذي لا يعرف الرحمة حفاضاً على حياتنا وحياة عوائلنا

تابعت الحديث: ولإكمال الصورة .. نعلّم أبنائنا أن يكونوا متواضعين محبين للحياة والطبيعة والجمال .. نعلّمهم تاريخ حضارتنا العريقة ومساهمتها في إغناء الحضارة العالمية فيكون ذلك حافزاً لمحبة وطنهم .. سيكون حب إنساني حقيقي كحب الأبن لأمّه .. نعلّمهم التواضع وأحترام الآخرين مهما أختلفوا عنّا .. نعلّمهم التسامح

قال الاستاذ بهنام: أضيف الى ذلك .. نعلّمهم الإخلاص في العمل .. نعلّمهم إن العمل شرف .. الشرف هو شرف الكلمة وشرف العمل المتقن الصادق الذي نضع فيه كل خبراتنا .. نعلّمهم أن ارتكاب الخطأ ليس عيباً لا يغتفر ولا ينتقص من كرامة الانسان .. وأن الاعتراف بالخطأ فضيلة والقيام بأصلاح الخطأ شئ يستحق الاعجاب والمكافئة

قال الاستاذ محمد: إعرف نفسك بنفسك ... كلمة قالها سقراط .. نعلّمهم أن يراجعوا بين الحين والآخر دوافعهم النفسية التي أدت الى ما قالوه وفعلوه .. ، ضحك ضحكة خافتة، طبعاً لو طبّقنا هذا على أنفسنا لتجنّبنا الكثير من الاخطاء نتيجة الثقة المبالغة بالنفس والاندفاعات العاطفية .. كان الأولى بنا أن نطبق هذا على أنفسنا ولكنا حقيقة تقال ننقلها الى أبنائنا لعلها تنفع في صقل نفوسهم.

قلت: أضيف شئ مما تعلمته وأنا في بريطانيا .. في تصريحات المسؤولين وحتى عامة الناس كثير تسمع كلمة probably اي ربما الاحتمالية فهم يقولون هنالك إحتمال في أن الشئ موضع الكلام سببه كذا وكذا مثلاً .. كثيراً ما يترجم العقل الشرقي الذي لا يفهم الاحتمالات بأن هذا تلميح الى شئ مؤكد .. كل شئ في العقل الشرقي أمّا أبيض وأما أسود فأن قال الأنكليزي أن هذا محتمل فهمها الشرقي بأن هذا أكيد .. مفهوم الاحتمالية يكّون أحد أسس علم فيزياء الكم متمثلاً في مبدأ عدم التأكد .. من الضروري أن نعلّم ابنائنا التأنّي وعدم الحكم المطلق على الاشياء قبل النظر في إحتمالات ما يخالفها .. ليس هنالك أبيض وأسود .. شر مطلق او خير مطلق في الواقع الموضوعي وكثير مما هو في الواقع في منطقةً رمادية .. لا هو شر مطلق ولا هو خير مطلق بل فيه العنصرين ممزوجين ..

قال قيس: هذا شئ تعلّمناه في حياتنا التي هي منعطف تاريخي حاد .. نظرتنا الى العالم تغيّرت .. نظرتنا الى أمريكا التي ورثناها عن أبائنا ومن المحيط الاعلامي التقدمي والرجعي هي أنها العدو الامبريالي الذي يهيمن على الشعوب ويمتّص خيراتها .. لا يمكن لبلد حقق كل هذا التقدم الحضاري ان يكون شراً مطلق .. قد يكون ما قاله آبائنا عن أمريكا فيه شئ من الصحة ولكن العداء لمثل هذه القوة الحضارية العملاقة لا يجلب الخير لبلدنا

قال سمير: بل أنه يسمح لدول الجوار الطامعة بالعراق .. إيران وتركيا .. للتدخل السافر ونهب خيرات البلد .. أعلم ان ما سأقوله لا يرضيكم .. ولكن أرجو تقولوا لي .. هل كان لهذا البلد الصغير جداً الذي يسمّى قطر وهو بين عدوّين جبّارين ..إيران والسعودية .. أن يعيش بلا الحماية الامريكية

قال السيد خالد: ولكن ذلك كان مقابل ثمن باهض .. قاعدة العديد الضخمة وغيرها .. هذا إنتهاك لسيادة البلد

قلت: هنالك قاعدة أنجليك الضخمة في تركيا أيضاً .. لم أسمع أي شكوى عن أنتهاكات لسيادة تلك الدول حتى من أعداء أمريكا .. المفهوم السياسي الدولي هو تبادل المصالح حتى بين الاعداء من دون التدخل في سياسة البلد .. أنا متأكد لولا التواجد امريكي في العراق لتم أحتلال العراق بالكامل من قبل إيران ولضمّت تركيا الموصل لها على أقل إحتمال

قال صديقي: وماذا تتصور وضع العراق الان .. الحكومة والبرلمان عملاء لإيران .. لا يردعهم عن إعلان الاحتلال السافر للعراق سوى الرفض الشعبي .. ألاسلام السياسي لا يعترف بالحدود ويعتبر الدول الاسلامية ولايات تابعة للمركز .. المركز بالنسبة للاسلام السياسي الشيعي هو إيران .. المركز بالنسبة للاسلام السياسي السني هو تركيا

قال السيد حسين: الاسلام السياسي يفضح نفسه في خطب الجمعة التي تنادي بتوحد الدول الاسلامية في دولة الخلافة .. الدبلوماسي في دول الاسلام السياسي يجهد في تغطية تلك الحقيقة امام الرأي العام العالمي .. الدبلوماسيين الغربيين بارعين في إطلاق التصريحات المقتضبة لكنها تفي بغرض تمثيل وجهة نظر بلادهم والذي يفسره حكّامنا المتسلطون بما يخدم أغراضهم .. هذا يذكرني بما قالته السفيرة الامريكية غلاسبي لصدّام حسين سنة 1991 التي فُسّرت بعدم ممانعة امريكا غزو الكويت .. الحقيقة أن ما قالته هو .. نحن لا نتدخل في شؤون بلدكم وننصح بعدم التدخل بشؤون الكويت .. هذه الكلمات المقتضبة واضحة ولكن صدّام وزبانيته أراد غير ذلك .. أراد أن يدخلنا بحروب دمّرت العراق ومهّدت للغزو الامريكي

قلت: نرجع الى موضوعنا .. ما قاله العزيزين قيس وسمير ينم عن وعي وحكمة لا تقيّدها تصورات سياسي الماضي .. سياسي جيلنا بكافة الوانه والذي لا زال على نعرة العداء لأمريكا.. من اليسار التقدمي الذي يكرر مقولات الحرب الباردة التي أطلقها الاتحاد السوفيتي .. الى اليمين الديني الذي يستخدم مقولة عداء أمريكا للأسلام الى اليمين القومي الذي يستخدم مقولة التحالف الصهيوني الامبريالي المعادي للعرب .. الى من يتفنن في خلط اوراق هذه الحجج

قال صديقي: قيس على صواب .. العداء لمثل هذه القوة الحضارية العملاقة لا يجلب الخير لبلدنا .. أعتقد ان ما قاله هذين الشابّين يمكن أن يضاف الى قائمة النصائح .. أنظروا الى مصلحة بلدكم بعيداً عن التصورات السياسية المسبقة .. ما يفيد البلد وشعبه ولا يقيده او ينتقص من سيادته ..، تابع صديقي حديثه، انا درست في بولندا وموفق درس في إنكلترا ولا بد أنه يتفق معي أن السياسيين في الدول الغربية بصورة عامّة يبتعدون عن اللاموضوعية والمبالغة والترثرة .. حتّى ان بعض الأكاديميي في بلداننا الذين من المفروض أن يتصفوا بالموضوعية العلمية يصرحون بأختراعات وأكتشافات عجائبية .. أختراع يستخرج الطاقة النووية من الملح .. دواء جديد شافي لكل انواع السرطان مثلاً .. ولكنهم يخدعون الجماهير .. تصريحات العلماء في الغرب من الجامعات ومراكز البحوث المحترمة تصرح بدواء جديد لمعالجة نوع من السرطان وتتم عملية تجربة فعّاليته التي تأخذ وقت طويل لتقرير صلاحيته للأستعمال .. أليس من الصحيح أيضاً ان نعلّم اولادنا ان لا يتناقلوا التصريحات الغير موثّقة ويثرثروا بما لا يعرفونه أيضاً

قلت : كل الذي قلناه من نصائح للجيل الجديد حتى الان ينطبق علينا أبناء الجيل القديم .. نحن بحاجة أن نتعلم كل الذي نود أن نعلّمه لأبنائنا .. نحن لسنا خالين من كل تلك العيوب .. ولا زلنا نحمل بين طيات ثقافتنا التقدمية شوائب مما أنتقدناه .. ولكن لا بأس .. لعل ما نود أن ننصح به الجيل الجديد مفيد في تقويم

ما بنا أيضاً .. الصفات التي يتمتع بها الانسان الحضاري الفعّال في المجتمع كثيرة ولعلنا لم نغطّيها كلها بعد .. أول ما ذُكر هو نصيحتي الفيلسوف برنارد رسل للجيل الجديد وأعتقد أن النصائح الجيدة التي أضيفت منّا تنبع من تلك النصيحتين العقلية والاخلاقية .. النصيحة العقلية هي البحث عن الحقائق والاخذ بهم فقط .. والاخلاقية .. الحب حكيم والكراهية حمقاء .. تعليم أبائنا حقائق أساسية عن الحياة يؤدّي الى حبهم للحياة والطبيعة والجمال .. وحب الناس والوطن .. عدم التفريق بين إنسان وآخر إلّا بما يقدمه في سبيل رِفعة الانسانية .. وأن تاريخ وطنهم واوطان البشر الآخرين مرتبط بما أبدعوه من الحضارات وأن الحروب والنزاعات المدمرة أخّرت تقدم البشرية .. نعلّمهم أن ليس هنالك إلا القليل من الحقائق المطلقة وكثير منها في أذهاننا .. مثل بعض الحقائق المنطقية والرياضية .. وليس هناك شر مطلق او خير مطلق في الواقع الموضوعي .. هذا ايضا نابع من معرفة الحقيقة الموضوعية وعدم الانجرار الى الاهواء الذاتية .. أن يتعلموا إن شرف الكلمة وشرف العمل الصادق المتقن هو أسمى ما في الانسان .. الشجاعة تنبع من معرفة الحق والدفاع عنه .. الشجاعة في مواجهة ما أرتكبته النفس من أخطاء والاعتراف بها هي الطريق الى التواضع .. من الحقائق الموضوعية ايضاً معرفة أن العالم في تغيير مستمر والآيدلوجيات الجامدة التي قد تكون جيدة في فترة ما قد لا تصلح لفترة اخرى .. معاداة أمريكا والغرب عموما في ضروف نحن بأمس الحاجة لدعمهم ومساعدتهم حماقة .. بل لا وطنية تصب في مصلحة اعداء العراق .. شكرا يا قيس وسمير لملاحضتكم القيّمة حول هذا الموضوع .. نحن هنا نتطلع اليكم ونأمل ان تكونوا القوة الجديدة الضاربة التي ستعلن الثورة على السلطة الفاسدة الموالية للأجنبي .. هل تتذكرون الشروط الثلاثة التي وضعها لينين لنجاح الثورة

قال سمير: لا أتذكرها بالضبط .. أتذكر شئ عنها

قلت: الاول رفض الجماهير الكامل للسلطة وتحدّيها رغم قساوة أجهزتها القمعية .. والثاني عدم تمكن السلطة من الحكم بنفس الاسلوب .. ألشرط الثالث والمهم هو وجود طليعة ثورية ذات خبرة تقود الجماهير الى النصر وتحقيق مطالبهم .. أنتم ستكونون الطليعة الثورية التي ستحقق النصر .. لا تملكون الخبرة ولكنها ستتراكم من خلال التجربة في سوح النضال .. ستتعلمون من الفشل وستتصلّبون وتتوحدون .. قبل التعليق على ما ذكرته عن الشروط الثلاثة أود أن تشاهدوا معي هذا الفديو المهم .. عنوانه شروط نجاح الثورة السلمية – اللاعنف والذي يتحدث عن شروط خروج مصر من الازمة وفيه الكثير من العِبر المفيدة

https://www.youtube.com/watch?v=-QIOk6G_3TA

الفديو تحدث عن نجاح الثورات على نظام فاسد .. وتحقق نجاج الثورات العنفية هو 26% ومنها كانت 5% حكومات ديمقراطية وانقلب معضمها الى دكتاتوريات في نهاية الامر .. بينما تحقق نجاح الثورات اللاعنفية التي تحشّد قطاعات واسعة من الشعب في إنتفاضة سلمية هو 53% ونتيجتها حكومات تحقق أهداف الثوار .. ويبيّن الفديو مراحل الثورة عبرالالتزام باللاعنف كوسيلة إستراتيجية لتحقيق الشرعية ومرورها بأصعب المراحل .. مرحلة اليأس والعجز وكيفية الخروج من تلك المرحلة منتصرة على اليأس بالتشبّث بالمطالب المشروعة حتى ينتقل اليأس الى النظام الذي يشعر بعدم إمكانية التشبث بالحكم وأن عدم التغيير أصبح غير ممكن .. يحدث التغيير الثوري الذي يلبّي المطالب الشرعية للجماهير، نظرت الى الوجوه متسائلاً، ماذا تقولون .. نحن حتما قادمون على ثورة يقودها الجيل الجديد .. فهل ستكون لاعنفيّة .. تبدأ بخروج الجماهير من كل المحافظات الى الشوارع معبرة عن سخطها على السلطة ورافعة شعارات مطالبها .. ام عنفيّة .. مثلاً تقوم حفنة من الضباط بأنقلاب عسكري

قال الاستاذ بهنام: لا طريق امام الجماهير غير الثورة اللاعنفيّة .. السلطة محصنة وراء الكتل الكونكريتية المنيعة في المنطقة الخضراء .. عشرات من تنظيمات المليشيات الموالية للأحزاب الدينية والموالية لإيران تنتظر اي حجّة للأنقضاض على الجماهير بأسلحتهم الفتّاكة ..

قال السيد حسين: الانقلاب العسكري شبه مستحيل في ظل تغلغل كثير من عناصر الاحزاب الفاسدة في الجيش والاجهزة الامنية .. نحن أمام مشهد مشابه لمشهد جيش صدّام .. الفرق هو أن الجيش زمن صدّام يتمتع بكفاءة عالية والولاء لصدّام كان نتيجة الخوف من الإعدام لمجرد الشبهة اما الجيش الحالي .. فبالرغم من التحسن في أداءة بعد أحداث الموصل التي قضمت ظهره ولكنه لا زال يعاني من الضعف وتعدد في الولاءات التي لا تصب في مصلحة الوطن .. هنالك قيادات مشهود لها يالكفاءة والشجاعة ولكني لا أعتقد انها قادرة على أنقلاب عسكري

قال صديقي: أنا أؤيد ما تفضّل به بهنام وحسين .. طريق الثورة العنفيّة لا ينفع وتاريخ الحكومات التي جائت بالانقلابات في الشرق الاوسط وفي أمريكا اللاتينية حافل بالدكتاتوريات التي كلّفت الشعوب كثير من التضحيات والمعاناة .. الشرط الثالث .. الجيل الجديد سيقود الثورة القادمة .. على راسي .. ولكن هذا لا يكفي .. لماذا؟ .. لأن إيران ولاية الفقيه سوف لن تسمح بنجاح الثورة الشعبية .. إيران التي تتعامل مع العراق على انه ولاية تابعة لها ونصّبت فيها حكّاماً ولائهم لها لن تسمح بذلك .. العراق البقرة الحلوب التي ترفد اقتصادهم بملايين الدولارات كل يوم والتي هي بوابة توسعها نحو سوريا ولبنان .. لن تسمح بذلك حتى لو كان ذلك على حساب ملايين الضحايا العراقيين .. سوف ينتفض الشعب ويقود الجيل الجديد إنتفاضته .. ويضحّي ويقاوم اسلحة العدو الفتّاكة بصدور عارية ولن يستسلم .. ستراوغ السلطة ولن تنجح .. وستستمر الانتفاضة ولكن نجاحها وتحفيق مطالبها كفيل به شرط رابع .. أمام التدخّل السافر لإيران المباشر والغير مباشر عبر عملائها ومليشياتها في العراق وجب ان يكون هنا سند قوي فعّال من الدول الديمقراطية للثوّار .. مباشر وغير مباشر .. حتى لو تحججت السلطة بأنه خرق لسيادة الوطن المزعومة

سأل قيس مستفسراً: أستاذ .. الامم المتحدة عاجزة .. والدول الاوربية والعربية عاجزة .. هل تقصد أمريكا؟

قلت: أعتقد ان البت في هذا الموضوع سابق لأوانه .. سوف نرى ما تؤول له الامور .. الشعب الواعي الثائر وحده الذي سيقرر ...، ساد صمت طويل نسبياً يُشعرنا بوصولنا الى نهاية المحادثات فقاطعته بالقول: أعزائي الزملاء والاصدقاء .. ناقشنا كل ما كان يجول في رؤوسنا من أفكار .. حول الوجود .. حول الدين .. حول المعرفة .. حول التغيير الذي ننتظر منه ان ينتشل مجتمعنا المتخلّف وينقذ وطننا ... ناقشنا ايضاً سبل التغيير الثوري .. وغيرها .. وأعتقد اننا وصلنا الى نهاية المحادثات التي فتحت عيوننا على حقائق كثيرة وغيّرت من نظرتنا الى ما هو أحسن في حياتنا

كادت عيني السيد خالد ان تدمع وهو يقول: نعم .. تشرفت بمعرفتكم جميعاً .. نتردد على هذا المقهى .. انا والسيد حسين كثيراً ... وأتمنى ان أراكم بين الحين والآخر في هذا المقهى كأصدقاء نتبادل الاحاديث والتوقعات على ضوء ما تعلّمناه في هذه المحادثات، أقترب منّي وعانقني وتلاه الآخرين يعانق واحدهم الاخر .. وفي فعل أخير .. أجتمعنا سوية وتعانقنا.